

ذِيْل

كتاب تجار الامم

للوّزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب

(ظهير الدين الروذراورى من سنة ٣٦٩ الى ٣٨٩ هـ)

(وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابى الكاتب الى سنة ٣٩٣ هـ)

مع منتخب من تواريخ شتى تتعلق بالامور المذكورة فيه

وقد اعيتبني ابنه وتصحيحه هوف آمدروز

الجزء الثالث

(يحتوى على حوادث (٢٥) سنة من ٣٦٩ الى ٣٩٣ هـ مجرية)

الناشر
دار الكتاب الاسلامي
القاهرة

﴿ ترجمة المؤلف عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي ﴾

قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٤٨٨ : محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذراورى وزر للمقتدى بالله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جيهير سنة ٧٦ وصرف سنة ٨٤ وأعيد ابن جيهير ولما عزل قال

تولاهما وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

ثم انه حج وجاور بالمدينة الى ان مات بها كعلاء وكان ديناً عالماً من محاسن الوزراء قال العماد الكاتب : لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين والشرع مثله وكان عصره أحسن العصور رحمه الله . وقال صاحب المرأة : ولما ولي وزارة المقتدى كان سلبها من الطمع في المال لانه كان يملك حينئذ ستمائة ألف دينار فانفقها في الخيرات والصدقات قال أبو جعفر الحرقي : كنت أنا واحداً من عشرة تتولى اخراج صدقاته فحسبت ما خرج على يدي فكان مائة الف دينار وكان يبيع الخطوط الحسنة ويتصدق بها ويقول : أنا أحب الاشياء الى الدينار والخط الحسن فانا أتصدق بمحبوني لله . وجاءته قصة بان امرأة وأربعة أيتام عرايا فبعت من يكسوهم وقال : والله لا ألبس ثيابي حتي ترجم . وتعزى فعاد الاسلام وهو يرعد من البرد . وكان قد ترك الاحتجاب ويكلم المرأة والصبي ويحضر مجالسة الفقهاء والسوام لا يمنع أحداً . وأسقطت المكوس في أيامه وألبس الذمة الفيار ومحاسنه كثيرة وصدقاته غزيرة وتواضعه أمر عجيب فرحمه الله تعالى ووردت ترجمته أبى شجاع الروذراورى في وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٩١ وفيها انه عمل ذبلاً على كتاب تجارب الامم

مقدمة المؤلف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾^(٢)

(وبه تفتي)

أما بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه أهل الحمد والثناء . المفرد بالوحداية والبقاء الذى لا يحيط به مكان . ولا يغيره زمان . لا اله الا هو مبدع المكان وموجده . ومحدث الزمان ومنفذه . خالق الخلق أطواراً . وجاعل الظلمة والضياء ليلاً ونهاراً . كتب على الخلائق قلب الاحوال لانه لا يحول . وقضى على الازمنة حكم الزوال لانه

لا يزول . والصلاة على رسوله محمد الذي بعثه بالرسالة . وهدى به من الضلالة . وأنقذ
بمعرفة من الجهالة . ودل على نبوته بأفضل الدلالة . واختاره من أشرف البلاد وطنا
وداراً . واصطفاه من أكرم العباد حسباً ونجاراً . حيث المشعر الحرام والمشرع الكرام .
وجعله آخر الانبياء بمثا في الدنيا الى العباد . وأولهم بمثا الى المعاد . وجعلنا من أمة
الذين جعلهم أمة وسطا . وأبان لهم من الاسلام منهجا جددا . ووقفهم في الدين فتحروا
رشدا . فقولهم سديد . وفعلهم رشيد . وهم شهداء على الناس والرسول عليهم
شهيد . وعلى آله الذين سبقوا الى مصاحبه وسعدوا بمرافقة .^(٣) وشرفوا بمتابسته في
هجرة . وكرموا بابوائه ونصرته . فهم معالم الهدى . ومصايح الدجا . كدرارى
النجوم تهدي السارى بنورها . وهي الغاري من فنة الدنيا وغورها .

والدعاء لخليفته الامام المقتدى بامر الله أمير المؤمنين صاحب العصر المؤيد بالنصر
الختار من شجرة طيبة الشرف والملاء . أصلها ثابت وفرعها في السماء . شربت من
ماء النبوة الطاهرة عيداتها . وتفرعت بالخلافة الظاهرة أفتائها . كما قال جده العباس
لبعض أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين : كان رسول الله دوحه نحن أغصانها . وأنتم
جيرانها . وهو المنصب العظيم . من المحدث الصميم . والبيت الكريم . الذى أول درجانه
النبوة والكرامة . وثانيتها الخلافة والامامة . ولاناث لها بعد ذلك الى القيامة .
توازيها امام عن امام . وقام بها أمير المؤمنين المقتدى بامر الله خير قيام .

ان الذى رفع السماء بنى لهم بيتا دعائه أعز وأطول^(١)

شد الله عضده بذخر الدين . وولى عهده في المسلمين . وباخوته الفر الميامين . وجعلها
كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين .^(٢) وأيد دولته بجلالها الذاب عن حماها . المناضل عن
علاها . جمال الملة مغيب الامة معز الدنيا والدين . عين أمير المؤمنين الملك العادل المحجب
الى القلوب . والركن الشديد المعد لدفع الخطوب . ودبر ملكه بنظامه المبارك .
فقد أيامه . قوام الدين رضى أمير المؤمنين الوزير الظهير . الموفق بحسن التدبير .

ويعد أداء الفروض المقدمة الواجبة . والسنن المؤكدة الراتبة . وقضاء حقوقها المستتبعة
اللازلية وسلوك طرقها المستقيمة اللاجبة . فان أولى ما صنفه الفقيه . وعنى بهراءه المستفيد .
جمع أخبلد الامم الحالية . وحفظ توارىخ الازمان الماضية . لأنها أوفى المصنفات فائدة
وأكثرها عائدة . وأحسنها أثرا . وأطيبها نورا . اذ كان أنفع العلوم ما أدت مقاصده الى

التوحيد . ووقفت موارده على تثبيت قدرة الخالق في نفوس العبيد . وفي تدبر اختلاف الليل والنهار . وتأمل مجارى الأقدار ونقلب الأدوار . في توالى الأيام وتعايقها . وتداول الدول وتناوبها . قال الله تعالى : وتلك الأيام نداؤها بين الناس . أكبر دليل على وحدانية من يبتهم ثم يحصدهم^(٥) ويشقيهم ويسعدهم . وينشئهم ويبيدهم . ويعيدهم . ويحييهم ويميتهم وهو على جميعهم اذا يشاء قدير . تبارك اسمه وجل ثناؤه . وعظمت قدرته وكثرت آلاؤه . مرجع الخلق والأمر اليه ويده ملكوت كل شيء . وهو يحير ولا يحار عليه له الحمد كله ويتوفيقه يوضح في الرشاد سبيله فلا عبادة اذاً أرقى من التوحيد فوقه من العبادات موقع الرأس من الجسد به اعتداله وبقاؤه . ومحله من الاعتقادات محل الروح من الجسم بها حياته ونعائوه . ولولم يكن علم القصص عظيماً لما من الله تعالى به على نبيه عليه السلام فقال : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال سبحانه طسم تلك آيات الكتاب المبين . تلوه عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون وقال تعالى : كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً) ولولم يكن في ذلك الا ما ينتفع به المعبر من قلة الثقة بالدنيا الفانية . وكثرة الرغبة في الآخرة الباقية . الكفى ما تنتج هذه البصيرة من جميل الافعال . وتحت عليه هذه النتيجة من صالح^(٦) الاعمال . فكيف وأولى ما يمتد به أولو الامر وأصحاب الزمان . ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان . وأوجب ما يتشغل به من اليهم أزمة الامور . وعليهم سياسة الجمهور . ادمان النظر في كتب التاريخ واحسان التبع الاخبار . والآثار والتفكر في حال من مضى من الاخبار والاشرار . ليعلموا ما بقى للمحسن من الصبب الحميد الذى صار له حياة مخلدة وبالأجر^(١) الذى اكتسبه . وللمسيء من الذكر القبيح الذى جعل صحيفته مسودة بالوزر الذى احتقه . ويتصفحوا حال الخازم في حزمه وعقله . والمضيق في تقريظه وجهله . فيسلوكوا من الطرائق أوضحها وأمثلها . ويتقبلوا من الخلائق أشرفها وأفضلها . ويردوا من المشارب أصفها وأعذبها . ويرعوا من المراتع امرأها وأخصبها . يأخذوا من الامور بأحزمها . ومن التجارب بأحكمها . فهما يكن من حسنة اقتبسوا منها . ومهما يكن من سيئة ارتدعوا عنها . فالسيد من اتفح بالادب فيما دأب غيره فيه . من التجارب . والرابع . من حظن الراحة فباتعب به سواء من المطالب . لان العقل غريزة في الانسان . والتجارب مكتسبة في الزمان . والرأى^(٧) لقاح العقل والتجربة نتاجه . والخير مقصد الحجي والاجتهاد منهاجه . ومن أن للانسان

من العمر الطويل . ما يحصل فيه على تجربة الدقيق والجليل . وقيل : العمر نصير والعلم كبير ^(١) نخذوا من كل شيء أحسنه

فإذا تأمل المرء سيرة الماضين من الأقوام . جنى مع تقارب الشهور والأيام . ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والأعوام . وعلم علل الأحوال وفوائدها . وحيل الرجال ومكائدها . وعرف مبادئ الأمور ومصائرهما . وقاس عليها أشباهها ونظائرها . وعمل بأفع ما حجب به من الفهم والعلم . وانتفع بأصوب ما عمل به في الحرب والسلام . وأقدم على المواطن التي يربح في أمثالها الظفر . وأحجم عن الاماكن التي يتوقى في أشكائها الحذر . وتلى بمن تدرع الجلد عند حدوث النوايب . وتأسى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب . وذكر مصير العاقبة إذ أرخت يد الغفلة عن أمره . ونظر بالبعيدة الثاقبة إذ غطى غرور الدنيا على بصره .

فهذان القسمان يجعلان الدين والدنيا . ويبلغان بصاحبهما الدرجة العليا . فاما ما في ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة . وأنس المحادثة والمسامرة . فقد ^(٨) خففت القول فيه لانه يصغر في جنب ما قدمت ذكره من القسمين العظيمين . والامرئ الجسيمين . كما قال النبي صلعم : كل الصيد في جوف الفراء ^(٢)

وانني تأملت كتاب نجارب الأمم . وعواقب المهم . الذي صنفه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه) فوجدت فوائده غزيرة . ومنافعه كثيرة . وعلمه جما . وبحره خفيا . فراقني تأليفه . وأعجبني تصنيفه . فرحم الله مصنفه وأجزل في الآخرة أجره . كما طيب في الدنيا ذكره . فلقد اختار فاحسن الاختيار . ومخض فاني بزبد الاخبار . وسلك سبيلا وسطا بين التطويل والاختصار . ثم لم ينع بذلك حتى قرب مسانك الطرق البعيدة . وبرز من أثناء الاختيار ذكر الاراء السديدة . ونبه فيها على مقامات حميدة . وبين ما جرى في كل وقت من خدعة ومكيدة . لتلايمد من يد المتناول قطف الثمرة اليامسة . ولا بطول على فكر المتأمل وجود الزبدة النافعة . وأحر به ذلك فان فضله وان لم يدرك زمانه باقي النفع بادي الاثر . والروض ينبي عن فضيلة الفيت وان ولي أوران المطر . فدعاني وقوف همتي عليه الى انتفاء أثره . ^(٩) وسلوك ما سنه في ورده وصدوره . وصلا لئسلك الذي بنا ^(٣) بنظامه . ونياية عنه في تشيد ما بناء به بعد انتضاء أيامه . وسنة لمن يسدنا بستر الآتي منها على سيرة الفار . ويتصل بحيل الاول فيها حبل الآخر . لا تعاطيا منا للمساجلة . ولا تماديا في المماثلة . لا مجازاة في المضمار . ولا ^(١٠) هذا الرأي منسوب الى بقرات اليوناني ^(٢) ليراجع كتاب الميداني ^(٣) لعله يدا

مساواة في الاختيار . ولا ماقاله زهير (١)

هو الجواد فان يلحق بشأوها على تكاليفه فثله لحقا
فهيأت كيف الطمع في اللحاق . وقد شأى المتقدم في السابق . لا سيما وطرف
الفصاحة نحتى كاب . وحد البلاغة في يدي ناب . فأين المصلى . من الحلى . وأين السكاهم .
من الحسام . وأين السنجع من المولى . وأين العاقل من الحلى . أريها السماء وترى القمر
ولكننى أقول ما قاله في البيت الثانى

أو يسبقاه على ما كان من مهل فئل ما قدما من صالح سبقا
هذا لعمرى أقرب الى الصواب . وأليق به هذا الباب . فأحسنتم القياس وسلمت
قصة السباق وأعطيت القوس باريها . وأشدت الضالة باغيها . (١٠)

فلو قبل مبكها بكيت صباية اذا لشفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبل فتهيج لى البكا بكها فكان الفضل للمتقدم (٢)

ثم ان لتصنيف رجالا عنوا بأمره وعاموا في بحره . وأنسوا بجمع شاردته . وتقردوا بنظم
فرائده . وصاروا بصردته . واستولوا على أمده . فهم لنفسه برأة . والى غرضه رماة . وفي
طرقه هداة . وقد ربيت في غير هذا الوكر . وسقيت من غير هذا الدر . ونجيت بغير
هذه الصناعة فان قصرت عن بلوغ معانيه . فاحذوا العذر في العجز وان وقع سهمى دون
مرامييه . فاعذر فالنزع (٣) في القوس لين فلن سبقنا فضيلة الجمع والاستكثار . ولنا من
يعدهم وسيلة الاختيار والاختصار . وكل مجتهد مصيب . وله من حسن الذكر نصيب
فسلمت الى من تقدمنا الفضل في زمانهم لحاسن تلك العلوم المشهورة . ولوانهم
أدركوا زماننا لسدوا الفضل لنا بحاسن هذه الدولة المنصورة . دولة الامام المتبدي
بامر الله أمير المؤمنين ذي الكرم والفخار . والحلم والوقار . والاخلاق الطاهرة .
والافعال الباهرة . والكرامات العجيبة في المنشأ والمولد . والدلالات الصحيحة في
المغيب والمشهد . به أنقذ الله الرجاء من أسر اليأس (١١) وألقي عليه محبة قلوب من
الناس . بعد ان فجعوا بذخيرة الدين (وليس للفأثم رضوان الله عليهما عقيب سواء .
ولا لايت أحد يصلح للعهد فيولاه) فتقطعت النفوس حشرات . ورجعت الافاس
زفرات . وبكت الملة واستولت الوحشة والنعمة فأتى الحبل الميمون به انعام . وبدأ وجهه
المبهر فجلا كل ظلام . وسارت « البشري » بذكره في سائر الآفاق . وزعت أعواد

(١) ليراجع قصيدته التى أولها بان الخليط أجد اليين فافترقا (٢) البيتان لعدي
بن الرزاق (٣) لعله فاعذروا لنزع

الماير باسمه حتى كادت تعود للابراق . ثم كلاه في الفتنة الحادثة أحسن كلاءة بين
أعدائه . وألغفه جناحا من الحياطة ستره بين قوادمه وخوافيه . فكانت قصته كقصه
موسى عليه السلام حين الفى صغيرا فى اليم . ونجا كبيرا من النهم . وأعاد القائم بأمر الله
رضوان الله عليه الى مقر سلطانه . وفسح فى مدته وبارك فى زمانه . لتمام عهده . وانجاز وعده
حتى يسلم الامر منه على حين السن المستحقة لتسلم أسبابه . وتمامه من جبابه . فكان ذخيرة
الدين خلفا لتعجله . وكان القائم بأمر الله عاد فى تلك التوبة لاجله . فأسلم حتى بنفسه
وارثه شرف الخلافة العظيمة . وحوى فى شرح الشبهة جميع محاسن الاخلاق الكريمة
وارتقى من المجد ما لا تبلغ الاوهام ذروته . (١٢) واجتني من الحلم ما لا تحل الايام
حبوته . وساس الامور بهمة عليّة . وسيرة رضية . وخلافة جاءت كالعصر من الدهاء . ولم
يكن مثل ذلك لامثاله من الخلفاء وكانما عناه أبو العتاهية بقوله

أنته الخلافة مفقادة اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الارض زلايها

فما خلا متقلدا للخلافة فى عصر من ينزع فى رداها ويجذب على عنائها . ويترشح
لحلقها ويتطاول لمسكانها . الى أن يستقر الرأي فى قراره . ويجتمع الامر من أقطاره .
الا امام عصرنا المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين فانه تفرد فى عصره بهذا الاستحقاق .
واجتمعت الكلمة عليه لوقتها بالاصطلاح والاتفاق . فلم يحظر منازعته بخلد ولا بال . ولو
كان الزمان ذا لسان لقال « هذا صاحبي بلا مراة ولا جدال » لاجرم أن سمادته مخصوصة
بأوفى كمال . محروسة باذن الله تعالى عن قصان وزوال . ودولته محوطة بأكرم
ظهير وموال .

وأنى يكون للدول الاولى مثل جلال الدولة بن عضد الدولة الهمام ابن الهمام الملك
(١٣) عضد الدولة المعظم من الاخوال والاعمام . الحامي حوزة الاسلام . الملبى لدعوة
الامام . الذى كرم طرقاه . وعظم شرفاه . ودانت اصولته الامم . وانكشف بدولته
الظلم . وجرت بنصرته الاقدار . وانفتحت على يديه الفتوح الكبار . أطول الملوك
باعا . وأحسنهم فى الدين ذبا ودفاعا . فهو تاج على حبين الايام الزاهرة المنتدية يزيد
فى أنوارها . وركن الدولة القاهرة العباسية يدفع عن أقطارها . زاد على أنوشروان
بفضله وبمعدله . وأوفى على بهرام نياسه ونجده . وفضل أردشير بتديره وسياسته .
وساوى الاسكندر بما كره وبسطه . فالشرق والمغرب مدعنان لطاغته . والبدو والحاضر

منقادان لثباته . كل ذلك ببركات مخالصة لامائه . وحسن نيته في حجة أيامه .
 وأين كان لتدبير الاقاليم وزم أمورهما . وحفظ الممالك وصدد نفورها . مثل نظام
 الملك قوام الدين الذي أعيد للخطوب أقرانها . حين عجم بالتجربة عيدياتها . وجمع
 رياسة السيف والقلم . لما كفل بسياسة الغرب والهجم . ببقية في الدولة ميمونة . ونسيرة
 في النصيحة مأونة . وحزم لا يثان بهفوة . وعزم لا يخان بنبوة . وخلق لا تجذب فيه
 عنفا . ورأى لا^(١١) ترى فيه ضعفا . وهيبة مع طلعة بشر . وتواضع مع رفعة قدر . فإذا
 قيل له اتق الله سمع وأطاع . وإذا خوف بالله خاف وارتاع . فافعله أفعال العباد .
 وأخلاقه أخلاق الزهاد . مع اتقياد الدنيا له في الاصدار والتأيراد . ونفاذ أمره على
 الرعايا والاجناد . وجمه في منهل العدل بين الغلباء والأتساد .
 فأى دولة تباهى هذه الدولة القاهرة في مناقبها وما أثرها . وأى أيام تضاهى هذه
 الأيام الزاهرة في محاسنها وفعالها . وأى قول ينتهي الى حد وصفها وإن امتد وطال .
 وأى بليغ يبلغ أمد فضلها وإن أسهب وقال .
 فاعود الان الى ذكر ما أنا قاصده من الاختيار . متبرئاً من عهدة ما أورده من
 الاخبار . لأنني أتبع في كتاب التاريخ مسطورها . فاختر بحسب المرفقة عقودها
 وميسورها . وما عساه يندر من خير شاذ تلقف من أفواه الرجال . وخسلا التاريخ
 من ذكره اما مخفاء أو نسيان أو اغفال . فانه ثبت في بواطنه . وينظم مع قرائنه . وإذا
 انتهيت انشاء الله سبحانه الى أخبار زماننا اتسع المجال . وأمكن المقال . وعمدت حينئذ
 الى ما شاهدناه وخبرناه فاخبرته به على وجهه وذكرته ميجهداً في التحرى وبحسب
 الامكان الذي لا أقدر على سواء .^(١٥) وبقدر الوسع الذي لا يكلف الله نفساً الا اياه .
 وأول ما أبدأ به الان في كتابي هو آخر ما ختم أبو على مسكويه رحمه الله به
 كتابه في سنة ٣٦٩ والله تعالى ولي حسن التوفيق . والهادي في
 جميع المقاصد الى سواء الطريق . وبه أعوذ من الخطأ .
 واعتصم من الزلل . وإياه أسئل خاتمة
 جميلة . بالمغفرة كفيلة .
 انه غفور رحيم

﴿ انتهت المقدمة ﴾

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر عضد الدولة عند توجهه الى الجبل ﴾

رحل بالمسكر من المصلى في يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجة وقد استصحب أبا عبد الله الحسين بن سعدان يشفذ الامور بين يدي عضد الدولة واليه عرض المسكر . فلما حصل بين حلوان وقرميسين عاده المرض الذى كان عرض له من قبل وحجب الناس عنه حجابا وقع به الارجاف والاضطراب ثم أفاق وظهر وركب الى قرميسين . ووافاه بنو حسنويه وقد كانوا راسلوا وبذلوا الطاعة بوساطة أبي نصر خواشاذة الا أنه لم يقدر أنهم يأتسون الى الحضور بأجمعهم ^(١٦)

﴿ ذكر القبض على بعض أولاد حسنويه واصطناع بعضهم ﴾

حضروا المسكر فاقعدوا في خرگاه من وراء المراتق و وكل بهم خواص الديلم وغلمان الخيول ورتب الاعراب والاكراد والرجالة (و) الفرس من حوالى المسكر وبظاهر البلد لئلا يغت منهم أحد أو من أصحابهم وقبض منهم على عبد الرازق وأبي العلاء وأبي عدنان وبختيار وعلى كتابهم وأسبابهم ووجوه الاكراد الذين معهم . واستدعى بدر عاصم وعبد الملك ووصلوا الى حضرة عضد الدولة وخاطبهم بمآراء من واصطناعهم وحملوا الى الخزائن نخلع على بدر القباء والسيف والمنطقة الذهب وحمل على فرس بمركب ذهب وقلد زعامة الاكراد البرزيكاني ومن يجرى مجراهم وخلع على كل واحد من عاصم وعبد الملك الدراعة الديباج والسيف بالحمائل وسمل على دابتين بمركبين مذهيين ووضع على كل من كان مع المقبوض عليهم من الاكراد السياف ونهبت حللهم بما فيها . ونفذ أبو الرفاء

طاهر بن محمد الى قلعة سرماج فاقتتبعها^(١٧) وأخذ ما كان فيها من ذخائر
حسنويه .^(١)

﴿ ودخلت سنة سبعين وثلاثمائة ﴾

وسار عضد الدولة الى نهاوند وأقام بها ورتب العمال في النواحي وجدة
في تناول الموجود لانه كان من رأيه أن يجعل همدان ونهاوند لمؤيد الدولة
ويستضيف الدينور وقرميسين وما يجري مجراها الى أعمال العراق . ثم
انتقل في صفر من نهاوند الى همدان ونزل دار فخر الدولة بها .

﴿ ذكر ورود صاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد^(٢) ﴾

في هذا الشهر ورد صاحب ابن عباد الخدمة عن مؤيد الدولة وعن
نفسه فلما جاء عضد الدولة على بعد من البلد وبالغ في اكرامه ورسم لا كابر
كتابه وأصحابه تعظيمه ففعلوا ذلك حتى انهم كانوا يغشونه مدة مقامه
مواصلة ولم يركب هو الى أحد منهم وكان غرض عضد الدولة بذلك استمالة

(١) قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : وفي صفر سنة ٣٧٢ قبض عضد
الدولة على أبي الوفاء وحمل الى قلعة الماهكي ثم قتل بعد وفاة عضد الدولة . وقال أبو
الفرج ابن الجوزي في كتابه عجائب البدائع (كتيبة بارس ١٥٦٧) ومن عجائب
الاتفاقات العجيبة في المنادير وهو ما ذكره هلال بن الحسن بن أبي اسحاق الصابي في
تاريخه ان أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان انه لما وزر لاصمصام الدولة كان أبو الوفاء
طاهر بن محمد معتقلا في بعض الفلاع وكان أبو عبد الله ابن سعدان يعاديه فاخذ حاجبا
لقتله وحمل رأسه فلما قتله أحضر رأسه اليه فشاهده وأمر بدفنه تحت درجة داره بما
يلى دجلة . ثم قتل أبو عبد الله ابن سعدان بعد ذلك ورجم رأسه وجثته الى دجلة ولم
يزل الماء يقدو برأسه وجثته حتى انتهى به الى مشرعة دار أبي الوفاء طاهر بن محمد
فاخذ الملاحون ودقوه تحت درجة أبي الوفاء والحزاء من جنس العمل .

(٢) وردت ترجمته في ارشاد الاربيب ٢ : ٢٧٣

مؤيد الدولة وتأسيس^(١٨) صاحب .

ووردت كتب مؤيد الدولة يستطيل مقام صاحب ويدكر اضطراب
أمواره بعده فوقم الشروع في تقرير ارتفاع همدان ونهاوند مهمما عليه
وتولى أبو عبد الله محمد بن الهيثم عمل العمل بالارتفاع .

﴿ ذكر عمل رتب في تكثير اعتداد بارتفاع ﴾

صدر العمل بأن قال : مبلغ ارتفاع النواحي الفلانية . وتمم الحكاية
عن كذا وكذا ورقا صحاحا . من الورق ينفذ الخرج كذا وكذا . وأضاف
اليه الربيع اعتمادا للتكثير . وأنفذ العمل مع أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف
وأبي الوفاء طاهر بن محمد وأبي عبد الله ابن سعدان الى صاحب أبي القاسم
ورسم لابي عبد الله الحضور معهم عنده وموافقته على أبوابه ففعل واستوفي
مناظرته وكل الارتفاع بزيادة على موجوده .

﴿ ذكر عود عضد الدولة الى مدينة السلام^(١٩) ﴾

برز عضد الدولة الى ظاهر همدان في شهر ربيع الآخر للعود الى
مدينة السلام وخلم على صاحب الخلع الجليلة وحمله على فرس بركب ذهب
ونصب له دسدا كاملا في خركاه يتصل بمضاربه وأجلسه فيه وأقطعه ضياعا
جليلة من نواحي فارس وحمل الي مؤيد الدولة في صحبته أطافا كثيرة
وضم اليه من العسكر المستأمن عن فخر الدولة عددا ليكونوا برسم خدمة
مؤيد الدولة

﴿ ذكر ما جري عليه أحوال أولاد حسنويه بعد وما جرّه ﴾

(الحسد من القاء من نجا منهم بيده الى التهلكة)

لما قدم بدر وفضل بالسيف والمنطقة احفظ ذلك عاصما وأوحشه

وأقام قليلاً ثم انحاز إلى الأكراد المخالفين خالفاً للطاعة منابذاً لبدر ، فأخرج إليه أبو الفضل المظفر بن محمود في عدة من الأولياء حتى أوقع بمجمود وأخذته أسيراً وأدخله همدان راكباً جل بدراعة ديباج ولم يعرف له خبر بعد ذلك وتفرّد بدر بالخدمة والانتساب^(٢٠) إلى الحجة . وقتل جميع أولاد حسنيه .

وفي هذه السنة ورد الكتاب بأن أبا علي الحسن بن عثمان أخذ المعروف بالصيداوي وقتله

﴿ ذكر حيلة تمت على الصيداوي حتى أخذ وقتل ﴾

كان هذا الرجل أحد قطاع الطريق في أعمال سقي الفرات فاحتمل أبو علي ابن عثمان في أخذه بأن دسّ عليه جماعة من الصعاليك أظهروا الانحياز إليه فلما خالطوه قبضوا عليه وحملوه أسيراً إلى الكوفة فقتله وأخذ رأسه إلى مدينة السلام فشره بها

وفي هذه السنة ورد كتاب أبي علي الحسن بن علي التميمي بالقبض على ورد الرومي^(٢١)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما توفي أرمانيوس ملك الروم اتفق أن تقف الروم المستق وهو رجل ذو سياسة وصرامة كان قد خرج إلى بعض بلاد الإسلام ونكأ فيها ثم عاد فعرف خبر وفاة أرمانيوس حين قرب من القسطنطينية^(٢٢) فاجتمع إليه وجوه الجند وقلوا له : إن الملك قد مضى وخلف ولدين لا غناء عندهما مع صغر سنهما وما يصلح للنيابة عنهما في تدبير الملك غيرك ونحن نرى ذلك

(١) هو السفلاروس قد تقدم ذكره

من المصلحة للناس والمملكة . فامتنع فراجعوه حتى أجابهم ودخل الي
المساكين وخدمهما وأظهر المحبة لهما والنيابة عنهما ثم لبس التاج وزوج
بوالديهما ثم وقع منه جفاء لها استوحشت به منه

﴿ ذكر تدير دبرته المرأة حتي تم لها قتل نقفور لقله حزمه ﴾

راسلت ابن الشمشقيق وأطمعته في قتل نقفور واقامته مقامه في التدير
واستقر الامر بينهما على ان صار هو وعشرة نفر من خواصه سراً الى
البلاط التي تنزلها هي ونقفور فادخلته ليلاً وكان نقفور يجلس أكثر الليل
لأنظر في الامور وقراءة السير ويبيت على باب البيت الذي يأوي الي فراشه
فيه خادمان فلما حصل ابن الشمشقيق داخل البلاط هجموا على الموضع
 وقتلوا الخادمين وأفضوا الى نقفور وقتلوه ووقعت الصيحة وظهرت القصة
واستولى ابن الشمشقيق على ^(٢٢) الامر وقبض على لاون أخى نقفور وعلى
ورد بن لاون ^(٢١) فاما لاون فانه ككله وأما ورد فانه حمله الي قلعة في البحر
واعقله . وسار الى أعمال الشام وفعل فيها الافايل وانتهى الى طرابلس
فامتنع عليه أهلها فنزل عليهم ونازلهم ^(٢٣) .

فكان لام المسكين أخ خصى واليه وزارة الملك منذ أيام الملك أرمانوس
واسمه بركموس ^(٢٤) ف قيل انه دس على ابن الشمشقيق سما في طعام او في
شراب فأحس به ابن الشمشقيق في بدنه فسار عائداً الي قسطنطينية وتوفي في
طريقه واستولى بركموس على الامر .

وكان ورد بن منير ^(٢٥) كبيراً من كبراء أصحاب الجيوش ومقيماً في بعض

(١) هو الففاس (وردبس) (٢) ابراجع فيه تاريخ ابن الفلاني ص ١٤ — ١٢

(٣) هو باسيل أخ لجدة المسكين (٤) هو السفلاروس

الاعمال فطمع في الامر وجمع الجموع واستعاش بالمسلمين من الثغور وكاتب
ابن حنبل بن حمدان وواصله وصاهره . واخرج الملك الى عسكر ابعده عسكر
فكسره واستظهر وسار الى القسطنطينية ودم الملكين ما ضاقا به ذرعا
فاطلق اورديس بن لاون واصطنعه واستحلفاه على المناصحة وأتقاه للقاء ورد
في الجيوش الكثيرة وجرت بينهما وقائع ابلى كل واحد منهما بلاء ظاهرا
حتى تبارزا وتضاربا باللتوت الى ان وقعت خوذتهما عن رؤوسهما .

ثم انهزم ورد ودخل الى بلاد^(٢٣) الاسلام مغلولاً وحصل بظاهر
ميفارقين على نحو فرسخ منها (وأبو على الحسن بن على التميمي الحاجب
اذ ذلك بها) وراسل عضد الدولة وأتقأ أخاه اليه فأحسن تقبله ووثق اليه
نخطه وأعاده عليه بوعد جميل في انجاده .

وتلاه رسول ملك الروم يلاطف عضد الدولة في أمره^(٢١) فقوي في
نفسه ترجيح جانب ملك الروم على ورد وبدا له رأى في تدبير القبض عليه
فكاتب أبا على التميمي بالتوصل الى تحصيله . فخرج أبو على اليه بعد
مراسلة ترددت بينهما في الاجتماع وقبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من
أصحابه وحملهم الى ميفارقين ثم أنفذهم الى مدينة السلام .

فراى صواب رآه أصحاب ورد وأشاروا عليه فأهمله واستبد برأيه
كان وجوه أصحاب ورد اجتمعوا اليه قبل القبض عليه وقالوا : لسا نرى
أمرنا مع عضد الدولة مستقراً عن نصرة ومعونة وقد تردد بينه وبين ملكي
الروم في معنا وانالاً نأمن أن يرغب^(٢١) فينا فيسلمنا والوجه الاستظهار
وترك الاغترار وان تقارق موضعنا عائدين الى بلاد الروم على صلح

(١) قد ذكر صاحب تجارب الامم هذه الرسالة فيما تقدم

ان أمكننا أو حرب نبذل فيه جهدنا فلما ظفرنا أو مضينا أعزاء كراما . فقال :
ما هذا رأى ولا رأينا من عضد الدولة الا الجليل ولا يجوز أن نقصده ثم
نصرف عنه من قبل أن نبلو ما عنده . فلما خالفهم وتركهم تركه كثير
منهم وفارقوه

فأقام ورد وأخوه وولده وتحصلوا في الاعتقال الي ان افرج عنهم
صمصام الدولة في آخر أيامه على ما يأتي ذكره فيما بعد ان شاء الله .

﴿ ذكر ما جري عليه أمر نغر الدولة ﴾

لما صار الى قزوين بعد هزيمته من همدان قفل عنها الى بلاد الديلم
وحصل بهوسم وأقام بها مدة . وترددت بينه وبين قابوس بن وشمكير^(١)
مراسلات وإيمان وعهود سببها الاجتماع على عداوة عضد الدولة ومؤيديها
ثم سار الى خراسان لاستنجد صاحبها .

﴿ ودخلت سنة احدى وسبعين وثلاثمائة^(٢) ﴾

كان عضد الدولة أئذا بأب نصر خرشيد يزديار^(٣) الى قابوس برسالة
يستصلحه فيها فعاد بنجواب ظاهره المعاطاة وباطنه المباينة^(٤) فسال عضد الدولة
الطائع لله أن يعقد لمؤيد الدولة أبي منصور على أعمال جرجان وطبرستان
وينفذ اليه المهد واللواء والخلع السلطانية فاجابه الى ذلك . وجلس في محرم
هذه السنة وجرّد أباحرب زيار بن شهر ا كويه الي مؤيد الدولة مع عدد كبير
وضم اليه أبو نصر خواشاذه وأصحاب خزائن المال والثياب والسلاح فوصلوا
الي مؤيد الدولة وهو معسكر بظاهر الري وأوصلا اليه الخلع السلطانية

(١) وردت ترجمته في ارشاد الارب ٦ : ١٤٣ (٢) وفي الاصل ١ بن زياد
والصواب فيما تقدم (٣) لعله الملاينة وراجع التاريخ الهجري ١٠٦ : ١ من ١٢٨٦

فلبسها وركب في العسكر وسار . فلما انتهوا الى استراباذ وبينها وبين طبرستان عشرة فراسخ وقابوس مقيم بها حفر بظاهرها خندقاً أجري فيه المياه وبني عليه أبراجاً رتب فيه الرماة وعمل على المضاوأة ولم يهمل مع ذلك الاستعداد للمواقعة ان دعت ضرورة اليها ونزل مؤيد الدولة على فراسخ من البلد في موضع ماء وجده وأتخذ الى طبرستان من دخلها وملكها لأن قابوس أخلاها وجمع العساكر عنده واحتشد بغاية جهده .

وظلت طلائع العسكرين وتمسك قابوس بموضعه وتوقف^(٢٦) مؤيد الدولة عن مقاربتة أشفاقاً من تعذر الماء وأقام الفريقان على هذه الحال أياماً (ذكر حرب جرت على غير ترتيب آل عقباها الى الخير والاتفاق)

لم يزل مؤيد الدولة يحيل الرأي ويعمل التدبير الى ان عرف خبر واد بظاهر البلد يجتمع اليه مياه الامطار في أيام الشتاء وانه متى سدت أرجاء تقاربه وأصبح ماؤها اليه أمكن النزول عليه فركب هو وجماعة من خواصه في عدد قليل من النملان لمشاهدة الموضع وتقدم الى من كان خرج للمناوشة بالتوقف في ذلك اليوم وأقام على الجبل من يمنع ويرد . فها هو ان بعد عن العسكر حتى زحف الديلم منازعين الى لقاء القوم وقابلهم عسكر قابوس بمثل حالهم واشتد القتال وبلغ مؤيد الدولة ذلك فقامت عليه القيامة وأتخذ جماعة من الحجاب والقباء فوجدوا الامر قد فات عن حد القبول فانكفأ حيثئذ الى موضع العسكر . ولم يزل^(٢٧) الحرب قائمة على ساق اني أن صوبت الشمس للغروب . (ذكر غلط جرى من قابوس في رد أصحابه بعد ان)

(لاح له الضعف من مؤيد الدولة)

ورد قابوس أصحابه وعاد مؤيد الدولة الي معسكره وقد قتل من

أصحابه خلق وجرح أكثر ممن قتل من أصحاب قابوس وخرج فانفذ مؤيد الدولة بدر بن حسويه في عدد كثير من الاتراك والاكراد الى الجبل الحاجز بين الفريقين ليضبطه اشتاقاً من أن يسير قابوس على أثرهم فانه لو تبعهم لنكافهم وبلغ مراده منهم. واحتاج مؤيد الدولة الى المقام اسبوعاً حتى ثاب أصحابه واستراحوا وأجري الماء الى الوادي ثم سار ونزل عليه ثم استعد أربعة أيام وزحف بعدها في جميع العسكر. واشتبكت الحرب وحملت ميمنة مؤيد الدولة على مسيرة قابوس فكسرتها وفيها جرة عسكره فانهزم ودخل البلد مخترباً الى جانبه الآخر وثبت القتال من ميمنة قابوس وفيها أخوه^(٢٨) جركاس ساعتين بعد الهزيمة لانهم كانوا من وراء غيضة ولم يملوا الصورة فلما عرف جركاس هزيمة قابوس انهزم لاحقا به. وأنفذ مؤيد الدولة جماعة فرسان من عسكره لاقتصاص أثره فنكبت قابوس عن الطريق وسار ماراً على القلاع معتقدا لعمود أحدها متى أربقه طلب الى أن خصل بنيسابور واجتمع مع فخر الدولة هناك.

ولما ملك فخر^(٢٩) الدولة استرا باذرتب أمورها واستخلف أحد أصحابه فيها وسار الى جرجان فنزلها وأقام بها وأنفذ أبا نصر خواشاذه الى الحضرة ببغداد في رسائل ووردها في شهر رمضان مع الاسارى من أقارب قابوس ووجوه أصحابه فاعرض عضد الدولة عنه وأظهر الشكر^(٣٠) له وأخرج أبا على الحسن بن محمد الى جرجان. ﴿ ذكر خيانة في مشورة جرّت نكبة ﴾

كان عادة أبي نصر اذا أنفذ الى الرى وقرب منها ان يلقاه صاحب

(١) يظهر المراد مؤيد الدولة وليراجع التاريخ اليميني ١٠١٠: ١١٠

(٢) كتبنا بالأصل

أبو القاسم ابن عباد واذا رآه أبو نصر أن يترجل له فلما^(٢١) خرج في هذا الوقت مع زيار أحب أن يفعل زياراً مثل فعله لئلا يكون له في الامتناع منه زيادة رتبة عليه فقال له زيار قول المستشير : ما الذي تري أن تفعل في خدمة صاحب اذا لقيته ؟ فقال : أنت أعلم الا أن عضد الدولة ينزله المنزلة الكبيرة ويؤثر أن يقضى حقه والذي أفعله أنا الترجل له ومتى فعلت ذلك لم تأمن أن يفعل مثل ذلك . فحمل زياراً على أن يترجل له عند خروجه لتلقيه ولم يترجل صاحب ولا كان ممن ينقاد لهذا أو يسمع به وإنما خدعه أبو نصر جتي تم غرضه . وبلغ عضد الدولة ذلك فغاضه غيظاً عظيماً أسره اشفاقاً من أن يتأدى الى صاحب أبي القاسم فيه ما يوحشه فلما ورد أبو نصر وفي قلاب عضد الدولة من^(٢٢) هذا الامر ما فيه أطرحه وأعرض عنه ثم قبض عليه بعد مدة وحمله الى بعض القلاع بفارس .

ولقابوس أبيات قالها بعد الهزيمة مستحسنة

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر الا من له خطرُ
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدررُ
فان تكن نشبت أيدي الخطوب بنا ومسنا من توالى صرفها ضررُ^(٢٣)
ففي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمرُ^(٢٤)
وفيها سخط على القاضي أبي على المحسن بن على التنوخي^(٢٥) وألزم منزله وصرف عما كان يتقلده

(١) في الاصل ما (٢) وردت الايات في ارشاد الارب ٦ : ١٤٦ (٣) وفيه ترجمته أيضاً : ٦ : ٢٥١ وهذه الحكاية موجودة فيه ص ٢٦١ رواية عن أبي الحسن هلال الصائفي وفيه أيضاً ص ٢٥٥ ان الهائم أبو على هو أحمد بن على المدائني .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان التنوخي مع عضد الدولة بهمدان فاتفق يوما انه مضي الى أبي بكر بن شاهويه وكان صديقه ومعه أبو علي الهائم جلسا يتحدثان في خرباه وأبو علي على بابها وقال ابن شاهويه للتنوخي : أيها القاضي اجعل في نفسك المقام في هذا البلد مدة هذه الشتوة . فقال : لم . قال : لان عضد الدولة يدبر في القبض على ابن عباد (وكان قد ورد الى حضرته) فانصرف التنوخي من عنده فقال له أبو علي الهائم : قد سمعت ما كنتما فيه وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج الى أحده ولا سيما الى أبي الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي . فقال التنوخي : أفعل . ونزل الى خيمته وجاءه من كانت عادته جارية بملازمته ومؤاكلته ومشاربته وفيهم أبو الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي فقال له : مالي ^(٣١) أراك أيها القاضي مشغول القلب ؟

﴿ تقريط في اذاعة سر عباد بوبال ﴾

فاسترسل اليه وقال له : أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل ^(٣٢) على كذا في أمر الصاحب وهذا دليل على تطاول السفر . ولم يمالك ان انصرف واستدعى ركابيا من ركابية القاضي التنوخي وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال : عند أبي بكر ابن شاهويه . فكتب الي عضد الدولة رقة يقول فيها : كنت عند التنوخي فقال لي كذا وكذا (وذكر انه عرفه من حيث لا يشك فيه) وعرفت انه كان عند أبي بكر ابن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل فاذا ذاع السر فيه فسد ما دبرته في معناه . فلما وقف عضد الدولة على الرقة وجم وجما شديداً وقام من سباط كان عمله للديلم على منابت الزعفران مقيظا

(١) وفي الاصل : عولت . والصواب في الارشاد

واستدعى التتوخي وقال له : بلغني عنك كذا وكذا . فنجعل التتوخي ثم جمع بينه وبين أبي الفضل الساعي به فواقفه فأناكره وأحضر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فأناكرها وسئل أبو علي الهائم^(٢٢) عما سمعه فقال : كنت خارج الحركاه وما وقفت على شيء . فمَدُّ وَضُرِبَ مائتي مِقرعة وأقيم فنفض ثيابه وقال : أكثر الله خيركم . واتصل ذلك بعُضد الدولة فأمر بضربه مائة مِقرعة أخرى واندفعت القصة فرجع التتوخي الى خيمته بعد ان ظن انه مقبوض عليه وبقى يتردد الى خدمة عُضد الدولة مدة وهو معرض عنه حتى عاد له الى بعض الاقبال عليه .

ثم رحلوا الى بغداد فراه عُضد الدولة وعليه ثياب جميلة^(٢١) وتحتة بغلة بمركب ثقيل فقال له : من أين هذه البغلة ؟ فقال : حملني عليها صاحب بمركبها وأعطاني عشرين قطعة ثيابا وسبعة آلاف درهم . فقال : هذا قليل لك مع ما تستحقه عليه . فعلم التتوخي انه اتهمه بذلك الحديث .

وورد عُضد الدولة الى بغداد^(٢٢) فحسب له ان الطائع لله متجاف عن ابنه وانه لم يقربها فثقل ذلك عليه فقال للتتوخي : تمض الى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية انها مستزيدة لاقبال . ولانا عليها . فعاد التتوخي الى داره ليلبس أهبة دار الخلافة

﴿ ذكر اتفاق رديء جاء بالعرض^(٢٣) ﴾

فاتفق أن التتوخي زاق عند عوده الى داره ووئثت رجله فانقذ الى عُضد الدولة فرفعه عذره فلم يقبله وأنفذ اليه من يستعلم ما جرى فرأى غلمانة روقة وفرسا جميلة وعاد اليه فقال : انه يتعلم وليس بمليل وشاهدته على صورة كذا

(١) اراجم ارشاد الارب ٦ : ٢٦٥ (٢) وفيه أيضا ص ٢٦٦

والناس يمشونه ويمودونه . فاغتاط غيظا مجددا حرك ما في نفسه أولا فراسله بان : الزم منزلك ولا تخرج عنه ولا تأذن لاحد في الدخول اليك^(١) الا نفر من أصدقائه استأذنه فيهم واستمر السخط عليه الى حين وفاة عضد الدولة وفي هذه السنة أطلق أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب^(٢) من الاعتقال وكان القبض عليه في سنة ٣٦٧ .

﴿ ذكر السبب في القبض عليه والافراج عنه ﴾ .

كان قد خدم عضد الدولة عند كونه بفارس بالمكاتبة والشعر والقيام بما يعرض من أموره بالمضرة فقباه وأرفده في أكثر نكباته بمال حمله اليه ولما ورد بغداد في سنة أربع^(٣) وستين ازداد اختصاصه به حتى أشفق من المقام بها بعد عوده . فاستظهر له عضد الدولة بذكره في الاتفاق الذي كتب بينه وبين عز الدولة وعمدتها أخيه واليمين التي حلقاها وشروطا عليهما حراسته في نفسه وماله . فلما انحدر عضد الدولة لم يأمن على نفسه فاستتر حتى توسط أبو محمد ابن معروف أمره وأخذ له الامان من عز الدولة وابن بقية وظهر فتركه مديدة ثم قبض عليه باغراء من ابن السراج لهما به وما زال مقبوضا عليه حتى فسد أمر ابن السراج .

﴿ ذكر اتفاق عجيب في خلاص أبي اسحاق ﴾

﴿ وهلاك ابن السراج ﴾

قد تقدم في كتاب تجارب الامم ذكر السبب في القبض عليه عند افاتة

(١) كانه سقط : فلزم منزله ولم يأذن لاحد (٢) وفي الاصل (هلال كاتب) وترجمة ابراهيم بن هلال الصابي ، موجودة في ارشاد الارب ١ : ٣٢٤ ووردت هذه الحكاية ص ٣٣٠ رواية عن حفيده هلال بن الحسن الصابي

ابن بقة من علة التي أشفى فيها ^(١) فلما قبض عليه نقل القيد من رجل أبي اسحاق الى رجله وعاد أبو اسحاق الى خدة عز الدولة وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة السكتب ^(٢) التي تضمنت الوقعة فيه ^(٣) فنقم عليه ذلك . فلما ورد عضد الدولة في الدفعة الأخيرة وحصل بواسطه خرج أبو اسحاق بما في نفسه من الحذر الى أبي سعد بهرام بن أردشير وهو يتردد في الرسائل والوساطة وسأله اجراء ذكره واقامة عنده والاحتياط له بأمان يسكن اليه نفسه وكتب على يده كتابا . ففعل أبو سعد ذلك وتجزله جواب كتابه وفيه توقيع عضد الدولة بالتوثقة والامان ودخل عضد الدولة بغداد فاجراه على رسمه . فلما حصل بالموصل كتب الي أبي القاسم المطهر بن عبد الله فقبض عليه على مضض منه وكراهية .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما أخرج الى الديوان ما وجد في قلاع أبي تغلب من الحسابات والسكتب لتأمل كان فيها الشيء الكثير من كتب عز الدولة الى أبي تغلب بخط أبي اسحاق الصابي فحملت الى عضد الدولة فلما وقف عليها حررت ما في نفسه فكتب من هناك بالقبض عليه . فبقى في الاعتقال يكتب الى عضد الدولة ويستعطفه بأشعاره الى أن ^(٤) تقدم عضد الدولة الى أبي القاسم المطهر بالانحدار الى البطيحة فسأل حينئذ في اطلاقه والاذن له في استخلافه بحضرته لعناية أبي القاسم به فقال : اما العفو عنه فقد شفعناك فيه وعفونا له عن ذنب لم نعرف عمادونه لاهلنا (يعني الديلم)

(١) قد ذكر ٢ : ٣٥٨ (٢) وفي الارشاد : ومنها السكتب عن الطائع لله بتقديم عز الدولة وانزاله منزلة ركن الدولة وهو أعظم ما نقمه عليه

ولا لاولاد نبينا صلى الله عليه (يعنى أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوى) ولكننا وهبنا اساءة لخدمته وعلينا المحافظة فيه على الحفيظة منه وأما استخلافاك له بمحضرتنا فكيف يجوز أن ننقله من السخط عليه والنسبة له الى النظر في الوزارة؟ ولنا في أمره تدبير وبالعاجل فاجل اليه من عندك ثيابا ونفقة وأطلق ولديه^(١) وتقدم اليه بعمل كتاب في مفاخرنا. ففعل المظهر ذلك وعمل أبو اسحاق الكتاب الذي سماه التاجي في الدولة الديلمية فكان اذا عمل منه جزءا حمله الى عضد الدولة حتى يقرأه ويصلحه ويزيد فيه وينقص منه فلما كان تكامل ما أرادته حرر وحمل كاملا الى خزائنه.

وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف فان أبا اسحق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مرا كبهم^(٢٧) ولا تنبو مضاربهم. ووجدنا آخره موافقا لآخر كتاب تجارب الامم حتى ان بعض الالفاظ تشابه في خاتمها وانتهى القولان في التاريخ بهما الى آمد واحد والكتاب موجود يفتي تأمله عن الاخبار عنه. ﴿ان الجواد عنه^(٢٨) فراره﴾

ومن العجب كيف نكبه عضد الدولة وهو الموصوف بحسن السيرة والانصاف في السياسة مع ما سبق اليه من خدمته وعرفه أولا من خلوص نيته وأعطاه أخيرا من أماته وموثقته. ان كان الذي نقم عليه منه هو ما ذكر في تاريخ من حال السكتب التي كتبها عن عز الدولة فقير مستحسن من الملوك ان ينقموا بغير حق وان ينقضوا الاسان من غير موجب. فلو ان عضد الدولة أمره بمثل ما كان عز الدولة أمره به هل كان يقدر على خلافه مع كونه في قبضة سلطانه؟ والله تعالى يقول: الا آمن أكره وقلبه مطمئن

(١) ومما المحسن وعمر كذا في الارشاد « ٣ » وفي الاصل « عيه »

بالإيمان . وربما خفي السبب أو أخطأ القياس والاشخاص تقفى والذكر يبقى والشاعر يقول :

وكذلك الزمان يذهب بالناس وتبقى الديار والآثار ^{(٣٨) (١)}

ولو قال « ويبقى الحديث والاعخبار » لكان أقرب الى الصواب فان الديار تدرس والآثار تذهب والحديث يبقى والاعخبار تُروى على ان عضد الدولة أبقى عليه في اعتقاله وعاود الحسنى في اطلاقه وبدأ باستئناف الجليل معه لو ان المنايا أنسأته لياليا

ووجدت رواية أخرى ^(٢) في سبب اطلاقه وهو ان عضد الدولة رق له لما طال حبسه وان أبا الريان وأبا عبد الله ابن سعدان توليا الافراج عنه ثم شغلت عضد الدولة عفته عن النظر في أمره واطهار آثار الرضاء عليه بالاحسان اليه وقد حكينا ما رأينا .

وفي هذه السنة ورد من أبي القاسم نوح ^(٣) بن منصور صاحب خراسان رسول يكنى بابي الفنائم فخرج أولاد عضد الدولة مع سائر الجيش لتلقيه وأكرم غاية الاكرام

وفيهما أخرج معه أبو الفنائم نصر بن الحسين والقضاة وأبو محمد الجمهوري وأبو عقبة وأبو محمد ابن عقبة وسالم الى أبي الفنائم ^(٤) يذكره بما يعتمده ويورده من جملتها القتاب على نحر الدولة وقابوس وابوائهما وأنه : ان كان الوفاء بالمعامدة التي جرت مع السلف وأتما فيجب ان يسلموها ^(٥) بدا بيد الى مؤيد

(١) يشبه بيت أبي الفناحية وكذا الدنيا على ما رأينا بذهب الناس ونخلو الديار (٢) وهي رواية عن أبي ريان أحمد بن محمد الوزير : ارشاد ص ٣٣٦ (٣) وفي الاصل : روح (٤) في هذه الجملة اضطراب كثير (٥) لهه تسلموها

(٣١) الدولة ليحمل اليكم مال الموافقة سالفا وآثقا على العادة فان أردتم استئناف الصلح بيننا وهدر ما تقدم وان تيمصلوا ايواء العاق وقابوس (يعني بالعاق نحر الدولة) عوضا عن المال بعناكم اياهما بالثمن الذي استرخصتموهما به فيبين على ممر الايام الرابع منا ومنكم . وان قال أبو العباس (٣٢) انه يكلمنا في أمر قابوس وما كان يجب في جواب شفاعتنا التسرع اليه قيل له : قد اعترفت وقلت أنت وأبو الحسين المتبي (٣٣) بأن الرجل أحد أصحابنا وأنه جان علينا مستحق للعقوبة وانكم شافعون في بابه ومعلوم ان الصلح معقود عن جرجان وطبرستان وعن غيرهما من قومس (٣٤) بدامنان وكرمان وما يلزم واحدا منا ولا من صاحبك ان شفاعتهما . . . ثم انا نقول في الجواب : انه ما كان يجب التسرع في باب أبي الحسن ابن سمجور وقد شفنا فيه فان كان ذلك واجبا علينا فهذا واجب عليكم وان كان بكم التجني فهو ما لا يستعمله أصحاب التحصيل ولنا من يتجنى عليه . وان اخترتم استئناف الصلح على ان تطردوا العاق وقابوس طردا على ان لا يكونا في بلادكم ويذهبا حيث شاءا (٣٥) من أرض الله قبلنا وان سألتم ان نرضى بمقامهما عندهم رضينا على ان ينفذا الى بخارا وينفض عنهما أصحابهما وان لم يفضوا عنهم فأنهم سينفضون من ذات أنفسهم . وان سألتم ان تؤمنهما ليعودا الى جملنا هدرنا ما تقدم من الموافقة واستقبال الوقت الذي يقع فيه الصلح فنحن نفعل ذلك كرامة لذلك الكبير ولكن على ان يردوا حضرتنا ويكون ما فعله معهم تبرعا منا ومؤكلا الى رأينا من غير اشتراط فذلك خير لهما . وان اخترتم بيعنا بمقامهما

(١) هو حسام الدولة تاش حاجب نوح بن منصور (٢) هو وزير نوح بن منصور

ولبراجم التاريخ البيهقي (٣) في الاصل : قوس

عندكم فانا نسمح لكم بهذين المقلين المباركين ومال الصلح الذي تأخذونه منا مستأثرا فانه سيذهب احكم عليهما واكثر فليس يحسن بكم ان تعطوهما اكثر من ذلك فان احسنتم اليهما خسرتموهما والمال جميعا ولم تحصلوا منهما على طائل وان لم تحسنوا اليهما فارقاكم عن قلى وعادا اليها بلامنة لكم علينا في باههما وتكون مفارقتهما لكم على ما يليق بهما الى حيث يرمى بهما جدهما الغار اليه

وقد كنا نقول لقابوس « لا تقبل العاق ولا تؤوه فقد سمعت ما كان من أبي تغلب ابن حمدان حين قيل ^(١) مختار الشقي ورأيت عاقتهما فان كان محمودا فسترى مغبة فعلك وسيرى العاق مغبة فعله » ورأيت فيهما ما يليق بهما والله الحمد وقد اجتمعا عندكم وأنتم على بصيرة من أمرهما . فان استقر الصلح بنيسابور فليخرج الى بخارا لعقد الوثيقة واحكام الامر على حسب ما رسمناه وبحضر من القضاة والشهود ووجوه الحاشية والقواد والنزاة وأمائل البلدان وان أحب ان يتم ماخرج له القضاة الثلاثة من حضرتنا استخار الله فيه وتمه . واذا عاد الى نيسابور احكم عقد الصلح فيها بشهادات الامائل وان رأي الصواب في أن يشهد على أبي العباس في نسخة العهد الذي يتولى تجديده بخارا أو يأخذ خطه فيها فعل .

وقد كان عضد الدولة متوقفا عن انفاذ أبي غنائم ^(٢) وقال له : ان القوم قد غدروا وانكثوا العهد ورفضوا الود ولم يبق بعد ايواء نخر الدولة وقابوس هوادة وقد سبق مهم في قصة ابن سمجور ما قد سبق مما يدل على فساد الدخائل . فما زال أبو غنائم يراجعه ويمرض عليه ما يصله من كتبهم الدالة

ذل الموافقة حتى أذن له في الخروج على ما تقدم^(٢) ذكره ابلاء للمعذر
فاما قصة ابن سمجور وتنكر آل سامان عليه فالسبب في ذلك
كان رجلا قد حشكته التجارب وهذبه الايام ورأي الدولة الديلية
في ابتدائها تسري في البلاد سرى النار في الهشيم فكان يرقع الخرق
مد الرفق^(١) ويسلك طريق المفارقة فعرف عند آل سامان بالمداهنة والصغو
يرهم وسعى بفساد ذات البين وانما حتى آل الامر الى ازالة قدمه
سستقرها . وأخبرنا من ثقف به عن صدر عظيم في زماننا هذا انه قال
به مثالا في غرض له : ان ابن سمجور كان كالسد لبلاد سامان يوارى
هم وينطي هنتام وكان يصرف ما يحصل من مال البلاد التي في يديه
عالمها ومحارسها وأنفذوا يلتصمون منه مالا ويتجنون عليه أقوالا وأفلا
في الجواب : اعلّموا ان مثلي معكم مثل ستر من خرق على باب دار
ب فدعوه بحاله مسبلا على الباب^(٣) فانكم ان رفعتموه بانت آثار
ب . فلم يقبلوا منه وكان الامر كما زعم ونعود الى سياقة التاريخ^(٢)

(١) لعله الرقيق (٢) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفي سنة ٣٧١ سرق السبع
الذي على زبب عضد الدولة وعجب الناس كيف كان هذا مع هيئة عضد الدولة
لمة وكونه شديد المعاقبة على أقل جناية تكون وقلبت الارض على سارقه فلم يوقف
خبر ويقال ان صاحب مصر دس من فعل هذا . وكان العزيز العبيدي من قبل
ند بعث رسولا الى عضد الدولة وكتبا أوله : من عبد الله نزار العزيز بالله أمير المؤمنين
ضد الدولة أبي شجاع مولى أمير المؤمنين سلام عليك فان أمير المؤمنين يحمّد اليك
لذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على جده محمد صلى الله عليه . والكتاب مبني على
ماله مع ما يمر اليه الرسول عتبة بن الوليد فبعث مع الرسول رسولا له وكتبا فيه
: وتعللات بحجة .

في ربيع الاول وقع حريق بالكرك من حد درب الفراطيس الى بعض البازين

﴿ودخلت سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة﴾

وفيها أخرج أبو القاسم ^(١) سعد الحاجب وقراتكين مدداً لمؤيد الدولة عند ورود نحر الدولة وقابوس وعساكر خراسان .

﴿شرح الحال في ذلك﴾

قد تقدم ذكر اجتماع نحر الدولة وقابوس بنيسابور ولما حصل بها أقام قابوس ومضى نحر الدولة الى صاحب خراسان فاستجار به وسأله المعونة وأقام عنده الي ان جرد معه ناس وجماعة من أكابر القواد وسارت الجماعة حتى نزلت على باب جرجان ومؤيد الدولة بها . ووقعت الحرب بين الفريقين أياما كانت بينهم سجالاتم وقع الخلف بين عساكر خراسان وانصرفوا ورجع نحر الدولة وقابوس الى نيسابور مفلولين

وفيها خرج أبو الفوارس ^(٢) ابن عضد الدولة من بغداد الى كرمان للمقام بها والولاية عليها والابعاد عن الحضرة وقد كانت علة عضد الدولة قويت واستحكمت

وفيها ورد أبو اسحق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام ومعه رسول ملك الروم

﴿ذكر ما جرى بين عضد الدولة وملك الروم﴾

﴿فيما ترددت به الرسالة﴾

كان سبب هذه الرسالة ما تقدم ذكره من دخول ورد الى بلد الاسلام نفاق

من الجائزين وأتى علي الاساكفة والحدادين واحترق فيه جماعة وبقي له أسبوعا وفيها قلد أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى كتابة الطائع لله وخلع عليه .

(١) وفي الاصل « أبو الحسن » وهو غلط

ملك الروم وأنفذ رسولا الى عضد الدولة في أمره . فالخرج أبو بكر محمد ابن الطيب الأشعري المعروف بابن الباقلائي بجواب الرسالة فعاد ومعه رسول يعرف بابن قونس فاعيد وأنفذ معه أبو اسحق بن شهرام فاستثنى على ملك الروم بمدة حصون ووصل معه رسول يعرف بتفقور الكانكلي بهدية جميلة .

(نكت من جملة مشروح وجد بخط ^(٥٥) ابن شهرام)

(دلت منه على دهاء وحزم وقوة رأى)

قال : لما حصلت نخرشنة عرفت ان الدمستق خرج من القسطنطينية آخذنا في الاحتشاد والاستعداد ومعه رسول حلب المعروف بابن مامك وكلّيب حموي صالح السديد فاما كليب فانه كان مع ورد وحصل في جملة العصاة الذين أومنوا وأقروا في بلد الروم بعد ان صودروا وهم الروم بمصادرتهم أسوة بغيره وارتجاع الضياع التي سلمت اليه حين سمي في تسليم قلعة برزوية اليهم فتوصل كليب الى البركموس والدمستق بما أرضاهما به وضمن لملك الروم في أمر حلب وغيرها ضمانات دفع بها الشر العاجل وبذل تعجيل ما يتعلق بخراج حلب وحمص لما كان صهره وانه لا يخالفه فتخلص بهذد الحجة وأما رسول حلب فانه لم يفعل معه أمر الا انه طوّل بخراج مامضى من السنين

وحصل الدمستق بموضع عادل عن جادة البريد فعاد ابن قونس بي اليه ووجدنه حدث السن معجبا بنفسه لا يؤثر تمام الهدنة لاحوال منها انه يستغنى عنه في العاجل فتبطل سوقه ^(٥٦) ومنها ان يقع الطمع فيه من ملك الروم « ولا تأمن بوائقه » والثالثة ما يرجوه ويشتهي لنفسه الا انه أظهر

جيلا وقبل الهدنة وشكر عليها .

ثم سألتني عما وردت فيه فذكرت جملة وواقفه ابن قونس على نسخة الشرط فلما وقف عليه قال : لو تم للرؤساء ان نخلي لهم عما يريدونه من البلدان والحصون باللفظ والرفق للكان كل رئيس يتلطف ويستغنى بذلك عن جميع الرجال وبذل الاموال . قلت : اذا كان اللطف والرفق من وراء قوة وقدرة فهو دليل الفضل ويجب تلقيه بالقبول . قال : أما حلب فليست ببلدكم ولا يريدكم صاحبها وهذا رسوله وكليب يذلان لنا خراجها ويسألان الذب عنها وأما الحصون فانها أخذت في زمان عمي نقفور وغيره من الملوك ولا فسحة في النزول عنها فان كان معك غير هذا والا فلا تمع نفسك بطول الطريق . فقلت : ان كان أمرك ملك الروم بانصرافي فقلت وان كنت قلته من تلقاء نفسك فيجوز ان يسمع الملك كلامي وأسمع جوابه وأعود بحجة . فأذن لي في السير .

فمرت الى القسطنطينية ودخلتها بعد ان تلقاني من أصحاب^(٤٧) ملكها من أحسن صحبتي اليها فأكرمت وأنزلت في دار نقفور البكانكلي الذي وصل الإبن معي رسولا وهو خصيص بملك الروم ثم استدعيت فدخلت الي البركموس فقال : قد وقفنا على الكتب وقد أحيل فيها على ما تقوله فاذا كر ما عندك . فاخرجت الشرط الظاهر فلما وقف عليه قال : أليس قد تقرر الامر مع محمد بن الطيب (يعني أبا بكر الباقلافي) على ما طلبتموه من ترك خراج بلد أبي تغلب الماضي والمستأنف ورضى بما شرطناه عليه من رد الحصون التي أخذت منا والقبض على ورد وقد رضى مولانا بما شرطنا وفعل ما أردنا وطلبنا ان خطه معك بتمام الهدنة . فقلت : ما عقد محمد بن

الطيب معكم شيئاً . فقال : ما خرج من عندنا الا على تقرير ما شرطناه عليه وان ينفذ خطّ مولاكم باتمامه فقد كان أحضر كتابه بالرضا بجميع ما يمضيه هو . فاحتجت الى أن أطلب مجالا أقاوم به مجالهم .

﴿ ذكر بديهة جيدة انقذت لابن شهرام في دفع حجة الخصم ﴾

فقلت : ما عقد محمد بن الطيب معكم شيئاً ولكن ابن قونس قرر هذا الشرط^(١٨) وأخذ نسخه بالرومية . فاشتط البركموس وقال لابن قونس : من أمرك بهذا ؟ فقال : ما قررت شيئاً ولا محمد بن الطيب قرر شيئاً . وانصرفت .

فاستعاضني بعد أيام وعاد قراءة الشرط ووقف عند فصل كان قيل فيه « ما تقرر مع شهرام على ما في النسخ الثلاث » فقال : هذه واحدة وأين الاخرى ؟ فرجعت الى الموضع فوجدت السهو قد وقع في ترك ذلك فقلت : معنى هذا اللفظ أن يكون الشرط على ثلاث نسخ احداها تكون عند ملك وأخرى بحلب والثالثة تكون بالحضرة . قال ابن قونس : ليس كذا قيل لي « أمل على تفسير الشرط » قال البركموس : لا ولكن هذه النسخة هي الظاهرة والاخرى بترك الحصون والثالثة بترك ذكر حلب وامضاء الشرط على ما قرره محمد بن الطيب وانما أنقذ هذا لياخذ خط الملك وخاتمه بذلك . فقلت : هذا محال وما عندي الا ما ذكرته من حال حلب والحصون على ما تضمنه الشرط الذي وقفت عليه . فقال : لو كان ورد في عسكره وقد^(١٩) أخذتمونا كلنا أسرى مازاد على هذا فكيف ذلك أسير .

﴿ جواب سديد لابن شهرام ﴾

فقلت : أما قولك « لو كان ورد في عسكره » فهو غلط لانك تعلم ان

أبا تغلب (وأقل تابع لعضد الدولة أكبر منه) عاون ورداً فأهلك ملك الروم سبع سنين فكيف لو أمدته عضد الدولة بمساكره ! وهو اليوم وان كان أسيراً في أيدينا فأننا لم نفعل به ما تفعلون أنتم بأسراكم من المشلة وكونه بالحضرة أحوط لنا لأننا لم نستأسره لربما كان يضيق صدره بمدافعتنا إياه أو يأس^(١) منا فيستوحش ويمضي والآن فهو متصرف على أمرنا وسأكن الى ما شاهده بالحضرة من العز والأمن والجبل في أيدينا باطرافه فاشتد عليه خطابي ووجم منه وعرف صحتة وقال : الذي تطلبه لا طريق اليه فان أردت امضاء ما تقرر مع محمد بن الطيب والا فانصرف . فقلت : ان أردت أن أنصرف من غير أن أسمع كلام ملك الروم فقلت . فقال : ما أقوله أنا عنه ولكن استاذنه في ذلك .

ثم استدعيت^(٢) بعد أيام فحضرت فاستعاد ملك الروم ما جرى فأعيد عليه بمحضري فقال : يا هذا قد جئت بأمر منك لانك جأنا رسول لكم فشرط علينا ما أجبناه اليه وشرطنا عليه رد الحصون التي أخذت أيام المعيان وتريد حصونا آخر وبلاداً أخذها الملوك من قبلي فان رضيت بما تقرر أولاً والا فامض بسلام . فقلت : اما محمد بن الطيب فما قرر شيئاً وأما الشرط الذي قد ورد معه فقد قطعتم فيه نصف بلدنا فكيف يجوز أن تقرر علينا امراً فان الحصون التي في ديار بكر منها شيء في قبضك وانما هو في أيدينا وليس لك فيها غير المنازعة ولا تدري ما يحصل منها . فقال البركوس : هذا رجل ذو جدل وتمويه للاقوال والموت خير من الدخول تحت هذا الحكم فدعه ينصرف الى صاحبه . وقام فانصرف .

فاستدعاني البركموس بعد ان تكاملت مدة مقامى شهرين في القسطنطينية وأحضر القربلاط والد الدمستق وهو مكحول وعددا من البطارقة وتناظرنا في أمر الحصون . وبذلوا خراج حصن كيفا الذى فى يد والده أبي تغاب وهو يؤدى الخراج اليها فقلت : أنا أدع لكم^(٥١) خراج سمند^(٥٢) فقالوا : ما معنى هذا ؟ فقلت : انما نذكر الاطراف فى الشرط لتعلموا ان ما وراءها داخل فى الهدنة معها وحصن كيفا داخل من دون آمد بخمسة أيام فكيف تذكرونه ؟ وجرى جدل فى أمر حلب حتى قال القربلاط : ان حمل صاحب حلب الخراج الينا علمنا حينئذ انك مبطل فى قولك وانه يريدنا دونكم . قلت : وما يؤمنى ان تحتالوا على كاتبه كليب حميه حتى يعطيكم شيئا تجماونه حجة ؟ فاما بغير حيلة فانا أعلم انه لا يكون . وانصرفت ثم أحضرني ملك الروم بعد ذلك وقد وصل خراج حلب فوجدت كلامهم غير الاول قوة وتحكما فقالوا : هذا خراج حلب قد حضر وصاحبها قدسألنا أن نشارطه على حران وسروج ومعاونته عليكم وعلى غيركم . فقلت : أما الخراج وأخذكم اياه فانا أعلم انه بحيلة لان عضد الدولة ظن انكم لا تستجيزون ما قد فعلتموه فلم ينفذ عسكرياً يمنع عسكريكم وأما ما تحكونه عن صاحب حلب فانا أعرف بما عنده وكل ما يقال لكم عنه غير صحيح والدعوة فيها فهي قائمة لعضد الدولة . قالوا : هل معك شيء غير هذا ؟ قلت : لا . قالوا : فيودع ملك وتنصرف مصاحباً .^(٥٣) قلت : الساعة . وأقبلت بوجهي نحوه لتوديعه . ﴿ رأيي شديد رآه ابن شهرام في تلك الحال ﴾

قال : ثم تأملت الحال فوجدت البركموس والقربلاط وجماعة معهم

(١) يعني سمندو المذكورة في قصيدة المنبي .

ليس يؤثرون الهدنة وأصحاب السيوف يخافون لئلا يبطل سيوفهم وتنقص
أرزاقهم على رسم الروم اذا هادنوا ولم يبق لى طريق سوى مداراة ملك
الروم والرفق به فقلت: أيها الملك يجب أن تأمل ما فعله عضد الدولة معك
ولم يعاون عليك عدوك ولم يتعرض لبلادك أيام اشتغالك بمن عصي عليك
وتعلم انك ان أرضيته وحده وهو ملك الاسلام والا احتجت أن ترضي
ألوفاً من أصحابك ثم لا تدري هل يرضون أم لا ثم ان لم يرضوا ربما احتجت
الى رضائه من بعد . وتعلم أنت كل من حول عضد الدولة لم يرغبوا في
هدنتك وانما هو وحده أراد ففعل ما أراد ولم يقدم أحد على مراجعته
وأراك تريد هدنته ولعل من حولك لا يساعدونك على مرادك . فاهتز
لخطابى وبان في ^(٥٣) وجهه الامتعاض من علمي بالاعتراض عليه من أصحابه
وقام وانصرفت .

وكان المشرف على الخصى بملك الروم (وهو الذى يوقع عنه بالحرمة
ولا يمضى أمر دونه) نفقور الكانكلى الذى وصل معى رسولا فسألته
أن ينصرف معى ففعل

﴿ ذكر ما رتبته ابن شهرام مع خصيص ملك الروم ﴾

﴿ حتى بلغ به غرضه ﴾

فلما خلوت به قلت : أريد أن تتحمل عنى رسالة الى ملك الروم فقد
طال مقامى وتعرفنى آخر ما عنده فان فعل ما أريده والا فلا وجه لمقامى .
ولا طفت هذا الكانكلى بشىء حملته اليه ووعدته عن عضد الدولة بمجمل
وكان مضمون رسالتى : انه يجب عليك أولاً أن تحفظ أيها الملك نفسك ثم
ملكك ثم أصحابك ولا تتق بمن صلاحه في فسادك فان بمعاونة أبى تغلب

عليك تم في بلد الروم ما جرى وكيف تكون الحال مع عضد الدولة ان
عاون عليك أيها الملك ؟ واني ^(١) أرى أصحابك لا يريدون تمام الهدنة
بينك وبين أوحد الدنيا وملك الاسلام والانسان لا يخفى عليه الا ما لم
يجربه وأنت فقد جربت سبع سنين عند عصيان من ^(٢) عصى عليك للملك
وملكك لا يبقى نفسك ^(٣) الروم فاليون هذا ان لم يتحرك هو بنفسه. وقد
نصحت لما رأيت من ميل صاحبي اليك وايناره لك فتأمل خطابي واعمل
بمد ذلك برأيك. فعاد تقفور. وقال : يقول لك : الامر كما ذكرت
ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة وروني بصورة من قد خانهم وأهلكهم
ولكن سأتم الامر وافعل ما يمكن فعله.

ومن الاتفاق الحميد ان البركموس مرض مرضا شديدا فتأخر عن الركوب
وترددت الرسالة بيني وبين ملك الروم . ثم استدعاني اياما متوالية
وتولى خطابي نفسه وساعدني السكاسكلي بنضا للبركموس ومنافسة له الى
ان أجاب الى الهدنة على جميع ما أضفه الشرط بمد مراجعات جرت
لاخراج حلب فانه ما أجاب اليه . فلما ضايقته فيه قلت : هذا كله بغير
حلب لا يتم . فقال : دع هذا فلا نسلم غير ما سلمنا ولا نخلى عن بلد نأخذ
خراجه الا بالسيف ولكني أحملك رسالة الى صديقي ^(٤) ومولائك فاني
أعلم انه فاضل وإذا عرف الحق لم يمدل عنه . ثم قال لمن حوله : تباعدوا .
وقال لي سرا من كل احد : قل له : والله اني اشتي رضاءك ولكني أريد
حجة فيه فان أردتم أن نحمل اليكم الخراج عن حلب أو أتركه لكم تأخذونه
على ان تصرفوا ابن حمدان عنها فافعلوا ما بذكوه على لسان ابن قونس

(١) وفي الاصل : مع (٢) لعله : ومملكك لا نفسك تبقى الروم

(إشارة الى تسليم ورد) . فقلت : ما سمعت هذا ولا حضرتة وانني أستبعد فعله . فتشكر عليّ وقال : دع التطويل فما بقي شيء تراجمني فيه وأمر أن تكتب جوابات فكُتبت وأحضرت لتوديعه

﴿ واقع جيد وقع لابن شهرام ﴾

وأشفقت اني يعرض من المقادير في موت من قد طلبوا تسليمه ما يعرض مثله فخرج من الجميع بغير منية وتحصل المدة عن بلدنا الى دون الفرات وبلد باد بغير حلب فقلت : أنتم تعلمون اني عبد مملوك ولست مالك وما أقدر أن أزيد على ما أمرت به وقد صدقتك عنه والذي شرطته الان في أمر حلب فقد خلقت لك انني ما ^(٥٦) سمعته بالحضرة . فهل لك أيها الملك في أمر قد وقع لي انه صواب ؟ قال : ما هو ؟ قلت : تكتب كتابا بالهدنة بيننا وبينك عن جميع ما [في] أيدينا من حصص الى بلد باد ولا نذكر فيه حديث من قد التمس تسليمه ولا غيره وتحلف بدينك وتوقع فيه خطك وتختمه بخاتمك بحضرتي ويخرج به صاحبك معي الى الحضرة فان رضي به والا عاد صاحبك . قال : فاكتب أنت شرطاً مثله . قلت : ان سلمت أنت شرطك بما طلبت . قال : ان ذكرت في خطك تسليم الرجل . قلت : لا أقدم على ذكر ما لم يُرسم لي . قال : فاني أكتب شرطين أحدهما عما قطع الفرات وبلد باد والاخر بذكر حصص وحلب على الشرط فان اختار مولاك ما قطع الفرات على ابعاد ورد كان اليه وان اختار الآخر فعل ما يختاره . قلت ^(٥٧) : فيكتب الشرط ولا يذكر فيه شيء من هذا . قال : فتكتب أنت أيضاً ما أعطى خطاً بغير خط آخذه . قلت :

ولكن يكتب ترجمانك نسخة ما أقوله فإذا رضى عضد الدولة بما تقوله
كتبته بمحضه ووقع فيه بخطه . فرضى بهذا وكتبته الشروط والكتب
عليه وتقررت الهدنة على عشر سنين . ولما فرغت من ذلك قلت له : ^(٥٧)
لا تجمل رسولك مثل فيج ووافقته على ما تحب أن يفعله بعد ما تقرر معي
بحسب ما يشاهده وامض كلما يعضيه . فقال : قد فلتت . وكتب ذكر
ذلك في الكتب .

وركب البركموس من داره لما برى وقامت قيامته لاحوال منها انفراد
الكانسكلى بصاحبه ومنها اتمام الامر بنسب حضوره ومنها أمر حلب
وحمص وما ضمنه له كليب

﴿ كلام الملك الروم استمال به قلب البركموس ﴾

قال له على ما حدثني به بعض خواصهم : يا بركموس ما معي أحد يشفق
على مثلك ولا من يحل مني محلك لأنك منى بأدنى نسب وسبب وهؤلاء
فكما قال الرسول لا يزالون من كان ملكا كنت أنا أو غيري ويجب أن
تحفظ نفسى ونفسك ولا تسمع كلام القربلاط ولا تثق به ولا برأيه لنا
فقد علمت ما حدثنا به ابراهيم عنه وعن ابنه ^(٥٨) من اضرار الفس للملكنا
وخبت نيائهما في أمرنا . قلت لمن حدثني : ومن ابراهيم ؟ قال : رسول
كان للدستق اليكم جاء الى الملك ناصحا وعرفه انه ^(٥٩) أقذه اليكم يطاب
منكم اعانتة على العصيان . فقبل البركموس ^(٦٠) هذا القول من ملك الروم
واستدعاني ورأيت من خطابه وانبطاطه معي غير الاول الا انه لم تكن
تخفى على وجهه كراهية لهذا الامر ورتب معي هذا الكانسكلى رسولا

(١) وفي الاصل : آيه (٢) وفي الاصل : بركموس

(٥٨) — ذيل تجارب (س)

بعد امتناعه لسكن ملك الروم لم يجد أحدا يجري مجراه في ثقته فالزمه وساعده البركموس عليه فقال له : ليس بحضرة الملك أكبر مني ومنك فاما ان تسير أو أسير . وجد في الامر حتى ظننت انه فعل ذلك ايثاراً لا بعباده وحسدا لما رأى من اختصاصه

فهذه نكت ممان من الفاظ ابن شهرام . وعضد الدولة عليل والناس عنه معجبون فامر بشرح ماجرى عليه أمره ليعرض (فان علة عضد الدولة التي توفي فيها كانت في هذا الوقت) وحضر رسول ملك الروم المذكور مجلس صمصام الدولة بعد وفاة عضد الدولة وتسلمت الهدايا منه وتمم معه ماورد فيه وكتب شيطان أحدهما الهدنة التي قررها ابن شهرام على اتمام مباينها والقاء مراسيها والشرط الآخر بما تقرر آتقاع تقفور^(١١)

﴿ ذكر ما تقرر في أمر ورد وأخيه وولده ﴾

جرت مخاطبات تقرر آخرها على ان يقيم تقفور وينفذ صاحباله مع رسول من الحضرة ليأخذ خط ملك الروم وخاتمه لآخى ورد وابنه والامان والتوثقة لهما بضمان الاحسان واعادتهما الى مراتبهما القديمة وأحوالهما المستقيمة فاذا وصل ذلك أقدمما حينئذ على ملك الروم مع تقفور ويكون ورد مقبلا في هذه البلاد ممنوعا من طروق بلد الروم بافساد فاذا عرف ما يعاملان به من الجليل في الوفاء بالمهد المبذول لهما اتبعا حينئذ وردا في السنة الثالثة بعد أخذ التوثقة لهما بما يرضيهم حسب ما فعل مع ابنه وأخيه وان يكون ما يحمله الآن ابن همدان من حمص وحلب الى ملك الروم من مال المغارقة عنهما محمولا على استقبال اطلاق ورد الى بلد الروم الى خزانه صمصام الدولة فان دافع ابن همدان حينئذ عن حمل ألزمه ملك الروم ذلك لثلا

يتكافئ صمصام الدولة ^(٦٠) تجهيز عسكر اليه وان يجرى أمر بلد بالا على ما كان عليه من الملائقة التي كان يحملها الى ملك الروم على ان لا يماون بأدّا ولا يبحره ان التجأ الى الروم . وأنفذ الشرطان جميعا وعاد الجواب عنهما بامضاء ما تقرر ثم تجدد في أمر ورد واطلاقه من الاعتقال ماسياني ذكره من بعده .

وفي الثامن من شوال من هذه السنة توفي عضد الدولة وأخفى خبره . وفي التاسع منه قبض على أبي الريان فلما قبض عليه أخذت من كفه رقاع مشددة ومنها رقعة فيها

أيا واثقا بالدهر غرا بصرفه رويدك اني بالزمان أخو خبر

ويأشامتاهم لافكم ذى شمانة تكون له العقبى بقاصمة الظهر

فلما وقف أبو عبد الله ابن سعدان عليها قال لحاجبه : امض وسله عنها . ففعل فقال : هذه رقعة أنفذها أبو الوفاء طاهر بن محمد الى عند القبض عليه ولست أحسن قول الشعر ولكن أقول إنها كانت من أبي الوفاء من قبل . ونختار الآن طرفا من سيرة عضد الدولة ونورده ههنا عن ذكر خاتمة أيامه فإنه أحفظ لترتيب القول ونظامه ^(٦١)

﴿ أخبار من سيرة عضد الدولة ﴾

كان ملكا كامل العقل شامل الفضل حسن السياسة كثير الاصابة قليل السقطة شديد الهيبة بعيد الهمة نقيب الرأي صائب التدبير محبا للفضائل مجتنباً للردائل باذلا في مواطن العطاء كأن لا سخاء بمده مانعا في أما كن الحزم حتى كأن لا جود عنده يستصغر الكبير من الامر ويستهنون العظيم من الخطب . وكان يقول على ما يحدث عنه : الارض أضيق عريضة من أن

تسع ملكين

﴿ فاما أفعاله في تدبير نفسه وترتيبه في قسمة زمانه ﴾
فانه كان يياكر دخول الحمام فإذا خرج منه ولبس ثيابه أدى فرض الصلاة
ودخل اليه خواصه وحواشييه فجلس منهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف
بمحضرته ويضع دواته بين يديه ثم يؤذن لأبي القاسم المطهر بن عبد الله وزيره
ومن قام مقامه بعده ^(٦٢) فيسأله عما عمله فيما سبق التقدّم به اليه فيخبره بذلك
ثم يذكر له ما عرض من الامور ويستأذنه في كل أمر فيوعز اليه بما يمتده
فيه ويفعل مثل ذلك مع أبي الحسن علي بن عماره وأبي عبد الله ابن سمدان
عارضى الجيش ذاك للديلم وهذا للآراك والاعراب والاكراد. فاذا ترحّل
النهار سأل عن ورود النوب المترددة بالسكتب ولها وقت معلوم تصل فيه
وثرأعى من ساعات النهار فان اتفق ان تتأخر قامت القيامة ووقع البحث
عن المعارض العائق فان كان بعائق ظاهر فيه عذر قبل أو عن أمر يحتاج
الى ازالته أزيل أو من تقصير النوبيين أنزل المذاب بهم. ولقد ذكر بعض
الطراد ان أحد المرتبين قالت له امرأته: قد طبخنا أرزا فتوقف لنا كل منه
وتمضى. فتوقف بقدر ما أكل وتأخرت النوبة ذلك المدى فضرب الطراد
والمرتبون ما بين شيراز الى بغداد أكثر من ثلاثة آلاف عصا. لا جرم
ان النوب كانت تصل من شيراز في سبعة أيام وكان يحمل مع المرتبين
بواكير الفواكه والمشوم من نواحى فارس وخوزستان فتصل طرية سليمة
وقيل ان بعض أصاغر الحواشى حمل في النوبة ^(٦٣) من همدان في
كتانة دنابير يسيرة الى منزله وقد كان عادتهم جارية بذاك فقصرت عن
أهلها وعرف عضد الدولة الخبر فلم يزل يكشف عن ذلك الى ان ظهر الخرائطي

. الدنانير فامر بقطع يده .

فاذا وصلت النوبة كان فض ختمها وفتح خرائطها واخراج الكتب
بمحضرته وياخذ منها ما كان الى مجلسه ويخرج الباقي الى ديوان البريد
يقى على اربابه . ثم يقرأ الكتب اليه كتابا كتابا ويطرحه الى أبي القاسم
العزير فاذا تكامل وقوفه عليها جدد أبو القاسم قراءتها عليه فيأمره في
اب كل فصل بما يوقع به تحتها وأخرج منها ما يأمر باخراجه ليوافق
المطهر بن عبد الله أو من يجري مجراه في تذكرة وهي أبدا بين يديه
فيها ما يعرض له . ثم يسأل عن الطعام عند فراغه من ذلك فاذا حضر
ت الذي رسمه بالا كل فيه استدعاه فاصاب منه وطيب النوبة قائم
رأسه وهو يسئله عن شيء شيء من منافع الاغذية ومضارها ثم يفسل
وينام فاذا اتبه جدد الرضوء وصلى الصلاة الوسطى وخرج الى مجلس
رب فجلس وحضر الندماء والملمون .

يوافى أبو القاسم عبد العزيز فقمعد^(٦٤) بمحضرته على رسمه وعرض عليه
كتبه الكتاب أو كتبه هو بنفسه من أجوبة الكتب الواردة فربما
فيها أو نقص منها ثم تصلح وتختم وتعمل في اسكدارها وتعمل الى
ان البريد فتصدر في وقتها . ومتى غاب أبو القاسم ابن عبد العزيز لامر
عه أو تأخر في داره واحتيج الى كتاب يكتب يستدعي كاتب النوبة
اس بين يديه وتقدم بما يريد اليه أو أملاه عليه وهو مع ذلك يشرب
سمع الغناء ويسأل عما يمضي من أشعاره وما يجب معرفته من اخباره
يزال على ذلك الى ان يمضي صدر الليل ثم يأوى الى فراشه .

واذا كان يزعم موكب برز الاولياء واتهم بيشر وتأنيسي تملوها هية

ووقار وأجاب كل ذي حاجة بما يجب في السياسة من بذل ومنع وتفرق الناس عند اتصاف النهار وأقام أصحاب الدواوين وكتابهم الى جين غروب الشمس . فلما عموم الايام فان الامر يجري على ما تقدم ذكره .

فيقال انه مال في بعض الايام الى جارية ميلا دعاه الى ان خلا معها خلوة أطالها وانقطع بها عن مراعاة ما كان يراعيه من الاعمال فلما حاول النظر في ذلك من غد وجده قد ^(٦٥) تضاعف فشق عليه تلاقي ما مضى . ثم دعاه الشغف بالجارية الى ان خلا معها نوبة ثانية كالاولى في الاطالة فوقف من الامور أكثر مما كان وتامل الصورة فرأى الخلل قد استمر فاحضر شكر الخادم ويقدم اليه بأخذ الجارية وتفريقها فاخذها شكر وراعى ما عرفه من شدة وجده بها فاستبقاها ولم يحدث حدثاً في بابها فلما مضت على ذلك أيام قال له : يا شكر لقد عجلنا على تلك الجارية وكان التثبت أولى . فقال : يا مولاي قد والله ثبت في أمرها خوفاً من ندمك على ذهابها فاستبقيتها . قال : فردها الى موضعها . فردها وعاد عضد الدولة الخلوته بها والانتفاع اليها وعاد الخلل الى حاله السالف فاستدعي شكرا وأمره بتفريقها وقال : ما يساوى طاعة النفس في شهوتها ترك الدنيا وافساد سياستها . ففرقت ومضت الى حال سبيلها . هذه الحكاية وجدناها في كتاب التاريخ كما سطرناها وهي حكاية مستفاضة قد سمعناها مختلفه النسبة الى عدة ملوك والله أعلم بالصحيح ^(١)

(١) وفي ترجمة عضد الدولة في تاريخ الاسلام انه كان من أفراد الملوك لولا ظلمه كان سفا كالدماء حتى ان جارية شغل قلبه بميله اليها فامر بتفريقها . والحكاية موجودة في الفخري أيضاً

وكان ضبطه لداره أشد ضبط ونظره في أمر الصغير من أمر الخزان والمطابخ والافامات ^(٦٦) والوظائف مثل نظره الى السكير من أمور الممالك فلا يطلق درهما في غير وجهه ولا يمنع أحدا مما يستحقه

فاما ما ذكر في أمر تديره لجنده فقد كانت أموالهم مطلقة في أوقاتها متبعة في تصرفاتها وأكثر كتبهم وأصحابهم عوناً له عليهم وطبل العطاء يضرب في كل يوم ويحضر من ينتهي اليه الدعوة من القواد ومعه أصحابه بأحسن رتبة فقبض ماله والزيادات في الاصول محظورة على العموم الا عند الفتوح وما تدعو السياسة اليه من استمالة القلوب . فقل ان طغان الحاجب (وكان أكبر الأتراك في دولته) راسل عضد الدولة وقد جرده الى بعض الثور وسأله زيادة عشرة أرطال خبزا في خزائنه فدفعه عن ذلك وحمل اليه خمسة آلاف درهم صلة وقال له : هذا عن ما استزدناه للسنين الكثيرة ولو أجبناك الى مرادك على ما طلبتنا به لا تفتح علينا باب لا يمكننا سدّه . وحدث أبو الحسن ابن عمارة المأرض قال : ورد الى عضد الدولة فلان الديلمي ^(٦٧) (وأسماء) من أرباب البيوتات المسذكورة بديلان فاكرمه وعظمه وخلع عليه وحمله على فرس بمركب ذهب . وانفق ان دعا قائدا من أقاربه بالحضرة كانت له مروءة حسنة فشاهد من آله ومروءته وزيه وتجمله ما أكثر في عينه فاستقصر حاله عند ما شاهده فاحضر كاتباً كان عضد الدولة قد استخدمه له وقال له : قد دعاني ابن عمي ورأيت من مروءته ما استحسنته وشاهدت عليه فرجية ورداء من حالهما كيت وكيت وأريد ان تبتاع لي مثلاً . فقال : نحتاج لثمن ذلك الى ما تقصر عنه أيدينا في هذا الوقت . فقال : خذ المركب الذهب فارهنه . فصار الكاتب الى عضد

الدولة فمرفه ما جرى فاستدعاني (يعني أبو الحسن ابن عمارة المعارض نفسه) وقال لي^(١) : أحضر فلانا القائد الذي دعا الديلمي الوارد من ديلمان . فاحضرته وعرفته حضوره فقال : اخرج اليه وقل له : ليس بكفيك بطرك بالعمة الخالصة لك وتشاغلك بالتعرف عن الجندية وشروطها حتى تريد ان تفسد عسكرنا علينا وتعمل الدعوات وتظهر الزينة الآن قد ندينك للخروج الى البلد الفلاني فتأهب واخرج .^(٢) قال : فلما أوردت عليه هذا القول قبل الارض وتوصل وكاد يموت وانصرف على عزم الخروج . ثم رسم بعد ذلك احضار الديلمي الوارد من ديلمان فلما حضر أمر ان يفرش له بساط منجرد ويطرح عليه صدر مثله وثلاث مخاد مخلقة ولبس جبة رثة وعمامة شهباني^(٣) وجلس وأوصل الديلمي وتشاغل عنه ساعة الى ان علم انه قد شاهد فرشه وثيابه وسأله عن حاله وخاطبه خطاب موانس له : أراك يا فلان تتأمل فرشنا وثيابنا ولعلك تقول « كيف يقع ملك الدنيا بهذا » نعم ان الشرف والجمال بالاصول والافعال والمواقف في التدبير والحروب . والثياب الحسان والترفة والنعمة للنساء والمخانيث وتالله ان الرجل ليدخل على وهو متعنع متعنع فاتصور انه فارغ عاطل ويدخل وهو مقتصد مسترسل فاراه بصورة من له نفس وهمة . ثم حادته بعد ذلك ساعة وانصرف (قال) وعاد الكاتب فقال له عضد الدولة : أي شيء جرى بعد انصرف صاحبك ؟ قال : لما عاد من حضرة . ولانا سألتني عما كان واقفني على ابتياعه من الرداء والثوب للفرجية فاحضرتهم . له فقال : ردتهما على

(١) وفي الاصل : له (٢) قال الثعالي في لطائف المعارف (١١٩) : قد بقي

الي الآن اسم الشاهجاني على الثياب الرقيقة فانها كانت تجلب من مرو شاهجان

صاحبهما^(٦١) وارتجع المركب ورده الى موضعه . فتبسم عضد الدولة .
 وحدث أبو نصر خواشاذة قال : كان بالقصر جماعة من العلماء تحمل
 اليهم مشاهيراتهم من الخزانة بالحضرة فلما كان في آخر شهر قد بقي منه ثلاثة
 أيام استدعاني وقال لي : تقدم الى الخازن في بيت المال بان يزن كذا وكذا
 الف درهم ويسلمها الى أبي عبد الله ابن سعدان ليحملها الى نقيب العلماء
 بالقصر . فقلت : السمع والطاعة . فانسيت ذلك وسألني : به بد أربعة أيام
 فاعتذرت بالنسيان فخاطبني بأغلظ خطاب فقلت : أمس كان استهلال الشهر
 والساعة تحمل المسادة وما ههنا ما يجب شغل القلب بهذا الامر . فقال :
 المصيبة بما لا تعلم ما في فلك من الغلط أكثر منها فيما استعملته من التفريط
 ألا تعلم اما اذا أطلقنا هؤلاء العلماء الهمة وقد بقي في الشهر يوم كان
 الفضل لنا عليهم واذا انتفى الشهر واستهل الآخر حضروا عند عارضهم
 فاذكروه فيعدهم ثم يحضرونه في اليوم الثاني فيعذر اليهم ثم في الثالث فتبسط
 في اقتضائه ومطالبته ألسنتهم فتضيع المنة وتحصل الجراءة ونسكون الى
 الخسارة أقرب منا الى الرجح . ولعل عضد الدولة نظر^(٧٠) في هذا الوقت
 الى ما وجد في سيرة المعتصم رضوان الله عليه وهل يذكر ابني هاشم ان
 يقتدى بانوالهم أو يهتدى بانفاهم وهم الاصدقون أقوالا والاكروون
 أفعالا والاشرفون أنسابا جبال الحلوم وبحار الملوم وأعلام الهدى وساسة
 الدين والدنيا وفرسان الحروب والمحاضر وأملاك الاسرة والمنابر الى
 مكارمهم ينتهى الكرم وبما آرم تنجلي الظلم المعتصم بينهم المعتصم
 ﴿ خبر مأثور في سياسة جند ﴾
 يقال ان جنودا كانوا بدمشق فطالبوا عاملها برزق استحقوه وشكروا اليه

ضيقة وحاجة فاحتج بأن المال الحاصل للحمل وأنه لا يقدم على أخذ شيء منه وسيقيم لهم وجوها من بعد ودعهم حاجتهم الى ان يمدوا أيديهم وأخذوا بعض ما يستحقون وكتب العامل على البريد الى الحضرة بذلك .

وكان المعتصم بنية الغزو وقام يكتب جوابه وقال : انتفيت من الرشيد لكن لم يمدوا المال الذي أخذوه ساعة وصول هذا الامر لاجملين وجه الفزاة اليهم^(٧١) ولا جعلهم حصائد السيوف . فماد الجواب أسرع ما يكون إلى العامل فاحضر الجند وقرأ عليهم الكتاب ونظر بعضهم الى بعض وقالوا : هو المعتصم وأنه يقول ويفعل . وتبادروا الى رد ما أخذوه فما كان طرفه عين حتى اجتمع المال كأنه لم يبرح وسألوا العامل التنصل عنهم الى المعتصم وذكر صورتهم التي أحلت في أمثالها المهرمات فكتب بذلك الى الحضرة فامر المعتصم بالجواب وذم فعل العامل وتبين خطيئته كيف جنى على السياسة وجراً الجند بتأخير أعطيتهم عن أوان وجوبها وبخزّره . أمثالها وأمره باطلاق ما اجتمع لهم من مال استحقاقهم وإسلافهم عطاء آخر لحسن طاعتهم ﴿ ونمود الى ذكر ما تختاره من كتاب التاريخ^(٧٢) ﴾

وحدث أبو الحسن ولد عمارة قال : دخل بعض الأتراك الخواص الى ديوان الجيش و معه صك يريد ان يثبت فقال للكاتب : اثبت . فقال : أنا مشغول بعمل استدعاه الملاك وما أنا متفرغ لعمل صكك^(٧٣) اليوم . فاخذ الحساب من يده ووضع في الارض وقال له : قدم أمرى أولاً . فكتب صاحب الخبر بذلك في وقته فلم يستم الكاتب اثبات الصك حتى استدعاني عضد الدولة وقال . قد جرى من فلان الديلمي كذا وكذا فاخرج الى

ديوانك واستدع الصك من كاتبك وحرّقه بين يديك وتقدم بأن تجر
رجل الديلمي من موضعه الى باب العامة وוכל به من النقباء من يطالبه
بالخروج الليلة من البلد الى دلمان . فقلت ذلك وتقدم فيما بعد الا تعمل
أعمال الجند الا في أيدي المديرين

وقيل انه كان رفع أسفار بن كردويه عن قبول الظلامات فيه ومطالبة كتابه
بمحضور مجالس الحكم فيما يتماق به اجلاله . وان أحد التناء تظلم منه في
معاملة ورفع قصة الى عضد الدولة فوقع على ظهرها : أخونا [أبو] زهير
يرتفع عن مثل هذا الفعل والدعوي تليه بذلك باطلة . وان التوقيع حُل
الى أسفار فانصف الرجل ^(١)

وحكى عن بعض التناء انه قال : حصلت ضيقتي في أيام عضد الدولة
في اقطاع أسفار بن كردويه وكان من الظلم على حال معروفة وكان عضد
الدولة قد رفع عنه وعن زيار بن شهر اكيه المدوي ^(٧٣) في كل فعل
وتناوبت على جوائح ولم تحصل لي ما ينفي بالخراج فاجتمع لاسفار على
ثلاثة آلاف وسثمائة درهم اعتقلني بها وأساء اليّ وقيدني وأدخل يده في

(١) ويشبه هذه الحكاية ما رواه الشافعي (وترجمته في ارشاد الارب ٦ : ٤٠٧)
في كتاب الديارات عن عبد الله بن خرداذبه انه حضر مجلس المأمون يوما وقد عرض
عليه أحمد بن أبي خالد رقاعا فيها رقعة قوم متظلمين من اسحق بن ابراهيم فلما قرأها
المأمون أخذ القلم وكتب على ظهرها : ما في هؤلاء الا وباش الاكل طاعن وأش اسحق
غرض يذى ومن غرسته انجب ولم يخلف لاعداء عليه أحدا . ثم كتب الى اسحق رقعة
فيها : من مؤدب مشق الى حصيف متأدب يابني من عز تواضع ومن قهر غنى ومن
راعي أنصف ومن راقب حذر وعاقبة الدالة غير محمودة والمؤمن كش فطن والسلام .
وليراجع أيضا قصة المأمون مع أحمد بن هشام في كتاب الحاسن والمساوي لليهقي في
باب مجلس النظر في المظالم ص ٥٢٩

نيابتي فاقت في حبسه سبعة أشهر . فأنس بي الموكل وعلم أن لا أتمكن من الهرب مع القيد الذي في ساقى فكان يستخلفني موضعه عند خلوة الباب وانتصاف النهار ويغضي إلى منزله فيتشغل بشغله ويعود . وضاق صدري فاتهى بي سوء الحال وشدة الفوط إلى أن اخترت الموت على الحياة فخفت نفسي في بعض الايام عند مغضى البواب وخلوة الباب على أن خرجت أمشي بالقيد . وكان أسفار ينزل في دار صاعد بن مخلد بدرب الريحان والزمان صائف والماء ناقص فلزمت شاطئ دجلة حتى وصلت إلى الميدان الذي تحت دار عضد الدولة والناس يروني في طريقى فن منكر لى يقول « مجنون وقد أفلت » ومن عارف بى قد علم أنى هارب . فلما وقفت في الميدان رأيت السائر ممدودة وعضد الدولة قائم على الروشن وأنا لا أعلم وعلى ابن بشاره الفرائش على قرب منه فصحت ودعوت فبادر إلى علي بن بشاره وأوى إلى « أن اسكت وصر إلى باب^(٧٤) البستان » . فصرت إليه وخرج إلى وقال : من أنت وما قستك ؟ فشرحت له حالى وظلامتى من أسفار فأجلسنى عند البوابين وعاد واذا به قد خرج فأدخلني وقال : ان الملك كان واقفاً وقت مجيئك وهو الذى رآك فاذا رأيته فقبل الارض بين يديه وأكثر الدعاء له . فشيت وأنا أحجل في القيد حتى قربت منه في الموضع الذى شاهدته أولاً فيه فتدخلني من الهيبة والجزع ما لم أملك نفسي معه فقبلت الارض مراراً ودعوت له دعاء كثيراً وبكيت وسكت فقال لعل بن بشاره : قل له حتى يشرح صورته . فقلت : ما لى لسان يطاوعنى على القول لمظم ما قد تدخلني من الرهبة والخوف . فقال : تسكّم ولا تخف . فقلت : ان أسفار قبض ضيعتى وطالبني بما لا قدرة لى عليه وحيدى في القيد

منذ سبعة أشهر . فأطرق ساعة ثم قال لي : عد الى دار أبي زهير واعلمه
انك جئتنا وشرحت حالك لنا وانا أمرناك بالعود اليه . فقلت : يا مولانا
أخافه وجهت في قولي هذا . فقال . لا تخف فانا من ورائك وعدنا تعرف
ما ينتهي اليه أمرك . فقبلت الارض وخرجت أجرة نفسي وأحجل في
قيودي حتى وافيت باب أبي زهير فاذا البواب^(٧٥) قد عاد فلم يجدني وبث
الركابية والعلمان في طلي وعرف أبو زهير خبري فضرب البواب مائة
مقرة والدنيا قائمة على ساق . فلما رأني العلمان صاحوا « ها هو ذا » وقالوا :
أين مضيت ؟ فقلت : مضيت الى الملك عضد الدولة فاوصلني وشكوت اليه
أمرني فامرني بالعود الى التائب وعدت . فلما سمع العلمان ذلك ذكروه
لاسفار فاحضرني وقال : أين كنت ؟ قلت : يا صاحب الجيش لما ضاق
صدرى وغلب يأسي صبري قصدت باب الملك فوجدته قائما على الروشن
وبين يديه الاستاذ علي بن بشارة فدعوت له وشكوت اليه حالي فاوصلني
وحدثته حديثي فامرني بالعود اليك فقلت « أخاف ان أعود » فقال « عد
فانا من ورائك » وقد جئت . فقال اسفار : تؤاخذ اذا . وأحضر من فك
القيد وأعطاني عمامة وثوبا ومائة درهم وقال : انصرف مصاحبا . فقلت :
ضبعتي . فقال : اخرج اليها وتصرف فيها ولا تطعم مستأنفا في كسر
خراجها . فدعوت له وخرجت من عنده فمضيت من فوري ذلك الى
روشن عضد الدولة وصحت ودعوت له فدنا خادم من الروشن وأوى الى
ن « تقدم الى الباب » فتقدمت اليه وجاءني الخادم فقال :^(٧٦) من أنت ؟ فقلت :
لحبوس الذي كان منذ ساعة بحضرة . ولانا . وتقدم الى بالعود فدخل
خرج الى علي بن بشارة فادخاني ورأيت الملك جالسا على عتبة البيت الذي

بناء على دجلة وغلجان وقوف بالقرب منه فقبلت الارض ودعوت له فقال :
 كيف جرى الامر ؟ فشرحت له الحال وأريتـه الثياب والدرهم التي
 أعطانيها اسفار فاستدنى على بن بشاره وأسرّ اليه شيأ لم أسمعه ثم قال لي :
 كم عليك لابن زهير ؟ فقلت ثلاثة آلاف وستمائة درهم. قال : نحن نؤديها
 اليه عنك لتبرأ منها في ديوانه وتكون مقابلة له على الجليل الذي عاملك به.
 فقبلت الارض ودعوت له وأخذ على بن بشاره بيدي ودخلت الى الخزانة
 فأخذت ثلاثة آلاف وستمائة درهم في كيس واستدعى أحد نقباء النوبة وقال
 له : امض مع هذا الرجل فاحمل هذا الكيس الى أبي زهير أسفار وقل له
 « هذه الدراهم التي أنقذناها اليك اموض عملك على هذا الرجل فأثبتها في
 ديوانك باسمه » فخرجت والنقيب معي والكيس معه وصرنا الى دار أبي
 زهير ودخلنا اليه فلما وضع النقيب الكيس بين يديه وأدى الرسالة قام قائماً
 وقبل الارض ثلاث^(٧٧) دفعات وقال : أنا عبد وخدام وهذا مال مولانا.
 وهب لي خمسمائة درهم وللنقيب خمسمائة وانصرفنا

الذي مضى في هذين الخبرين هو تدير لطيف وتوصل جميل الا أن
 رفع العدوي عن أحد الاتباع وان كان عظيم القدر مضر بالسياسة اى
 اضرار والمقاعدة اذا وضعت على ذلك كانت « على شفا جرف » هار . ولقد
 رأينا في زماننا من سياسة ملك الاسلام عضد الدولة البارسلان رحمه الله وكان
 أقوى جنسدا ما هو أوفى جدا . وأين كان من الملوك من يصول كصولته
 ويهاب كهيته ، ونقتصر هاهنا على ايراد خبر واحد من أخباره التي ينتهى
 القول بنا^(٧٨) الى ذكر أيامه بمشيئة الله سبحانه

﴿ ذكر خبر في اقامة سياسة ﴾

حكى ان غلاما خصيصاً بسنكاو أخذ من بعض المزارعين بطيخاً على قارعة الطريق بغير رضاه وانتهى الخبر الى عضد الدولة رحمه الله فطلبه فاخفى شخصه رجاء أن يسكن غضبه ويمتد عنه أو يقتصر من عقوبته على السوط دون السيف. فاستدعى بسنكاو الى بين^(١٨) يديه وأقسم ان لم يحضر الغلام ليقعن السياسة فيه بدلا عنه (وسنكاو يومئذ صاحب الجيش ومهجرة العسكر وأمره قوي وجانبه منيع وهو أشد الترك بطشا وأخشن الجند جنبا) فلكه الرعب وكان قصاره البدار باحضار الغلام فلما أحضر وسطه بالسيف وأجرى الفرس بين شلويه على سنة لهم في قتالهم . وبوشك أن يكون لهذه السياسة باطن بان تكون قد سبق للغلام جريمة يستحق بها القتل وأتبعها بهذه الصغيرة التي يجري في مثلها التميز فتقنه عضد الدولة رحمه الله بالجريرة الكبيرة التي أوجبت قتله وأظهر لنامة انه قتله بصغيرته الظاهرة لهم اقتداء بخبر وجدته في بعض الكتب مرويا عن المعتضد بالله رضى الله عنه وهو أنه كان سائرا في موكبه فتظلم أحد الرعية من بعض الجند فيما يقارب قصة البطيخ فأمر باحضاره وسجبه الى السجن وحبسه الى أن يعود الى مستقر عزه فأمر فيه . فلما كان في اليوم الثاني وأصبح الناس رأوا رجلا مصلوبا فتحدثوا بقتل الجاني بالامس وصلبه . فدخل أحد خواص^(١٩) المعتضد اليه وقال له^(٢٠) عند خلو مجلسه : يا أمير المؤمنين قد كان التميز

(١) هو أبو محمد عبد الله بن حمدون النديم والحكاية موجودة في ارشاد الارب

١ : ١٥٩ وفي كتاب الاذكياء لابن الفرج بن الجوزي ص ٤٢ قصة بطيخ أخذه بعض

غلمان جلال الدولة رواها من تاريخ هلال الصابي

فما جرى يقتنع من غير صلب . فقال له : أنعرف الرجل . قال : نعم . قال : فامض الى السجن فانظر . فلما دخل رأى الرجل حيا وهو مقيد فماد وقال : قد وجدته حيا . قال المعتضد : انما أمرت باخراج غيره من المفسدين الذين قطعوا الطريق وأخذوا المال وقتلوا ووجب عليهم فهو الذي رأيتموه مصلوبا وظهر للعامة أن المصلوب هو الجاني بالامس ايداعا للرغبة في قلوبهم فما تمديت حدود الله . ولقد وفق المعتضد بالله رضى الله عنه وهل يدافع عن حسن سياسة يضرب بها المثل ؟

ولمضى أن بعض أمراء مصر كثر المفسدون في أيامه فقتل وتمدّى حدود الله التي أتت بها الشريعة فتضاعف الفساد حتى وقف أمره فأشير عليه باتباع الشرع فأحضر أحد الفقهاء الجتهدين وشاوره واستفتاه وعرض عليه من في السجون وذكر له أحوالهم فافتاد بما أمر الله تعالى به فأقام الحدود فيهم بالعدل من غير زيادة ولا نقصان وملك هذه الطريقة الحميدة فيمن ظفر به من المفسدين فما مضى من الزمان الا قليل حتى استقامت له الاحوال فانقطع الفساد فأمنت البلاد ^(٨٠) وليس للمخلوقين أن يتخطوا بصلاح الامة بزيادة على أمر الخالق رب العالمين سبحانه وتعالى .

وما أحسن سيرة هذه الدولة التركية فان مندوباً للمظالم قد وسموه « بأير داڤ » معناه أمير العدل يجاس للمظالم والى جانبه حاكم من أهل العلم يرجع ذلك لامير الى رأيه وكله وينفذ ما تأمر الشريعة فى الجند والرعية . وكل عبد من عباد الله تعالى فى امداده بحسن التوفيق لم يهتدب بسياسة الاقرب فالاقرب ولم يذل بهيته الاصب فالاصب . نسب ^(١) الى احدى

خطئين اما ظلم في طبعه واما عجز في نفسه وكتاتهما غير حميدة . ولم يكن مثل ذلك يخاف على عضد الدولة بن بويه مع كمال فضله ولعله سمح لاسفار وزيره بهذا الفعل ان الخبر صحيح^(١) لمدارة عاجلة لئلا فاهما من بعد سياسة شاملة فان غوره كان بعيدا وصبره لمداواة كل خطب عتدا . وهو من الملوك الذين لا يقدح الثلم في سياستهم بحال ولا يجد العيب في سيرهم أدنى مجال ﴿ ونعود الى سياقة الاخبار ﴾

حدث أبو اسحاق ابراهيم بن هلال^(٢) الصابي قال : لما ورد عضد الدولة في^(٣) الدفعة الثانية خرجت لاستقباله الى المدائن وخدمته وخفت أن يتطرق على دارى الشاطئة^(٤) الترك في سورة الدخول لاني من حواشي الاختيارية وسأته انقاذ من يحرسها فانفذ معي أحد النقباء الاصاغر وتقدمت عائدا والنقيب معي . فكان يمضي أكثر النهار في أشغاله فاتفق ان هجم على الدار أحد القواد الا كابر وطرح أصحابه أحمالهم وفرشوا فرشهم وربطوا دوابهم وتقدموا الينا بالانتقال فأيسنا من دورنا ومضى غلمانى يطلبون النقيب فلما حضر سلم على القائد وقبل يده ووقف بين يديه وأخذ يحادثه ثم قال له الديلمي : فيم جئت ؟ قال : أنفذني الملك لا حفظ هذه الدور ممن يتعرض لها . فقال له : هذا كاتب من أصحاب بختيار فأئى شيء بينه وبين الملك ؟ قال : كان يخدمه وله موضع عنده . قال أبو اسحق : فوالله ما استتم النقيب كلامه حتى نهض القائد الديلمي ورمى بكرسى كان جالسا عليه وقال لغلمانه : ارفعوا . وركب في الحال وخرجوا بعده فما رأيت هبة أعظم من هيئته

(١) يريد ان كان الخبر صحيحاً (٢) وفي الاصل هليل (٣) وأما هذه الدار فليراجع

ما قال فيها حفيده هلال في كتاب الوزراء ص ٢٨٨

﴿ وأما ذكر ما فعله في أمر الحماية ^(٨٢) ﴾

فانه حتى البلاد من كل مفسد وحفظ الطرق من كل عاث وهابه
الحواضر والبوادي

وكان منه في قتل داود بن مصعب العقيلي أمر بني عقيل ونسيدها بأبي القاسم
ابن الباهلي ما شاع ذكره

﴿ ذكر مكيدة في قتل داود بن مصعب ﴾

وكان من خبره أن عضد الدولة أنفذ أبا القاسم ابن الباهلي الى داود برسالة
يدعوه فيها الى الطاعة والدخول الى بغداد وضم اليه عشرين رجلا من
الحمداية وواتفه على الفتك ان وجد غرة منه . فلما حصل عنده وكان نازلا
بالقرب من سنجار أورد عليه ما تحمله ورغبه في الخدمة فقال له داود : أما الطاعة
فأنا ألزمها وأما الدخول الى الباب فما جرت لي عادة به . فلم يزل يراوضه
وهو مقيم على أمره فيما بذله وامتنع عنه . وعول ابن الباهلي على اغتياله
ووائف فرائشا كان معه على ذلك وطلب الغرة فوجدها عند رواح الجمال
والبقر والغنم فان الصباح يكثر والرجال والنساء مشغولون بابلهم ومواسيهم
وضمها الى ^(٨٣) بيوتهم وحلب ألبانها فعمل على فعل ما يريد فعله في هذا
الوقت واستأذن على داود في بعض المشايخ وحضر عنده وأخذ فراشه معه
(وقد خرج اليه بسره) ورسم له أن يمسك داود اذا خلا مجلسه وغمره
بعينه واستصحبه سكيننا ماضية في كفه . وراحت الابل والمواشي فارتجت
الحلة باصواتها وضوضاء الناس وحادثه ساعة ثم غمز الفرائش فوثب وأخذ
يدي داود ومسكهما وضربه ابن الباهلي بالسكين في صدره وكرر ذلك
حتى أصاب مقتله وخرج غير عجل ولا مضطرب والفرائش خلفه طالبا

للصحراء والبعد عن البيوت كأنه قاضى حاجة وقد أعد له والفراس فرسين
فركبهما وسارا سيرا رفيقا حتى أوغلا في الصحراء ثم حثا وعدلا عن طريق
الموصل وتمسقا الطريق الي برقيمد ونزلا منها الى دجلة وانحدرا في سفينة.
ودخل أصحاب داود عليه بعد ساعة فوجدوه طريقا قتيلا ولم يجدوا ابن
الباهلي فعلموا ان الفعل له ومضى قوم من الفرس ان يتبعون أثره في الطريق
المؤدية الي الموصل فلم يجدوه فآخذ من كان معه من الحمدانية فقتلوا صبيرا
ومضت على ذلك السنون وقتل ابن الباهلي بالسكوفة قتله بنو عقيل .^(٨١)
وقد قيل « كل قاتل مقتول » وهو أسهل الامرين لان ما جاء من الوعيد
في القرآن وفي الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل نفسا بغير
حق مع ما يلقاه في الدار الآخرة أشد نكالا وأعظم عقابا وأدوم عذابا
نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة

وذكر أبو الحسن محمد بن عيسى الهيثمي قال : أخرجت الى هيت لتقرير
ارتفاعها وارتفاع الانبار على أبي العلاء الحسن بن محمد الاسكافي فورد علينا
في بعض الايام كتاب من عضد الدولة يرسم فيه المسئلة عن اعرابي من بني
عقيل تناول شيئا من بعض زواريق المعادن والمطالعة بأسه وحاله . فاحضرت
الملاحين وسألتهم عن هذه الحال فلم يعرفوها فكتبت بذلك وورد
الجواب بان زيدا في البحث فلم أزل أنعرف وأسأل كل واحد حتى
ذكر لي بعض الملاحين ان فلانا العقيلي اعترض سفينة من سفن المعادن
وهي مصعدة والتمس من بعض المدادين قطعة من شاروفة فأخذها قهرا
من صدره وانه لم يجر سوى ذلك فأحضرنا المسيب بن رافع وطلبناه
بالاعرابي فقال : ما تريدان منه . فأعلمناه ان الملك طلبه . قال أبو الحسن

الهيقي : وكان بيني وبين^(٨٥) المسيب أنسة ومودة فاقسم على ان اطلعه على الصورة فذكرتها له فانصرف واجما وغاب عنا يومين ورجع ومعه جماعة من أهل المطلوب وبنى عمه وسألونا الامساك عنه وانتهى الامر فيما بيننا وبينهم الى أن تصححوا ذنبه . قال أبو الحسن : فلم أتجاسر على مكتبة عضد الدولة بذلك وكتب به أبو العلاء وعنده انه قد أثر أثره منه فعاد الجواب اليه بانكار ما كان منه في قبول ما قبله من المال واطماع القوم في الرضاء عنهم وان الغرض حسم مواد الفساد في الطرق وقيل له فيما خوطب به : لولا أنها أول جناية لك لا تقذنا من بحن تقويمك وتأديبك . وكوتبت أنا بالتماس الاعرابي وأخذ المسيب بتسليمه واطمأع واطماع بني عمه في الصنف عنه اذا سلموه فاعدت خطاب المسيب والقوم في احضار الرجل فأحضروه وسلموه فاعتقلته وكتبت بحصوله فورد الكتاب بأن أطلبه بالنداء ورفقة التي أخذها فاذا أحضرها خنق بها في الموضع الذي أخذها منه وصاب فقلت ذلك . ثم راسل عضد الدولة المسيب ووجوه بني عقيل بأنه : متى لم يضمن أ كبركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا الطرق^(٨٦) ويحجموا مواد الفساد صرفناكم من ممالكنا . فحملهم الخوف على العبور الى الجانب الشامي وأوغلوا في البرية .

ومن العجب من حسن سياسة عضد الدولة اطماع المطلوب في الصنف منه اذا حضر واطماع بني عمه في مثل ذلك اذا أحضره ثم العذر به بعد تسليمه . قال الله تعالى : الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم . واستجابة الرجل الى الحضور طمعا في الامان قبل التدرم عليه هو توبة فالعذر به بعد بذل الاطماع في العفو قبيح ان كان

ما ذكر في هذه القصة صحيحاً

ومن بعض توصله ما وجدنا في عين التاريخ وهو ان عضد الدولة
أخذ أحمالا من الامتعة الى مكة مع تجار أو خاج فلما انتهوا الى بعض الطريق
عند بعض أحياء العرب خرج عليهم قوم منهم فقطعوا عليهم فقال المأخوذ:
هذه الاحمال لعضد الدولة الملك. فسبوه عند ذكره وعاد المأخوذ الى حضرة
عضد الدولة وحكى ذلك. فتقدم بعمل شيء كثير من الخلاوات المسمومة
وأعاد المأخوذين وأصحابهم أمتة وجعل تلك الخلاوة المسمومة في جلتها
وقال: تتمدوا لقاء القوم فاذا وقعوا^(٨٧) عليكم فقولوا « ان هذه الامتعة
والخلاوات أخذها عضد الدولة لفقراء مكة » فاذا أخذوا الاحمال فعودوا
لوقتكم. ففعلوا ذلك وصادفوا القوم فاخذوا ما صاحبهم وأكلوا من تلك
الخلاوات فهلكوا^(٨٨)

فان كان هذا الخبر صحيحا فانه كيد يأباه كل ذى دين ويأنف منه كل سلطان
مكين فذو الدين يراه من أعظم الآثام وذو السلطان يراه عجزا وضعفا في
الانتقام. وفيه تقرير نفوس من لا ذنب له فهل كان يأمن ان يأكل من
ذلك النساء والولدان ومن عسى ان ينزل بالحي من ضيف برىء الساحة
قال الله تعالى: ولا تزر وازرة وزر أخرى. واستفتى رجل ابن عباس
رضوان الله عليه في قتل أولاد المشركين فقال: ان علمت منهم ما علم الخضر
عليه السلام من الظلام الذى قتله فاقتلهم ايجابا للحجة عليه بانه لا يجوز له قتل
من لم يبلغ الحلم منهم.

(١) وردت هذه الحكاية في كتاب الاذكياء ص ٤١ رواية عن تاريخ محمد بن

ومن غريب مكايده التي تتداولها الألسن ما كاد به طائفة من القهص والبلوص حين أوغل في بلاد كرمان لتنظيفها منهم^(٨٨) فإنه انتهى إليه ان قوما منهم ييوتهم من وراء جبل بحيث لا يمكن الوصول اليهم الا بعد سلوك مضيق اذا وقف فيه عدد قليل^(٨٩) منع عسكريا كثيرا فلما أيس من الوصول اليها بالقوة أعمل الفكر في الحيلة وراسلهم :باني لا أنصرف عنكم الا بأتاوة . فقالوا : مالنا مال تؤديه اليك . فقال : أنتم أصحاب صيد وأريد من كل بيت كلبا . فهان عليهم ذلك فانفذ من عدد ييوتهم فأخذ منهم كلابا بمددها . ومن شأن الكلاب ان يلوذ بصاحبه ويصيص له وحوله . ويحنك به وبألف بيته حتي انه اذا أفلت من فراسخ كثيرة عاد الى مربضه . فأمر بأن يشد في أعناقها حلق النفض الابيض وتجتمع عند مضيق الجبل ثم تضرب النار في النفض ويحلى سبيلها ويتبعها العسكر ففعلوا ذلك وأسمرت الكلاب عدواً وأحس القوم بركوب العسكر فاقوم في المضيق وطلب كل كلب صاحبه لا ئذا به من حرق النار فكلموا احتك بالرجل أسرت النار اليه وأفرجوا عن الطريق والكلاب تتبعهم وتعدت النار اليهم فاحترق عدد كثير منهم . وهجمت الكلاب على البيوت نغلا أهلها وأسرع العسكر وراءهم ووضعوا السيف فيهم واستأصلوا شأفتهم .

فأما ما أقامه من الهيبة وأودعه^(٩٠) صدور الرعية من الرهبة فإنه كان قد منع كل واحد من حمل السلاح بالحضرة الا من كان مستخدما في المعونة أو مرتبطا في جملة الرجال المرتزقة فان وجد مع غيرهم سلاح أخذ وحبس وألزم جناية وحظر أيضا ان يضرب واحدا واحدا أو يمد اليه يده فمن فعل ذلك

(١) وذلك في سنة ٣٦٤ كما تقدم ذكره (٢ : ٣٥٩)

أخذ وعوقب وحبس واغرم فكانت أيدي الناس مقبوضة . قال صاحب التاريخ : واتي لا ذكر في درب ابان من الجانب الشرقي وأبو اسحق جدى ^(١) اذ ذاك في الاعتقال وكان في هذا الدرب رجل شيرازى رث البرة يذهب في أمره مذهب التطايب ويضحكنا اذا جلس معنا فيينا هوفى بعض الايام قاعد مع والدى على باب دارنا ومعنا رجل يعرف بان مواتة من أولاد الشهود والجيران اذ اجتاز بائع رمان فدعاه ابن مواتة وسأله وجرى بينهما ما رفع له ابن مواتة يده فاطمه . فقبض الرجل الشيرازى يده على كم ابن مواتة وقال : تم الى دار الملك . قال له : أصنع ماذا ؟ قال : أطلع بما فلتك من لطم الطواف ويؤخذ بحقه منك ثم يجرى ^(٢) حكم السياسة فيك . لقد مات ابن مواتة خوفا وجزعا وعطف والدى على الشيرازى يسأله الامساك والطواف يقول عند ما شاهده من الحال : قد وهبت وساحت . وهو يقول له : اذا وهبت حقك وهب السلطان حقه . ويقول لوالدي : لا أتمكن من الامساك لان خبرنا قد رفع الساعة الى الحضرة واذا أمسكت صار لى ذنب أهلك به وتنقطع معيشتى وأنا أرتزق رزقا سلطانيا على نقل هذه الاشياء . وانتهت الحال الى ان قبل والدى وابن مواتة يده تغلى عنه وقال : قد دخلت معكم فى خطر أسأل الله تعالى السلامة منه . وصرنا بعد ذلك نخافه ونرهبه . وكان معامرو الصبيان واقفين على ان يسألوا أولاد الجند الذين فى مكانهم عن أمور آبائهم ومتصرفات أحوالهم فى منازلهم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دار

(١) أبو اسحاق هو ابراهيم بن هلال الصابى وحفيده هو هلال بن الحسن بن

ابراهيم الصابى وهو « صاحب التاريخ »

﴿ ذكر حيلة لطيفة عادت باقامة هيئة عظيمة بين رعية بعيدة ﴾
 ﴿ خبر الحلاوى ^(١١) ﴾

كان أحد جواسيس عضد الدولة العائدين من مصر ذكر لعضد الدولة في جملة ما أخبر به أنه تقدم إلى شيخ حلاوي في زقاق القناديل بمصر فدفع إليه درهما تاجيا ليتناح به شيئا مما بين يديه فردّه عليه وتنازعا فيه فشتته وشتم الآمر بضرب الدرهم وأنه سأل عن اسم الحلاوى حتى عرفه وسماه . قال أبو عبد الله ابن الحسين بن محمد الحلاوى الموصلى : بينما أنا في منزلى في بعض الليالى إذ طرق بابى نقيب ومعه نفاط فجذعت منه وخرجت إليه فقال لى : ابن محمّان يستدعيك . فضيت معه إليه فلما حضرت بين يديه وجدت عنده فراشا من دار عضد الدولة فقال لى : ان مولانا سأل عن صانع حاذق فوصفت له ورسم انفاذك الى الدار فصر مع هذا الفراش إليها . فقلت السمع والطاعة . فنزلنا سمارية من سماريات النوبة كانت مقدمة فى الشرعة وانحدرنا وصعدنا الى الدار فوقفني فى الصحن ودخل ثم خرج فادخلنى الى الحجرة التى فى ظهر القبة الخضراء وإذا عضد الدولة جالس وشكر قائم فلما رأيته قبلت الارض مرارا فقال الملك : قد أزججت فلا بأس عليك وما دعوناك الا لخير . ^(١٢) فقبلت الارض ثم قال : قد احتجنا الى استخدامك فى أمر تنفذ فيه الى الموصل وتقدمنا باطلاق نفقة لك تخلفها اميالك نفذها من أبى الثناء (بنى شكرا) فقلت : السمع والطاعة . فقال . انصرف وانظر فى أمرك وادفع النفقة الى أهلك ولا تعرض أنت لاخذ شيء منها فما بك فى طريقك حاجة إليها . فخرج شكر وأعطانى عشرين ديناراً وانصرفت بها الى أهلى وذكرت لهم الصورة ووصيتهم بما أريد . فلما كان

من غد آخر النهار وحضر من يستدعيني فصررت معه الى الدار ووصلت الى
حضرة عضد الدولة بين العشاء والعتمة فقال لي : اخرج في هذه الساعة مع
من نسلمك اليه الى مصر فاذا حصلت بها فاقصد باب الجامع وقل عن منير
الخدام الا يرضى فانه يكون هناك يبيع الفراخ المسمنة وهو معروف
فاذا رأيته فقل له « صديقك يقرئك السلام » فسيقوم من وضعه ويعني
فاتبعه الى منزله فاذا دخلت فانزع ثياب سفرك التي عليك والبس الثياب
التي يسلمها اليك وخذ منه ما يريد لنفسك واقصد بعد ذلك زقاق القناديل
فانك ستري شيخا حلاويا اسمه كذا ويمرف بكذا فاسئل عنه لتتحقق انه
هو ثم اجلس عنده فاذا كر له صنعتك^(١٣) ومعرفتك بأمر الخلاء
وتوصل الى أن تعمل عنده من يومك والزمه وخفف مؤنتك عليه
وان دعاك الى منزله فامض معه فاذا عملت معه خمسة عشر يوما أو أكثر
وعرفك الناس واشتهر عنك جودة الصنعة فاستأجر بأزاء دكانه دكانا وابع
ما يريد من آلة ومتاع واستدع عن ذلك من منير الخدام فان زبون الخلاوي
سيمد اليك ويقف أمره ويسئلك الشركة فاذا سألكها فأجبه اليها وشاركه
وأقم فيها معه شهرا . ثم أظهر له شوقك الى بغداد والى عمالك الذين بها
وصفها عنده وعظم الكسب بها في عينه وابعته على الخروج اليها وعنده
المواعيد الكثيرة فان احتج عليك بأهله وولده فقل له « معي دنائير وأنا
أدفعها اليك اتجباها نفقة لهم مدة غيبتك عنهم » واعلمه انك تفعل ذلك ايثارا
لصحبته وأنه اذا حصل ببغداد أنزلته دارك وجعلته في دكانك وأعطيته قسما
وافرا من الربح مما تتجر فيه من مالك فان أحب بعد ما يشاهده المتأمقام
وارآثر العود الى مصر زودته من طريق العراق ما يعود به الى أهله واجهده

في حمله ملك الى حضرتنا واخدم في ذلك خدمة تحظ^(١١) بحسن المعاقبة فيها وتناول من منير ما يحتاج اليه لنفسك وله واحفظ الدر واحترس من حيلة تم عليك واجتز على طريق الموصل في عودك . فلما سمعت ذلك كله قالت : السمع والطاعة وأرجو أن يوفقني الله لما أهلت له . فالتذ شكر بيدي وعدل بي الى موضع ونزعت ثيابي والبت . ببطنة ودفعت الى عثرون ديناراً وقال : هذه نفقة طريقك . ثم استدعى اعرابيا اسمه حسان جالسا في الصحن وسامني اليه وقال له : هذا الرجل فاحفظه واوصله^(١٢) الى حيث وقفت عليه . فأخذ الاعرابي يدي ونزلنا فجلسنا في سمارية من سماريات النوبة وصعدنا باب خراسان ومشينا الى وجه الجامع فاذا هناك أربعة أجمال ورجلان من العرب وركبا وركب الاعرابي وركبت وسرنا ومازلنا من موضع الى موضع آخر حتى وصلنا الى مصر في سبع وعشرين ليلة فخطى القوم وقال لي صاحبي منهم : امض في حفظ الله وهات علامة بوصولك . فقالت : العلامة ان مولانا قال لي « اذا عدت نخذ على طريق الموصل » ولا والله ما سألوني من أنا ولا في أى شيء توجهت

وقصدت باب الجامع فاذا الخادم الابيض فسلمت عليه وقلت له^(١٣) ما وصيت به فرحب بي ونهض معي في الحال الى منزله ونزع ثيابي وأعطانى ثيابا نظافا من عنده . وجرى الامر مع عضد الدولة^(١٤) مدة مقامى بمصر على ما كان مثله عضد الدولة حتى كأنه حاضر معنا وما زالت أرقى بالخلاوى وأعده وأمنه حتى أجاب الى الخروج . فعدت الى الخادم وودعته ونزعت الثياب التي أعطانها ولبست المبطنة التي وصلت بها وأخذت نفقة وتوجهت

(١) في الاصل : وواصله (٢) له : وجرى الامر مع من وصفهم عضد الدولة

أنا والشيخ الحلاوى معى ومازلنا ننتقل من مكان الى مكان حتى وصلنا الموصل وأقاربى بها فنزلنا عند بعضهم . واستأجرنا فى كورة ^(١٠) البريد ومازلنا ننتقل الى أن وصلنا الى بغداد وانحدرنا الى منزلى والشيخ معى لنجدد الوضوء ونصلى ونعبر . فما استتردت حتى حضر نقيب من الدار يستأعنى ومن معى فمجيبت من ذلك وكان صاحب الخبر قد كتب يخبرنا فبادرت ومعى الشيخ وعبرنا الى الدار وجلسنا فى موضع منها الى ان خلا وجهه عضد الدولة . ثم أدخلت والشيخ معى وقد طار لبيه وعظم رعبه وهو يحتسب الله على وأنا أسكن منه وقد تدخلني له الرحمة الشديدة وعدل بنى الى موضع فيه شكر فنزعت ما كان على من الثياب وأنا أراها قد أخذت ^(١١) وحملت الى حضرة الملك فأعطيت ثيابى التى نزعها عند خروجي وملت بين يديه أنا والشيخ فقال : كيف جرى الامر ؟ قلت : كما مثله مولانا . قال للشيخ : أنت فلان بن فلان الحلاوي ؟ قال : نعم . قال : لا تخف وان كنت قد أسأت الى نفسك وجسمها السفر عن منزلك بالفضول من قولك وفعلك . فبكى انشيخ بكاء شديداً فتركه قليلاً ثم قال : يا هذا هبك رددت الدرهم الذى من ضرب بنا ولم تحب اخذه من الرجل الغريب الذى وقف بك فما بالك شتمته وشتمت الذى أمر بضربه ؟ ولولا أن فى تأديك والفتك بك وأنت شيخ غريب ولعل وراءك من يتوقعك ومادته منك . بعض الانم واللوم لامرنا بتقويمك لكنا سبب جنايتك لمن خلقك من عيالك وقد تقدمنا باطلاق انقة لك ردك الى بلدك فلا تعاود مثلي ما كان منك وتحدث فى بلدك اصفحنا عنك وعن جرمك ومبتنا

عليك. فبكى الشيخ حتى كاد يموت ولم يكن له لسان يجيب به وخرجنا وأعطاني شكر عشرين ديناراً وقال: اصرفها في نفقةك. و أعطى الشيخ دنائير ورحلته الى منزلي وأكرمه واستأجرت له ماركبه في بعض القوافل الى الموصل^(١). فذكر ان الشيخ لما عاد الى مصر تحدث بحديثه وشاع ذلك هناك فكان الغريب اذا جلس الى بعض أهل البلد صاحوا: الحذر الحذر. فتمسك الناس عن ذكر عضد الدولة وقال الحسين الخلاوي: كانت في المبطلة التي لبسها ماططات وما علمت بها الا بعد عردى

وأما ذكر مراعاته للقوانين وحفظها في الاحوال جميعاً فانه كان لا يعول في الامور الا على ذوى السمكيات ولا يقضى فيمن لا غناء عنده حقوق ذوى الشفاعات ولا يجعل لمن حوله من ذوى المناصب ولا لاحد من الاقارب والاباءد مساعداً في الجنس المفوض الى كل فرقة منهم ويجرى الامر في ذلك على أحسن نظام ويزمه بأحسن زمام. قال أبو محمد الحسن ابن أبي الفرج ابن مسلمة^(٢) الشاهد قال: أحب أبو العباس محمد بن نصر بن أحمد بن مكرم الشاهد أن تقبل شهادة أبي يعلى محمد ابنه وكان أبو عمر محمد ابن عبد الله بن أيوب القطان صهره على ابنته ومما ملا لابي زهير أسفار^(٣) ابن كرويه ومختصاً به. وقال أبو العباس لابي عمر: أنا أعلم نبوك عن^(٤) أبي يعلى ابني لما تنكره من أخلافه وقد أحببت أن تقبل شهادته وشرعت في أخذ الخطوط بتركيته وهذا أمر هو في يدك فان ساعدتني عليه مشى وان وقف فما يقف الا بك. فقال له: والله لا تركت ممكنا. فقال أبو العباس: القائد [أبو] زهير كثير القبول منك قليل الخلاف عليك وان خاطب عضد

(١) في الاصل: المسلمة (٢) وفي الاصل: على

الدولة على ذلك مع حصول التزكية لم يقع امتناع عليه فيه وأريد أن نجعل هذه الحاجة أكبر حوائجك اليه . فقال : افعل . قال أبو عمر : فدخلت الى أسفار وقلت له : يا صاحب الجيش قد خدمتاك الخدمة التي وجب بها الحق لي عليك ولي حاجة فيها قيام جاهي في البلد قد جمعتها ثمرة أملى فيك . فقال لي : ما هي ؟ فقلت : أبو العباس يريد أن تقبل شهادة أبي يعلى ابنه واستشفع بي اليك في خطاب عضد الدولة . فقال : افعل وقد جرت العادة فيما بيني وبين الملك بأن أراسله فيما أريد على لسان ثقة . وأحضر الرجل الذي أشار اليه فحمله في ذلك رسالة استوفاهما فمضى وعاد فقال : يقول لك الملك : مالك وللخطاب في مثل هذا الامر ؟ ^(١) قال أبو عمر : فاستدعاني أسفار حتى سمعت الجواب فقلت : يا صاحب الجيش والله ما يقبل مني أبو العباس ذلك ولا يقدر الا اني قد قصرت في مسئلتك مع علمه بموضع منك وموضعك من الملك وانك لا ترد في الكبير فضلا عن الصغير . فقال : ما جرت لي عادة بماودة ولكني أعاوده بعد أيام . ومضت على ذلك مديدة فاعاد الرجل الرسالة وجدد السؤال فعاد مثل الجواب الاول . فأظهرت الوجوم والانكسار ومضت أيام وهو يراني كالسف البال فقال لي : يا با عمر قد عملت على الركوب الى الدار في غد . ووصل الى حضرة عضد الدولة ووقف ساعة ثم قال : قد راسلت مولانا في أمر أبي يعلى ابن مكرم دفعتين وعاد الجواب يرسم فيه الاساك ولي في تمام هذا الامر جاه والقوم الذين سألتني في ذلك في اختلاط وأمل قوي ومتى وقف انكسر جاهي عندهم وعند الناس . فضحك وقال : يا با زهير مالك وللخطاب في مثل هذا وفي الشهادة والشهود ؟ انما يتماق بك الخطاب على زيادة قائد أو تقويده بخاتمة

نقل رتبة الى رتبة فاما قبول الشهادة فليس لنا ولك قول فيه وهو متعلق بالقضاة ومتى عرفوا من انسان ما يرون معه قبول^(١٠٠) شهادته فعلوا ذلك بغير أمر ولا شفاعاة شافع اليهم والينا واذا أتت عذر نفسك عند من سألك بمثل ما قلنا لك عرف صحة ذلك . وانصرف أوفار بهذا الجواب وحدث أبا عمر به ووقف الامر في قبول شهادة أبي يعلى الي أن توفي عضد الدولة

وأما ما ذكر من صدقاته ومبراته وما تأدى^(١٠١) ذلك من فضل احتياطه ومراعاته فانه كان يخرج عند افتتاح مال كل سنة شيئا كثيرا في البر والصدقة ويكتب الى العمال في النواحي بتسليمه الى قضاتها ووجبه أهلها ليصرفوه الى ذوى الحاجة والمسكنة قال أبو نصر خواجه: أعطاني عضد الدولة في بعض الايام توقيعا على انه بثلاثين الف درهم للصدقة ورسم وزن ذلك وتفرقة بحسب ما جرت به العادة وكان قد غلط وكتب « يخرج من الخزانة ثلاثون بدره للصدقة » فرددته وقالت : يا مولانا المال ثلاثون الف درهم والتوقيع ثلاثون بدره^(١٠٢) فقال أرنيه . فقال : ان أعود فيها فاخرجها . فاخرجتها فاطلقت في الصدقات .

وقد شوه في كثير من نذا كيره وما كان يوقعه في تقويمه « نذرنا الامر الغلاني كيت وكيت وكذا وكذا الف درهم للصدقة » في مواضع كثيرة فكان لا يهتم بعزم ولا يكون في سرور أو هم الا وهو يقدم نذرا اما في السرور فالكماله واما في الهم فلزواله وذلك مبنى على جيل اعتقاد وخسن يقين وصحة ايمان واقرار بالمعاد

وكان يطاق للكتاب والعمال المتطلعين اذا شكوا أحوالهم وقصورهم أو اطعم

على ذلك منها ما ينسب الى الاسلاف التي لا يحاسبون بها عند استمالة لهم
واستخدامهم . وكان المستخدمون يستسلمون من أبي إسماعيل بن الحسن
الناظر في التمور والامعة البصرية على ما يسبب به أرزاقهم ما يأخذون به
منه التمر وما يجري مجراه بفضل في ثمنه فيرغب الطالب في الاخذ للحاجة
والانساع بالسلف ويرغب المعطي في الاسلاف للزيادة في الاثمان والفائدة
مردودة للسلطان . وتوفي عضد الدولة وعلى المتصرفين والمتعطلين من هذه
الاسلاف مال جزيل كثير . وبإزاء ذلك من احتياطه ما ^(١١٢) ذكره أبو
نصر خواشاذة قال : حضر نيروز وأراد أن يقطع عضد الدولة فيه قباء
سقاطون يجلس فيه للتمتة فقال لي : احضر من الخزانة ثوبا يصلح للقباء .
فضيت فاخترت منها ثوبا حسنا مستعملا بجنته به فلما وضعته بين يديه تأمله
وأخذه ورماني به وقال : ليس من هذا طابت . فظننت انه قد استرذله وأراد
ما هو أرفع منه فعدت وأخرجت من بابه أخرى ما هو أجود منه فاحضرته
فلما ملا عينه منه قال لي : يا أعمى القلب ليس من هذا . فبيت متحيرا
لأدري ما أصنع ورجعت الى الخزانة فقال لي أبو نصر بندار : مالى أراك
ضيق الصدر وقد أخذت ثوبين وردتهما . فعرفته الصورة فضحك وقال
لو أعلمتى لكفيتك ما اشتغل قلبك به . وقام وفتح سفطا فيه ثياب
سقاطونيات متقاربات يسوى الثوب منها خمسة دنانير وأخذ ثوبا واحدا
منها فقبركه ^(١١٣) بين يدي وقال : أحمله اليه فانه يرضيه . فاخذته وحمله فلما وضعته
بمحضرته وشاهده وأدخل يده فيه وقبّله قال : هذا جيد . نتقدم بقطعه
واعاداه ولبسه في يوم ذلك الفصل ووجهه لبعض الديلم ^(١١٤)

فاما محبته للعلوم وتقريب أهلها فانه كان يكرم العلماء أوفى الكرام
وينعم عليهم أهنأ انعام ويقرهم من حضرته ويدنيهم من خدمته ويمارضهم
في أجناس المسائل ويفاوضهم في أنواع الفضائل فاجتمع عنده من كل
طبقة أعلاها وجنى له من كل ثمرة أحلاها . وصنفت في أيامه المصنفات
الرائقة في أجناس العلوم المنفرقة فمنها كتاب الحجة في القراءات السبع
وهو كتاب ليس له نظير في جلاله قدر واشتهار ذكر ومنها كتاب الايضاح
في النحو وهو مع قلة حجمه يوفى على الكتب الكبار التي من جنسه
في قوة عبارة وجودة صنعة ^(١) وحكي أبو طالب أحمد بن بكر العبدي ^(٢)
صاحب كتاب شرح الايضاح ان عضد الدولة كان ضينا بهذا الكتاب
محبا للاختصاص بقراءته دون كل أحد وان رجلا توصل الى كتبه بخطه
بجيلة فامر عضد الدولة بقطع يده لنفاسة الكتاب في نفسه وحملاته في
قلبه حتي سئل في أمره فعفى عنه . ومنها الكناس المضدى في الطب ^(٣)
المؤلف في أيامه ^(٤) الموفى على غيره بيانا وحسن ترتيب وكالا وغير ذلك
من المقالات الرياضية والرسائل الهندسية
وأما ما عمله من الآثار الجميلة فانه جدد بفارس وخوزستان منها ما هو باق

(١) ومؤلفه أبو علي الحسن بن أحمد الفارابي وردت ترجمته في ارشاد الاربيب
٣ : ٩ وفيه ان عضد الدولة كان يقول : أنا غلام أبى على النجوى في النحو و غلام
أبي الحسين الرازى الصوفى في النجوم . وأبو الحسين هو عبد الرحمن بن عمر
كذا في كشف الظنون ٧٨٠٨ وفى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطى ص ٤٤٠
انه عدل كره لذلك عضد الدولة وزنها ثلاثة آلاف درهم (٢) وردت ترجمته في
ارشاد الاربيب ١ : ٣٨١ (٣) ومؤلفه على بن العباس الجوسى يعرف بابن الجوسى
ولبراجم ترجمته في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطى ص ٢٣٢

الآثر عند الناظر شائع الخبر عند السامع . وعمد الى مصالح بعداد فاجدها
بمد المدم وأعادها الى ريمانها بمد الهرم واستدرا أفويق الاعمال بمد ان
كانت متعممة واستمد ينابيع الاموال بمد ان كانت مستهدمة^(١) وفعل في
تجديد العمران وبناء البهارستان ووقف الوقوف الكثيرة عليه ونقل أنواع
الآلات والادوية من كل ناحية اليه^(٢) ما يدرك العيان بمضه الى الآن .
وعمل السكور وأتقى فيها الاموال وأعد عليها الآلات ووكل بها الرجال
وأزهم حفظها بالليل والنهار ورأى ذلك منهم أتم مراعاة في آونة المدود
الجوارف وأزمته الفيوث المواطل وأوقات الرياح العواصف . فقبل انه
لماسد المطهر بن عبد الله بثق السهيلة رتب عليه ابراهيم المعروف بالانغر
وأمره بالمقام عليه^(٣) ومواصلة تمليته الى حين انقضاء المدود . قال ابراهيم :
فاقت على هذا السكر زمانا طويلا والرجال ممي وشقيت شقاء طويلا وكان
لى منزل بجسر النهر وان ويني وبينه مدى قريب فكنت لا أتجنبه على
الامام به ولا على دخول الحمام اشفاقا من ان يكتب صاحب الخبر بجسر
النهر وان بخبرى . فلما مضت المدة الطويلة على هذه الجملة من حالى عصف
ريح فى بعض الليالى وورد معها مطر شديد فدخلت القبة المبنية على السكر
أستتر بها من الريح والمطر واجتهدنا فى أن نشعل سراجا فلم يدعنا عصف
الريح وضجرت وضاق صدرى ونازعنى نفسى أن أقوم فأمضى فى الظلمة
الى جسر النهر وان وأيت فى منزلى وأعاود بكرة موضعى . فبينما أنا فى
ذلك وقد حققت عزمى عليه اذ سمعت كلاما على باب القبة فقلت لفلان :
انظر ما هو . فخرج وعاد وقال : انسان على جبل قد أناخ عندنا . ودخل

(١) لعله : مسددة (٢) فى الاصل : بما

الرجل وسلم فرددت عليه وقالت للغلام : اشعل سراجا . فقدح وأشعل وجاء بالنار في نقطة فاذا الرجل من خواص عضد الدولة عربي قد ورد من بغداد فقالت له : ما تشاء . فقال : استدعاني الساعة الاستاذ شكر وقد خرج من حضرة^(١١٦) الملك فقال : أمر . ولانا ان تمضي على جازة وتصد سكر السهلية وتدخل الى القبة التي على ظهر الروحة فان وجدت ابراهيم الاغر هناك فاعله انا نجازيه على خدمته وطول ملازمته وادفع اليه هذا الكيس فقيه الف درهم ليصرفه في نفقته وان لم تجده وكان قد دخل الى داره بجسر النهر وان فاتصده واحم عليه في منزله وخذ رأسه واحمله . واترك الكيس بين يدي وقال : احمد الله على ما كفناك اياه . وعاد من وقته فبقيت حيران وعزمت على نفسي الا ادخل جسر النهر وان

﴿ وأما ذكر ما رتبته في تربية أولاده ودبر به دار مملكته ﴾

﴿ بفارس عند غيبته عنها ﴾

فان له من محاسن التدبير في أمثله التي مثلها لاصحابه في تذكير ووجدت له ما يدل على علو همته وحسن سياسته في تربية أولاده وقسمة أيامهم بين آداب البراعة والشجاعة وأوقات الجد واللعب والاقتصاد فيما يجري بينهم من الترافه والتهاجر وتهذيب من يلوذ بهم^(١١٧) ويكون في جملتهم فان الاخلاق بالممازحة تعدى وبالمجاورة تسرى . وترتبت الامور بدار مملكته بفارس في حال غيبته بالبراق وغيرها تجري على السداد وتستمر على الاستقامة والاطراد فكان اذا بعد عنها بجمانها لم يبعد عنها بسلطانها كالشمس التي يبعد جرمها عن العالم وضياؤها فيه . وجود . والقليل من ذكر سيرته ينبىء عن الكثير فنجنب الاطالة والاكثار اذ قد شرطنا الاقتصار والاختصار .

ونذكر الآن طرفا مما رواه صاحب التاريخ من أخبار أضافها الى جملة محاسنه وهي بضدها أشبه فافردناها عنها اذ لا تستوي الحسنة ولا السيئة ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور

﴿ ذكر الرسوم التي أحدثها عضد الدولة ﴾

زاد في المساحة واحدا في عشرة بالقلم وأضافه الى الاصول وجمله رسما جاريا واستمر الى هذه الغاية في جميع السواد . وأحدث جنائيات لم تكن ورسوم معاملات لم تمهد وأدخل يده في جميع الارحاء وجبي^(١٠٨) ارتفاعها وجعل لاهلها شيئا منه وكثرت الظلامة من ذلك في آخر أيامه . . . ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . . . فأزاله صمصام الدولة بعده وأطلق الارتفاع للمال . وجعل للمراعى وفرائض الصدقات ديوانا وأقرده عمالا وكتّابا وجهابذة فارتفع من أعمال السواد ما زاد على الف الف درهم في السنة . وأدخل يده في وقوف السواد ورتب لها ناظرين متصرفين وقرر لاربابها اجارة تطلق لهم عنها فتحصل منها جملة كثيرة وصارت في المقبوض وخرجت في الاقطاعات من بعد ذلك . وقرر على أسواق الدواب والحماير والجمال عما يباع فيها من جميع ذلك وفعل في ضرائب الامتعة الصادرة والواردة ما زاد فيه على الرسوم القديمة وحظر عمل النسيج والقرّ وجعلها ممتجرا للخاص وكانا من قبل مطلقين لمن يريد عملهما والمتجر فيها ولعل صاحب التاريخ قصد بايراد هذه الاخبار في محاسنه الفضيلة في اقامة وجوه المال واستنباط ناييه . ولاخير في مال يسيء ذكره وبحبط أجرا وكما يجمع من أشباه تلك الوجوه فإنه جمع تبديد وما يشرب من

أمثال هذه المناهل فإنه شرب تصديد^(١) والخبر المشهور المروي^(٢)
عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من
عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها الى يوم القيامة .

﴿ ذكر أخبار ضبط مسرف لا يليق بملك ﴾

حدث أبو علي ابن مكيغا صاحب ديوان الخزان قال : سألت عضد
الدولة في بعض الايام وقد صادفت منه طيب نفس واقبالا على زيادة في
عادته وذكرت له تضاعف مؤنتي وقصور مالي عن كفايتي فقال لي : أليس
الموجب لك في كل شهر كذا وكذا ولك من رسم الكسوة كذا وكذا
في الفصاين ؟ قلت : نعم . قال : فأنت تحتاج لراتبك ومؤنك وغلمانك
ودوابك الى كذا وكذا فواجه الاستزادة هذا فأنت تأكل في كل أيامك
مع أبي منصور نصر بن هرون . فقبلت الارض وتأخرت فاذا هو
يحاسبني ويعتمد على بما آكله على مائدة أبي منصور

وحكى أبو علي أيضا ان عضد الدولة^(٣) رأى له يوما بغلة بمركب
حديد ثقيل فتركه مدة وقبض عليه وألزمه مالا ففرض في جملة ما يبيعه من
رحله دست ديباج كان له وبلغ عضد الدولة خبره فاستدعاه يشاهده
ويحتسب له بما يقوّم به قال أبو علي : وقد كنت أعطيت فيه ألفا وخمسمائة
درهم فقال : احتسبوا له بالف ومائتي درهم . فقلت : قد دفع به الف وخمسمائة
درهم وثنه على أكثر من ذلك . فعاظته هذه المراجعة وتقدم الى الخادم
بان يسلم الى دستا دونه بكثير الا انه شبيه به فاخذته ولم يمكني أن أقول شيئا

(١) لعله : صديد (٢) ليراجع كتاب الاعتصام ١ : ٢٣١

في أمره فاجتهدت ان يحسب لي بالف ومائتي درهم المبدولة فقال :
 لاحاجة بنا الى دسته . وكان قصاراي ان يمت هذا المسلم بتسعمائة درهم .
 وحدث أبو الحسن رسم بن أحمد قال : استكتبني عضد الدولة لابي
 جعفر الحاج بن هرمز عند وروده من ديلمان ورسم لي أن أعمل تذكرة
 بما يحتاج اليه راتبه في كل يوم وثقاقه في كل شهر فعمات وأحضرت
 التذكرة وكان فيها رطلية شمع في كل ليلة فوقف عليها ونقص كثيرا منها
 وزاد في أبواب وقال : رطل شمع في كل ليلة سرف^(١١١) وينبغي ان يكون
 في كل أسبوع رطلية وان يوافق الفراش على ان يتركها في تورها وتقدم
 بين يديه المنارة عليها سراج بفتيانتين فان حضر من يحتشم رفعت وأحضر
 التور والشمعة فاوقدت فاذا انصرف شيلت وأعيدت المنارة فقلت : السمع
 والطاعة . وجرى الامر على ذلك

وحدث أبو الحسن علي بن أبي علي الحاجب قال : كان لعضد الدولة
 فرجية سقلاطون مبطنة بقماقم فكان يلبسها كثيرا في الطريق بين بغداد
 وهمدان . وكان أحد الديلم قد أغرى بطلبها وواصل المسألة في بابها وعضد
 الدولة يعمده ويدفعه حتى زاد لحاجه فمارضه يوما في موكبته وقال : يامولانا
 قد طال الوعد بهذه الفرجية وأسلل انجازها اليوم . فافتماظ . وقال : نعم . وكان
 يمشي في ركابه أصحاب الركاب ومن جانبه الايمن أحمد بن أبي حفص وفي
 جانبه الايسر ابن فارس فقال لهما سرا وأرسل كمي الفرجية : اقربا مني
 وأقفا البطانة من الظهارة واجنباها وسلباها الى "وكبدار . فعملا ذلك ونزل
 عضد الدولة وحضر الديلمي مذكرا فاخرجت اليه في الحال طاقا بغير
 بطالة^(١١٢) فبقي متعجبا وأخذها وأمسك

فلما خلا الملك استدعاهما وقال لهما : أنا أعلم انكما فضوليان وكافى بكما وقد قلتما « ما أشح هذا السلطان ! طلب منه بعض خواصه فروة منذ أمد ودافعه بها فلما أراد عطاءها له أمره بكذا بخلا بالبطانة » فقبلا الارض وقالوا : لا اله الا الله يا مولانا ان تصورنا بهذه الصورة . فقال : بلى أنما كذلك فاعلمنا ان في جوانبنا من الثياب السقلاطون ما يمكننا ان نعم به عسكرنا لو أردنا ان نعطى جميعها وهذه البطائن الوبر قليلة وانما تحمل البنا منها في السنة من البلاد البعيدة الخارجة عن ممالكنا المدّة اليسيرة ولو وهبنا لهذا الديلمي بطانة الفرجية لرفضناه الى منزلة لا يستحقها لانه أقل من أن يدفع اليه مبطنا ثم طلب منا غدا من هو أجل منه جبة مبطنة بوبر فخرج ما في خزائنا من هذا الجنس الى نفر قليل

وقد ذكر ارسطاطاليس في رسالته المشهورة : ان الملوك ملك سخى على نفسه سخى على رعيته وملك شحيح على نفسه شحيح على رعيته وملك سخى على نفسه شحيح على رعيته وملك شحيح على نفسه سخى على رعيته فسأبتهم الى الفضل^(١١٣) من كان سخيا على نفسه سخيا على رعيته ونال به من كان شحيحا على نفسه سخيا على رعيته وعضد الدولة كان كذلك الا ان طلب الدرجة العليا أعقب بذوى السكرم وسبب الغاية القصوى أولى بأولى المهم . ولعل بعض من يقرأ كتابنا يقول « اما كان يسع طي هذا البساط وقطع هذا الرباط فكم قد طوى من خبر وعما من أثر » بلى ولكننا أردنا الخير وقصدنا النفع حتى اذا تأمل المتأمل ذلك وتلك الاحاديث الجميلة والافاعيل الشريفة استلذ من طيبها واستروح من نسيمها الى كل ما يهز أريحته لفعل الخير وبناء المجد وإطالة الذكر واقتناء الحمد . فاذا انتهى الى ما قد ذكر

أخيراً وجد من السكندر في المنهل والشرق بالزلال الذي شربه ما يحذره
اهمال اليسير من رياضة أخلاقه فيصفى الذهب الخالص . والسعيد
من تأدب بغيره والكمال عزيز في كل حال وقد قيل
لا سلم من قول الوشاة وتسلمى * «سلمت» وهل حي من الناس يسلم^(١١٤)
﴿ ذكر وفاة عضد الدولة سامحه الله ﴾

توفي عن سبع وأربعين سنة وأشهر وعلمته التي توفي بها مشهورة . ولم
تكن أمثال هذا العمر عمله ولا في أضمافه أمهه ولكن في خفاء مواقيت
الاجال مشغلة بالكاذب الامال . وما أحسن قول عدى بن زيد
ليس شيء على المنون يباق * غير وجه المهيمن الخلاق^(١١٥)

ذلك عضد الدولة سامحه الله أعجب بصحة عقله وفيه دهاء وهذا عضد الدولة
البارسلان رحمه الله أعجب بقوة بأسه ومنه ليعلم ان البشر لا يملك شيئاً وان
المملك لله الواحد القهار .

ونورد ههنا كلمات قيلت عند وفاة عضد الدولة فيها حكمة بالغة وموعظة نافعة
ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب الزلفه^(١١٦) انه لما صحت وفاة
عضد الدولة كنا عند أبي سليمان السجستاني^(١١٧) وكان^(١١٨) القومسى حاضرا
والنوشجاني وأبو القسم غلام زحل^(١١٩) [و] ابن المقداد والمروزي
والاندلسي والصيمري فتذاكروا الكلمات العشرة المشهورة التي قالها

(١) الاغانى ٢ : ٢٦ والمهيمن المسبح . (٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريب
٥ : ٣٨٠ وذكر فيه من تصنيفه : كتاب الزلفة جزء . (٣) هو محمد بن طاهر بن
جرام النطنى وردت ترجمته في تاريخ الحكماء لجمال الدين اللفطى ص ٢٨٢ وهو
مصنف كتاب صوان الحكمة وصاحب ابا جعفر ابن كاكويه ملاك سجستان (٤) هو
أبو القاسم ابن الحسن المنجم وترجمته في تاريخ الحكماء ص ٢٢٤

الحكماء العشرة عند وفاة الاسكندر فقال الاندلسي : لو قد تقوَّض
 مجلسكم هذا بمثل هذه الكلمات لكان يؤثر عنكم ذلك . فقال أبو سليمان :
 ما أحسن ما بعت عليك ^(١) أما أنا فأقول : لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير
 مثقالها وأعطانا فوق قيمتها وحسبك أنه طاب الربح فيها فخرس روحه في
 الدنيا . وقال الصيمري : من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم بها فهذا
 انتباهه . وقال النوشجاني : ما رأيت غافلاً في غفلته ولا عاقلاً في عقله مثله
 لقد كان ينقض جانباً وهو يظن أنه مبرم ويفرم وهو يرى أنه غام . وقال
 العروضي : أما أنه لو كان معتبراً في حياته لما صار عبدة [في] ماله . قال
 الاندلسي : الصاعد في درجاتها إلى سفال والنازل من درجاتها إلى ممال .
 وقال القومسي : من جسد للدنيا هزلت به ومن هزل راغباً عنها جدت له
 انظر إلى هذا كيف أنهى أمره وإلى أي حظ ^(٢) وقع شأنه واني لا ظن أن
 الرجل ^(٣) الزاهد الذي مات في هذه الايام ودفن بالشريزية أحفظهما ^(٤)
 وأعز ظهيراً من هذا الذي ترك الدنيا شافرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة .
 وقال غلام زحل : ما ترك هذا الشخص استظهاراً بحسن نظره وقوته ولكن
 غلبه ما منه كان وبعموته بان . وقال ابن المقداد : ان ماء أطفأ هذه النار لمعظم
 وان ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف . فقال أبو سليمان : ما عندي ^(٥) في
 هذا الحديث أحسن مما سمعت أبا أسميل الخطيب الهاشمي لما نراه على المنبر
 يوم الجمعة يقول في خطبته : كيف غفلت عن كيد هذا الامر حتى تقذفك
 وهلا اتخذت دونه جنة تقيك . اذا صنعت باموالك والعبيد ورجالك

(١) لعله : عليه (٢) لعله : حضيض (٣) لعله : أخذ ظهراً (٤) في

والجنود وبخولك العتيد وبدهرك^(١) الشديد هلاً صانمت من عجل^(٢) على السرير وبذلت له من القنطار الى القنطير من أين أتيت وكنت شهماً حازماً وكيف مكنت من تنسك وكنت قويا صارماً من الذى وطأ^(٣) علي مكر وهك وأناخ بكلكاه على ملكك لقد استضعفك من طمع فيك ولقد جهالك من سلم العز لك ! كلا ولكن ملكك من أخسرك بالتملك وسلبك من قدر عليك بالتهليك^(٤) ان فيك لعمرة للمعتبرين^(٥) وانك لا لية للمستبصرين جافى^(٦) الله جنبك عن الثرى وتجاوز عنك بالحسنى ونقل روحك الى الدرجات العلى وعرفنا من خلفك خيراً وعدلاً يكتر من أجهام الدعاء وثناؤنا عليك انه على ذلك قدير وهو عليه بصير^(٧)

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في قيام صمصام الدولة بالملك ﴾
كانت سعادة عضد الدولة قوية في أحواله حتى في موته فإنه انكم أمره مع عظم قدره للسياسة التي قدها في الامور والهيبة التي أودعها بنات الصدور واختياره من الاصحاب كل من كان بحسن التدبير خيراً وبخدمة المملوك جديراً^(٧) فلما توفي أخفي خبره فأحضر الامير أبو كاليبجار المرزبان الى دار

(١) لعله : وبدهائك (٢) لعله جعلك (٣) لعله وطأ (٤) في الاصل بالقهر لك (٥) في الاصل ان فيك لمعتبرين (٦) وفيه قال سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان . بين كلام هؤلاء وأولئك المتقدمين المتكلمين على تابوت الاسكندر كما بين المللكين في المساواة (٧) قال يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخه : وفوض عضد الدولة تدبير الامور بعده الى أبي الريان حمد بن محمد منتسباً الى خلافة أبي منصور نصر ابن هرون النصراني فصرورات كانت بين المظاهر وبينه فلما مضى المظهر لسبيله أفرد أبو منصور فاعمل ضد الدولة ودعى في غلته ابنه الاكبر أبا الفوارس شرف الدولة ووزن الله من شيراز الى بغداد . وكان امضد الدولة غلام خصي اسود بمعنى شكر مسئولياً على جميع أموره فلم يمكن أحد من أولاده الدخول عليه في غلته مع تطاولها واستشعر شرف

المملكة كانه مستدعي من قبل عضد الدولة فلما حضر أخرج الامر اليه بولاية العهد والنيابة في الملك واستخلاف أخيه أبي الحسين أحمد بن عضد الدولة بفارس على أعمالها . وكتبت عن عضد الدولة كتب بذلك الى كل صقع حسب العادة وضمنت ذكر القبض على أبي الريان حمد بن محمد وذم أفعاله واستدعاء^(١١٨) أبي منصور نصر بن هرون الى الحضرة ليقوم مقامه في أعماله وأتخذ مع كل كتاب نسخة يمين بالبيعة لتؤخذ على الامراء والقواد وأتباعهم من الاصحاب والاجناد . وروسل العنايم لله في ذلك وسئل كتب عهد له مقرون بالخلع واللقاب واللواء وامضاء ما قلده عضد الدولة من النيابة عنه فانهم بالاجابة واقبه صمصام الدولة وشرّفه بالعهد واللواء والخلع السلطانية وجلس صمصام الدولة جاوساً عاماً حتى قرى العهد بين يديه وهناه بما تجدد لديه . ونظر أبو عبد الله ابن سعدان فيما كان أبو الريان ينظر فيه من أمور الاعمال واستمرت الحال في اخفاء وفاة عضد الدولة الى أن تمهد الامر لصمصام الدولة

وفي هذا الوقت أزيل ما كان قرر على الارحاء والطحون وأجرى الناس على رسومهم القديمة .

وفيه خلع على أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروز شاه ابني عضد الدولة للتوجه الى شيراز وأعمالها وخرج معهما أبو الفتح نصر أخو أبي المعلاء عبيد الله بن الفضل برسم النيابة عن أخيه في مراعاة أمرها

الدولة ان أباه قد مات وان شكرا بكنتم موته فهجم ودخل الى الموضع الذي عهد الدولة متصجماً فيه فراه في حال الحياة وخرج ولم يعد يدخل اليه فاستوحش أبوه منه ونفاه الى كرمان ومات عضد الدولة وأجلس في الامارة المرزبان صمصام الدولة وشمس الملة

﴿ ذكر ما جرى عليه أمرهما ^(١) ﴾

لما أفضى الامر الى صمصام الدولة قبض على الامير أبي الحسين في
الدار ببغداد ووكل به . وكانت والدته ابنة ملك الديلم ^(٢) وشوكة الديلم
قوية فعزمت على قصد الدار متسكرة عند اجتماع الديلم فيها فاذا حصلت فيها
استغاثت بهم وهجمت على صمصام الدولة وانتزعت ابنها منه . فعرف
صمصام الدولة ذلك فخاف وراسلها رسالة جميلة ووعداها بالافراج عنه وتقليده
أعمال فارس وفعل ذلك ووافقه على المبادرة ليصل الى شيراز قبل ورود
شرف الدولة أبي الفوارس اليها وأزاح عنته في جميع ما يحتاج اليه . فسار
الى الاهواز وعليها اذ ذلك أبو الفرج منصور بن خسره فلما وصل اليها طالبه
بمال والتمس منه ثيابا وأشياء أخر فمنعه اياها ظاهرا وحملها اليه باطنا مرافقة
لصمصام الدولة وانتسجت بينهما حالة جميلة واستقر أن يستوزره عند تمهد
أموره فأشار عليه أبو الفرج بالتعجيل الى أرجان فان وصلها وقد سبق
شرف الدولة الى شيراز أسرع الكرة الى الاهواز . فلما وصل الى أرجان
ورد الخبر بحصول شرف الدولة بشيراز وكر راجعا ودخل الاهواز وعول
على أبي الفرج في مراعاة ^(٣) الامور وتدير الاعمال وأظهر المبائة وارسم
بالمك وتلقب بتاج الدولة وأقام الخطبة لنفسه وعرف صمصام الدولة ذلك
فجرد اليه أبا الحسن علي بن دبش الحاجب في عسكر كثير . وندب الامير
أبو الحسين أبا الاعز ديس بن عفيف الاسدي للقائه فالتقيا ^(٤) بظاهر
قرقوب ووقعت بينهما وقعة أجلت عن هزيمة ابن دبش فأسر وحمل الى

(١) هو أبو الفوارس ماناذر بن جستان بن المرزبان السار بن احمد بن مسافر كذا
في مرآة الزمان في ترجمة سنة ٣٧١ (٢) وفي الاصل بالنقباء

الاهواز وشهره بها . فاستولى الامير أبو الحسين على ما كان معداً بالاهواز
وبقلعة رامهرمز من الاموال وفرقها في الرجال وصرف همته الى جمع
المساكر وأرغبهم فمالوا اليه واثالوا عليه فاشتد أمره وسار [الى] البصرة
فملكها ورتب أخاه أبا طاهر فيروز شاه بها ولقبه ضياء الدولة . وجري
أمره على السداد ثلاث سنين الى ان انصرف الى اصبهان وقبض عليه
شرف الدولة وحمله الى قلعة في بمض نواحى شيراز
وفي هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل من كرمان الى
شيراز واستولى على الامر

﴿ شرح الحال في ذلك ^(١٢١) ﴾

لما توفي عضد الدولة كتب بعض الخواص بالخبر الى كرمان فسار شرف
الدولة عند وقوفه على ذلك الى فارس كاتماً أمره

﴿ ذكر رأى سديد في كتمان أمر حتى تم ﴾

فلما وصل الى اصطخر قدم ابراهيم ديلمسفار أمامه وأمره بالاسراع
الى شيراز واخفاء خبره والقبض على أبي منصور نصر بن هرون فعمل
ابراهيم ذلك ودخل دار أبي منصور على غفلة من أهلها ووجدته في مجلس
نظره فقبض عليه ووكل به وقال للديلم : هذا أبو الفوارس فاخرجوا
لخدمته . فثاقاه العسكر ودخل البلد واستقر . ثم اظهر وفاة عضد الدولة وجلس
للمزاء وأخذ البيعة على أوليائه وأطلق لهم ما جرت به العادة من العطاء
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد ^(١)

[و] أزال التوكيل عن كورتكين بن جستان وقلده اصفهسارية عسكره وأفرج عن الاشراف أبي الحسن محمد بن عمر ^(١) وأبي أحمد الموسوي ^(٢) ^(٣) وأخيه أبي عبد الله وعن القاضي أبي محمد [ابن] معروف ^(٤) وعن أبي نصر خواشاذه بعد ان طال بهم الاعتقال وضعفت في خلاصهم الآمال وكما تطرق النوائب من حيث لا يحتسب فقد يأتى الفرج من حيث لا يرتقب . فأما أبو منصور ابن هرون فإنه وكل امر . طالبته الي المعروف بالشابشتي الحاجب فعمسه حتي انه انتهى به الى أن ملا طستاً بالجر ووضعته على صدره فمات

﴿ ذكر اتفاق عجيب ﴾

كان أبو منصور ابن هرون ينفذ هذا الشابشتي في أيام نظره وبعده من بين يديه ويقول : اني أكره هذا الرجل كرها لا أعرف سببه . حتي كان هلا كه على يده وبأن ان تلك الكراهية لعله خافية

(١) وفيه قال الحافظ الذهبي في ترجمته سنة ٣٦٠ : محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن احمد بن يحيى بن الحسين بن الشهيد زيد بن علي الزيدى العلوى أبو الحسن الكوفي نزيل بغداد كان رئيس الطالبين مع كثرة المال والضياح واليسار . . . وكان وافر الجاه والخدمة ناب عن بني بويه ولما دخلت ضد الدولة بغداد قال له : امنع الناس من الدعاء والضجة وقت دخولى . ففعل فتمعجب من طاعة العامة له . ثم فيما بمسقبض عليه وأخذ أمواله بقى في السجن مدة حتي أطلقه شرف الدولة فأقام معه وأشار عليه بطلب المال فم لذلك ودخل معه بغداد وعظم شأنه . ففيل انه أخذت منه لما صودر ألف الف دينار عينا (٢) . وفي تاريخ الاسلام أنه الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم ابن موسى السكاظم الشريف الطاهر ذي المناقب ويلقب أيضاً بالواحد . والد الرضى والمرضى ولد سنة ٣٠٤ وقد ولاء بهاء الدولة قضاء الفضاة فلم يتمكنه القادر بالله وولى النقابة خمس مرات وتوفى سنة ٤٠٠ (٣) هو عبيد الله بن احمد المعتزلى قاضي الفضاة ولى بعد عمر بن اكم وتوفى سنة ٣٨٨

﴿ ذكر اغترار بسلامة عاجلة آلت بصاحبها الى هلاك ﴾
 كان سبب سوء رأى شرف الدولة في نصر بن هرون اغترار نصر
 بيوم. وترك النظر لغيره وانه كان يضايقه في أيام عضد الدولة ^(١٣) في آرايه
 ويستعصى عليه في أمبابه ثم لداوة كانت بينه وبين أصحابه فهم لا يزالون
 يهزغون صدره عليه فيقبحون أثره لديه . ومن سوء التدبير التقصير بأهل
 بيت الملك فكم قد خرج ذلك من وبال ! ولم يكن سبب هلاك محمد بن عبد
 الملك الزيات الوزير على يد المتوكل على الله الا ما سبق من تقصيره في أيام
 أخيه الواثق بالله والنهر مشهور ^(١٤).

وفي هذه السنة غتال أبو الفرج ابن عمران أبا محمد أخاه ^(١٥) وانتصب في
 موضعه وكتب الى الحضرة يظهر الطاعة ويسئل التقليد والولاية
 ﴿ ذكر حسد حمل صاحبه على قطيعة رحم ﴾

كان أبو الفرج جاهلا متهورا بحسد أبا محمد على موضعه فأعمل الحيلة
 في الفتك به . واتفق ان أختهما اعتلت فقال أبو الفرج لأبي محمد : ان أختنا
 مشفية فلو عدتها . ففعل وركب اليها ورتب أبو الفرج في دارها قوما
 ووافقهم على مساعدته فلما دخل أبو محمد وقف أصحابه لانها دار حرم .
 وحمل أبو الفرج سيفه على عادته ومشى من ورائه فلما تمكن منه ^(١٦) جرد
 السيف وضربه وخرج القوم الذين رتبهم فساعدوه على الاجهاز عليه ووقعت
 الصيحة فصعد أبو الفرج اليهم مطالعا عليهم من سطح الدار وقال : قد فات

(١) لبراجم تاريخ الطبرى ٣ : ١٣٧٠ (٢) هو الحسن بن عمران بن شاهين
 صاحب البطيحة قد تقدم ذكره وفي الاصل بن عمر بن أبان والصواب فى الكلام
 لابن الاثير ٩ : ١٧

الامر ولسكم عندى الاحسان . فكتبوا ثم وضع فيهم العطايا فاطاعوه
وأمره .

وفي هذه السنة قتل أبو على الحسن بن بشر الراعى بنصيبين وكان
واليها وعامها

﴿ ذكر سيرة عادت بخسران دنيا وآخرة ﴾

كان هذا ابن الراعى ظالمًا شريرًا وخبره في سمل عينه قعد تقدم في
كتاب تجارب الامم^(١) ثم ولى نصيبين فأساء الى أهل البلد واستحل عمارهم
فلما شاعت الاراجيف بعلة عضد الدولة وبعد ذلك بموته ثار العامة وقصدوا
داره للفتك به فخرج في لباس امرأة وغمز عليه فأخذ وقتل ومثل به ثم
أحرق . واستولى أحد الاكراد على البلد وورد الخبر بذلك فاخرج أبو
سعد بهرام بن أردشير لتلافي الامر فلما وصل الى الموصل تقاعد به أبو
المطرف عاملها وازاح المستولي عليها منها ولحق بباد . وكان أمر باد قد
قوي بما فارقين فعجل بهرام الى قصده واستهان بامرده وواقعه فأجأت الواقعة
عن هزيمة بهرام^(٢) وأسر جماعة من الديلم الذين معه . وشمت أبوالمطرف
به وكتب الي أبي القاسم سعد الحاجب يطعن على بهرام ويقول : انه قد جني
على الدولة وأطعم باديًا وانني قد عملت على مكاتبة باد وابعاد له موقع الخطأ
في المكاشفة . فأجابه سعد بجواب يقول فيه : أنا وارد « والييف أصدق
أبناء من الكتب » . فلما وصل الى أبي المطرف الجواب قال

سيوف اعمرى يالوي بن غالب حداد وليكن ابن بالسيف ضارب
فبلغ ذلك سعدًا فأحفظه وأسر في نفسه عليه

﴿ ذكر خبر باد ومبدأ أمره ﴾

باد لقب وهو أبو عبد الله الحسين بن دوشنك من الاكراد الحميدية وكان يتصملك كثيراً ويعضى الى الثغور ويفزوها دائماً وكان فظيع المنظر عظيم الهيكل . فلما حصل عضد الدولة بالموصل حضر على الباب بواسطة زيار بن شهر اكيه ^(١) ثم هرب

﴿ ذكر فزاسة دلت على دهاء ^(١٢٦) ﴾

يقال انه لما خرج من بين يدي عضد الدولة مضى على وجهه هارباً فساله أصحابه عن سبب هربه فقال : شاهدت رجلاً ظننت ان لا يبقى على بعد حصولي في يده . وطلبه عضد الدولة في أثر خروجه آمراً بالقبض عليه وقال : هذا رجل ذو باس وبطش وشر وغدر ولا يجوز الابقاء عليه . فأخبر بهربه وحصل بثغور ديار بكر وأقام بها الى ان استفحل أمره . ثم خرج اليه أبو القاسم سعد الحاجب فكان من أمره معه ما سيأتي ذكره في موضعه

﴿ ودخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ﴾

وفيها ركب صمصام الدولة الى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمه السوداء وسور وطوق وتوج وعقد له نوا آن وحمل على فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه مثله وقرى عهده بتقليده الامور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك وعاد الى داره . وجددت له اليمه وأطلق رسومها وأقيمت الدعوة وغيّرت السكة

(١) هو أبو الحرب ذكره ابراهيم الصابي في رسالة كتبها عن صمصام الدولة في سنة ٣٧٥ الى ابى القاسم سعد الحاجب وهو مقم بنصيبين على محاربة باد الكردي بأمره فيه ان ينفذ الى الحضرة الوثيقة المكتتبه على باد

وفيهما خلع على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة وكان رجلا باذلا لعطاءه مانعا للقائه فلا يراه أكثر من يقصده الا ما ينزوله من درجة داره الى زبزه ومع ذلك فلا يحب طالب احسان منه في أكثر مطالبه لكن يسير البشر أم لك للقلوب من كثير البر . فبسط يده في الاطلاقات والصلوات وتقرير المعاش والتسويات وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الاولياء والكتّاب والحواشي من أموالهم وارزاقهم والتوقيع في آخر الصكك الى المال بمقاصصة أربابها به وجمعه عليهم وأخذ منهم وصرفه في مشاهرات غلمان الخيول ونفقاتهم . وانضاف الى ضيق خلقه ما اتفق في وقت نظره من غلاء سعر فتطيرت العامة ورجعوا زبزه وشغبوا الديلم عليه لاجله وهجموا على نهب داره وانتهت الحال الى ركوب صمصام الدولة الى مجتمعهم حتى تلافاهم وردّهم . وفيها ورد زياد بن شهراكويه وأبو القاسم سعد بن محمد الحاجب عائد من جرجان فندب أبو القاسم الى الموصل لقصد باد وتلافى خطئه وجدد معه عسكريا اجتهد في عدته وعدّته .

(ذكر ما جرى عليه أمر سعد بن محمد مع باد ^(١٢٨))

سار سعد فلما حصل بالموصل قبض على أبي المطرف عاملها وفي نفسه عليه تمثله بالبيت الذي تقدم ذكره واعتقله بالموصل . ويم سعد الى لقاء باد وهو واثق باقتناصه ورب واثق خجل فتواقما على خابور الحسينية فانهزم سعد واستولى باد على جميع الديلم فاسر بعضا وقتل بعضا ثم ضرب رقاب الاسرى صبورا وسار الى الموصل . وقد كان سعد سبقه اليها عند الهزيمة فثار العامة به وخرج ناجيا بنفسه حتى بلغ تكريت وكتب الى الحضرة بخبره فأجيب

بان يقيم في موضعه

﴿ ذكر حصول باد بالموصل وافراجه عن أبي المطرف ﴾

لما حصل باد بالموصل أفرج عن أبي المطرف، واستوزره . وقويت شوكته بما تم له من كسر عساكر السلطان دفعة بعد أخرى واستولى على الاعمال وجبي وجوه الاموال وخرج عن حكم البوادي والمتطرفين وصار في اعداد الخوارج المتجوفين وأرجف بانه محدث نفسه باخذ سرير الملك وقامت له هبة في النفوس وعظم ذلك على صمصام الدولة وابن^(١٢٢) سعدان وزيره وقطمها لهم به عن سائر الامور . ولم يبق في الحضرة من يندب لهذا الامر مع استفحاله الا زيار بن شهرا كويه فووقف على المسير اليه وخلص عليه واستظهر له في العدد والمؤدد وأخرج معه شُكرا في الفلجان الاتراك وسار الى الموصل وانضم اليهما أبو القاسم الحاجب من تسكرت وواقعوا باداً في صفر سنة أربع وأجلت الوقعة عن انهزام باد وأسر كثير من أقاربه وأصحابه وورد الخبر بذلك فسكن ما عليه الناس من الاراجيف به . ثم وصل الاسارى الى بغداد فشهروا

﴿ ذكر ما جرى عليه أمره بعد الهزيمة ﴾

لما انهزم باد وخيم زيار بظاهر الموصل خرج سعد الحاجب الى الجزيرة من الجانب الشرقى في عدد وافر وحصل باد في أطراف بلاده يجمع الرجال الى نفسه ليقصد ديار بكر . فرأى ابن سعدان ان كتب الى سعد الدولة ابن حمدان وبذل له تسليم ديار بكر اليه على ما كانت مع أبيه واستدعى منه تجريد أصحابه اليها قبل استيلاء باد عليها فاتفق ابن حمدان أصحابه الى ميفارقين فاقاموا مديدة ثم انصرفوا ولم يكن^(١٣٠) لهم طاقة بمقاومة باد وملك باد

ميافارقين وسار الى تل فافان مرهبا وراسل في الصلح وتناقل العسكر
الذي مع سعد عن المسير معه الى لقائه فعمل على العدول الى الحيلة ودرس
رجلا لقتل باد غيلة ^(١)

﴿ ذكر حيلة جيدة لو وافقت قضاء ﴾

يقال ان الرجل الذي دسه دخل على باد في خيمته ليلا ووصل الى
موضع منامه وضربه بالسيف ضربة على رجليه ظن انها على رأسه وصاح باد
وهرب الرجل فلم يلحق ومرض باد لتلك الضربة حتى أشفي واجتهد سعد
في انتهاز الفرصة منه عند مرضه فلم يطاوعه من معه . وكان شكر قد توجه
مع الاتراك الى نصيبين على ان يكون مسيرهم ومسير سعد من الجانبين
فاضطرب من كان معه من الاتراك عاياه . وراسل باد زيارا وألقى عليه نفسه
ورد أمره اليه فمال زيار للصلح غير مظهر الميل مراقبة لابي القاسم سعد
وأشار على باد بسلوك سبيل الاستصلاح معه أيضا . فلما أعيت سعدا الحيل
وكثرت عليه الاسباب والعلل وعلم ان كثير الاجتهاد مع معاندة الايام
ضائع وقليله مع مساعدتها نافع صالح بادا على ^(١٣١) ان تكون له ديار بكر
والنصف من طور عبيد من غربها وعاد سعد الى الموصل وزيارها وانحدر
زيار الى الحضرة وأقام سعد بمكانه . وكان أمر هذه الوقعة والصلح في سنة
أربع ولكن سياقة الحديث اقتضت ابراده ههنا في اخبار سنة ثلاث
وفي هذه السنة قتل المظفر بن علي الحاجب أبا الفرج محمد بن عمران
وأجلس أبا المعالي ابن أبي محمد الحسن بن عمران في الامارة ثم استولى المظفر
على الامر بعد .

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك ﴾

قد تقدم ذكر ما كان من أبي الفرج في قتل أخيه أبي محمد فلما جلس في الامارة قدم القوم الذين ساعدوه وجفا مشايخ القواد فاحفظ الاكابر تقدم الاصاغر . وكان المظفر أحد قواد عمران الذين أبلوا معه في حروبه فاتفق هو والمعرف بابن الشعراني اصفهسلار الجند وقالوا لشيوخ القواد: قد فعل هذا الرجل ما فعل من استحلل محرّم أخيه وصبرنا عليه مع وجوب حقّه وحق أبيه ولم يقنعه سوء فعله حتى استأنف حط منازلنا وتقديم أراذلنا ولا نأمن ان يتعدى الامر من ^(١٣٢) بعد الى ازالة نعمتنا واطراح حرمتنا . فانفقت كلمة الجماعة على كراهيته ثم تكفل المظفر لابن الشعراني بامر قتله وتكفل ابن الشعراني بامر جنده وتواعدا على ذلك

﴿ ذكر تهوّر سلم صاحبه بالانفاق ﴾

ثم ان أبا الفرج ركب من دار الامارة الى بناء استحدثه وعرف المظفر خبره فقصده الى الموضع ودخل عليه فلما رآه أبو الفرج قال له : فيم حضرت؟ قال : علمت ركوب الامير فاحيت خدمته . وحضر من أعطاه كتابا فلما أخذه وتشاغل بقراءته جرد المظفر سيفه وثار اليه فضربه . وبادر ^(١) من كان بين يديه من خواصه الى المظفر بسيوفهم وهو كالجلل الهائج يدا فمهم عن نفسه وأكب على أبي الفرج ضربا حتى فرغ منه وقد أصابته جراحة في يده وضربات في ذباب سيفه . ونزل في ورجيته ^(٢) الى المنصورة التي بها دار الامارة وأخرج أبا المعالي ابن أبي محمد ابن عمران وهو صغير السن فاقامه أميرا وأطلق المال وأرضى الجند . ومضى أبو الفرج بعد أخيه سريعا صرع

(١) رفي الاصل : وباد (٢) كانه مشتق من ورج كلمة فارسية معناها المرتبة

أخاه فاصبح بعده صريعا وباع دينه بديناه فخرهما جميعا وكذلك كل قاتل
مقتول وكل خاذل^(١٣٣) مخذول وكن كيف شئت فكما تدن ثدان .

﴿ ونعود الى ذكر ما جرت عليه الحال بعد ذلك ﴾

لما فعل المظفر ما فعله أظهر الصرامة وقيل له في التوثقة من العسكر
بالإيمان فقال : التوثقة سيفي من استقام غمده عنه ومن اعوج سلكه عليه .
وكتب الى الحضرة بما فعله من أخذ نار أبي محمد واعادة الامر الى ولده^(١)
وسأل في تقليده وأنفذ من استخلف صمصام الدولة له ولنفسه فأجيب الى
ذلك جميعه وأخذ المظفر أمره بالرهبة وقتل الشران مع بضعة عشر نفسا
من القواد الذين ساعدوه في يوم واحد . ومضت أيام والمظفر يتولى الامور
وأبو المعالي صبي لا فضل فيه ولا تدبير ثم نازعت المظفر نفسه الى التردى
برداء الامارة والتفرّد بها لفظا ومعنى

﴿ ذكر منصوبة عملها المظفر في اظهار أمارته ﴾

أمر كاتبه أن يكتب كتابا عن السلطان اليه بالتعويل في تدبير الامور^(١٣٤)
عليه ثم أمره بحضور ركابي غريب وتسليم الكتاب اليه وموافقته على
الدخول بالكتاب عند احتفال المجلس بالناس . منبر الثياب والوجه كأنه
بشمت الطريق ففعل ذلك . فلما كان في غد ذلك اليوم واجتمع الناس دخل
الركابي على تلك الصورة وأوصل الكتاب اليه فلما أخذه المظفر قبله ودفعه
الى الكاتب فقرأه وأظهر الاستبشار وقال لابي المعالي في الوقت : قم الى
أملك . وتظاهر بالامارة ثم أحضر الجند وتوثق منهم (وقد كان أباد من
خاف جانبه ولم يبق الا من آمن بوثاقه) وتلقب بالموفق واستمال القلوب

وعدل عن الطريق الاول

﴿ ذكر ما اعتمده من حسن السيرة ﴾

لما استتب له الامر على ما أراد حمل الناس على محبة العدل وخفض لهم جناح اللين وكف يده عن القتل واستعمل الرأفة بعد تلك الفظاظة والرحمة بعد تلك القساوة . ورد على أرباب الضياع ما كان قبضه عمران وولده منهم وأجرى على أبي المال وأمه جارية واسعة وأقرهما في دارهما مدة طويلة ثم أمرهما بالانصراف فانصرفا الى واسط وكانت جريته ^(١٣٥) دارّة عليهما مع بعدهما عنه . ومضت مدة فعهد في الامر الى أبي الحسن على بن نصر الملقب أخيرا بمهذب الدولة ولقبه اذ ذاك بالامير المختار والى أبي الحسن على بن جعفر من بعده وهما ابنا أخته

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة مؤيد الدولة بمرجان وجلس صمصام الدولة للعزاء به وجاءه الطائع لله معزيا

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في وفاة مؤيد الدولة والى ان ﴾

﴿ استقرت الامارة لفخر الدولة من بعده ﴾

لما انصرفت عساكر خراسان الواردة مع فخر الدولة وقايوس الانصراف الذي تقدم ذكره استقر مؤيد الدولة بمرجان وجعلها داره وأقام أبو الحسن على بن كامة عنده . واتصلت الاخبار باشتداد علة عضد الدولة والعهد على صمصام الدولة في الملك من بعده وأخذ البيعة له على جنده وتفرقة الاموال بالحضرة على الرجال فشغب الجيش بمرجان وأفردوا خيمهم الى ظاهر البلد واتمسوا الزيادة والاحسان ^(١٣٦) وتوسط زيار بن شهر كويه والحسن بن ابراهيم الامر معهم حتى سكنوا وعادوا . فاستأذن بعد ذلك زيار

ومن كان معه في السير الى بغداد فرفق مؤيد الدولة بهم ايثارا لمقامهم فلم يفعلوا نزاعا الى اوطانهم مع ما تجدد لهم من أمر صمصام الدولة على ما قد ذكر فقضى عند ذلك حقوقهم وأذن لهم في الانصراف فانصرفوا شاكرين ﴿ ذكر ما دبره مؤيد الدولة في الاستيلاء على الملك ﴾

﴿ وحالت المقادير دونه ﴾

لما علم مؤيد الدولة بوفاة عضد الدولة سمّت نفسه للاستيلاء على الممالك والقيام مقامه فيها وكان قد أتقن أبا على القاسم الي فارس متحملا لرسالة الى الامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة فورد كتاب أبي على هذا عليه بوقوع الخطبة له في بلاد فارس وثبت اسمه على الدينار والدرهم . وقدم أبو نصر خواشاذه ورسول من الامير أبي الفوارس اليه فلبث عنده أياما وعاد بالجواب ثم راسل أخاه نضر الدولة بالوعود الجميلة ^(١٣٧) وبذل له ولاية جرجان وتقويته بما يحتاج اليه من الاموال فلم يسكن نضر الدولة الى قوله وأقام بموضعه . وبينما الحال على ذلك اذ جاءه الامر الذي لا يغلب والنداء الذي لا يحجب نفضع لامر الامر مطيعا ولبّي دعوة الداعي سريعا قضية الله سبحانه في الاولين والآخرين ومشيتته في الداهيين والغابرين قال الله تعالى : لقد أحصاهم وعدّهم عدّا وكلّهم آتية يوم القيامة فردّا

﴿ ذكر كلام سديد للصاحب ابن عباد ﴾

ولما عرضت لمؤيد الدولة علة الخوانيق واشتدت به قال له الصاحب : لو عهد أمير الامراء عهدا الى من يراه يسكن اليه الجند الى ان يتفضل الله تعالى بعافيته وقيامه الى تدبير مملكته لكان ذلك من الاستظهار الذي لا ضرر فيه . فقال له : أنا في شغل عن هذا وما للملك قد درمع انتهاء الانسان

الى مثل ما أنا فيه فافعلوا ما بدا لكم . ثم أشفي فقال له صاحب : تب يا مولانا من كل ما دخلت فيه وتبرأ من هذه الاموال التي لست على ثقة من طيبها وحصولها من حلها واعتقد متى أقامك الله وعافاك صرفها في وجوهها ورد كل ظلالة تعرفها وتقدر على ردها . ففعل^(١٣٨) ذلك وتلطف به وقضى نجبه . ولعل صاحب اقتدى في هذا القول بقصة ابن أبي دؤاد مع الوائق بالله رضى الله عنه ألا ان تلك قول وفعل

﴿ خبر حسن فيه تنبيه على فعل خير ^(١٣٩) ﴾

يقال انه لما اشتدت علة الوائق التي توفي فيها وكان في حبسه جماعة من الكتاب والعمال وهم في ضنك شديد من المطالبة دخل ابن أبي دؤاد عليه وسأله عما يجد فشكا الوائق بالله شدة ما به اليه فقال : يا أمير المؤمنين ان في حبسك جماعة وراءهم عدد كثير من العيال وهم في ضر وبوس ولو أمرت بالافراج عنهم لرجوت لك الفرج من هذه الشدة . فقال له : أصبت . وأمر بذلك فأفرج عنهم فلما أصبح حضر ابن أبي دؤاد عنده على رسمه فقال له الوائق : انى وجدت البارحة بعض الخف . فقال ابن أبي دؤاد : وفق الله لأمير المؤمنين فلقد رفعت البارحة ألوف من الايدي بالدعاء له كانت ترفع من قبل بالدعاء عليه هذا وقد عاد من أفرج عنهم الى دور شعبة وعيال جياع وأحوال مختلفة ولو قد أطلقت ضياعهم^(١٣٩) المقبوضة وأعيدت اليهم أموالهم المأخوذة لكان الدعاء أكثر والاجر أعظم . فأمر الوائق عند ذلك بتسليم ضياعهم اليهم واعادة ما أخذ من أموالهم وخرج الامر بذلك على يد ابن أبي

(١) وردت هذه الحكاية رواية عن علي بن هشام في كتاب الفرج بعد

دؤاد فقام بتمامه في يومه وأحيا الله أقواما على يده . ولم يكن قد بقي للوائق
أجل ففضي لسبيله واستصحب أجر ذلك الفعل معه وفاز ابن أبيي دؤاد
بهذه المنقبة بقية الدهر . ونعود الى سياقة الحديث

﴿ ذكر ما دبره ابن عباد بعد وفاة مؤيد الدولة ﴾

كتب في الوقت الى فخر الدولة بالاسراع وأرسل أخاه وبعض ثقائه
ليستوثق منه باليمين على الحفظ والوفاء بالهد . وتجرد صاحب لضبط
الامر ووضع العطاء في الجند ونصب أبا العباس خسر فيروز بن ركن الدولة
في الامارة تسكينا للفتنة وازالة للخلف في عاجل الحال وكتب الناس
مثني ^(١) وفرادى الى فخر الدولة بالطاعة وهو يومئذ بنواحي نيسابور على
حالة مختلفة ^(٢) واضافة شديدة

وقد أنفذ نصر بن الحسن بن فيروزان ^(٣) الى صاحب بخارا مع من
نقذ من جهة قابوس من ^(٤) وجوه قواده حين استدعاهما صاحب بخارا
للخلف الواقع بينه وبين ابن عمه عبد الملك بمقب انهزام عساكره بباب
جرجان فاعتذر اليه في تأخرهما عنه بنفوسهما وأنفذ اليه أصحابهما المذكورين
فلما ورد الى فخر الدولة كتاب ابن عباد وتلاه كتب وجوه العساكر أولا
فأولا سار على الفور وعرف قابوس الخبر فارسل اليه : أن بيننا ما أريد
مفاوضتك فيه . فأجابه : بأنني قد توجهت ولا قدرة لى على العود بعد
التوجه ومهما أردت فاكتب به . وبادر يطوى المنازل نحو جرجان

(١) وفي الاصل : مثني الامارة (٢) لاه : مختلة (٣) هو خال فخر الدولة

وله قصة مع صاحب ابن عباد : ارشاد الأريب ٢ : ٣٠٦

﴿ ذكر وصول فخر الدولة الى جرجان ﴾

﴿ واستقراره في دار الامارة ﴾

لما ورد الخبر بقرب وصول فخر الدولة الى جرجان قال صاحب ابن عباد للجند : انما أخذت البيعة عليكم لابي العباس خسر فيروز على انه خليفة أخيه فخر الدولة فبادروا الي تلبية وخدمته . فندبوا عند ذلك أبا الحسين محمد بن علي بن القاسم العارض للاستيثاق بجماعتهم فصار اليه ولقيسه بالتعزية باخيه والتهنئة بالملك والتوثيق ^(١١) للاولياء فأكرمه فخر الدولة وتقبل منه ما أورده . وبادر الناس بعد أبي الحسين الى خدمته فوجاً فوجاً وهو يقرّبهم ويدنيههم ثم تلقاه صاحب أبو القاسم ابن عباد مع الامير أبي العباس خسر فيروز وأكابر القواد فرحب به فخر الدولة وبالغ في اكرامه وتناهي في اعظامه ونزل بظاهر المدينة في الموضع الذي كان مؤيد الدولة مسكراً فيه عند قتال عسكر خراسان ثم دخل البلد من غده وأخذت البيعة له بالطاعة والمخالصة واستقرت الامارة عليه .

وكذلك الدهر يتقلب من حال الى حال وينتقل باهله بين أسفل وعال والبؤس والنعيم فيه الي زوال

﴿ ذكر كلام اختبر به ما في نفس فخر الدولة ﴾

لما انتظم الامر لفخر الدولة قال له صاحب : قد بلغك الله يا مولاي وبلغني فيك ما أملتة لنفسك وأملتة لك ومن حقوق خدمتي عليك اجابني الى ما أورته من ملازمة دارى واعتزال الجندية والتوفر على أمر المعاد . وقال له : لا تقل أيها صاحب هذا فاني ما أريد الملك ^(١٢) الا لك ولا يجوز أن يستقيم أمرى الا بك واذا كرهت ملابسة الامور كرهت ذاك بكرهيتك

وانصرفت . فقبل الارض شكرا وقال : الامر أمرك . وتلا ذلك انه خلع عليه خلع الوزارة وأكرمه منها بما لم يكرم وزير بمثله
ثم عمل نغر الدولة والصاحب جميعاً على أخذ علي بن كامة والاستيلاء على ماله وأعماله وعلما أنهما لا يقدرا أن عليه لجلالة قدره فعذلا إلى أعمال الحيلة في أمره ﴿ ذكر حيلة تمت في قتل علي بن كامة ﴾

اجتمع رأيهما على موافقة شرابي كان له على سمه فتوصلا اليه وقررا أمور ذلك واتفق ان علي بن كامة عمل دعوة واحتفل فيها واحتشد وسأل نغر الدولة والصاحب الحضور عنده فواعده بذلك وراسلا الشرابي بفعل ما تقرر . معه في هذا اليوم وأعطياه سماً وجباً . ودخل علي بن كامة خزانة الشراب يتخير الاشربة ويدوقها فطرح الشرابي السم في بعض ما ذاقه فأحس في الحال باضطراب جسمه فدخل بيتاً وطرح نفسه فيه وألقى عليه كساء وعلم نغر الدولة^(١٤٣) خبره فتأخر عن الحضور . وأطعم الناس وسقوا وتركه أصحابه في موضعه وعندهم انه نائم ولم يقدموا على انباهه فلما كان من غد رأوه على خملته فدخلوا اليه فوجدوه ميتاً . فأتقذ نغر الدولة إلى داره من توكل بها وإلى خزانته من استظهر عليها وإلى قلاعه من أخذها وإلى أعماله من تولاهها وكان لملي بن كامة أولاد فلم يتم لهم الامر مع نغر الدولة .

وليس المعجب من نغر الدولة في سم الرجل كالعجب من الصاحب الذي سال بالامس في الخبر الذي تقدم هذا الخبر في الاذن له في ملازمة داره والتوفر على أمر الاماد

ووصل أبو نصر شهر بسلار بن مؤيد الدولة إلى حضرة نغر الدولة في هذا الوقت فاكرمه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو نصر باصيهان مقيماً نائباً عن أبيه مؤيد الدولة في ولده وحرمه فلما عرف خبر وفاته بادر بمن خفّ معه يريد جرجان فبلغه في بعض الطريق خبر استقرار نحر الدولة في الامارة فأقام بموضعه وكتبه يستأذنه في الاتمام الى حضرته فاجابه بالجميل وصلة^(١١١) الرحم وأمره بالاتمام والمسير فصار ووصل الى جرجان فأكرم غاية الاكرام.

وقدم أبو علي القاسم بن علي بن القاسم عائداً من فارس مع المال المحمول وقد كان مؤيد الدولة أنفذه اليها حسب ما تقدم ذكره . وأثنى نحر الدولة أبا القاسم القاضي العلوي رسولا الى الامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة وأقام بمجران يجمع الاموال ويملاؤها القلاع الى أن ورد اليه تاشي هاربا من خراسان فانزله بمجران وقرّ عليه ارتقاءها وانصرف هو الى الري وأقام تاشي بها الى ان توفي وقيل مات مسموماً

وفي هذه السنة شغب الاتراك ببغداد وبرزوا متوجهين الى شيراز بعد ان كانت طائفة منهم قد سارت قبلهم ولحقت بفارس . فركب زيار بن شهرأكويه في أثر هؤلاء وردّ أكثرهم وأخذ أبا منصور ابن أبي الحسن الناظر وكان قد خرج هاربا وولده مع شرف الدولة لم يقبض عليه فرد بعد ان جرح لانه مانع عن نفسه واعتقل . وكان خال ولد أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف فلما عرف عبد العزيز هربه من الليل خاف أن يسمي أبو عبد الله ابن سعدات به الى صمصام الدولة ويوغر صدره عليه وينسب هربه اليه فرأى أن يسبق باظهار ابراء الساحة قبل أن^(١١٢) ينهز عدوه الفرصة

﴿ ذكر رأي سديد وقع لعبد العزيز بن يوسف ﴾

﴿ أسن به ما خاف وقوعه ﴾

وذلك أنه غلس في صبيحة تلك الليلة الى الدار وجلس في الدهليز وراعي قيام صمصام الدولة من منامه وانتظر حضور على ابن أبي علي الخاجب وكان له صديقاً فلما حضر الخاجب خرج اليه عبد العزيز بما في نفسه وسأله الاستئذان له على خلوة قبيل كل أحد فدخل الخاجب وأعلم صمصام الدولة بحضوره فأذن له فلما حضر قبل الارض وبكا بكاء شديداً وقال : قد خدمت عضد الدولة وخدمتك ولم تعهد مني الا الصدق والمناصحة . وحلف بإطلاق صاحبه أخت أبي منصور وبالايمان المغلظة ان كان عرف خبر أبي منصور فيما عمل عليه من الحرب أو شاوره فيه . فسكن منه صمصام الدولة وخاطبه بما طابت نفسه به وانصرف من بين يديه وقد زال اشفاقه وخوفه . وحضر من الغد ابن سعدان وأشار الى أبي القاسم عبد العزيز في هرب ^(١١٦) أبي منصور في أثناء كلامه اشارة لم يتقبلها منه صمصام الدولة وقال : أبو القاسم بريء من هذا الامر ولا علاقة له فيه . فامسك حينئذ ابن سعدان وزادت العداوة بينهما وجسد أبو القاسم في افساد حال ابن سعدان حتى تم له القبض عليه والانتصاب في مكانه حتي يأتي شرح ذلك من بعد باذن الله تعالى

﴿ ودخلت سنة اربع وسبعين وثمانمائة ﴾

وفيه اشرف فخر الدولة من حضرة الطائع لله بالخلع السلطانية والعهد واللواء وزيادة اللقب وسلم جميع ذلك الى أبي الملاء الحسن بن محمد بن سهلويه رسول فخر الدولة

﴿ شرح ما جرى عليه الامر في ذلك ﴾

لما توفي مؤيد الدولة وانتصب نضر الدولة في موضعه شرع أبو عبد الله ابن ساعدان في اصلاح ما بين صمصام الدولة وبينه وكاتب الصاحب أبا القاسم ابن عباد في ذلك وتردد بينهما ما انتهى الى ورود أبي العلاء ابن سهلويه للسفارة في التقرر وتنجز الخلع السلطانية لفخر الدولة ^(١١٧) فأكرمه أبو عبد الله ابن ساعدان اكراما بالغ فيه وأقام له من الانزال وحمل اليه من الاموال ما جاوز به حد مثله . وانصرفت مدة مقامه من المكاتبات ما دل على اظهار المشاركة بين الجنسين في كل تدبير وتقرير وتجديد السنة التي كانت بين الاخوة عماد الدولة وركنها ومميزها من الاتفاق والالفة . وسدني الصاحب في ذلك قوله وألم وأسرج فيه عزمه وألجم حتى انه كان لا يجري أمر ولا بال بمحضرة فخر الدولة الا كتب به مساهما ولا يعرف حالا يتفق بمصاحبة صمصام الدولة الا اشار بها مناصحا

﴿ فن جملة ما كتب الصاحب بشرحه الى المحضرة ﴾

ذكر وصول أبي سعيد أحمد بن شبيب صاحب جيش خوارزم رسولا من أمير خراسان متحملا من الرسالة ألطف الاقوال وورود كتب أبي [العباس] تاش ^(١) مشتملة من اقرب والاخلاص على أجل الاقوال وان الخطاب دار مع الرسول الوارد في الصالح على قواعد أولها طاعة الخلافة (فهى التي لا دين الا بها ولا دنيا الا معها) ثم ان لا يفرج لهم عن شيء من هذه ^(١١٨) البلاد ولا يكون منهم في باب قابوس قول أو فعل في مونة واسماد وان يُرد الى بخارا ويستخدم في أمد الاطراف وان يقتصر على المال المبذول الذي يجري

مجرى المعونة من أمير المؤمنين لهم على ما سدد^(١) إليهم من الثغور. وأنه قد أخرج مع الرسول العائد أبو سمد صالح بن عبد الله فإذا استتب التقرير واستحصف المقد أنفذت نسخته على شروحه إلى بغداد حسب ما يقتضيه التمازج بين الحضرتين .

﴿ وما انضقت به السكب من المشورة والرأي ﴾

الحث على استماله الأمير أبي الحسين واستخلاص طاعته وإن فخر الدولة قد راسله وخطبه في ذلك بما يجري مجرى التقدمة والنوطية ومتى أريد التكفل بالتأم فو على غاية الطاعة . وقد أثبت على الدينار والدرهم اسم فخر الدولة وكتب من البصرة باقامة الدعوة كما أقامها بالاهواز وليس يتجاوز ما يهيج له ولا يتعدى ما يحكم به والصواب طلب التوازن والتعاطف وترك التباين والتخالف . ولا يقال هذا الأمن طريق ابتغاء المصالح لمصالح الدولة وجمع الاهواء^(٢) المتفرقة اليه ورد القلوب النافرة عليه .

ثم لما طال مقام ابني سهلويه وتمادت به الايام ساء ظن فخر الدولة والمصاحب ووردت كتب على ابن سعدان بالمعاقبة . وكان السبب في تأخر ذلك خطب باد واتساع الخرق فيه وشغل ابن سعدان به عن كل أمر ينجزه وأرب يقتضيه فلما ورد الخبر بهزيمة باد واستقر الامر في ذلك وأسفر الخطب عن المراد كما قد تقدم ذكره خلا درع ابن سعدان وخو طب الطائم لله على ما يجده فخر الدولة من الخلع السلطانية فاجاب . وجلس على العادة في أمثالها وحضر أبو العلاء الرسول وأحضرت الخلع السبع والعمة السوداء والسيف والطوق والسواد والواواء والدايتان بمركبي الذهب وقرني العهد

بتولية الاعمال التي في يده وأضيف الى لقبه الاول فلك الامة وسُلم جميعه الى أبي السلاء . وضُم اليه أبو عبد الله محمد بن موسى الخازن وخرجا الى جرجان وساما ذلك وعادا وأقام أبو السلاء برسم النيابة عن فخر الدولة بالحضرة الى آخر أيام صمصام الدولة .

وفي هذه السنة ورد كتاب أبي بكر محمد بن شاهويه . بشرأ باقامة الدعوة اصمصام الدولة بعمان^(١٠٠)

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر بعمان الى ان عادت ﴾

﴿ الى شرف الدولة ﴾

كان المتولى بها في الوقت أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن^(١١) من قبل شرف الدولة فما زال ابن شاهويه يقتل له في الذروة والغارب حتى أماله الى الحلة وازاله عما كان عليه من الانحياز الى شرف الدولة وكان صغوه مع من يبتدأ اسكون أبي على الحسن ولده بها فجمع الاولياء والرعية بعمان على طاعة صمصام الدولة وخطب له على منابر تلك الاعمال . ووصل الخبر الى بغداد فظهرت المسرة وجلس صمصام الدولة للتمثلة وكتب كتب البشائر الى أصحاب الاطراف على العادة وأنفذ الى أستاذ هرمز العهد بالتقليد مع الخلع والتملان . وأحضر ابنه أبو على الحسن وخلع عليه ونقله من رتبة النقابة الى رتبة الحجة . ولما عرف شرف الدولة عصيان أستاذ هرمز أخرج اليه أبا نصر خواشاده في عسكر استظهر فيه ووقعت بينهما وقعة أجلت عن ظفر أبي نصر وحصول أستاذ هرمز أسيرا تحت اعتقاله واستيلائه على رجاله وأمواله . وعند بلوغ أبي نصر ما أراد من ذلك^(١٢) رتب بعمان

(١) وفي الاصل « الحسين » وهو غلط

من يراعيها ويشحنها بمن يحميها وعاد الى فارس ومعه أستاذ هرمن فشهريها
ثم قرّر عليه مالا ثقيلا وحمل الى بعض القلاع مطالبا بتصحيحه
وفي هذه السنة أفرج شرف الدولة أبو الفوارس عن أبي منصور محمد
ابن الحسن بن صالحان وعن أبي القاسم العلاء بن الحسن وعن أبي الحسن
الناظر أخيه واستوزر أبا منصور من بينهم ورد الامور الى نظره
﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في اعتقالهم والافراج عنهم ﴾

﴿ والتعويل على أبي منصور في الوزارة ﴾

ولما وصل شرف الدولة أبو الفوارس الى شيراز قبض على نصر بن هرون
كما تقدم ذكره واستوزر أبا القاسم العلاء بن الحسن فقصر أبو القاسم في
أمور الخواشي والخواص وهم أفسدوا رأى شرف الدولة فيه وأغروه به
وبأخيه أبي الحسن الناظر على سخيمة كانت في نفس فخر^(١) الدولة على أبي
الحسن فقبض بعد مدة يسيرة عليهما وعلى أبي منصور محمد بن الحسن
ابن صالحان معهما وأمر بحملهم الى بعض القلاع . ورد النظر الى أبي محمد^(٢)
على بن المباس بن فسانجس والى^(٣) أبي الحسن محمد بن عمر الملوي فإنه
أشار به للمودة البغدادية التي جمعتها وبقى أشهراً ثم قبض عليه . وأفرج
في هذا الوقت عن هؤلاء المعتقلين وعول على أبي منصور في الوزارة من
ينهم فاتفق له بالعرض ما صار سببا لثباته فيها

﴿ ذكر اتفاق حميد صار سببا لثبات قدم ﴾

حكى أبو محمد^(٣) ابن عمر ان شرف الدولة أنفذ رسولا الى القرامطة فلما

(١) لعله يريد شرف الدولة (٢) وفي الاصل : ابن (٣) لعله :

عاد الرسول من وجهه سأله عن مجارى الاحوال فقال له في جملة الاتوال :
ان القرامطة سألتوني عن الملك فوصفت لهم حسن سياسته وجميل سيرته
فقالوا : من حسن سيرة الملك انه استوزر في سنة واحدة ثلاثة لغير ما سبب.
فصل هذا القول في نفس شرف الدولة ولم يغير على أبي منصور أمرا وبقي
في خدمته الى ان توفي

وأما أبو الحسن الناظر فانه أنفذ الى جرجان برسالة وتوفي بها .

وأما أبو القاسم المسلاء فانه أقام في داره الى ان خرج شرف الدولة
الى الاهواز فخرج معه على ما ^(١٥٣) سيأتي ذكره في موضعه

وفي هذه السنة قبض على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان
ومن يليه وعلى أبي سمد بهرام وأبي بكر بن شاهويه وسائر أصحابهم ونظر
أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف في الامور ودبرها مديدة
﴿ ودخلت سنة خمس وسبعين وثمانمائة ﴾

فيها شورك بين أبي القاسم وبين أبي الحسن أحمد بن محمد بن برمويه في
الوزارة وتنفيذ الامور وخلم عليهما جميعا

﴿ شرح الحال فيما جرى عليه أمر هذه الوزارة المشتركة ﴾

كانت الحال فيما بين أبي القاسم وبين أبي الحسن بن برمويه نابتة على
الاخاء جائزة على الصفاء وكانا يتجاوران في منازلهما ويتزاوران في مجالسهما
فهما أبدا عاكفان اما على معاشرة واما على مشاورة فلما توفي أبو الحسن
على بن أحمد العماني كاتب والده صمصام الدولة سمي أبو عبد الله ابن
سعدان لابي نصر والده في كتابتها فعمل أبو القاسم عبد العزيز في ^(١٥٤)
عكس ذلك للمداوة التي بينهما

﴿ ذكر كلام سديد لعبد العزيز بن يوسف في تحذير ﴾
(صمصام الدولة من الحجر عليه)

قال له : ان أبا عبد الله قد استولى على أمورك وملك عليك خزائلك وأموالك
واذا تم له حصول والده مع السيدة حصاننا تحت الحجر معه وهذا أبو
الحسن ابن برمويه رجل قد خدم عضد الدولة وهو أسلم خيبة وأطهر أمانة
وألبق خدمة الحرم لانه كان خصيا خصاه [ابن] الياس^(١) واشتراه عضد
الدولة من البلوص عند حصوله في أسرهم . فوقر هذا القول في سمع صمصام
الدولة وقبله وقلد أبا الحسن كتابته والدينه . فلما نظر أبو القاسم بمد أبي عبيد
الله ابن سعدان استخلف أبا سعد الفيروز اباذى وأبا عبد الله ابن الحسين بن
الهيثم فاستوحش أبو الحسن ابن برمويه بعدوله عنه بعد ان قدر ان الامور
تكون مفوضة اليه للحال التي بينهما فواصله أياما على رسمه ثم انقطع عنه
وصار يجتاز بيابه ولا يدخل اليه . وشرع مع والده صمصام الدولة في طلب
الامر لنفسه فتغير أبو القاسم^(١٥٥) عليه واعتقد كل واحد منهما عداوة صاحبه
﴿ ذكر رأى ضيف أشارت به والده ﴾

(صمصام الدولة عليه فعمل به)

خاطبته على أن يجمع بين أبي القاسم وبين أبي الحسن في الوزارة فاجابها اليه
وخطوب أبو القاسم في ذلك فامتنع وجسدت السيدة في الامر وتردد
من الخطاب ما انتهى آخره الى الزامه الرضاه فخلع عليهما وسوى في الرتبة
والخطاب بينهما وجلسا جميعا في دست واحد في دست الوزارة المنصوب ،

(١) هو اليسع بن محمد بن الياس وكان أنهرم الى خراسان بعد استيلاء عضد الدولة

على قلعة بردسير في سنة ٣٥٧ كما تقدم ذكره

وتقرر أن يكون اسم أبي القاسم متقدما في عنوانات الكتب عنهما . فلم يتم ذلك واستعلى . أبو الحسن بقوة سره واستظهاره بعناية السيدة به وخوف الناس منه وصار الامر سخيها بهذا الرأي الضيف . والدولة اذا كفها النساء فسدت أحوالها ووهنت أسبيلها وبدأ اختلالها وولّى أقبالها والامر اذا ملكته انتقضت قواه وانهدم بناءه ولم تحمد عقباه . والرأي اذا شارك في قله سداؤه وضل رشاده وعند ذلك يكون الفساد الى الامور أسرع من السيل الى الخدور . لا جرم أن أبا القاسم احفظه ذلك وما عاملته السيدة^(١٥٦) من نصرة أبي الحسن عليه و [لما] رأى ان أبا الحسن أشد بطشا في عداوته من ابن شهر ا كويه^(١٥٧) شرع في اخراج الملك من يدي صمصام الدولة واستغوى أسفار بن كردويه ووافقته على ذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في عصيان أسفار ﴾

كان قد تردد بين صمصام الدولة وبين زيار بن شهر ا كويه أسرار اطلع عليها أبو القاسم بحكم امتزاجه بالخدمة وخرج بها الى أسفار وخاض فيها الفترات وأشعر قلبه وحشة أخرجه من أنس الطاعة . وتقرر بينهما في ذلك ما أحكما عقده ودخل معهما في هذا الرأي المظفر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وأبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازي كاتب الطائع يومئذ وقد كان صمصام الدولة اعتل علة أشفى فيها فواقف أسفار أكابر المسكر وأصاغرم على خلع صمصام الدولة واقامة الامير أبي نصر (وسنه في الوقت خمس عشرة سنة) خليفة لاختيه شرف الدولة ووعدهم بمواعيد الاحسان واستظهر عليهم بمواثيق الايمان وابتدأ الفتنة بالتأخر عن الدار واستعمال

النجي^(١٥٧) وتردّدت اليه من صمصام الدولة مراسلات التأسيس والتسكين فما زادت الا اغراء وتغميّراً . فصار اليه أبو القاسم عبد العزيز وأبو الحسن ابن برمويه وأبو الحسن ابن عمارة المعارض برسالة من صمصام الدولة هي أطف مما تقدم فلما حصلوا عنده امتنع من لقاءهم وقبض عليهم وجمع العسكر وأحضر الامير أبانصر ونادي بشعار شرف الدولة وأخرج عن أبي القاسم لان القبض عليه كان موافقة منسه واجتمعوا على تدبير الامور وترتيبها وتولى المظفر بن الحسن بن حمدويه وأبو منصور الشيرازي أخذ البيعة على الجند . وبلغ صمصام الدولة الخبر وقد أبل من مرضه فتخير في أمره وجمع غلمان داره وراسل الطائع لله في الركوب فاستمعى وامتنع منه

﴿ ذكر رأى سديد واتفاق حميد اتفقا لصمصام الدولة ﴾

﴿ أسفر بهما الامر عن الظفر ﴾

لما رأى الخطب معطلا استنصر فولاذ بن ماناذر^(١) مستصرخا وبذل له المواعيد السكيرة على ذلك وكان فولاذ مع القوم فيما عقدوه لكنه أنف من بعد رتبة الانحطاط لاسفار عن رتبة المتابعة . وكان من^(١٥٨) حميد الاتفاق اطلال المساء وحجاز الليل ولوسار أسفار في الوقت الذي اظهر فيه ما اظهره الى صمصام الدولة لآخذه ولم يكن له دافع عنه لكنه ظن ان لن يفوته الامر وكان قدرا مقدورا . فاصبحوا وقد خالفهم فولاذ وانحاز الى صمصام الدولة فحضر لديه واكّد العهد والعقد عليه وتنجز منه توقيعا بجميع ما التمس منه جهته وتكفل له بالذب عن دولته والقيام بخدمته . وانضاف الى صمصام الدولة

(١) وفي الاصل : ماناذر . هو ملك الديلم وابنه فولاذ مذكور مع الصاحب ابن

فولاذ ورجاله والجيل وهم اقاربه واخواله وغلماظ داره وعدتهم كثيرة وشوكتهم قوية ففتح خزائني السلاح والمال وعجل لهم واعطاهم ووعدهم من بعد ومنأهم وسار بهم فولاذ معه مدا للقاء القوم .

﴿ ذكر تدبير جيد دبره فولاذ في أمر الحرب ﴾

نزل الى زبرب صمصام الدولة وجلس على كرسيه في دسسته وعلى رأسه علامته ومن ورائه وامامه الزبازب والطيارات حتى ظن الناس ان صمصام الدولة قد خرج بنفسه . وسير المسكر بازائه على الظهر فلما انتهى الى الجزيرة بسوق يحيى وجد الجيل وعدتهم قليلة يقاتلون ديلم أسفار وقد ^(١٥٩) ثابتوهم وصابروهم . فصعد من الزبرب وعي المصاف وسار قليلا قليلا حتى صدم عسكر أولئك (وعندهم ان تحت العلامة صمصام الدولة) فانكسروا . وراهم أسفار من روشنه مؤنين فابقن بالهزيمة فركب وولى هاربا وتبعه طائفة من اقاربه وشيعته وأبو القاسم عبد العزيز وأقلت أبو الحسن ابن عمارة المارضى جريحا وأخذ الامير أبو نصر وحمل الى صمصام الدولة . فرق له لما شاهده وعلم انه كان لا ذنب له فلم يؤخذه وتقدم باعتقاله وترفيهه فكان في الخزانة محروسا مراعى . ونهبت دور الديلم والاتراك العاصيين ودور أتباعهم وأشياءهم

وقتل في الليلة التي وقعت في صبيحتها الهزيمة أبو عبد الله ابن سعدان

﴿ ذكر مكيدة لعبد العزيز في أمر ابن سعدان ﴾

﴿ صارت سببا لقتله ﴾

لما قبض أسفار على أبي القاسم وأبي الحسن ابن برمويه وأبي الحسن ابن عمارة

انهر أبو القاسم الفرصة وأرسل في الحال الى صمصام الدولة يفره بابن سعدان ويوهمه ان الذي جرى كان من فعله وتديره وانه لا يؤمن ما يتجدد منه في محبسه فسبق في هذا القول الى ظنه . وكان أحمد بن حفص المحررى عدوا له فزاد بالاغراء به فامر حينئذ بقتله وقتل معه أبو سعد بهرام على سبيل الجرف وقد كان خليفته وقت نظره وقتل أبو منصور غيظا لابي القاسم . قال الله تعالى : واتقوا فتنة الأنصيين الذين ظلموا منكم خاصة . وكان أبو بكر ابن شاهويه معتقلا فسلم لحسن اتفاق

﴿ ذكر اتفاق عجيب سلم به ابن شاهويه من القتل ﴾

كان محبوسا في حجرة تتصل بالحجرة التي فيها هؤلاء لكن بابها خاف الاخري فاذا فتح ذلك غطى هذا فلا يؤبه له فانستر لهذه العلة وسكنت سورة الفتنة فافرج عنه من بعد . وأطلق أبو الريان حمد بن محمد من الاعتقال، وعول عليه في الوزارة وعلى أبي الحسن على بن طاهر في كتابة السيدة وكتب السكتب بذكر البشارة الى نغرا الدولة وسائر الاطراف وقبض على أخوي أبي القاسم وكتابه وأصحابه . وكان المظفر أبو الحسن ابن حمدويه وأبو منصور الشيرازي هربا من دار اسفار يوم الهزيمة فظفر بهما وقرر أمرهما على مال صودرا عليه .

وخلع الطائع لله على صمصام الدولة وجدد له شريفا واکراما وخلع على أبي نصر فولاذ بن ماناذر الخلع الجميلة وخطب بالاصفهان سلاوية بعد ان استحلف على الوفاء والمناصحة .

ومضى اسفار بن كردويه وأبو القاسم ومن معها الى الاهواز مغلولين

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر اسفار وعبد العزيز بن يوسف ﴾
 ﴿ والأتراك الخارجين من بغداد ﴾

خرجوا من بغداد الى جسر النهر وان وساروا الى الاهواز فلما حصلوا بها
 تلقاهم الامير أبو الحسين وأرغبهم في المقام فاما الأتراك فانهم أظهروا الموافقة
 وأسروا غيرهم ثم ركبوا في بعض الايام غفلة وساروا . فتقدم الامير أبو
 الحسين الى سابور بن كردويه بتبعهم وردهم فركب وراءهم ولحقهم بقنطرة
 اربق فلم يكن له بهم طاقة وجرت بينهم مناوشة ورموه فاصابوا بعض
 أصحابه ومضواهم وعاد هو . وأما اسفار بن كردويه فانه أقام بالاهواز
 مكرما وكان أخوه سابور زعيم ^(١٦٢) الجيش فقدم عليه اسفار لكبر سنه
 وجلالة قدره وأقام على ذلك الى ان أقبل شرف الدولة من فارس فانفذه
 الامير أبو الحسين الى عسكر مكرم لضبطها في خمسمائة رجل من الديلم فلما
 حصل شرف الدولة بالاهواز صار اسفار اليه فامر بالقبض عليه وحمل الى
 بعض القلاع بفارس . وكان بها الى ان توفي شرف الدولة وأفرج عنه عند
 الافراج عن صمصام الدولة وأقام بفارس مديدة ومضى الى الري . وأما
 أبو القاسم عبد العزيز فان أبا الفرج منصور بن خسره تكفل بأمه وأعظم
 منزلته وعرف له حق تقدمه فجازى أبو القاسم احسانه بسوء النية فيه
 وحدث نفسه بطلب مكانه وألقى ذلك الى بعض من عول عليه فيه فاحس
 أبو الفرج واستظهر لنفسه بالتوثيق من الامير أبي الحسين ومن والدته باليمن
 على اقراره في نظره وترك الاستبدال به . ولم يزل يتوصل حتى غير نية
 الامير أبي الحسين في أبي القاسم ونقصه في المنزلة التي كان أنزله اياها في
 ابتداء ورودده واطرح الرجوع في شيء من الامور الى رأيه وجزاء سيئة

سيئة مثلها والبادىء أظلم . وبقي على هذه الحال الى ان ورد شرف الدولة فقبض عليه مع اسفار وأخذ الى القلعة وأفرج عنه بعد وفاته
وفي هذه ^(١٦٣) السنة ورد اسحق وجعفر الهجريان في جمع كثير وهما من القرامطة الستة الذين يقبون بالسادة فلكا الكوفة وأقاما بها الخطبة لشرف الدولة . فوقع الانزعاج الشديد من ذلك بمدينة السلام لما كان قد تمكن في قلوب الناس من هيبة هؤلاء القوم وقوة باسهم ومسألة الملوك لهم لشدة مراسهم حتى ان عضد الدولة وعز الدولة قبله أقطاعهم اقطاعات بواسط وسطي القرات فكانت ما ربههم تقضى ومطالبهم تُنضى وأبو بكر ابن شاهويه صاحبهم يجري بالحضرة مجرى الوزراء في حاله والاصفاء من الملوك راجع الي أقواله وأكابر الناس يخشونه مجتملين أسكبره متقادين لامرره ولاسبب الاعتزائه الي هؤلاء القوم

﴿ ذكر ما جرى عليه امر اسحق وجعفر القرمطين ﴾

لما ورد الخبر باستيلائهما على الكوفة بداهما أبو الريان بالمكاتبة وسلك معهما طريق الملائمة والمعاتبة ودعاها الي الموائد والمقاربة وبذل لهما ما يحاولانه . وعول على أبي بكر ابن شاهويه في ^(١٦٤) الوساطة معهما وكان قد أطلقه من الاعتقال وتلافى بالاحسان اليه والاجمال . فعدلا في الجواب الي التميل والتسديع وجملا ما كان من القبض على ابن شاهويه حجة في اللوم والتقريع وزاد الخطب معهما في بث أصحابهما في الاعمال ومد أيديهما الي استخراج الاموال حتي لم يبق للصبر موضع ولا في القوس منزع . وحصل المعروف بابن قيس الحسن بن المنذر وهو وجه من وجوه قوادهم بالجامعين في عدد كثير نجرد اليهم من بغداد أبو الفضل المظفر بن محمود

الحاجب في عدة من الديلم والأتراك والعرب وأخرج أبو القاسم ابن زعفران الى ابراهيم بن مرشح العقيلي لتسييره في طائفة من قومه . وحصل أبو الفضل الحاجب بحسر بابل والقوم بازائه فعقدوا جسرا على الفرات قالى ان فرغ منه وصل ابراهيم وابن زعفران وحصل مع القرامطة على أرض واحدة وتناوشوا وتطاردوا وفرغ الجسر وعبر سرعان الخيل من الأتراك وفرسان الديلم وحملوا مع ابراهيم بن مرشح وأصحابه على القوم حملة واحدة اكشفت عن هزيمتهم وأسر أبو قيس زعيمهم مع جماعة من قوادهم وأسرع اليه ابراهيم بن مرشح فضرب عنقه لئلا له عنده وعاد النفل الى الكوفة . وجاء البشير الى بغداد فاظهرت البشارة بها ^(١٦٥)

﴿ ذكر ما كان من القرمطين بعد قتل أبي قيس صاحبهما ﴾
لما عاد النفل اليهما هزيمتهما الحمية (وللقرامطة نفس أليسة) فجزأ جيشاً جعلاً عليه قائداً من خواصهما يعرف بابن الجحيش واستكثروا معه . من العُدَّة والعِدَّة : ووصل الخبر بذلك الى بغداد فالخرج أبو مزاحم بحكم الحاجب في طوائف من العسكر وعبر الى القوم وهم بغربي الجامعين وواقعهم وقعة أجلت عن قتل ابن الجحيش وأسر عدد من قوادهم وانتهاب معسكرهم وسوادهم ونجا من نجا منهم هارباً الى الكوفة فرحل القرمطيان فيمن تخلف عندهما وولوا ادبارهم . ودخل أبو مزاحم الكوفة وقص آثارهم حتى بلغ القادسية فلم يدركهم وعاد الى الكوفة وزالت الفتنة وبطل ناموس القرامطة عند ذلك وذهبت الهيبة التي اشرأبت النفوس منها . ولاكل قوم سعادة تجري الى أجل معدود وتنتهي الى أمل محدود ثم تعود الى نقصان وزوال وتغير من حال الى حال الا سمادة الدين فانها الى نماء فاذا انفصلت من

دار الفناء^(١٦٦) اتصلت بدار البقاء

وفي هذه السنة أفرج عن ورد الرومي ومن معه من الاسرى بسفارة
زيار بن شيراكويه

﴿ شرح ما جري عليه أمر ورد في الافراج عنه واصداه الي بلد الروم ﴾
قد تقدم ذكر القبض عليه في أيام عضد الدولة وبقى في الاعتقال الى
هذا الوقت فسفر زيار في اطلاقه وخاطب صمصام الدولة على اصطناعه^(١)
فاشترطت عليه وله شروط وتوثق منه فيها ووثق له على الوفاء بها . وأما
ما اشترط عليه فهو ان يعترف لصمصام الدولة بالصنيعة ويكون حربا لمن
حاربه سالما لمن ساله من المخالفين في الدين والموافقين عليه وان يفرج عن
جماعة المسلمين بين من أحاطت ربة الاسر بارقابهم أو طالت يد الحصر في
أعناقهم ويعينهم على النهوض الى بلادهم وحراستهم على طبقاتهم في نفوسهم
وأموالهم وحرهم وأولادهم وان لا يجهز جيشا الى ثغر ولا يعضي العين
لاحد من أصحابه في مثل ذلك على غدر وان يسلم سبعة من حصون الروم
برساتيقها ومزارعها أهلة عامرة^(١٦٧) وان يفي بقية ما عاش بجميع ما قرر
معه واشترط عليه . وأما ما شرط له فالتخليفة عن سبيله وحمايته من
الايدي المماطلة حتي يخرج هو ومن في صحبته موفورين من البلاد التي

(١) قال فيه يحيى بن سعيد الانطاكي : واتصل بالسفلاروس هزيمة البلغربسيل
الملك فراسل صمصام الدولة بسأله اطلاق سبيله لينتهر الفرصة والنمس منه ان يتجده
بالرجال والعدد وبذل له القيام بما كان شرطه لوالده عضد الدولة فنجح الى ذلك وأخذ
على السفلاروس وعلى أخيه قسطنطين وعلى رومانوس بن السفلاروس اليهود والموائيق
بالوفاء بذلك وأفرج عن سائر أصحابه وكانوا زهاء ثلاثمائة رجل وأطلق لهم دواب
وصلاحا ما كان أخذهم منهم

تضمها مملكة صمصام الدولة وان يكون أمر الحصون اذا سلمها مجرى العادة المستمرة في حراسة أهلها واقرارهم على أملاكهم وحقوقهم واجرائهم في المعاملات والجبايات ^(١) على رسومهم وطسوقهم . واستوثق من أخيه قسطنطين ومن ابنه ارمانوس بمثل ما استوثق منه وكتب بذلك كتب وسجلات استؤذن الخليفة الطائع لله في امضائها فاذن فيها وأمر باحكام قواعدها ومبانيها . فلما استقرت القاعدة أفرج عنه ونهل اليه مال وثياب وجلس صمصام الدولة للقاءه

﴿ ذكر ترتيب جلوس صمصام الدولة بحضور ورد ﴾

قال صاحب التاريخ : عهدي بصمصام الدولة وجلس حتى يلقاه ورد ويشاهده ويخدمه ويشكره وقال : كان الوقت شتاء والدار ومجالسها مملوءة بالفرش الجالية وستور الديباج النسيجة معلقة على ^(١٦٨) أبوابها وغلمان الخيل بالزينة الحسنة والاقية الملوثة وتوف سباطين بين يدي سدة وكانت قد نصبت في السدي الذهب الذي تفتح أبوابه الى البستان والى بعض الصحن والديلم من بعدهم على مثل ترتيبهم وزيمهم الى دجلة . وعبر ورد وأخوه وابنه في زرب أنفذ اليهم يحشون بين السباطين الى حضرة صمصام الدولة وبحضرته كواوين من ذهب موضوعة فيها قطع العود توقد فلما قرب منه ورد طاطارأسه قليلا وقبل يده ووضع له كرسي ونخدة فجلس عليهما . وسأله صمصام الدولة عن خبره فدعا له وشكره بالروية والترجمان يفسر عنه وله وقال قولا معناه : قد تفضلت أيها الملك مالا أستحقه وأودعت جميلا عند من لا يحبله وأرجو أن يعين الله على طاعتك وتأدية حقوق فملك . وقام

ومشى الحجاب والاصحاب بين يديه كفعلهم عند مدخله وعبر في الزبزب الى داره .

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر ورد بعد اصعاده من بغداد ^(١٦٩) ﴾
لما توجه تلقاء بلده استمال كثيرا من البوادي وأطعمهم في العطاء والاحسان ^(١) وأخذ في السير حتى نزل على ملطية وبها كليب عامل للملكي الروم عليها وكليب من أصحاب ورد (كما قد تقدم ذكره في المشروح الذي وجد بخط ابن شهرام) فاطاعه وحفظ عهده وسلم اليه ما كان معدا عنده فلم

(١) قال يحيى بن سعيد الانطاكي ان حصام الدولة أحضر بنى المسيب ورؤساء بنى عقيل ليسيروا معه وبرز به الى ظاهر مدينة السلام فتقل على كثير من المسامين اطلاقه وأكثروا الكلام في معناه وانتهى الكلام الى السقلاروس فتخوف ان يتعقب الامر في بابه فسال العرب ان يهربوا به سرعة فسادوا به وبسائر أصحابه الى حلهم واستدعوا أيضا قوما من بنى غير وسلخوا به في البرية الى ان وصلوا به الى الجزيرة وعبروا الفرات وحصل في ملطية في شوال سنة ٣٧٦ وكان كليب الطريق الذي سلم حصن يرزويه حينئذ بملطية باسليما عليها وناظرا فيها فقبض عليه السقلاروس وأخذ ما عنده من المال والكراع والكسوة وقوى به ودعا لنفسه بالملك . وتحيل أيضا تقفور الاورانوس الذي رسل به الملك الى عضد الدولة في باب السقلاروس واستدعى رجلا من البادية وأخذته وأوصله الى بلد الروم وعاد الى باسيل الملك . واتفق أمر السقلاروس واجتمع اليه من العرب العقيليين والتميريين الواردين معه عدد كثير من الارمن واستجد أيضا يباد السكردي صاحب ديار بكر وأنفذ اليه أخاه أبا علي في عسكر قوى واضطر باسيل الملك الى ان أعاد برديس الفوقاس الى الدومستقية في ذي الحجة من السنة وسير اليه الجيوش وزسم اليه لقاء السقلاروس بعد ان أنفذ اليه من استجلفه بجميع الآثار المقدسة وأخذ عليه اليهود والمواثيق بمناصحته وموالاته والحفاظة على طاعته . فكتب الفوقاس الى السقلاروس يلتمس منه ان ينفذ اليه أخاه قسطنطين وهو زوج أخت برديس الفوقاس فانفذ اليه ورسل به برديس الفوقاس الى أخيه السقلاروس ليقرر معه ان يتفقا جميعا على منازعة باسيل الملك وحربه ويعوزان ملكه ويتسماه بينهما ويكون الفوقاس في مدينة

به شتمه وقوى به حزبه وعمل على السير الى ورديس بن لاون مظهر احر به
فترددت بينهما رسائل انتهت الى تقرير قاعدة في الصراح على ان يكون
قسططينية وما والاها من جانبها لورديس بن لاون وما كان في الجانب
الآخر من البحر لورد واتفقا بعد توكيد الايمان بينهما على الاجتماع وسار
كل واحد منهما للقاء صاحبه فاجتعا على ميماد فلما تمكن منه ابن
لاون قبض عليه .

القسطنطينية والسقلاروس خارجا عنها فاجابه السقلاروس الي ما أراد ونحافا وتماهدا عليه
ولما استقر بينهما ما عقدها على ان يجتمع العسكران أنكر ذلك رومانوس بن السقلاروس
ولم يوافق أباه على رأيه وأعلمه انها مكيدة من الفوقاس عليه ولم يقبل منه أبوه فتخلى
رومانوس ابنة عنه وقصد باسيل الملك وكشف له ما شرع القوم فيه وما تقرر بين أبيه
وبين برديس الفوقاس . وسار الفوقاس الى جيجان واجتمع مع السقلاروس وتفاوضا
فيه ما يحتاجان اليه وانفصلا على وعد ان يجتعا أيضا وعاد السقلاروس أيضا اليه وعند
اجتماعهما قبض الفوقاس على السقلاروس وحمله الى حصن كانت حرمة مقيمة فيه فاعقله
هناك وقال له : تكن مقبلا على طائفة في هذا الحصن حيث حرمتي فاذا أنا باغت ما أقصد
واستوليت على الملك أوفيت لك ما وافقتك ولم أعذر بك

وكشف برديس الفوقاس بالعصيان ودعى له بالملك يوم عيد الصليب الموافق لثلاث عشر
ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٧٧ وملك بلد الروم الى درولية والى شاطيء البحر
وباغت عساكره الى خريصوبولى واستفحل أمره . وجزع باسيل الملك منه لقوة جيوشه
واستظفاره عليه نفدت أمواله فدعته الضرورة الى ان أرسل الى ملك الروس وهم أعداؤه
يلتمس منهم المعاوضة على ما هو بصدد فاجابه الى ذلك وعقد بينهما مصاهرة وتزوج ملك
الروس أخت باسيل الملك بعد ان أشرط عليه ان يمتد هو وسائر أهل بلاده وهي أمة
عظيمة (وكان الروس يومئذ لا يثبتون الى شريعة ولا يعتقدون ديانة) وأخذ اليه باسيل
الملك فيها بعد مطاردة وأساقفة وعمدوا الملك وجميع من تحويه أعماله وسير اليه أخته
وبذبت كنائس كثيرة في بلد الروس . ولما استقر بينهما أمر التزويج وردت جيوش
الروس أيضا وانضافت الى عساكر الروم التي لباسيل الملك فتوجهت باجمعهم للقاء

﴿ ذكر غدر ورديس بن لاون بورد وقبضه عليه ﴾

﴿ ثم مراجعته الحسنى بالافراج عنه ﴾

كان ورد قد وثق بما أكده من اليهود التي اطمأن اليها واعتقد ورديس^(١٧٠) بالبدية انه فرصة قد قدر عليها فغدر به وقبض عليه وحمله الى بعض القلاع . فلما راجع رويته علم انه أندم على خطة شنعاء تبقى عليه سعة الغدر وتجلب اليه وصيبة في الذكر وأجرى الى فعله نكرا ينفر كل قلب عن معاهدته ويحمل كل قريب على مباعده فاستدرك الامر بتمجيل الافراج عنه والاعتذار اليه وتجديد الموائيق معه فعادا الى ما كانا عليه من الالفة والاتفاق ودفعاً لأسباب الفرقة والشقاق . وانصرف ورديس فزل بازاء

بردیس الفوقاس برآ وبجراً الى خريصوبولى فاستظفروا على الفوقاس واستولى باسيل على ناحية البحر وملك سائر المراكب التي في بد الفوقاس . وكان باسيل الملك بعد نزول الفوقاس على ظاهر مدينة القسطنطينية واحتوانه على ناحية المشرق قد سير الطاروني الماجسترس في البحر الى طرازندة وجمع خلقاً وتوجه الى شاطيء القرات فانفذ برديس الفوقاس ولده نففور المعوج الى داود ملك الخزر يستنجد به على الطاروني فسير معه غلاماً له في الف فارس وشار معه أيضاً ابنا بقراط البطريرقان صاحباً الخالدات (وهي مذكورة في تاريخ المقدسي ص ١٥٠) في الف فارس فلقوا الطاروني وعزموه فاتصل بهم في الحال استظهار عساكر باسيل الملك على الفوقاس في البحر في خريصوبولى فعاد غلام داود الخزري برجاله وكذلك ابنا بقراط الي مواضعهم واحتجوا عليه باهم قد فعلوا ما أراد من هزيمة الطاروني . وتفرق المعسكر الذي مع نففور بن الفوقاس فسار الى والدته وهي مقيمة بالحصن الذي فيه السقلاروس معتقلاً

وخرج باسيل الملك وأخوه قسطنطين في عساكرهما وفي جيوش الروس ولقوا برديس الفوقاس في ابدو وهو بالقرب من عبر القسطنطينية وظفروا بالفوقاس وقتل يوم السبت ثالث المحرم سنة ٣٧٩ وحمل رأسه الى القسطنطينية وأشهر بها وكانت مدة عصيانه سنة واحدة وسبعة أشهر

قسطنطينية منازل باسيل وقسطنطين ملك^(١) الروم وقد اجتمعت الكلمة عليه وانضوى المساكر وأهل البلاد اليه وبقي الملاك في قل من الناس متحصنين بالمدينة وبمحاصنها

﴿ ذكر تدير للملكي الروم عاده أمرهما ﴾

﴿ الى الاستقامة بعد الاضطراب ﴾

لما انتهت الحال منهما الى الضعف راسلا ملك الروسية واستجدها فاقترح عليهما الوصلة باختما فاجاباه الى ذلك وامتنعت المرأة من تسليم نفسها الى من يخالفها في دينها وتردد من الخطاب في ذلك ما انتهى الى [دخول] ملك الروسية في النصرانية وتمت الوصلة منه وهديت المرأة^(١٧١) اليه فانجدهما من أصحابه بمسدد عديد وهم أولو قوة وأولو بأس شديد . فلما حصلت النجدة بـقسطنطينية عبروا البحر في السفن للقاء ورديس وهو يستقلهم في النظر ويهزأ بهم كيف أقدموا على ركوب الغرر فما هو الا ان وصلوا الى الساحل وحصلوا مع القوم على أرض واحدة حتى نشبت الحرب بينهم واستظهر فيها الروسية وقتلوا ورديس وتفرقت جموع عساكره^(٢) وناب

(١) الصواب : ملكي (٢) وقال فيه يحيى بن سعيد الانطاكي : ولما

سمعت امرأة الفوقاس خبر قتله أطلقت السقلاروس من الاعتقال فاجتمع اليه سائر من كان مع الفوقاس من المخالفين على باسيل الملك وعادلبس الخف الاحمر وانضوى اليه قفود المعوج بن برديس الفوقاس وراسل السقلاروس الى قسطنطين الملك أخيه باسيل الملك في ان يتوسط حاله مع أخيه باسيل في رجوعه الى طاعته وبصفح له عن سائر ما سلف منه والعفو عما بدأ منه من العصاوة وضمن له عنه الاحسان التام فاجابه الى ذلك ونزع الخف الاحمر عن رجله يوم الجمعة حادى عشر تشرين الاول سنة ١٣٠١ وهو مسهل رجب سنة ٣٧٩ فاحضره قسطنطين الملك الى أخيه باسيل ووطيء بساطه وقبل الارض بين يديه واستقرت الحال

أمر الملكين الى الاستقامة والاعتدال واشتد ملوكهما بعد التضعف والانحلال وراسلا ووردا واستمالاه وأقراه على ولايته فاقام على جلته مديدة ثم توفي وقيل انه سُم . وتقدم بسيل في الملك وظهر منه حسن سياسة وأضاء له رأي وقوة عزم وثبات قلب حتى انه صبر على قتال بلغر خمسا وثلاثين سنة يواقعهم ويواقعونه والحرب [لم تزل] بينهم حتى ظفروا بهم وملك ديارهم وأجلى عنها الجمل الفقير منهم وأسكنها الروم بدلا عنهم . وشاع ذكره في عدله ومحبة المسلمين وطال أعداه في بلادهم وملكه بالكف عن بلادهم واحسان معاملته مع من يحصل في ممالكه منهم .

وفي هذه السنة هم صمصام الدولة بان يجعل على الثياب الابرسميات والقطنات ^(١٧٢) التي تنسج في بغداد ونواحيها ضريبة العشر في انعامها

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو الفتح الرازي كثير ما يحصل من هذا الوجه وبذل تحصيل الف

على ان جعل باسيل الملك ابرديس السقلاروس قربلاط ورتب أخاه وجميع أصحابه وأقطعه بلد الاميناغون (الارمينافون) ورعيان جزيا وخراجا مضافا الى نعمته القديمة وصفح عن تقفور بن برديس الفوقاس وأقطعه نعمة حسنة وفي مدة عصيان الفوقاس واشتغال الملك باسيل بحربه اتمز البلغر الفرصة وغزوا بلد الروم دفعت وأنوا الى بلد صالونيكي وتطرقوا أعمال الروم التي في المغرب فتأهب باسيل الملك لغزوهم وخرج الى ديوطمة في سنة ٣٨٠ وفيها بيت السقلاروس وجمع العساكر فيها واستدعى السقلاروس ليسير معه في غزوانه وكان هو وأخوه جميعا من مدقنين وحمل السقلاروس الى حضرته في سرير وألقى نفسه على رجله الملك ولما شاهد الملك حاله رسم له المقام في بيته ووصله بنظار دناير ليصدق به وتوجه الملك الى البلغرية . وبعد أيام يسيرة مات السقلاروس ومات أخوه قسطنطين بعده بخمسة أيام وكان بين قتل برديس الفوقاس وبين موت السقلاروس دون سنتين

الف درهم منه في كل سنة . فاجتمع الناس بجامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكان المدن تفتن فاعفوا . من احدث هذا الرسم وفيها مات أبو العباس ابن سابور المستخرج تحت المطالبة بالتمذيب والمماقبة . ف قيل انه عرضت فتوى على أبي بكر الخوارزمي الفقيه . ضمنها : ما يقول الشيخ في رجل . عاآب . عاآب قد ترددت عليه مكاره هونت عليه الموت هل له فسخة في قتل نفسه وارايتها مما تلاقيه . فكتب في الجواب : انه لا يجوز ولا يحل فعله والصبر على ما هو فيه ادعى الي تضاعف ثوابه وتحصيل ذنوبه . فلما انصرف حاملها قال بعض الحاضرين لزيد بن أبي بكر : هذه فتوى ابن سابور المستخرج . قال أبو بكر : ردوا حاملها . فردوه فسأله عنها فاخبر انها لابن سابور فقال أبو بكر : قل له : ان قتلت نفسك أو أقيت عليها^(١٧٣) فعاقتك الى الخسارة ومصيرك الى النار

وفيها اتصت الاخبار بحركة شرف الدولة^(١) من فارس طابا للمراق فاخرج اليه أبو عبد الله محمد بن علي بن خلف رسولا وسفيرا في تقرير الصالح . فورد كتابه من الالهواز يذكر فيه انه صادف شرف الدولة بها فبلغ ما تحمله من الرسالة فقبل بالجميل الدال على حسن النية ووعد باحسان السراح وضم رسول اليه ليقرر أمر الصالح والصالح . وبعد ذلك قبض على أبي الريان حمد بن محمد وعلى أصحابه وأسبابه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو الحسن علي بن طاهر قد استولى على أمور والده صمصام الدولة بحكم كتابتها وعظمت حاله ومرتاته عندها وعند صمصام الدولة لاجل

خسدتها . وقد تقدم القول بان تملك النساء لامور الدولة عائد عليها بنظم
الحلال فلا يزال بين القبض والابرام حتى تزيف القلوب وتزل الاقدام . وكان
ابن طاهر هذا وأبو عبد الله ابن عمه قد استوحشا من أبي الريان فافسدا
حاله عند صمصام الدولة واستمانا بالسيدة عليه وقرناه بالليل الى شرف الدولة
وان نفوذ^(١) ابن خلف لاصلاح^(١٧٤) أمره معه وما زال يعلان الحيلة
حتى تم القبض عليه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي الريان ﴾

حضر الدار على رسمه وجلس ينظر فيما جرت عادته بالنظر فيه . ومن غريب
الاتفاق انه فقد خاتمه في تلك الحال ولم يعلم كيف سقط من يده وطلب فلم
يوجد ثم استدعى الى حضرة صمصام الدولة وعذل به الى الخزنة ووقع
القبض عليه فكانت مدة وزارته هذه سبعة أشهر وأياما . واستولى أبو
الحسن وأبو عبد الله ابن عمه على الامور وكان اليهما مصادر الاوامر في
الاصول ونصبا أبا الفتح ابن فارس وأبا عبد الله ابن المهيم لمراعاة الفروع
وكانا يحضران في حجرة لطيفة في دار الملكة ويوقعان باخراج الاحوال
واطلاق الصكالك واستيفاء الاموال . وجرت الحال على ذلك الى ان زال
صمصام الدولة . وورد في أثر القبض على أبي الريان أبو نصر خواشاه
رسولا عن شرف الدولة ومعه أبو عبد الله ابن خلف فلقاه صمصام الدولة
في خواصه وقواده وأكرمه^(١٧٥)

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في وروده ﴾

قد كان أبو نصر هذا وأبو القاسم الغلاء بن الحسن وأكثر الخواشي الذين

مع شرف الدولة يحبون المقام بفارس لانها وطنهم وبها أهلهم ونعمهم وفي
جبلّة البشر حب الاوطان واختيار النواء بين الامل والإخوان . وكان
أبو الحسن محمد بن عمر يشير على شرف الدولة بقصد العراق وهم لا يتألمونه
في الرأي على هذا الاتفاق ويقولون : غرضه العود الى مستقر قدمه
والرجوع الى بلده وأملاكه ونعمه وان عضد الدولة منذ أعرض عن فارس
وأقبل على العراق لم يكن له بال رخي ولا عيش هني . وكان شرف الدولة
يوعيمهم لهذا الامر سمما ويحب المقام بشيراز طبعا لان فيها مولده وبها
منشاه ولما قيل

بلادها نيطت على تماثي وأول أرض مس جلدي ترابها

فلذلك كانت كلمة هذه الجماعة عنده قوية ومشورتها اليه مقبولة مرضية .
فلما ورد عليه ما ورد من كتب صمصام الدولة ووالدته وأبي الريان يبذل
الطاعة والخوع بالتباعة والاذعان باقامة الدعوة^(١٧٦) والتظاهر بشعار النيابة
وجد هذا القول من قلبه قبولا وأنفذاً أبو نصر خواشاذة لاتمام هذه القاعدة
رسولا وأصحبه تذكرة تشتمل على التماس الخلع السلطانية واللقب واقامة
الخطبة واتخاذ الامير أبي نصر مكرماً واستدعاء آلات وفرش وخدم
وجوار عازما على القناعة بذلك فلما حصل بالاهواز وأتته الدنيا طوعا باقبالها
وألقت البلاد مفاتيح أقفالها بدا له من ذلك الرأي فعزم على قصد العراق
مصمما وسار نحو بغداد متمما . وسيأتي ذكر ذلك في موضعه باذن الله تعالى

﴿ شرح الحال في مسير شرف الدولة من فارس واستيلائه ﴾

﴿ على الاهواز وانصراف الامير أبي الحسين عنها ﴾

لما عزم شرف الدولة على المسير من فارس كتب الى الامير أبي

الحسين بالجميل والاحسان وبذل له اقراره على ما في يديه من الاعمال والبلدان وأعلمه ان مقصده بتداد لاستخلاص الامير أبي نصر أخيه وأنه لا يحدث في الاجتياز في بلاده أمراً يضره أو يؤذيه . فلم يقع هذا القول (١٧٧) من الامير أبي الحسين . وقع التصديق وعرض له من سوء الظن ما يمرض للشقيق . واتفق ان والدته توفيت وهي بنت ملك ما نادر ملك الديلم ولها الحسب العظيم والخطر العظيم وكانت تكتب شرف الدولة وتجاهله وشرف الدولة يحيا ليتها الجليل ويراقبها لاذعان طرائف الديلم لها بالتبجيل فلما مضت لسبيلها خلا سابور بن كردويه بالامير أبي الحسين فثناه عن هذه الطريقة

﴿ ذكر رأى أشار به سابور على الامير ﴾

(أبي الحسين في هذه الحال)

قال له : ان هذه الكتب الواردة هي على وجه الخدمة والمسكر واذا اغتررت لم تأمن ان تحصل معه في حياثل الاسر فما سار من فارس الا لطلب الممالك جميعها والاحتواء على عاصيها ومطيعها ولا يبدأ الا بك وما لنا لانحاربه ونقاتله ولنا من المسكر والعدة ما تقاومه ونمائله ؟ فاصنى الى قوله وعمل الامر المحاربة معداً وشمر عن ساق المباشرة مجداً . فينها هو في ذلك اذ ورد الخبر بنزول قراتكين الجشيارى ارجان على مقدمة شرف الدولة ونزل شرف الدولة ارجان وسار قراتكين الى رامهرمز . (١٧٨) وتبرز الامير أبو الحسين الى قنطرة اربق وأخذ اسفار بن كردويه الى عسكر مكرم لضبطها وبدأ الديلم يتسللون الى شرف الدولة لو اذاً وتقطعت الكلمة المجتمعة جذاذاً وتحيز الغلمان الاتراك الى جانب من العسكر ونادوا بشعار شرف الدولة

فاشرف الامير أبو الحسين وسابور بن كردويه وأبو الفرج ابن خسره على ان يوخذوا ويسلوا فمرَّج الأمير أبو الحسين الى فورة الاختلاط على الجبل وسار من ورائه طالبا صوب المأمونية وراسل سابور بن كردويه باللاحاق به فالحقه بعد هنات جرت له حتى خلاص اليه وثمنهما أبو الفرج ابن خسره وتبعهما غلام من غلمان داره فسار هو ومن معه طالبين حضرة فخر الدولة حتى وردوا أصفهان . فكتب منها الى فخر الدولة وهو يومئذ بمرجان يشكو اليه أمره ويرجو منه نصره وكتب في جوابه وعداً لم يعقبه وفاء وأظهر له ودّاً لم يتبعه ضغاء . ووقع له على الناظر باصفهان بما قدره في الشهر مائة الف درهم فاجتمع عنده بتداول مقامه فل من الديلم الذين كانوا في جملة . وتبين له سوء رأى فخر الدولة فالبس عليه أمره وضل طريق الصواب عنه

{ ذكر تدبير سيي^(١٧٩) التي به نفسه الى الهلاك }

لما يئس من صلاح حاله أظهر لمن كان باصفهان من الاولياء ما لاحقيقة له وأعلمهم ان بينه وبين شرف الدولة مراسلة استمر معها النداء بشعاره والانضواء الى انصاره واستمال قوما من الجند المقيمين بها وعمل على التغلب على البلد . وكان المتولى لتلك الاعمال أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي^(١) وند الخبير اليه فعاجل الامر وقصد دار الامير أبي الحسين في عدة قوية وأوقع به وانهزم من كان حوله من لفيفه وأسر هو وأبو الفرج ابن خسره واعتقلا في دار الامارة . وأما أبو الفرج فانه قتل من يومه وأما الامير أبو الحسين فانه صفد وحمل الى الري واعتقل بها مدة يسيرة ثم نقل الى قلعة بيلاد

(١) وترجمته في ارشاد الاريب ١ : ٦٥ وراجع فيه أيضا : ٣١١ : ٣١٠

الديلم ولبت فيها عدة سنين فلما اشتدت بفخر الدولة العلة التي قضى فيها
نجه أنقذ اليه من قتله . ويروى له يتان قالمها في الحبس وكان يقول الشموهما
هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه

وأعتب بالحسنى وفك من الاسر

فمن لي بأيام الشباب التي مضت

ومن لي بما قد فات في الحبس من عمرى ^(١٨٠)

رسار شرف الدولة من أرجان ودخل الاهواز وقد تمهدت الامور فاطلق
من كان اعتقه الامير أبو الحسين من أصحابه وقبض على اسفار وعبد العزيز
ابن يوسف وعلي أصفهان بن علي بن كامة الوارد معه وأخرج العلاء بن
الحسن الى البصرة للقبض على الامير أبي طاهرا بن عضد الدولة وعلي من
كان في جهالة من الخواص فقبض عليه وعاد العلاء بن الحسن بعد تقرير أمر
البصرة وأعيد الى شيراز للمقام بها . واستدعي أبو منصور محمد بن الحسن
ابن صالحان وغول على أبي نصر سابور ^(١) بن اردشير في مراعاة الامور
الى ان يصل أبو منصور وأزمع شرف الدولة على المسير الى العراق .

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة ابن مؤيد الدولة فجلس صمصام الدولة

للعزاء وبرز الطائع لله لتعزيتة

قال صاحب التاريخ : عهدي بالطائع لله وهو في دسته منصوب علي ظهر
حديدي وهو لابس السواد والمعممة الرحمانية السوداء وعلي رأسه شمسة
وبين يديه الحجاب والسودة وحول الحديدي الانصار والقراء والاولياء في
الزيار . وقد قدم الى مشرعة دار المملكة من باب الميدان فنزل صمصام

الدولة اليه وقبل الارض بين يديه وردّه ^(١٨١) بعد خطاب جرى بينهما في العزاء والشكر .

﴿ ودخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها وقع الخوض مع أبي نصر خواشاذة في انجاز ما وعده واحكام قواعده ومبانيه فاجيب الى جميع ما تضمنته التذكرة الا انقاذ الامير أبي نصر فانه أرجى أمره الى ان يستبين أمر الصلح

﴿ ذكر ما تقرر الامر عليه مع أبي نصر ﴾

(خواشاذة في ذلك)

قررت أقسام الصلح على أقسام ثلاثة قسم منها يعم الفريقين وقسمان يخص كل فريق قسم منها . فاما الامر الذي يعم فهو : تألف ذات البين حتى لا يدرك طالب نبوة مقصدا في تنفير وتصافي العقائد حتى لا يجد جالب وحشة مطمئا في تكدير فان ظهر عدو مبين لاحدهما ناضلا جميعا عن قوس الموافقة والمساعدة ودافعا بمنكب المظاهرة والمماضة . وان يمنع كل واحد من تعرض يسلاد الآخر ولا يطعم فيها جندا ولا ^(١٨٢) يقطع منها حدا ولا يجير منها هاربا ولا يأوى متحيزا أو موازيا

وأما ما يخص شرف الدولة : فهو ان يوفيه صمصام الدولة في المخاطبة ما يقتضيه فضل السن والتقديم ويلتزم من طاعته ما يوجب حق الاجلال والتعظيم ويقيم له الخطبة على منابر مدينة السلام وسائر البلدان التي في يديه ويقدم بعد اقامة دعوة الخليفة دعوته عليه . وأما ما يخص صمصام الدولة : فهو ان يكف شرف الدولة عن سائر ممالك وحدودها ويمنع أصحابه كافة عن طرقها وورودها وان يراعيه في كل أمر يستمد فضله فيه مراعاة الاخ

الاكبر لاختيه وتاليه

وصدر كتاب المواضعة بالاتفاق على تقوى الله تعالى وطاعة الخليفة الطائع لله وامتنال ما أمرهما به من الالفة على الشروط المذكورة . وجعل على نسختين ختم أحدهما يمين حلف بها صمصام الدولة معقودة بأن يحلف بمثلها شرف الدولة .

فلما تقرر ذلك جلس الطائع لله وحضر الاشراف والقضاة والشهود ووجوه أصحاب صمصام الدولة وأبو نصر خواشاذه وقرىء كتابه الى شرف الدولة وزين الملة بالتليق والتقليد وسدت الخلع الكاملة والولاء . وندب أبو القاسم علي بن الحسن الزينبي الهاشمي^(١٨٤) وأحمد بن نصر العباسي الحاجب ودعى الحاجب للخروج من قبل الطائع لله بذلك وأبو علي ابن عثمان من قبل صمصام الدولة برسالة جميلة مشتملة على خفض الجناح والاستمالة الى الصلاح والاذعان بالطاعة والولاء والترقيق بالرحم والاخاء وسارت الجماعة على هذه القاعدة المذكورة . ووجد فيها خلفه أبو الحسن ابن حاجب النعمان^(١٩) نسخة أخرى بمثل الذي تقدم ذكره وانصت بها يمين واشتمل آخرها على لفظ شرف الدولة بذلك وأنه قد أزم ذلك وأشهد الله عليه به وتحلف باليمين المذكورة فيه . وعلى ظهرها بخط أبي الحسن ابن حاجب النعمان :

بسم الله الرحمن الرحيم : ثبت بحضرة سيدنا وولانا الامام الطائع لله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأعز نصره وادام توفيقه وكبت عدوه ما تضمنه الاتفاق المكتوب في باطن هذا الكتاب وصح عنده التزام شرف الدولة

وزين الملة أبي الفوارس أمد الله تأييده اصممصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار مولى أمير المؤمنين أذن الله نصره ما شرح فيه بمدان ألزم له مثله .
 لحكم مولانا أمير المؤمنين أعز الله نصره عليهما به وجمهما الى الائتلاف عليه في طاعته وخدمته وقطع^(١٨٤) به بينهما الفرقة والاختلاف . وأمر بهذا التوقيع تأكيداً لما تصافيا عليه والزما لهما الوفاء به وأنعم بمسالة بخط يده السكرية في أعلاه والحكم الشريف النبوي في منتهاه والله عون مولانا أمير المؤمنين على ما التزماء وتوخياه . وكتب على بن عبد العزيز بالحضرة الشريفة وعن الاذن السامي والحمد لله حمد الشاكرين . علامة الطائع لله « الملك لله وحده » نقش الخاتم في الاسرنجبه المسك والعنبر « الطائع لله »
 وأمر هذه النسخة عجيب لان هذا الصلاح لم يتم وما عاد به أبو نصر خواشاهه وتنفذ فيه أبو علي ابن محمان لم يلتئم وربما يكون ذلك فيما كتب بالاهواز وأتخذ الى بغداد ثم انتقض والله أعلم

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر الرسل الخارجين الى شرب الدولة ﴾

انحدرت الجماعة الى واسط ومديرها قراتكين الجهبشاري فاكرمهم السكرامات الوافية وأقام لهم الاقامات الكافية وسار أبو علي على طريق الظهر . فورد كتاب شرف الدولة في أثر ذلك الى قراتكين بالقبض عليه وحمله الى الاهواز فركب في جماعة من^(١٨٥) الغلمان متبعاً له فلحقه بياذين وقد نزل بها فقبض عليه وعلى جميع ما صحبه مما كان حمل الى شرف الدولة وردّه الى واسط واعتقله ثم أنفذه وما كان معه على طريق البصرة . وتوجه أبو نصر خواشاهه في الماء الى البصرة مع رسل الطائع لله وتم منها الى حضرة شرف الدولة فوجده وقد تنير عما فارقه عليه من حاله وانقادت

له الامور انقيادا ألواء عما كان مائلا اليه . وخلا به أبو الحسن محمد بن عمر
فثنائه الى ما أراد فلم يكن لابن نصر موضع قول الا فيما علا بناء هذا الرأي
وشيده . وقد كان العمال والمتصرفون مضوا الى شرف الدولة من كل بلد
من أعمال العراق وتقدم أبو علي التميمي من واسط وتلاه أبو عبد الله ابن
الطيب من النهروانات وأبو محمد الحسن بن محمد بن مكرم من الكوفة
وفسد الناس خضرته على طبقاتهم من كل فج عميق ووافاه الديلم والأتراك
فوجا بعد وج وفريقا أثر فريق . وكان تفوذ قرائكين الجهمشياري الى
واسط على مقدمته بعد وصول أبي عبد الله ابن الطيب فضمه اليه ناظرا في
البلد وأعماله ومقيا لنفقات قرائكين الجهمشياري ورجاله . فد ابن الطيب
جناحه على الاعمال ويده الى ^(١٨٦) الاموال فلما حصل [أبو | محمد ابن مكرم
بالاهواز كثرت الاقوال على ابن الطيب فيما أخذه من النهروانات عند
مفارقه لها وبواسط عند حصوله بها] ف[أخرج أبو محمد ابن مكرم للقبض
عليه والنظر بواسط

{ ذكر ما جرى الامر عليه في ترتيب القبض على }

(ابن الطيب واخفاء الحال فيه الى ان تم)

أنفذ أبو محمد من الاهواز وفي الظاهر انه رتب في اقامة المير لشرف الدولة
وعساكره بين الاهواز وواسط وفي الباطن قرر معه النظر بواسط والقبض
على أبي عبيد الله ابن الطيب واخوته فاصحب كتب باطنة وظاهرة بذلك .
فلما حصل بواسط واجتمع مع قرائكين ووافقه على ما ورد فيه قبض على
الجماعة الحاضرين والغائبين في يوم واحد بتدبير دبره ويقوم قدم انقادهم الى
كل من عاتبا على ميعاد قرره ومقدار وقته . ورأي ان يسلك مع أبي عبد الله

على طريق المياسرة والمقاربة فاحتسب له بجميع الظاهر^(١٨٧) المأخوذ منه في جملة مال المطالبة واعتمد مع اخوته اظهار بعض التشديد والاستقصاء ثم سهّل أمورهم عند التحقيق والاستيفاء وعلم ان أعمال السلطان عوارى فتساهل وقارن وجمال وقارب. فن أحسن فانما يحسن لنفسه ومن أساء انما يسيء اليها والعارية في الحالين مردودة وأيام لبثها عند الممار معدودة ومهما سلكه الانسان من طريق فنجاحه فيه بهداية وتوفيق

﴿ ذكر مسير شرف الدولة من الاهواز لما ﴾

(استنبت له الامور بواسط)

سار اليها في عساكر كثيرة بالجموع الظاهرة التجميل وكانت زينته وأهبتها في صاحته من كل نوع علي أحسن ما شوهد فقيّل ان جماله كانت ثلاثة عشر الف رأس وجمال عسكره أكثر من هذا المدد وغلان خيوله مع الخدم الف وثمانائة ما بين غلام وخادم الى ما يتبع ذلك ويشاكله من كل ما يكون للملوك المخولين والسلطين الممولين . يقول صاحب التاريخ هذا القول ويستكثر هذا القدر ولو أدرك هذه الدولة القاهرة ورأى سلطانها وغلانها وأركانها^(١٨٨) وعدتها ورجالها وزينتها وأموالها لم ان الذي استكثره في قبيل الافلال ولا أقرب ان البحر لا يقاس بالاولوال .

فلما استقر شرف الدولة بواسط سار قراتكين الى دير العاقول ولما أجلت الاحوال بمدينة السلام حذر بالامير أبي نصر ابن عضد الدولة الى حضرة شرف الدولة مع غلام من الخواص . وزادت أمور صمصام الدولة اختلالا وتناقضت حالا فخالا وشغب الديلم حتى أحاطوا بداره مطالبين بالمال ورفعوا سجب المراقبة ونانئ سلاسر سرخ بشمار شرف الدولة وثار

العامة في عرض هذه الفتنة وكبسوا حبس الشرطة فاطلوا من فيه وأذنت
دولته بزوال وعقده بانهلال ولم يزل الاولياء والحواشي والنظار والعمال
يصيرون الى حضرة شرف الدولة بالاهواز وواسط من غير احتشام
ويقدمون من غير احجام فلما رأى صمصام الدولة ووالدته وأبو حرب زيار
وفولاذ بن مانذر ما قد انتهى الامر اليه أجالوا الرأي بينهم

﴿ ذكر رأى سديد رآه زيار في تلك الحال وأشار به ﴾

﴿ على صمصام الدولة فلم يعمل به ^(١٨٩) ﴾

أشار بالاصماد الى عكبرا ليرف بذلك من هو معهم ممن هو عليهم ويتميز
الآنس بهم من النافر عنهم وقال: ان الجيل كلهم في طاعتنا مخلصون وفي
سلكتنا منخرطون ولا بد من ان يضاف اليهم قوم آخرون فان رأيتم عدتنا
كثيرة وشوكتنا قوية بحيث تنكافي في المقارعة أخرجننا ما في أيدينا من
المال وأطلقناه للرجال وان ضعفنا عن القراع وعجزنا عن الدفاع نمنا الى
الموصل وينضم أبو القاسم سعد الحاجب ومن العساكر الينا ويكثر جمعنا
ويقوى أمرنا . فان الديلم والأتراك سيكترون عند شرف الدولة ثم لا يزال
بهم التنافس والتحاسد حتى يحدث بينهم التباين والتباعد وبازائهم منك ملك
تعلق به آمالهم وتطمح نحوه أبصارهم وهي الايام والتمير والقضاء والقدر
والامر يحدث بعده الامر

﴿ ذكر رأى آخر سديد أشار به فولاذ فلم يقبل منه ﴾

قال فولاذ: الصواب المسير الى قرميسين والخصول في أعمال بدر بن
حسنويه ومكاتبه نخر الدولة (وكان في صلح صمصام الدولة ^(١٩٠) بحسب
مانسجه ابن عباد بينهما) واستمداد عسكر والمسير على طريق أصفهان الى

فارس والتغلب عليها . وفيها آخر : اين شرف الدولة وذخائره فليس بازاننا في تلك الاعمال أحد يقاومنا ويدافعنا واذا حصلنا بها لم يستقر لشرف الدولة قدم بالعراق ولم يستمر له أمره على الاتساق ويضطرب أمره وتحل قرامه وينزل في الصاح على حكم اختياره ورضاه .

فقال صمصام الدولة الى رأى زيار في الاصعاد ووقع الشروع في ترتيب أسبابه ثم بداله من ذلك

﴿ ذكر رأى خطأ استبد به صمصام الدولة في ﴾

(اسلام نفسه الي شرف الدولة)

لما رأى الخرق قد اتسع والامر قد التبس ضاق صدره وقل صبره . وكل ملك لم يكن صدره في الناثبات رحيبا وصبره في الحادثات عتيذا ونفسه في المضلات مديدا أو شك ان يضجل شأنه ويولي زمانه . فعمل على أطراح ذاك كله والانحدار الى شرف الدولة ونزل الى زبزه مستبدآ برأيه غير ناظر في بصائره وواردا على أمر غير ^(١١١) عالم بمصادره . فلما حصل تحت روشن زيار قدّم الى فئاته وتقدم باستدعائه فنزل اليه وعنده انه يصعد الى داره فلما لم يبصر لصعوده أثرا قال : الى أين أيها الملك ؟ قال : الى أخي . قال : أو قد تغير رأيك عما كنا عليه . قال : نعم : قال : لا تفعل فان الملك عظيم والخطب عظيم والملوك لا تصل أرحامها ولا ترعى للقربي ذمامها وفي اسلام النفوس أخطار وحسن الظن في مثل هذه المواطن اغترار فراجع فكرك وتبصر أمرك . فقال له : ما أرى لنفسى رأيا صوابا الا ما عملت عليه . قال له : خار الله لك . ثم قال له صمصام الدولة : فملى ماذا عملت أنت ؟ قال : اذا كنت قد رأيت ذلك رأيا وأنت أنت لم أرغب بنفسى عن نفسك ولم يكن

خوفى أعظم من خوفك . فقال له : أما أنت فلا أرى لك ان تضع يدك في يد شرف الدولة . وودعه وانحدر . فلما قرب من معسكر شرف الدولة وقد خيم بنهر سابيس أنقذه من يؤذن بوصوله فوافى أبو نصر خواشاده في زرب وقرب من زربه وخدمه ثم قال له : الملك يتعرف خبر الامير والحمد لله على ما وقفه من هذا العزم الذى يبلغ فيه مراده . ثم صار الى المشرعة وهناك دابة قد قدمت لاجله ^(١١٢) فركبها ونزل عند خيمة شرف الدولة وهو واقف ينتظره وبين يديه حواشيه وخواصه وقد ارتجّ المسكر بالخبر . فلما وصل اليه قبل الارض ثلاث مرات بين يديه وقرب منه فقبل يده فسأله شرف الدولة عن حاله فى طريقه فاستصوب رأيه فى وروده فاجابه صمصام الدولة جوابا شكره فيه وأراه قوة نفسه به . فوقف قليلا ثم قال له شرف الدولة : تمضى وتغير ثيابك وتتودع من تعبك . فخرج من حضرته وحمل الى خيمة وخر كاه قد ضربت له بغير سراق وفي صدر الخركاء ثلاث غناد فدخل وجلس على المخدتين وأطرق اطراق الواجم وأبصر أمر غلظه فبان عليه أسف النادم : وأخرج أبو الحسن نحرير وأبو بكر البازيار الى بغداد للاحتياط على ما فى دار المملكة والخزائن والاصطبلات

(ذكر ماجرى عليه أمر زيار وفولاذ)

لما انحدر صمصام الدولة ولم يبق لهما ملجأ أعيتهما الحيل وضاعت بهما السبل فخذنا نفوسهما بالانحدر ووقع فى قلوبهما حسن ^(١١٣) الظن لتبين مواقع الاقدار فنابت عنهما الاراء وظلت عليهما تلك الانحاء . وقام الرشيد فانحدر بعد صمصام الدولة على الاثر وحملأ أمرهما على الفرر فاما زيار فانه قبض عليه بعيد وصوله وقتل وأما فولاذ فاعتقل ثم حمل الى قلعة نهر . وسار

أبو علي التميمي من دير العاقول الى مدينة السلام بعد ان حذار صمصام الدولة فدخلها وسكن البلد وورد شرف الدولة ونزل الشفيبي في شهر رمضان واجتمع في عسكره من الديلم الواردين والمقيمين تسعة عشر الف رجل ومن الاتراك ثلاثة آلاف غلام فاستطال الديلم على الاتراك فوقت بينهم مناوشة ﴿ ذكر الفتنة التي جرت بين الديلم والاتراك ﴾

كان الديلم قد أعجبهم كثرتهم وغررتهم قوتهم فجرت منازعة بين قري من الطائفتين في دار واصطبل جرت خطبا عظيما

فان النار بالمودين تذكى وان الحرب أولها كلام^(١)

فاجتمع الديلم بالحلبة وركب الغلمان وجرت بينهم حرب كانت^(١١) اليد فيها للديلم وقيل انهم ذكروا صمصام الدولة وهموا بانتزاعه ﴿ ذكر اتفاق سلم به صمصام الدولة من ﴾
(القتل بعد اشرافه عليه)

قال أبو منصور أحمد بن التليث: حدثني صمصام الدولة قال: كنت في خركاه بالشفيبي وليس بيني وبين شرف الدولة الا يسدوها وثوب خيمة تجاورها وقد ثارت الفتنة وذكر في الديلم فسمعت نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتلي ويقول: نحن على شرف أمر عظيم فإيؤمنا ان يهجم الديلم علينا وينزعونه من أيدينا فيصير الى الملك ونصير الى الاسر. وشرف الدولة يمتنع عليه وعلى من كان يشد رأيه فلما زاد الامر أقيماً على باب الخركاه التي كنت فيها غلام بسيف وأظله وصي بقتلي ازهمج الديلم فارتدت وأقبلت على القراءة في مصحف كان في يدي واستخلصت في الدعاء الى الله تعالى

بالخلاص ففضل الله بالسلامة وتفرق جمع الديلم
 ذكر تقریط جرى من ^(١١٥) الديلم في هذه الحرب ﴿
 (حتى آل أمرهم الى التشرذ والهلاك)

كان الاستظهار الديلم على الأتراك في أول الامر لانهم أفلتوا من
 أيديهم مواليين فعلمهم الحق والطمع فيهم حين قلاوا في أعينهم على تتبع آثارهم
 وتشوشت مصافهم والديلم اذا اضطربت تعييتهم بانت عورتهم فوجد
 الأتراك مجالا من ورائهم وأمامهم فحملوا عليهم من وجوههم وظهورهم
 وكانت الدائرة على الديلم ولم يعض الاساعة حتى قتل منهم زهاء ثلاثة آلاف
 رجل وكرّ الغلمان الى البلد فنبهوا دُورهم واحتوا على أموالهم وقتلوا كل
 من أدركوه منهم وتشرذ الديلم فبعض أصعد الى عكبرا وبعض مضى الى
 جسر الزهروان ولاذالا اكثر منهم بنعيم شرف الدولة .

وبان سداد الرأي الذي كان راه زيار لصمصام الدولة في الاصعاد الى
 عكبرا فلو انه قبل منه لكان مع هذه الفتنة قد ناب أمره الى الصلاح لكن
 القدر غالب والتسليم للقضاء واجب

ودخل شرف الدولة ^(١١٦) في ثاني هذا اليوم والديلم اللائذون به قد
 أحدقوا بركا به ونزل في المضارب تحت الدار المسكية . وركب الطائع لله في
 غد في الحديدى مهتاله بالسلامة وتلقاه شرف الدولة الى آخر دار الفيل
 فقبل الارض بين يديه وعاد الطائع لله الى الدار . ووقع الشروع في اصلاح
 ما بين الديلم والأتراك فيسر الله اتمامه وأخذت اليهود على الطائفتين
 فصالحوا وتواهبوا وتمذبت الامور وجرت على الارادة وكان ذلك من
 أقوى دلائل الاقبال والسعادة

﴿ ذكر جلوس شرف الدولة للمهشة وما جرى ﴾

﴿ أمر مصم صمصام الدولة عليه في الاعتقال ﴾

لما حضر عيد الفطر جلس شرف الدولة جلوساً عاماً ودخل الناس على طبقاتهم وجاء صمصام الدولة فقبل الأرض بين يديه ووقف من جانب السرير الايمن وجاء بعده الامير أبو نصر ابن عضد الدولة وفعل مثل ذلك ووقف . وحضر الشعراء فانشدوا وعرض بعضهم^(١١٧) بذكر صمصام الدولة بما فيه غمزة عليه فانكر شرف الدولة ذلك ونهض من المجلس . ولم يُعرف لصمصام الدولة خبر بعد ذلك الموقف حتى قيل انه حمل الى فارس فاعتقل في القلعة وسيأتي ذكر ما يجري عليه الامر في كحله ثم عود الملك اليه بفارس في موضعه بأذن الله

ولما حصل شرف الدولة بمدينة السلام سأل عن أبي الريان وطأب فوجد ميتاً مدفوناً بقيوده في دار أبي الهيجاء عتبة بن عئاب الحاجب وكان سلم اليه بعد القبض عليه وأمر بقتله فقتله فأتى بخرج من مدفنه وسُلم الى أهله وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي القاسم المظفر بن علي الملقب بالموفق أمير البطيحة واستقرار الامر بعده لابن الحسن علي بن نصر بالعهد الذي عهد له حسب ما تقدم ذكره وكتب الى شرف الدولة يسذل الطاعة والخدمة ويسئل التقليد والتلقيب والخلع فاجيب الى ذلك جميعه ولقب بالمهذب أولاً ثم بمهذب الدولة من بعد

﴿ ذكر استقرار الامارة بالبطيحة على الملقب بمهذب الدولة^(١١٨) ﴾

لما توفي المظفر انتصب أبو الحسن علي بن نصر في موضعه . وكان أبو الحسن علي بن جعفر يفوقه في كثير من الخلال سخاء وشجاعة وأبوة

ولكنه قدمه ووطىء عنقه تمسكا بالوصية التي أحكم المظفر عقدها وقلدها عهدا . وكان مع تقديمه اياه ينزل نفسه منه منزلة المشارك في الاعمال والمشاطر في الاموال فابقاه على بن نصر وقاربه وأفرد له النواحي الكثيرة والمعاش الجلية وخلق بينه وبين ارتقاءها . واستمرت الحال على ذلك (الى) ان توفي على بن جعفر فارتجع على بن نصر ما كان في يديه سوى أملاكه الصحيحة فانه أقرها على ولديه . وتدرجت الاحوال لعل بن نصر الملقب بمهذب الدولة في أفعاله الرضية الى الرتبة العلية حتى عظم قدره وسار ذكره واستجار به اخطائف فأجاره بأمانه ولاذ به الملهوف فوطأ له كنف احسانه وسلك بالناس طريقة جميلة في العدل والانصاف وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدها من الاطراف واتخذها الاكابر وطنا فبنوا فيها الدور وشيدوا فيها القصور وقصدها المسترفد^(١) والشعراء من كل صوب وفتح الى بابها فاسمعهم جودا ونوالا واكراما وافضالا . وكان ملوك الاطراف وكتابه وقاربهم وقاربه وزوجه بهاء الدولة ابنته ونقلها اليه واستعان به في عدة أوقات فأعانه واستدان منه فأدانه وخطب له بواسط والبصرة وأعمالها وصرفت اليه الدنيا أعنة اقبالها . وتوالت الايام مفرق مفاخره بمقام القادر بالله رضوان الله عليه في جواره فضاغفت له هذه المنقبة حسبا وصارت له الى استحقاق المدح سببا ولولا كرم نفسه وخيرها لما مدحت البطيحة ولا أميرها :

نفس عصام سودت عصاما وعودته السكر والاقداما
وهذه عقي أفعال الخير فانها تبلغ بصاحبها درجة تُوفى على آماله وتنتهي

به الى منزلة لا تخطر بباله فالسعيد من قدّم عملاً صالحاً لا خراه وخلف
ذكر اجيالا في دنياه . وسيأتى ذكر ما تصرف به الامور في مواضعه بدون
الله تعالى وحسن توفيقه

﴿ ذكر ما اعتمده شرف الدولة من الافعال ^(٢٠٠) الجميلة ﴾

(عند استقراره بمدينة السلام)

رُدّ على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع ما كان له في سائر
البقاع من الاملاك والضياع وجدد عنده آثار النعمة والاصطناع فاستضاف
ضياعاً الى ضياعه وتضاعفت موارد ارتفاعه فكان خراج أملاكه في كل سنة
الفي الف وخمسمائة الف درهم يصححها في ديوان السلطان وناهيك بذلك
ثروة حال وكثرة استغلال

ورُدّ على الشريف ابني أحمد الموسوي أملاكه وأقر ابن معروف على قضاء
القضاة وراعى اسكل من السكتاب والمتصرفين معه ^(٢٠١) وأدرّ عليه معيشة
ورزقة ورفع أمر المصادر وقطع أسبابها وضم ^(٢٠٢) طرق السعاليات وسد أبوابها
﴿ ذكر اتفاق عجيب دل على حسن نية وعاد بصرف أذية ﴾

ذكر أبو الفضل ميهار بن حاتم المجوسي استاذ الدار انه سلم الى شرف
الدولة ^(٢٠٣) مدرجا فيه سعاية فوقف عليه وطواه وتركه على كرسي مخاضه
ونفض من مجلسه وانسيه فلما كان بعد أيام ذكره فقال لي : يا أبا الفضل امض
الى ذلك المجلس واطلب مدرجا تركته هناك . فضيت الى المكان فلم أجده
وسألت عنه فلم أعرف خبره فعدت اليه فأخبرته فشق عليه وشدد عليّ في
الكشف عنه فخرجت من بين يديه وأنا قلق لما رأيت من شغل قلبه

وأحضرت كل حاضر في الدار وغائب عنها من الحواشي والفراشين وبالغت في الوعيد والتهديد وكدت أوقع ببعضهم . فبينما أنا في ذلك اذ حضر فرأش ومعه قطعة من قرطاس وقال : وجدت الغزلان عند المخاد وقد أكل أكثره وبقيت منه بقية هي هذه . فدخلت الى شرف الدولة وشرحت له ما قال الفرأش وأريته القطعة الموجودة فلما تأملها سرى عنه وقال : هذه قطعة من المدرج وقد كنت عازما على تمضية أثره لئلا يقف أحد على خبره فاذا كان الغزال قد كفانا أمره فقد أراد الله تعالى بذلك صرف الاذى عن الناس ولعن الله الشر وأهله . فانظر الى آثار الخير ما أحسن موضوعها واصنع الى أخبار العدل ما أطيب مسموعها وقسها بضدها من الشر والظلم ^(٢٠٢) تجد لهما منظر افظيحا ومسمعا شديما . فطوبى لمن حكّم في التمييز سمعه وابصره ثم وفق في الاختيار للاحسن وتتبّع أثره

ونظر أبو نصر سابور بن اردشير في الاعمال والمعاملات وغمس يده فيما انحل عن الديلم من الاقطاعات ونظر في الامور وتفحصها الى حين ورود أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان علي ما يأتي ذكره
(ودخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة)

فيها ورد الامير أبو منصور وتلقاه الناس كافة من مدينة السلام الى المدائن ثم تلقاه شرف الدولة الى الشفيعي فدخل البلد على غاية الاكرام . وانتظمت الامور علي يديه كل الانتظام وطالب العمال بعمل المصالح وأخذهم باقامة المهارات ووجد الاسعار متزايدة والافوات مبتذرة فرتب نقل الغلات من بلاد فارس في البحر وجدّ في حملها من كل بلد . واستتر سابور ابن اردشير مدة ثم توسط أبو بكر الفرأش حاله على أخذ الامان له من أبي منصور فأمنه .

﴿ ذكر بعض أخلاقه وطرائقه ^(٢٠٣) ﴾

كان الغالب عليه فعل الخير وإيثار العدل وحسن الطريقة في الدين فإذا سمع الاذان بالصلاة ترك جميع شغله ونهض من مجلسه لاداء فرضه ثم عاد بعد ذلك الى أمره . قال صاحب التاريخ : ما رأينا وزيرا دبر من الممالك ما دبره فان مملكة شرف الدولة أحاطت بما بين الحمد من كرمان طولاً الى ديار ريعة وبكر وعرضا الى الاحساء والرقعة والرحبة وحلوان . وكانت له تجارات وحمولات بنيسابور تقبل توقيعاته عليها في المعاملات وأنه عرضت عليه رحال باستحقاق بعض الجند والحواشي فوقع بمالها على الموصل وعمان نصفين ^(١) ونحن نقول كيف به لو أدرك زماننا ورأي هذه الدولة القاهرة التي تجول عساكرها وجند ملوكها في الاقطار [نافذ] بأمره فتزد مشارع الخليج كما ترد مشارع جيحون وسراياها الآن بالخمار قارية لورد النيل وكفي بما بين هذه الموارد الثلاث ممالك واسعة الطول والعرض . وأوامر وزيره نافذة فيها بالابرار والنقض . والدهاء ساكنة في جميعها برأيه وتدييره والهيئة ضابطة لجميعها بسياسته وتقريره . وأين من يوقع على الموصل وعمان ممن يوقع على أعمال الشام وأقصى خراسان ! ان الفرق بينهما بعيد

ثري السها ^(٢٠٤) وأريه القمر

وأي فخر في أن يقبل في بلاد المخالفين خط يكتب على معاملة تجارية ^(٢) فان يكن ذلك من جملة المناقب فامر التجار اذا أخذ في المشرق والمغرب لانهم يكتبون بالاموال الجملة على معاملاتهم فيكون أسرع في الرواج من

(١) روى هذا بينه سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان عن ابن الصابي

(٢) لعله : تجارية

مال الجباية والخراج . وانما الفخر في تقاذ الاحكام على البلاد التي مهدتها
السيوف للاقلام والملك ما قطر الدم من الصفائح في افتتاح أعماله ثم جرى
المداد في الصفائف باطلاق أمواله . وليس هذا موضع بسط المقال في ذكر
هذه الفضائل ولكننا ننزه الفرصة أولا فاؤلا في اقامة الشواهد والدلائل
على تفصيل والدليل على تفصيل زماننا حسب ^(١) ما قد منا ذكره في صدر
كتابنا هذا لتكون أفعالنا محقة بالبيان ودعاؤنا مصدقة بالبرهان . فأحسن
القول ما صاحبهُ الصدق فزانه وأسوأه ما مزجه الكذب فشانه والله تعالى
ولى حسن التوفيق بمنه

ونعود الى سياقة التاريخ . وفي هذه السنة ندب قراتكين الجهمشيارى
لقتال بدر بن حسنويه وخلص عليه الخلع الجليلة وفيها السيف والمنطقة الذهب
وخرج شرف الدولة الى معسكره لوداعه ^(٢٠٥)

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر قراتكين في هذا الوجه ﴾

كان شرف الدولة مغنظا على بدر بن حسنويه لانحرافه عنه وتحيزه الى
فخر الدولة فلما استقرت قدمه وقرب من طاعته كل جامع شرع في تدبير
أمر بدر . وكان قراتكين قد جاز الجد في التبسط فرأى ان يخرج في هذا
الوجه فاما ان يظفر ببدر ويشفى منه صدره واما ان يستريح من قراتكين
فيلقى أمره فجرد معه من العساكر وأصحابه من الخزائن ما استظهر فيه
وعرف تداريجه فاستعد واحتشد وتلاقيا على الوادى بقرميسين

﴿ ذكر خدعة تمت لبدر على قراتكين وعسكره تغريبهم وقلة حزمهم ﴾

لما توافقوا انهزم بدر حتى توارى عنه وظن قراتكين وعسكره انه

قد مضى على وجهه فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا في خيمهم فلم يلبثوا ساعة^(٢٠٦) حتى كر بدر راجما وأكب عليهم اكبابا أعجلهم من الاستعداد والتجمع وقتل منهم مقتلة عظيمة واحتوى على جميع ما في معسكرهم . وأفلت قراتكين بمحاشاة نفسه في شر ذمة من غلمانة وعاد في يومين الى جسر النهر وان تلاحق الفل به واحد بعد واحد وحُمل اليه من بغداد ما لم به شعثه ودخل الى داره . واستولى بدر بعد ذاك على أعمال الجبل وما والاها وقويت شوكته

(* ذكر ما جرى عليه حال قراتكين بعد *)

(عوده في سوء تدبيره وما انتهى أمره)

(اليه حتى آل الى قتله)

قد تقدم القول فيما كان حصل في نفس شرف الدولة منه لاسرافه في استعمال الدالة واستيلاء كتابه وأصحابه والتجاء كل متمزز الى بابه . وعاد من الهزيمة المذكورة وقد زاد تجنيه وتفضيه وتضاعفت تبسطه وتسحبه وأغرى الغلمان بالتوثب في دار المملكة على الوزير أبي منصور حتى لقوه بالصعب وقالوا له : أنت كنت السبب^(٢٠٧) في هزيمتنا بتأخيرك المال والسلاح والنجدة عنا . فلوظفوا ودفعوا عنه ثم وقع الشروع في اصلاح الحال بين الوزير وبين قراتكين فتم . وأسرَّ شرف الدولة من ذلك غيظا فسكته في قلبه وأمسك مرويا في تدبير خطبه فلم تمض أيام حتى قبض عليه وقيد ثم قتل من يومه وأتخذ الى داره من قبض على أصحابه وكتابه واحتاط على معاملتهم وأسبابهم . وخاض الغلمان في الشغب لاجله فلما أيقنوا بقتله وأرضى أكابرهم تبعهم أصاغرهم فامسكوا

وقُدِّم طغان الحاجب بينهم وأقيم مقامه فيهم فلزموا بعد ذلك الطريقة السوية واستشعروا المراقبة والتقية

ومن أعظم الاغلاط دالة الاتباع على السلاطين وان سبقت خدمهم وسلفت حرمتهم فانها مودنة بزوالهم منذرة بورود مناهل الحما. ومثل المدال على السلطان يتمكن منه كمثل راكب الاسد فينما تراه عزيزا ريفيا اذ صار بين برائته ذليلا صريحا ألا وان ذلك لمن أخطر المراكب وأحقها بسوء العواقب . وكفناك بقصة قراتكين تذكرة وتبصرة

ولما تمهدت الامور عُقد مجلس حضره الاشراف والقضاة والشهود (٢٠٨) وجُددت الثقة فيه بين الطائع لله وبين شرف الدولة واستقر ركوب شرف الدولة الى دار الخلافة

(* ذكر ما جرى عليه الامر في جلوس الطائع)*

(محضور شرف الدولة)

ركب شرف الدولة في الطيار بعد ان ضربت له القباب على شاطئ دجلة وزينت الدور التي عليها في الجانبين بأحسن زينة وجلس الطائع لله جلوسا عاما وخلع عليه الخلع السلطانية وتوجّه وسوره وطوقه وعقد له يده لواثين أسود وأبيض وقرى عهده بين يديه . وخرج من حضرته فدخل علي أخته المتصلة بالطائع لله وأقام عندها الى وقت العصر ثم انكفأ الى داره والناس مقيمون على انتظاره . ولما حمل اللواء تحرّق وانفصلت منه قطعة فطير من ذلك فقال له الطائع لله : انما حملت الريح منه قطعة وتأويل ذلك ان تملك مهب الريح.

وكان أبو عبد الله محمد بن أحمد معروفًا في جملة من حضر مع شرف الدولة فلما رآه الطائع لله قال له

مرحبا بالأحبة القادمينا أوحشونا وطال ما آنسونا .^(٢٠٩)

فقبل الأرض وشكر ودعا

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الحاجب بالموصل

* (ذكر ما جرى عليه أمر سعد بعد انحدار زيار من الموصل الى ان توفي) *

لما أراد زيار الانحدار أقر سعدا على الحرب وأبا عبد الله ابن أسد على

الخراج فلم يلتأم ما بينهما وحصلتا على وحشة . وورد شرف الدولة مدينة

السلام فكتب سعدا باقراره على الامر تأنيسا له وكان من عزمه ان يضرب به

بابي على التميمي يوعد سبق من شرف الدولة اليه فمات أبو علي وبطل ذلك .

وعرف شرف الدولة ما يجري بين سعد وأبي عبد الله ابن أسد من الخلف

في الامور فامر باستدعاء ابن أسد وترتيب ابن أخيه في مكانه نائبًا عنه .

وكتب سعد يذكر تضاعف ما تأخر للاولياء من أرزاقهم وفرط مطالبهم

بما اجتمع في استحقاقهم فعول به في الجواب على بقايا الموصل وأعمالهم^(٢١٠)

بحسب ما ذكره ابن أسد بالحضرة . وأخرج اليه أبو سعد الحسن بن عبد الله

الفيروز اباذى وأمر بمناظرة الديلم على النزول عن القائن جميعه أو معظمه فما

وصل أبو سعد الى^(٢١١) الحصاء خيّم بها فحمل اليه سعد انزالا فلم يقبلها .

* (ذكر رأى سيّء لابي سعد من ردّ ما حمله) *

(ومكيدة لسعد تمت عليه)

كان من غلط الرأي ما اعتمده أبو سعد من رد ما حمله اليه سعد من

الانزال فان ذلك عاد بسوء ظنه فيه وأوجس في نفسه انه لم يفعل ذلك الا
عن قاعدة أحكمت في طلب مكروهه . وكان الديلم يميلون الى سعد
ويطيعونه فأوحشهم من أبي سعد ووضعهم باطنا على الايقاع به فشنبوا
وراسلوا سعدا : بانك لم تزل تعدنا وتعطلنا بورود من يرد من حضرة السلطان
للاظر في أمورنا وقد ورد هذا الرجل وما رأينا وجهها لما كنا نتوقمه وبلغنا
انه معول على المسير الينا لاستئذاننا عن أموالنا وارضاءنا من البقايا وهذا
مما لا نقتنع به . فاجابهم جوابا ظاهرا أسكتهم به وراسل أبا سعد بان :
الصواب ان ترفق بهم اذا راسلوك رفقا لا تلين لهم فيه وتستوفى عليهم
استيفاء لا تنفرهم به . فلما حضره رسلهم^(٢١١) غلظ في جوابهم فوثبوا به
وهموا بقتله فهرب والقي نفسه الى دجلة فاستنقذ منها الى بعض السفن
وهو مجروح وعبر الى الجانب الشرقي الى ان سكنت النائرة ثم رده سعد
الحاجب وأنزله داره وأمر بمداواته مما به . ومضت أيام فاعتل سعد
الحاجب وقضى نحبه (وقيل ان أبا سعد الفيروزاباذي واطأ بعض خواصه
على سمه) فلما توفي ظهر أبو سعد وجلس في داره واحتاط على ماله وتولى
الامور الى ان وصل اليه من الحضرة من اجتمع معه على تحصيل التركة وحملها .
وأخرج أبو نصر خواشاهه الى الموصل لحفظ أكنافها وزم أطرافها .
وتجدد اباد بن دوشنك مع وفاة سعد الحاجب طمع في التغلب على

البلاد فصار الى طور عبيدین وهو جبل مطل على نصيبين

(ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر خواشاهه مع باد)

(عند اصعاده من الموصل)

لما عرف أبو نصر الخبر دعت الضرورة لقصد نصيبين لدفع باد^(٢١٢)

فكتب الى الحضرة يستمد ويستنجد فأمد وأنجد بما هو غير كاف وخاف
ان يجري حاله مع باد على ما جرت عليه حال أبي سعد بهرام وأبي القاسم
سعد فاستدعى بنى عقيل واستدناهم وعول في حرب باد عليهم لانهم أخف
خيولا وأسرع خروجاً وفتولاً والا كراذيلهم بطاء وعددهم للحرب تقال
(ذكر رأى رآه أبو نصر في اقطاع البلاد حين)

(تمذرت عليه وجوه الاطلاق)

كان الوزير أبو منصور يقصده أشغب بينهما فأخبر أمره وعلمه بالمواعيد
ثم كان قد رما حمله له بمسد تلك المواعيد المسكرة ثلثمائة الف درهم وأين
يقع ذلك القدر من مثل هذا الخطب ! وكان أبو نصر يطل من معه بوصول
الحمل فلما عرف مبلغه رأى أن يكتم أمره خوفاً ان يظهر فتقطع الا مال
وتفرق الآجال^(١) ويهجم عليه باد فينهزم بأسوأ حال . فعدل الى تفرقة البلاد
على العرب وتسليمها اليهم وقال : هذه بلاد بازاء عدو وقد استفحل أمره
واذا حصات لهؤلاء العرب دفعوا عنها في عاجل الحال لنفوسهم دفع القوم
عن حربهم فان قوى أمر السلطان^(٢) كان انتزاعها من أيديهم أسهل من
انتزاعها من يد باد . فكان الواحد منهم يكتب نصة ويسأل فيها اقطاعه
الخربة الفلانية (وتكون ضيعة جميلة) فيوقع له بها من غير اخراج حال
ولا تعرف ارتفاع وارتق كاتبه على ذلك أموالاً جمة

• (ذكر حيلة سجر بها باد عين من بازائه واسترهبهم) •

كان يقم البقر على رؤس الجبال ويحمل بينها رجاله يرقون بالسيوف
والحراب فاذا شوهوا من بعد ظنوا رجالاً فلا يقدم المسكر على الصعود

اليهم . فاتفق انه نزل أخ لباد وقاتل قوما من العرب فقتل وبلغ قتله من باد كل مبلغ وضعف أمره فيينا هو في ذلك اذ ورد الخبر على أبي نصر بوفاة شرف الدولة فسكرته وعاد الى الموصل فظهر فيها الغزاء به . وانفسح باد وأصحابه وتمكن من طور عبيدين واستضافها الى ديار بكر ولم يقدم على الاصحار خوفا من العرب فصار الجبل له والسهل لبني عقيل ونمير . وكان أبو نصر على اصلاح أمره ومعاودة حرب باد اذ أصعد ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة ^(٢١٤) الى الموصل . وسيأتي ذكر ما جرى عليه أمرهم من بعد بأذن الله تعالى

﴿ ودخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ﴾

فيها قبض على شكر الخادم من الموضع الذي كان مستترا فيه وحمل الى حضرة شرف الدولة وعلى أبي منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي لاجله

*(شرح الحال في ذلك) *

كان شكر قد أساف الى شرف الدولة ما أوحشه وتولى ايماده عن بغداد الى كرمان في حياة عضد الدولة وقام بأمر صمصام الدولة فحقد عليه شرف الدولة فلما انحل أمر صمصام الدولة ووقع اليأس منه خاف شكر . وكان أبو منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي صديقا خصيصا له فقال له : شرف الدولة قد أقبل وأرى الاستظهار لنفسى بالاستتار ثم اعمل الحيلة في الخروج عن البلد فاعد لي موضعا عندك لا يصير اليك . فقال له أبو منصور : اما حصولك في دارى فلا يخفى لكثرة من يطرقها واكن اختار لك مكانا منه . فلما كان في ^(٢١٥) الليلة التي انحدر فيها صمصام الدولة

الى شرف الدولة استدعى من قبل أبي منصور من يصير به ليلا الى الموضع الذى أعده . فانفذ اليه زوجته بنت أبي الحسين ابن مقلة ونزل شكر في سارية وأصعد الى الجسر كأنه ماض الى عكبراً ثم انتقل الى سارية أخرى مع المرأة ولبس خفا وازارا كان قد استصحبهما وصارت به الى دار أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي الفقيه فاقام عنده مديدة . فقطن به فانقل الى دار رجل بزّاز في رجة خاقان يعرف بابن هرون وكان أبو منصور الشيرازي يثق به

* (ذ كر رأي سديد رآه البزّاز وقبله شكر) *

(ثم خالفه فيه من بعده)

قال له : أيها الاستاذ ملاك أمرك وأمرى في سترك ان أتولى خدمتك ولا يدخل الى بينى وبينك وبين هذه المرأة (اشارة الى زوجته) رابع . فقال : افعل . فقام الرجل بخدمته فلما مضت مدة راسل شكر أبا منصور وقال له : لى جارية حبشية وأنا أثق بها وأريد ان تتولى خدمتى . فاجابه : باننى لا آمن عليك . فراجعته حتى استقر الامر على^(٢١٦) احضارها فأحضرت وأقامت معه . وكان قد عاق قلبها بهوى فكانت تأخذ من الدار الماء كؤل وغيره وتخرج الى حيث يدعوها هواها وربما احتبست فى أكثر الاوقات فلهحق شكراً ضجّر من فعلها ومنعها من الخروج فلم تتمتع * (ذ كر فساد رأى شكر فيما دبر به أمره) *

لم يقنع بما غلط فيه من الخروج بسببه الى غير أهله وقد قيل فى المثل « لا تقش سرك الى أمة » حتى غلط ثانيا بالضجر فى غير وقته فانه لما كثر ضجيره منها رماها فى بعض الايام بحمىدي أصاب به وجهها فخرجت

من الدار غضبي ومضت الى باب شرف الدولة وصاحت « النصيحة
النصيحة » فسئلت عنها فقالت : لا أقولها إلا له . فأدخلت الدار وأخرج
اليها بعض خواص الحاشية فاخبرته بحال شكر فرتب مع صاحب المونة
من الخواص من يمضى للقبض عليه فقالت : قد جرى بيني وبينه نقرة وربما
استوحش وانتقل فأبدءوا بدار أبي منصور الشيرازي . ففعلوا ذلك فهاشم
أبو منصور وهو قاعد في داره عند حرمه ^(٢١٧) الا بهجوم القوم عليه بنته
قبض عليه وقبضت الدور والحجر فلم يوجد شكر . فمضوا الى دار البراز
وكبسوها وأخذوا شكر منها وحملوا جميعا الى حضرة شرف الدولة فاما شكر
فان تحريرا استوهبه قبل وصوله فوهبه له وعاد به الى داره وأحسن اليه .
ومضت مديدة وحضر وقت الحج فسأله الاستئذان له في الحج فأذن له
وخرج ثم عدل عن مكة الى مصر وحصل عند صاحبها . وأما أبو منصور
فانه اعتقل فتلطف الوزير أبو منصور ابن صالحان في أمره

﴿ ذكر تدير لطيف عمله الوزير أبو منصور ﴾

(في خلاص أبي منصور الشيرازي)

قال لشرف الدولة : هذا رجل اليه ديوان الضياع وعليه علق
وحسابات وأنا آخذة الى الديوان وأتولى محاسبته ومطالبته بمساعله .
فسلم اليه ونقله الى حجرة تجاور داره وأولاه الجعيل ثم توصل الى اطلاقه
بعد شهر

ولم يوجد في بقية احداث هذه السنة ما فيه ذكر تدير وسياسة ^(٢١٨)

﴿ ودخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها أنفذ الطائم أبا الحسن علي بن عبد العزيز [بن] حاجب النعمان كاتبه

الى دار القادر بالله رضوان الله عليه وهو أمير للقبض عليه فخباه الله تعالى منه
﴿ ذكر السبب في ذلك وما جرى عليه الامر فيه ﴾

لما توفي اسحق بن المقتدر بالله والد القادر بالله رحمة الله عليهم جرى
بينه وبين أخته آمنة بنت معجبة منازعة في ضيعة وطال الامر بينهما
وعرضت للطائع لله علة^(١) أشغى منها ثم ابل^(٢). فسمعت آمنة باخيها القادر بالله
الى الطائع لله وقالت له : انه شرع في تقلد الخلافة عند علتك . فظن ذلك حقاً
وتغير رأيه فيه وأنفذ أبا الحسن ابن حاجب النعمان وأبا القاسم ابن أبي تمام
الزيبني^(٣) العباسي الحاجب للقبض عليه فاصعدوا في الماء الى داره بالحريم
الطاهري . فحكى القاضي أبو القاسم التنوخي عن صفية بنت عبد الصمد
ابن القاهر^(٤) بالله قالت : كنت في دار الامير أبي العباس (تبنى القادر
بالله) يوم كبست بمن أنفذ الطائع لله وقد جمع حرمه في غداة هذا اليوم
وكنت منهن فقال لنا : رأيت البارحة في منامي كأن رجلاً يقرأ على « الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل » وقد خفت ان يطالبني طالب . وهو في حديثه
اذ شاهد زبب ابن حاجب النعمان قد قدم الى درجة داره فقال : انا لله
هذا حضور مريب بعقب هذا المنام . وصعد القوم من الزبب اليه وتبادروا
الى وراء الابواب فقالوا له : أمير المؤمنين يستدعيك . فقل : السمع والطاعة .

(١) وفي الاصل : على (٢) أبو تمام الزيبني هو الحسين بن محمد بن عبد
الوهاب بن سليمان بن محمد الشريف قاضي القضاة قدم بغداد مع معز الدولة واشترى
داراً باربعة وعشرين ألف دينار وولى قنابة بغداد وتفقه على أبي الحسن الكرخي توفي
سنة ٣٧٢ . كذا في تاريخ الاسلام

وقام فقال له أبو الحسن : الى أين ؟ فقال : ألبس ثيابا تصلح للقاء الخليفة .
فملى بكمه ومنعه فبرزنا اليه وأخذناه من يده ونزل الى سرداب في الدار
ووقفنا في صدره حتى تخلص وعاد القوم الى الطائع لله وعرفوه الحال ^(١)
وانحدر القادر بالله بعد ذلك مستخفيا الى البطيعة فقام عند مهذب
الدولة الى ان عقدت له الخلافة . وجعل علامته حين تقلد الامر « حسبنا
الله ونعم الوكيل » تبرُّكا بالرويا التي رآها

ومن بعد هذه ^(٢٣٠) الحكاية نقول ان الله تعالى اذا اصطفى عبدا اظهر
عليه آثار الكرامات ودل على اصطفائه بالآيات والعلامات واذا اختاره
لامر هيا له أسبابه وفتح عليه أبوابه ونجّاه من كل سوء يخشاه وجعل الى
الخير مآله وعقباه . قال سبحانه في محكم التنزيل « وينجي الله الذين اتقوا
بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون »

وفي هذا الوقت أخرج محمد الشيرازي الفراش لكحل صمصام الدولة
﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك ﴾

كان تحرير الخادم يحض شرف الدولة على قتل صمصام الدولة ويقول
له : انه ملك قد قعد على السرير ولا يؤمن الدهر وحوادثه ودولتكم مع بقائه
على خطر . فيعرض شرف الدولة عن هذا القول فلما اعتل وأشفى الح عليه
في ذلك وقال له : ان لم تر القتل فالكحل اذا . فاخرج محمد الفراش
لسجل صمصام الدولة وسلم اليه شيئا أمر بان يكحله به ثلاثة أيام كحلا ويشد
عليه عينيه فحضر الفراش فقبل ان يصل توفي شرف الدولة . فحصل الفراش
بسيراف والقاعة التي فيها ^(٢٣١) صمصام الدولة كانت من أعمالها وعاملها رجل

يهودي يسمى روزبه فذكر الفرائش للعامل ما ورد فيه فقال : هذا أمر قد بطل حكمه مع وفاة شرف الدولة ولا يجوز تمكينك منه الا بعد اعلام أبي القاسم العلاء بن الحسن الناظر . فكتب اليه يستأذنه فماد جوابه بتمكينه مما ورد فيه فقصد القلعة وكحل صمصام الدولة بما صحبه فذهب ناظره

* (ذكر قلة حزم في استرسال عاد على صاحبه بوبال) *

كان في جملة الموكنين بصمصام الدولة فراش يسمى بنداراً وقد أنس به لتطاول المدة فقال له قول المترني : كيف الملك ؟ فقال له بالاسترسال : قد بقيت من نظري بقية أبصرُ بها من تلك الكوّة . فعاد بندار قوله على محمد فاجتمعا على ان يحصا عينيه بمبضع . فلما عاد صمصام الدولة الى الملك بفارس رام بندار ان يخدمه على رسمه فامر صمصام الدولة بان يكون مع السترين^(١) بالبعد منه فقال بندار : هكذا أستحق من الملك بعد خدمتي له وصحبتى معه ؟ فأعيد قوله عليه فقال : أما يرضى بالابقاء^(٢) عليه حتى يدلّ بهذه الدالة . واتصل الحديث بالامير أبي طاهر واطلع على قصته فامر بأخذه وصلبه فصلب . وكان صمصام الدولة يقول : ما سلمنى الا العلاء بن الحسن فانه أمضى في أمر ملك قدمات . ولما قبض عليه واقفه على ذلك ثم عفا عنه . وحصل محمد الفرائش ببغداد فلما ورد عميد الجيوش أبو على الحسن بن أستاذ هرمز من العراق قال : أريد ان أشفى صدرى بقتله جزاء له على سوء فعله . فهرب منه الى مصر وأقام بها الى ان مات عميد الجيوش

وفي هذه السنة توفي شرف الدولة وقام الامير أبو نصر مقامه في الملك

(١) قال ابن بطوطا ان الستائرين هم الذين يسكون دواب الخدام على باب المشور

« ذكر ما جرى عليه الامر في علة شرف الدولة) »

(واستقرار الامر للامير أبي نصر بعده)

اعتل شرف الدولة العلة التي توفي فيها وكانت من استسقاء فلما اشتدت به ندب أبا علي ولده الى الخروج الى فارس للنيابة عنه بها وأخرج معه والدته وجماعة من خزيمه وأصحابه جل عدده ^(٢٢٣) من مال وسلاح وضم اليه عددا كثيرا من وجوه الأتراك . وعلى أثر انحدار ولده غلب عليه المرض حتى غلب اليأس منه على الرجاء فيه فاجتمع وجوه الاولياء ورأسلوه باستخلاف الامير أبي نصر فيهم الى ان يزل من مرضه فاجابهم الى سؤالهم وروسل الامير أبو نصر بالحضور فامتنع وأظهر القلق والجزع . واستقرت الحال على اظهار استخلافه في غد ذلك اليوم وغدا الناس الى دار المملكة لذلك . فجرى من بعض القواد والخواص مطالبة باستحقاقهم خرجوا فيها الى التشديد فتقوض الجمع من غير تقرير أمر . وعاجلت شرف الدولة منية ففضى نخبه وكثمت أمره ليلة واحدة وأصبح الناس وعند أكثرهم خبره واجتمع العسكر فطلبوا الامير أبا نصر برسم البيعة وتردد الخوض معهم في أمر العطاء ومبلغ ما أطلق لكل واحد منهم . فتولّى خطابهم بنفسه وأعلمهم خلوا الخزائن من المال الذي يعمهم ووعدهم بكسر ما فيها من الاواني والصياغات وضربها عينا وورقا وصرفها اليهم وأطل المساء وراحوا الى منازلهم من غير استقرار وباكروا الغدوا الى الدار فوجدوا الامير أبا نصر قد أظهر المصيبة وجلس للتعزية ^(٢٢٤) فامسكوا عن الخطاب .

وخرج تابوت شرف الدولة وتقدم للصلاة عليه أبو الحسن محمد بن عمر البلوي وحمل الي المشهد بالسكوفة . فكان مقام شرف الدولة بيقعداد

سنتين وثمانية أشهر وأياما وعاش ثمانى وعشرين سنة وخمسة أشهر ثم بلغ الكتاب أجله ودعاه الداعي فاستعجله وزنته المنية ثوبى ملكه وشبابه واختطفته من بين حشمه وأصحابه فمضى غضا طرياً اما سعيدا واما شتيا في سبيل لا بد للخلائق من سلوكها ولا فرق فيها بين سوقتها وملوكها ولربما كانت السوقة أخف ظهورا وأسرع في تلك الغمرات عبورا . فأف لدار هذه صورة سكانها ولشجرة هذه ثمرة أغصانها ! لقد ضل من اتخذ هذه الدار قرارا واستطاب من هذه الشجرة ثمارا فطوبى لمن قصر في الدنيا أمله وأصلح للآخرة عمله . قال الله تعالى : انما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دارُ القرار

وترددت بين الامير أبى نصر وبين الطائع لله مراسلات انتهت الى ان حلف كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء وركب الطائع لله من غد للغزاه ^(٢٢٥)

﴿ ذكر ماجرى عليه الامر في ركوب الطائع لله للتمزية ﴾
 قدم الطيار على باب الدرجة وفرش سطحه بديقى وعليه مقرمة ديباج حمراء منقوشة ووسطه بديباج أصفر وعليه مقرمة ديبقية ووقف الغلمان الاتراك الاصاغر بالسيوف والمناطق في دائر المجلس الاوسط ووافى حجاب شرف الدولة الاتراك والمولدون في الزباب بالثياب السود والسيوف والمناطق وكل منهم قائم في زبزه واجتمع من السفن التي فيها العامة عدة كثيرة . وخرج الطائع لله من داره وتحت فرس صنبائى بمركب خفيف وسرج مغرى أحمر وعليه قباء ملحم أسود ونمامة خز سوداء على رؤسافيه وهو متقلد بسيف وبين يديه خمسة رؤس فوق سروجها جلال

الدياج ونزل الى الطيار فجلس في المجلس الاوسط على المقرمة في الدست على خلاف عادة الخلفاء فانهم كانوا يجلسون على سطح حرافة وبين يديه مجلس طيار وقيل انه فعل ذلك لانه كان في عقيب علة وأراد ان يخفى ما بوجهه من آثارها .

فوقف بين يديه أبو الحسن على بن عبد العزيز كاتبه ودجي حادمه^(٢٢٦) والعباس حاجبه وسار الطيار الى دار المملكة بالمخرج فنزل الامير أبو نصر متشحا بكساء طبري والديلم والترك بين يديه وحواليه الى الشرعة التي قدّم اليها الطيار وقبل الارض وصعد أبو الحسن ابن عبد العزيز الى الامير أبي نصر فأدى اليه رسالة عنه بالتعزية فقبل الارض ثانيا ودعا وشكر . وعاد أبو الحسن الى حضرة الطائع لله وأعلاه شكره ودعاه وعاد الصعود الى الامير أبي نصر لوداعه عن الطائع لله فأعلاه شكره ودعاه فقبل الارض ثالثا وانحدر الطيار على مثل ما أصعد وعاد الامير أبو نصر الى داره ثم ركب الامير أبو نصر بعد خمسة أيام الى حضرة الطائع لله فخلع عليه الخلع السلطانية واقبّه بهاء الدولة وضياء الملة وقرى عهد بين يديه بالتقليد وقدم اليه فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه آخر بمثل مركبه وسار المسكر حواليه الى باب الشماسية في القباب المنصوبة ونزل الى الطيار وانحدر الى دار المملكة

﴿ ذكر ما دبره بهاء الدولة عند قيامه بالملك^(٢٢٧) ﴾

أقر الوزير أبا منصور ابن صالحان على الوزارة وأصحاب الدواوين وغيرهم على ما كان اليهم ثم صرف أبا سعد ابن النياط عن ديوان الانشاء مع مدّ يده وعول فيه على أبي الحسن على بن محمد السكوكي المعلم وخلع عليه

الطائع لله وكناه ولقبه بالسكافي وكانت الخلعة ذُرَّاعة ديبقية وعمامة قصب وحمله على فرس بمركب . وقبض على تحرير الخادم وأبي نصر ابن كعب فاعتقلا ثم قتلا

فاما تحرير فكان هلا كه على يد الحسين الفراش فاما أبو نصر ابن كعب فعلى يد أبي الحسن السكوكي

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

كان بهاء الدولة شديد الميل الى تحرير كثير الثناء عليه فلما توفى شرف الدولة أراد منه ان يجري في خدمته على ما كان عليه في خدمة شرف الدولة فامتنع تحرير ونظاير بليس الصوف واجتهد معه كل الاجتهاد مراسلة بالشريف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبي منصور محمد بن صالحان ومشافهة بنفسه فما أجدى معه تقما (٢٢٨)

* (ذكر ما ارتكبه تحرير من اللجاج حتى آل به شر مآل) *
لم تنزل الحكماء وأولو العقول الراجحة يحذرون ركوب مطبة اللجاج فانها كثيرة السكوبة والنفور تلقي صاحبها الى الورطة والتبور . قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالاستاذ الفاضل : كنت قائما بين يدي بهاء الدولة وهو يخاطب تحريرا ويقول له : لا تزهد في مع رغبتى فيك فاننا أولى بك على ما كنت عليه من قبل . وتحرير يقبل الارض ويستغنى الى ان انتهى بهاء الدولة الى ان قال له باللغة الفارسية وقد دمعت عيناه : افعل لله . فاقام تحرير على أمر واحد في اللجاج الذى لا يقابل الملوك بمثله وانصرف من بين يديه ودخل الحسين الفراش بعد ساعة وقال : قد طلب تحرير عشرين الف درهم من الخزانة . فقال : احملوها اليه

﴿ ذكر حيلة عملها الحسين الفراه نهر بها قلب بهاء الدولة ﴾
(من تحرير حتى أمر بالقبض عليه ^(٢٢٩))

لما حملت الدراهم الى تحرير عاد الحسين الفراه وقال : عرفت انه معول على الحرب في هذه الليلة وانه أخذ الدراهم وجعلها في أكياس نفقة الطريق . فارتعج بهاء الدولة لذلك وسهر ليلته يراعيه وينفذ فرائضه بمد فراش الى داره ليمرف ما هو فيه الى ان أسفر الصبح ولم يكن لما ذكره الحسين الفراه أصل وانما أراد الاغراء به . وعطفت الجماعة بمد ذلك على بهاء الدولة باليوم له ولا سيما أبو الحسن ابن عمرو فانه كان عدواً لتحرير وقال : أيها الملك قد أسرفت في مداراة هذا الخادم اسرافاً يشيع ذكره وأصر على مخالفتك اصراً يصغر عنه قدره . وما زالوا بهذا القول وأمثاله حتى غيروا رأيه في تحرير وزادوا غيظه منه . فحضر تحرير بعد أيام ومعه أبو نصر ابن كعب وكان خصيصاً به وأبو الحسن محمد بن عمر وأبو منصور الوزير وأبو سعد ابن الخياط في الحجرة مجتمعون فأذن بهاء الدولة في القبض عليه . ورأى أبو نصر أمارات التغير والتتكبر فإشار الى يده وقال : ما الخبر . فإومات اليه بالقيام فقام وتبعه أبو سعد ابن الخياط وأخذ أبو نصر ابن كعب الى الخزانة فاعتقل فيها . وبقي أبو الحسن محمد بن عمر وتحرير فقال له محمد بن عمر : ^(٢٣٠) يا هذا قد أسرفت في الدولة ومن أنت وما قدرك حتى تتمتع من خدمة هذا الملك العظيم ؟ فإغلظه في القول وتحرير مطرق فلما زاد الامر عليه رفع رأسه وقال له : أيها الشريف أين كان هذا القول منك في أيام مولاي وأنت ترى أفضل آمالك اذا تسمت في وجهك ؟ فأما الان وأما على هذه الحال فاستعمال ما أنت مستعمله لؤم قدرة وسوء

ملّكة وكيف ألامُ على ترك الدنيا بعد ملك ابتاعني بالف درهم ثم رفني الى ان كنت تخدمني ولا أخدمك وتحتاج اليّ ولا أحتاج اليك ؟ فاغتاظ أبو الحسن ابن عمر وانصرف . وأخذت بيد نحرير فاقعدته على الفراش من الارض فقال لي : أريد أن تحمل اليّ مصحفاً وان تقول لمولانا الملك « ما كان امتاعي عليك الا ما جرت به الاقدار من ادباري وقد خدمتك وخدمت أخاك وأوجبت عليك حقاً بذلك وأسألك أن لاتسلمني الى عدوّ يشتني مني وان تكون أنت الآمر بما تفعل بي » وأعدت قوله على بهاء الدولة فقال : ارجع اليه واحمل اليه مصحفاً كما طلب وقل له « هذه نمره لجاحك فالي من تريد أن أسلمك » : وحملت اليه المصحف وأعدت عليه القول فقال : الي أبي جعفر الحجاج . وعدت الي بهاء الدولة فاعلمته فاعترض ^(٢٣١) الحاضرون على ذلك فلم يصغ بهاء الدولة الى أقوالهم وتقدم بحمله الى أبي جعفر فحمل

﴿ ذكر مكرمة أخرى عملها الحسين الفراه ﴾

سكن بها من قتل نحرير)

جاء الحسين الفراه بعد أيام فقال لبهاء الدولة : أيها الملك قد بلغني عن ثقة صادق ان أبا جعفر الحجاج معول على الركوب في غد ومثلتك في أمر نحرير فان أجبته الى ذلك أفرجت عن عدوّ لا تأمنه فيما عاملته به وقد علمت طاعة الأتراك له وان منعه أضفت الى استيحاء نحرير استيحاء أبي جعفر . قال : فما الرأي . قال : ان تسبقه الى أخذه من داره . قال : فالي أين يحمل . قال : الي داري التي تأمن فيها علي مثله . فامر عند ذلك بانقاذ من يأخذه فدُمل واعتقل في غرفة . ومضت أيام واتفق ان بهاء الدولة خرج يوماً في

آخر النهار من الهجرة والحسين الفراش يساراً أخاه وظهره الى الموضع الذي خرج منه بهاء الدولة فلم يشعر به حتى رآه أخوه فأنذره فاقبل اليه فقال له بهاء الدولة وقد رأى في وجهه وجوماً وتغيراً : في أي شيء أنت ؟ قال : يامولانا ذكر أخي ان جماعة من الغلمان الشرفية ^(٢٣٢) اجتازوا على داري وراهم نحرير من الغرفة فصاح اليهم وقال لهم « أنا نحرير فاهجموا على الدار واستخلصوني » فخاف الموكلون به ان يؤخذ من أيديهم فقتلوه . فقال : ويلك ما تقول . قال : ما يسمعه مولانا . فورد على بهاء الدولة من ذلك ما أزعجه وعرف بعد ذلك ان ما حكاه الحسين الفراش باطل وانه هو الذي أمر الموكلين بقتله فاسترها في نفسه ولم يبد لها له

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر ابن كعب في قتله ﴾

كان أبو الحسن الكوكبي نقله الى داره وأخذ منه مالا فلما قُتل نحرير خاف ان يظهر ما وصل اليه منه . قال أبو نصر المعروف بالاستاذ القاضل : كنت في بعض الايام جالسا مع الكوكبي فوافاه بعض غلمان الخزانة وأسر اليه شيئاً لم أسمع به وعاد فقال لي الكوكبي : أتدري ما نحن فيه . قلت : لا . قال : قد أسقى ابن كعب السم دفعتين وما عمل فيه وسقي ثالثاً وكان غاية فله ان أظهر نفخاً في وجهه . فوجئت من قوله فلما كان في غد قال لي : أعندك خبر ابن كعب ؟ قلت : لا . قال : لم ينفع ذلك السم حتى ^(٢٣٣) أعناه بالسيف وهو يضحك

﴿ ذكر مقابلة عجيبه فيها عبرة وتذكرة ﴾

لما تجرأ الفراش والكوكبي على ما تجرأ عليه عجل الله الانتقام منهما جميعاً . فاما الفراش فانه اعتُقل في دار نحرير وقتل بعد قليل وأما الكوكبي

فانه سُقي السم عند قتله مرارا فلم يعمل فيه حتى خنق بجبل الستارة وحضر
بعض الاتراك فوجاه بسكين كانت معه .

فانظر الى هذه المقابلة الوجيمة الشريفة كيل الصاع بالصاع

وكن كيف شئت * فكما تدن تدان

واذا كانت هذه حال الدنيا التي عود الله فيها للمقابلة امهالا فما ظنك في
الآخرة التي جعل الله فيها لكل ذرة مثقالا ؟ فتعسا للظالم ما أشقاه وتبأ له
ما أجعله وأعناه أنظن أنه ظلم غيره ؟ كلا انه ما ظلم الانفسه أما تعلم ان الحاكم
عدل وان القضاء فصل فهلا أعد لموقف سؤاله جوابا في اليوم الذي قال الله
تعالى : يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر « يا ليتني كنت ترابا »
وفي هذا الوقت جرت منافرة بين الديلم والأتراك أثارت من الصدور
(٢٣٤) اضطرابا ولقحت بينهم حربا عوانا . وتحصن الديلم بالدروب وعظمت
القصة واستمر القتال أياما حتى برز بهاء الدولة الى معسكر الاتراك ونخيم
عندهم لانهم كانوا أخشن في القوة جانباً وألين في الطاعة عريكة . فتلافي
الامر وراسل الديلم ورفق بالأتراك حتى ألفت الحرب أوزارها ووقع
الصلح وعاد الاتراك الى البلد وتواهبوا وتصاخفوا وحلفت كل طائفة
للأخرى . وقويت شوكة الاتراك وعلت كلمتهم وضعف أمر الديلم بعد
هذه الواقعة وتفرق جمعهم وتسلاوا في كل طريق ومضى فريق بعد فريق
﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي علي بعد انحذاره ﴾

انحدر الامير أبو علي ومن في صحبته على ما تقدم ذكره فلما حصلوا
بواسط استعجمت عليه أخبار شرف الدولة وانقطعت النوبة المترددة بالكتب
فساءت الظنون ثم ورد عليهم ما دل على اليأس منه فسار الامير أبو علي

والانراك على الظهر وانحدرت الخزائن والحرم والاثقال الى البصرة ووقع الاجتماع بطاراً . ووردت الكتب بوفاة شرف الدولة وانحدر^(٢٣٥) أبو شجاع بكران بن أبي الفوارس والحاجب أبو علي ابن أبي الريان يريد الجماعة فأشير على الأمير أبي علي بالتهجيل الى ارجان قمل وصحبه خواص الحرم في عمّاريات واستصحب ما خف محمله وعول على طاهر بن زيد صاحب عبادان في توجيه بقية الخثم والاثقال التي معهم في البحر الى ارجان فقدم بتنفيذ شيء منها . ووصل بكران وابن أبي الريان فاستوتفعا كل من كان تأخر مع بقية الاثقال وقال لهم : انما وردنا لتغليب قلوبكم . [ثم] ورد الأمير أبو علي الى حضرة بهاء الدولة عمه ليقضي فيه حق شرف الدولة عليه وأعاد الجماعة من عبادان الى البصرة .

ثم شغب الديلم بالبصرة وطلبوا رسم البيعة ولم يكن للمال وجه فاخذ بكران على سبيل القرض من تلك الثياب والصياغات شيئاً كثيراً وصرفه اليهم ثم وقع اليأس من عود الأمير أبي علي فقتلهم البقية . وحصل الأمير أبو علي بالرجال وكان أبو القاسم الرضيع بها على مارتبه شرف الدولة من النيابة عنه وحصل معهما عدد الاتراك وفيهم مثل خمارتسين الحمصي^(١) وأبو الفارات والبكي ومن يجري مجراهم وكانوا جمهور العسكر فعمالوا على المسير الى فارس

﴿ ذكر رأي رآه أبو القاسم^(٢٣٦) العلاء بن الحسن ﴾

﴿ بالبصرة وندم عليه بعد الروية ﴾

لما انتهى اليه تميز القوم خاف ان يستقيم الدولة للأمير أبي علي ولا

(١) وفي الاصل « بن الحمصي » والصواب فيما بعد

يكون له فيها قدم فاستمجل بمكاتبه الامير أبي علي وأبي القاسم الرضيع وعرفهما ما اعتمده من جمع كلمة الديلم على الطاعة . وكان المرتب في القلعة التي فيها صمصام الدولة والامير أبو طاهر قد أطلقتهما وكذلك المرتبة التي فيها فولاذ بن ماناذر أيضا وجصل الثلاثة (١) كلمة الديلم على عليك صمصام الدولة وأبي طاهر ونادوا بشعارهما وقام فولاذ بتقرير ذلك . وندم أبو القاسم العلاء بن الحسن على مكاتبه الامير أبي علي وعلم ان أبا القاسم الرضيع باستيلائه سيستل عليه ويستبد بالامردونه فكاتب صمصام الدولة وأبا طاهر [و] فولاذ واستدعاهم ووعدهم ومناهم . وسار الامير أبو علي حتى نزل على ثلاثة منازل من شيراز

﴿ ذكر ما دبره أبو القاسم العلاء بن الحسن في أمر ﴾
(الرضيع حتى قبض عليه (٢٣٧))

اختار ستين رجلا من وجوه الديلم وواقفهم على ان يلتقوا الامير أبا علي ويخدموه ويعرفوه عن الاولياء طاعتهم له ويطالبوه بالقبض على أبي القاسم الرضيع قبل الدخول الى البلد وترتيب من يقوم مقامه بعد الاستقرار فيه . وضمن العلاء بن الحسن لهؤلاء الوجوه اقطاعات الرضيم بفارس وكانت كثيرة فطمعوا فيها وبالنوا في خطابهم حتى أجبيوا الى القبض على الرضيع وحمل الى العلاء بن الحسن فانفذه الى القلعة . وتمم الامير أبو علي والأتراك الى شيراز فخيّموا بظاهرها

(١) ياض في الاصل لعله سقط « واجتمعت »

﴿ ذكر حيلة رتبها العلاء بن الحسن أفسدها الحال ﴾

(بين الديلم والأتراك حتى بلغ غرضه)

أحضر غلاما من الأتراك يعرف بـ «نوشتكين» . وخبده وقال له : هل فيك لاستخدامك في أمر يكون فيه رفع لقدرتك وتقديم لمنزلك ؟ قال : نعم . قال : تعرض للديلم فقتل منهم رجلين أو ثلاثة على سبيل النيلة وتهرب لا ظهرك من بعد وأوفى لك بما وعدتك به . فانخدع الغلام لجهله وخرج^(٢٣٨) وصعد الى حائط بستان ورمى رجلين من الديلم جازا تحته بفردات أصابت مقاتلها ونارت الفتنة بين الديلم والأتراك ثم وقع الشرع في اصلاح ما بين الفريقين وتم على ذحل . وعدل العلاء بن الحسن الى مراسلة الامير أبي علي ووالدته ويحذرهما من الديلم وبوادرهم لما ظهر من ميلهم الى صمصام الدولة وأبي طاهر نخرج الامير أبو علي من دار الامارة مستخفيا بالليل الى خيّم الأتراك وتبعته والدته . وأصبح الديلم قد اجتمعوا رأيهم على الابتداء بالامير أبي علي والاحتياط عليه فوجدوهم قد برزوا الى المعسكر فكشفوا القناع وناذبوا الأتراك وجرت بينهم مناوشات في عدة أيام . ثم ارتحل الأتراك بالامير أبي علي وساروا الى فسا فوجدوا بها أبا الفضل ابن أبي مكتوم عاملا وتحت يده مال معد يريد جملة الى شيراز وعنده نحو أربع مائة من الديلم فراسلوه واستمالوه فقال اليهم واستوزره الامير أبو علي وفرق المال المجتمع عليهم وحاصروا الديلم المقيمين بها في دار لجوا اليها فلما فتحوها قتلوهم بأسرهم وقوى أمر الأتراك بما حصل في أيديهم من أسلابهم . وعاد الامير أبو علي مع علافهم الى أرتجان ومضى البكي ومعه جرة المسكر الى باب شيراز وقد حصل فيها صمصام الدولة^(٢٣٩) فاقاموا بظاهرها مدة يقاتلون

الديلم وينهبون السواد . ثم ضجروا من المقام فانصرفوا الى ارجان .

﴿ ذكر سوء تدبير ابن أبي مكتوم في عداوة ﴾

(البكي حتى هلك)

كان قد جرى بين [ابن] أبي مكتوم وبين البكي تنافر أصراً البكي على عداوته فيه فلما قرب من البلد تلقاه الامير أبو علي [و] ابن أبي مكتوم معه يسير على جانبه فحين وقف للقاء الواردين سبقوا اليه وخدموه . والبكي بمزل عنهم . ثم تقدم أحد الأتراك الى ابن أبي مكتوم فجذبه بكم دراعته وساعده الباقر على سحبه الى البكي فضرب عنقه . وسار البكي لوقته الى الامير أبي علي وقد ماج الناس وتوارى أكثر الحواشي فحين بصر به قبل الأرض بين يديه واعتذر اليه وقال : ان عبيدك ما أقدموا على قتل هذا الرجل الا لما عرفوه من سوء نيته فيك وفيهم واطلعوا عليه من مكتابة صمصام الدولة وتسليمك وتسليمهم ونحن خدمك وممالكك ورؤوسنا ونفوسنا دونك . فاجابه بما أظهر به الرضاء عنه .

ومضت مديدة ووافي أبو علي ^(٢٤٠) الحسن بن محمد بن نصر رسولا من حضرة بهاء الدولة بالمواعيد الجميلة فكاثر الأتراك وكأروه واستألمهم في السر حتى اتفقت كلمتهم على الانكفاء الى حضرة بهاء الدولة بواسطة . فلما قرب منها تلقى وأكرم ووصل الى حضرة بهاء الدولة وهو في مجلس أنس فقرّبه وأدناه وباسطه وسقاه ثم قبض عليه بعد أيام وحدر الى البصرة واعتقل بها . وسار بهاء الدولة الى فارس فلما عاد الى العراق استدعاه وتولّى أبو الحسن السكوكي المعلم قتله خنقا يده

(ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة في خلاصه)

(وعوده الى الملك بفارس بعد شرف الدولة)

قد تقدم ذكر خلاصه وخلص أبي طاهر وحصولهما بسيراف فلما ارتحل الأمير أبو علي والأتراك من باب شيراز كتب أبو القاسم الغلاء بن الحسن اليهما بما فعله من تمهيد الامور وأشار عليهما بتقديم السير فصاروا ونزلوا بدولتا باذن ثم دخلا البلد . فاستولى الأمير أبو طاهر على الامر بقوة نفسه وشدة بأسه وتقدم فولاذ بن ماناذر أمور الديلم^(٢٤١) ومايله الغلاء بن الحسن فتماضدا وصارت كلمتهما واحدة . ثم مات الأمير أبو طاهر وقيل انه سُمِّ فغلب فولاذ على الامور واستبد بالتدبير وعرض من فساد الحال بينه وبين الغلاء ما صار سببا لافصاله عن فارس وحصوله بالري وسيرد ذلك في موضعه ان شاء الله .

وفي هذا الوقت ورد الخبر بمسير نغر الدولة من همدان طالبا أعمال خوزستان ومحدثا نفسه بقصد العراق

(ذكر السبب في حركة نغر الدولة لطالب العراق)

كان صاحب ابن عباد على قديم الايام وحديثها يحب بغداد والرياسة فيها ويراصد أوقات الفرصة لها فلما توفي شرف الدولة سمت نفسه لهذا المراد وظن ان الغرض قد أمكن . فوضع على فخر الدولة من يعظم في عينه بمالك العراق ويسهل عليه فتحها وأحجم صاحب عن تجريد رأي ومشورة بذلك نظرا للعاقبة وتبرئا من العهدة الى ان قال له نغر الدولة : ما الذي عندك أيها صاحب فيما نحن فيه . فقال : الامر لشاهان شاء وما يذكر^(٢٤٢) من جلالة تلك الممالك مشهور لا خفاء به وسعادته غالبه فاذا هم بامر خدمته فيه

وبلغته أقصى مراميه . فعزم حينئذ على قصد العراق وسار الى همدان ووافاه بدر بن حسنويه وأقام بها مدة يحيل الرأي ويقلبه ويدبر الامر ويرتبته حتى استقر العزم على ان يسير صاحب وبدر بن حسنويه على طريق الجادة ويسير فخر الدولة وبقية العسكر على طريق الاهواز ورحل صاحب مرحلة ﴿ ذكر رأى أشير به على فخر الدولة اقتضى ﴾

(رد صاحب من الطريق)

قيل لفخر الدولة : من الغلط مفارقة صاحب لك لانك لا تأمن ان يستميله أولاد عضد الدولة فيميل اليهم . فاستعاده وسارت الجماعة الى الاهواز وكان أبو منصور ابن عليكا والياً للحرب بالاهواز وأبو عبد الله ابن أسد ناظراً في الخراج على مارتبها شرف الدولة فلما توفي شرف الدولة عمل أبو الحسن السكوكي المعلم في تغيير أمر أبي منصور ابن عليكا والقبض عليه . وندب لذلك أخا للحسين الفراهي ^(٢٤٣) انظر الى أبي منصور من أصحابه بالحضرة فترك داره ورحله وأكثر كراعه ومضى مع بعض العرب قاصدا حضرة فخر الدولة ونهب الديلم بعد انصرافه رحله وكان شياً كثيراً ﴿ ذكر رأي سديد لابي عبد الله ابن أسد استرجع به ﴾

(المأخوذ وحفظ فيه السياسة)

جمع قواد الديلم وقال لهم : ان هذا الرجل والسكران المأخوذ هو اليوم لبهاء الدولة واذا أخذ ونهب كان ذلك خروجاً عن الطاعة فاما ان تردوا المأخوذ واما ان تخلوا عني لا فارق . وضمي وأنتم بشأنكم أبصر . فقالوا : انما فعل ذلك أصاغرنا الدين لا قدرة لنا على انتزاع ما في أيديهم . فراجعهم وراجعوه حتى التزموا رد المنهوب وتمخلفوا على استخلاصه ففعلوا ذلك

فإعادوه . ثم عدلوا الى المطالبة بمال البيعة فجفع أبو عبد الله صمدرا من مال
الارتفاع وقوم بقية الرجل والكراع على القوم وأرضاهم به .
وشاع خبر مسير فخر الدولة فوقم بين الديلم والأتراك^(٢٢١) تنافر
أدى الى حرب بينهما أياما ثم سار الأتراك ومن مال الى بهاء الدولة من
الاهواز على سمت المراق

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة عند حصوله ﴾

﴿ بالاهواز وما اعتمده من سوء التدبير ﴾

(والسياسة حتى عاد بالخيبة)

كان صاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد سبق الى الاهواز وملكها
ولحقه فخر الدولة بعد عشرين يوما وخيم بيستان البريدى . وتشوَّف الجند
الى ما يكون من عطائه واحسانه فلم يكن منه في ذلك ما اقتضته الحال ولا
بعض ما كانت عليه الآمال . وحضر المهرجان فقاد القواد الخوزستانية
خيلا برسم خدمته على ما جرت به العادة في مثل هذا الفصل فردّها عليهم
وسامهم ان يمكنوا الخيّر من اختيار ما يرتضونه لمراكبه وأخذ من خيلهم
جياها فنشرت قلوبهم لذلك . ثم حظر على اقطاعانهم ومنعهم التصرف في
ارتفاعها وان لم يظاهروهم بحلها وارتجاعها ومدّ المال في أثناء الخطر أيديهم في
تناول موجودها فضاقت صدورهم وازدادوا نفورا

فاما وجوه الديلم وصلوا مع فخر الدولة فان نيّاتهم ساءت أيضا^(٢٢٢)
لأن اقطاع كل واحد منهم بالري وأعمال الجبل كان من عشرين الف
درهم الى ثلاثين الف درهم ورأى كل واحد من قواد الديلم الخوزستانية

واقطعه ما بين مائتي الف درهم الى ثلاثمائة الف درهم فكثرت نحاسهم
وظهر تحاقدهم . وكان من عجيب الاتفاق (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) ان
دجلة الاهواز زادت في تلك الايام زيادة لم تجربها العادة ودخل الماء الى الخيم
فاخذ بعضها فرحل فخر الدولة وعسكره وعظم في أعينهم مارأوه لانهم ألقوا
المدود^(١) وقال بعضهم لبعض : انما حملنا الصاحب الى هذه البلاد طلبا
لحلاكنا . فاشمأزت قلوبهم وساءت ظنونهم وتقلقل الامر ولاح من كل
وجه وهي أسبابه . واتصلت الاخبار الى بغداد بحصول نغرة الدولة بالاهواز
فذكر ما دبره بهاء الدولة في تجهيز السكر

(للقاء نغرة الدولة)

لما عرف وصول نغرة الدولة الى الاهواز انزعج انزعاجا شديدا وندب
الحسين بن علي الفرائش للخروج في هذا الوجه والقيام بتدبير الحرب وقدمه
وعظمه ولقبه « الصاحب » مغايلة لابن عباد وخلع عليه^(٢) خلعا توفي على
قدر من هو أوفى منه وأصحبه من المال والسلاح والآلات كل خطير كثير
وجرد معه أبا جعفر الحجاج بن هرمز والفتسكين الخادم ومعهما عسكر
جرار . وسار بعد ان خرج بهاء الدولة لتوديعه فرتب نفسه في طريقه ترتيب
الملوك في مجالسه ومواكبهم وانخرق في العطاء وأسرف في التدبير . وكان
السبب في بلوغه هذه المرتبة مع عناية بهاء الدولة تجرد أبي الحسن الكوكبي
العلم لتشييد أمره لا عن صفاء له وانما قصد بمساعدته على ذلك ابعاده عن
الحضرة والاستراحة منه فانه كان شديدا . الاستيلاء على بهاء الدولة . فلما حصل
بواسطة وبعد حكيته عنه حكايات وأقوال ووجد في تغير رأي بهاء الدولة

(١) العوَاب : ما كانوا ألقوا كما سيأتي ص ١٦٩

منسح ومجان

﴿ ذكر السبب في تغير رأى بهاء الدولة في الحسين ﴾

﴿ الفرائش وما جرى عليه الامر في القبض ﴾

﴿ عليه ورده من الطريق الى بغداد ﴾

(وقتله في دار نحرير ^(٢٤٧))

قال أبو نصر المعروف بالاستاذ الفاضل : لما أراد الحسين الفرائش التوجه قال لى بهاء الدولة : أريد أن أشاهده اذا ركب في موكب وبرز الى مضاربه . فقلت : الامر لك . فخرج ووقف من باب الخطاين ينظر الى الطريق فاجتاز للحسين عدة غلمان أتران بالسيوف والمناطق وتحتم الخيل بالمراكب الجميلة فقال لى : يا ببا نصر هذه المراكب من الخزانة ؟ قلت : نعم لما بيعت ابتاعها وطراها . واجتازت بعد ذلك جنائبه بمراكب ذهب وغير ذهب وفيها بغلة عليها مراكب كان يحبه بهاء الدولة فاخرج فيما يبيع وحصل له فقال : يا ببا نصر هذا مركبي الفلاني ؟ قلت : نعم . ولم يزل يسأل عن شىء شىء ويقول : متى جمع هذا وحصله ! فلما مضى الحسين عاد بهاء الدولة الى مجلسه . ورأيت وجهه قد تغير ونشاطه قد فتر ودخل الحجرة فنام الى العصر ولم يعط طعاما الى آخر النهار ثم راسله الحسين الفرائش على لسانى يسأله الاذن فى ضرب طبول القصاع فامتنع عليه من ذلك وقال : هذا لا يجوز . وعدت اليه بهذا الجواب فاشتط وقال : بتل هذه المائة يراد منى ان أدفع نحر الدولة وقد استولى على المملكة مما ذهب فيه مذهب الجبل ! واتفق ان أحمد الفرائش كان حاضرآمي ^(٢٤٨) وسامعاً لما جرى وقتنا وسبقنى أحمد للفرائش فحدث بهاء الدولة بما جرى ثم جئت من بعد فسألني عما كان من الجواب

فقلت : قد كان أحمد الفراش حاضراً وقد منى الى حضرتك ولعله قد شرحه .
فقال : أيعده . حسنت ما أوردته فقال : ما كان هكذا . قلت : اذا كان
مولانا قد عرف الامر على صحته فما الفائدة في تكرير اعادته ؟

ثم تتابعت الاخبار بما يفعله الحسين في طريقه من الافعال التي تجاوز
الحد فوجد أبو الحسن الكوكبي سبيلا الى تقييح آثاره وحكى عنه
الحكايات التي أدت الى بواره . فقال له بهاء الدولة في بعض الايام وقد
جاراه ذكره : انقذ من قبض عليه . فانتزع أبو الحسن الكوكبي الفرصة
وبادر بانقاذ أخى أبي عبد الله محمد بن عليان وأبى الحسن على بن
أبى على لذلك

(ذكر اتفاق عجيب انكم به الامر عن الحسين)

(الفراش حتى قبض عليه)

ذكر الثلاثة المنحدرون انهم لما وصلوا الى مطارا والحسين بها ساء
ظنه بورودهم فانفذ الى زبازبهم من قتشها وأخذ ما وجده من الكتب فيها
^(١٩) فلحسن الاتفاق لهم وسوء الاتفاق عليه كانوا قد استظفروا بترك
الملطقات المكتوبة بالقبض عليه في سارية كانت في صحبتهم الا انها مفردة من
جملة ما يخصهم فلم يجدوا الا الكتب الظاهرة التي كانت اليه فانس وسكن .
ثم اجتمعوا مع أبى جعفر والفتكين فاوصلوا اليهما اللطفات ووقفوا على
ما رسم فيها وصاروا الى الحسين واجتمعوا في خركاه له وحادثوه ساعة
ونفضوا من عنده وأطبقوا عليه بابها ووكلوا به وبخزائنه ثم حملوه مقيدا الى
البصرة وسلموه الى بكران بن أبى الفوارس وأبى على ابن [أبى] الريان فحمل
منها الى بغداد . وقد أوغر عليه صدر بهاء الدولة فحبس في دار تحريم وأمر

باخراج لسانه من قفاه فمات ورُمي من بعد الى دجلة . فكان بين استخدامه في الكنس والفرش وبين الخلع عليه مدة يسيرة وبين الخلع عليه وبين قتله مدة أسير من الاولى

وان من صعد من الحضيض الاوهد الى محل الفرقد ولم يكن ليديه باسباب الخير تملق ولا لتقديمه في أبواب البر تطرق يوشك ان يهوى سريعا ويخر صريعا فتثبت حاله ^(١) وتنقطع أوصاله فتحول حاله الى الفساد وتحور ناره الى الرماد فالنار في الحلفاء أعجل وقودا ^(٢) وصعودا ولكنها أسرع خمودا وهمودا وهي في جزل الغضا أبطأ عملا ولكنها أبقى جراً وأفسح مهلا . والموعول في كل حال على العاقبة فمندها تبين الناجية من العاطية

وعول بهاء الدولة بعد أخذ الحسين الفرائض على أبي الغلاء عبيد الله بن الفضل في هذا الوجه وأنجح فيه ما يأتي شرحه بأذن الله تعالى

﴿ ذكر ما رتبته نخر الدولة في تجهيز الجيش الى الاهواز ﴾

لما عرف فخر الدولة ذو "عسكر بهاء الدولة من أعمال خوزستان جرّد المساكر للقائهم فسار ابن الحسن خاله وشهينروز بن الحسن وغيرهما في ثلاثة آلاف من الديلم وبدر بن حسنويه في أربعة آلاف من الاكراد وديس بن عفيف الاسدي وكان قد انحاز اليه في عدة كثيرة من العرب فلما تلاقى العسكران أجلت الحرب عن هزيمة أصحاب فخر الدولة

﴿ ذكر اتفاقات كانت سببا لهزيمة عسكر فخر الدولة ^(٣) ﴾

لم يكن في التقدير وظن النفس ورأى العيين ان يثبت لهم عسكر بهاء الدولة لو لا النصر فانه من عند الله . فاتفق ان المعركة كانت بقرب انهار

وجاءت زيادة مد أخذ الحجاري وظن عسكر فخر الدولة انها مكيدة عملت
بفتح بشق عليهم يعرفون فيه ولم يكن لهم علم بحال المدود ولا هي عندهم من
المألوف والمعهود فولوا أدبارهم ونكصوا على أعناقهم الى الاهواز
واستأسر أناس من أكابرهم واستأمن كثير من أصاغرهم . وقيل ان بدر
ابن حسنويه وقف بنجوة من الارض واعتزل الحرب وان دؤيس بن عفيف
انصرف قبل اللقاء . وربما كان سبب هذا الفعل من الصاحب ما اعتمده
فخر الدولة معه من الارتياح به وردّه حين سار من همدان على جادة العراق
خوفا من ميله الى أولاد عضد الدولة ومثل ذلك ما أثر في القلوب وأقام
البريء مقام الريب ثم ما استبر من مخالفته اياه في آرائه

فلما عاد النبل الى الاهواز فلق فخر الدولة وتقلقل رأيه وتعملل .

﴿ ذكر رأى شديد رآه الصاحب لم يساعده ﴾

﴿ عليه فخر الدولة ^(٢٥٢) ﴾

قال له : أمثال هذه الامور تحتاج الى توسع في العطاء وضايقت الناس
مضايقة وأضعفت فينا آمالهم وقطعت مناجلهم فان استدركت الامر
باطلاق المال واستمالة الرجال ضمنت لك ردّ أضعاف ما تطلقه بعد سنة من
ارتفاع هذه البلاد . فلم يكن منه اهتزاز لهذا القول وكان قصارى ما فعل
تلافي القواد الاهوازية بازالة الخطر عن أقطاعاتهم فلم يقع هذا الفعل مؤثما
منهم مع ذهاب ارتفاعها في تلك السنة . ولم تسمح نفس فخر الدولة بعطاء
للشيخ ^(١) الغالب عليه وأخذ الناس في التسلل لاحقين بالصاحب بهاء الدولة
حتى كان التنباء يطوفون في صبيحة كل يوم على الخيم فيجدون كثيرا منها

قد خلا من أصحابها . واتسع الخرق على الراقع وأعضل الداء على الطبيب
 كما ان الاديم اذا تفرّى * بلى وتعنا غلب الصباحا^(١)
 فضايق نخر الدولة ذرعا بالمقام مع انتشار الجبل في يديه وتفرّق الناس
 عنه وانصرف عائدا الى الري وقبض في طريقه على جماعة من القواد الرازية
 وقتلهم . ووافي أبو العلاء عبيد الله بن الفضل فدخل الاهواز وملك الاعمال .
 وأما أبو عبيد الله بن أسد فان الديلم قبضوا عليه قبل وصول^(٢)
 صاحب الى الاهواز وتوفي في الاعتقال من علة عرضت له ومرض
 صاحب بالاهواز مرضا أشقى منه ثم أقيل فتصدق بجميع ما كان في داره
 من المال والاثياب والاناث ثم استأنف عوض كل شيء من بعد
 ذكر ما حفظ على صاحب في مقامه بالاهواز
 قيل ان قوما تظلموا اليه من حيف لحقهم فوقع على ظهر قصبهم : يظلمون
 شهرا وينصفون دهرا . وهذا توقيع طريف فهل يجوز الغنول عن الظلم
 ساعة فكيف شهرا وما يدريه اهل الله يحدث قبل الشهر أمرا .
 وقبل انه رسم لكتاب البلد عمل حساب بارتفاع كل كورة فعملوه
 وحملوه اليه . فامر بجمع العمال والمتصرفين وان يخرج ارتفاع كل ناحية
 ويعرض عليهم ويزايد بينهم فكان ينادى على النواحي بين العمال كما ينادى
 على الامتعة بين التجار . وهذا الحديث مستطرف في حكم النظر
 وقيل انه غير مستنكر عند كتاب الري وتلك البلاد لان معاملاتهم
 جارية على عقود وقوانين . نأما العراق وما والاها فلم نسمع بمثل ذلك فيها
 الا ما كان من قديم الناس من المزايدة بين التجار في غلات الساطان.^(٣)

﴿ ذكر خبر مستحسن في ذلك ﴾

قيل ان أحد الوزراء وأظنه على بن عيسى والله أعلم جمع التجار الى مجلس نظره في بعض السنين لبيع الغلات عليهم فتقاعدوا بالاسعار على اتفاق بينهم فبرز أحدهم فزاد زيادة توفت عنها الباقيون ظنا منهم انه لن يقنع بذمة رجل واحد دون الجماعة لانه مال عظيم فامضى الوزير البيع له . فلما خافوا فوت الامر زادوه عشرة آلاف دينار فقال الوزير : قد نفذ السهم وسبق القول والغلات للرجل والثلث لنا وله الاختيار في قبول الزيادة منك أو ردها عليكم فهي له خالصة دوننا . فسألوا الرجل قبول الزيادة أو المشاركة فقبل الزيادة وولاهم البيع وبرئت ذمته من الثلث وعاد الى منزلته بعشرة آلاف دينار فما أحسن هذا الفعل الكريم والمذهب المستقيم وكما في اثناء الوفاء بالمقود والثبات على الشروط والصدق في الوعود من مصلحة خالصة وسياسة شاملة ! وان لاح في أولها بعض الترم ففي عواقبها كل النعم واذا لم يوثق بأقوال الصدور فعلا ^(٢٥٥) تبني قواعد الامور؟ والسياسة بنيان والصدق قاعدة والبنيان يشد بعضه ببعض فانما انضطربت القاعدة آل البنيان الى التقص . ونعود الى سياقة التاريخ

وفي هذه السنة أفرج عن أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وعاد الى بغداد ناجيا من الهلاك بعد ان كان أشرف عليه

﴿ ذكر أناءة اعتمدها العلاء بن الحسن في بابه ﴾

(أدت الى خلاصه)

كان قد حصل في القلعة مفتقلا على ما تقدم ذكره والعلاء بن الحسن يراعيه مراعاة مستورة . فورد عليه في آخر أيام شرف الدولة [من] بأمره

بقائه فازعج لهذه الحال لما كان بينهما من حرمة الاتصال وثبت في إمضاء ما ورد . وتجدد من وفاة شرف الدولة ما تجدد فاتفق في تلك الفترة من أخرجه من الحبس وأشار عليه بقصد العراق فسار الي البصرة واستأذن في الاصعاد فاذن له

وفيها قبض على أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وعلى كاتبه أبي الحسن علي بن الحسن ﴿ ذكر ما جرى عليه الامر في ذلك ﴾^(١)

كانت حال أبي الحسن محمد بن عمر قد تضاعفت في أيام شرف الدولة وقد تضاعف ارتفاع أملاكه حتى ان أبا الحسن علي بن طاهر لما خرج الى نواحي سقي الفرات لتأمل أحوالها في أيام شرف الدولة عمل في عرض ماراعاه عملاً بارتفاع ضياعه اشتمل على عشرين الف الف درهم . وعرف الشريف أبو الحسن ذلك فضايق صدره وساء ظنه

﴿ ذكر رأى سديد رآه ابن عمر في تلك الحال ﴾

(استمال به قلب شرف الدولة)

استدعى علي بن الحسين الفراش الملقب بالخطير فلما أحضر عنده قال له : احمل عني رسالة الى الملك وقل له : يا مولانا ما لاحد علي نعمة كنتك ولا منة كنتك أطلقتني من حبسى ومننت علي بنفسى ورددت أموالى وضياعى الي وزدت في الاحسان الي . وبلغني ان ابن طاهر عمل بضياعى عملاً بعشرين الف [الف] درهم وهذه الضياع هي لك ومنك وقد أحيت أن أجعل نصفها للامير أبي علي هدى ونحلة طيبة عن طيب نفس وانشرح صدر . فأعاد^(٢) علي بن الحسين الفراش الرسالة على شرف الدولة

﴿ ذكر جواب لشرف الدولة عن ^(٢٤٧) رسالة أبي عمر ﴾
(تدل على شرف نفس وعلو همة)

قال شرف الدولة في الجواب : قل له : قد سمعت رسالتك وكل جميل
اعتدلت به فاعتقادي يوجب لك أوفى منه والله لو ان ارتفاعك أضعاف
ما ذكرته لكان قليلا لك عندي . وقد وفر الله عليك مالك وأملاكك
وأغنى أبا علي عن مداخلتك في ضياعك فكن في السكون والطمأنينة
على جملة

فانظر الى هذه الهمة ما أشرفها وأعلاها وانصت الى هذه الاحدثة
ما أطيبها وأحلاها وتلك مواهب من الله يخص بها من يشاء من عباده والمرء
يصيب بحسن التوفيق لاجبولة واجتهاده

فلما توفي شرف الدولة وانتقل الملك الى بهاء الدولة استولى أبو الحسن
المعلم على الامور وامتدت عينه الى حاله وأشار على بهاء الدولة بأخذ نعمته
وقبض أملاكه فقبض عليه وعلى وكلائه وكتبه وبقي في الاعتقال الذي يرد
ذكره فيما بعد

وفي هذه السنة خرج أمر بهاء الدولة باسقاط ما يؤخذ من المراعى
من سائر السواد

وفيها عاد أبو نصر خواشاذه من الموصل بعد اصماد ابني حمدان اليها

﴿ تذكر خروج ابني حمدان من ^(٢٥٨) بغداد وذكر ماجرى ﴾

(عليه أمرهما في حرب أبي نصر خواشاذه)

لما توفي شرف الدولة شرع أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين
ابنا حمدان في الخروج الى الموصل واستأذنا في ذلك فوجدا رخصة انتزعا

بها الفرصة فاصعدا باهلها اجمعين وعلم من بالخضرة وتوقع الغلط في ابعادهما
فكوتب أبو نصر خواشاده بدفعهما وردّهما . فلما وصلا الى المدينة راسلها
أبو نصر بالرجوع من حيث جاءا فهما ان خالفاه ودخلا البلد قبض عليهما
غاجاباء جوابا جميلا يبذل الطاعة وقبول ما يؤمران به وعاد الرسول وسار [١]
على أثره حتى نزلا بالدير الاعلى . ونار أهل الموصل على الديلم والأتراك
فنهبوا أرحالهم وأخذوا أموالهم وخرجوا الى ابني حمدان وأظهروا المباينة
والمصيان . فانفذ أبو نصر من كان معه من العسكر لقتالهم فقامت الحرب
بينهم الى العصر ثم انهزم أصحاب السلطان وهلك منهم عدد كثير قتلا وغرقا
ولحق الباقون بابي نصر فاعتصموا بدار الامارة التي هو نازل فيها وتبعهم ابنا
حمدان والعامّة فغلقت الابواب دونهم واستوعب القتال بقية النهار ثم حجز
الليل بينهم وعاد ابنا حمدان الى مخيمهما

﴿ ذكر رأي سديد رآه ابنا حمدان ^(٢٥٩) فاحسنا ﴾

(فيه الظن علما للعاقبة)

لما جرى ما جرى [و] علما ان العامة لا تقنع الا بقتل الديلم وان
السلطان لا ينعض على مثل هذه الجناية خافا عواقب الامر وراسلا ابانصر
في ليلتهما وقالاه : نحن خدم السلطان وقد جرت الاقدار بغير الاختيار
ولا قدرة لنا الا ان على ضبط العامة لما في نفوسهم من الديلم وهم في غد
يحرقون الدار ويسفكون الدماء فلما ان تضرير الينا واما ان تعلم انك مهلك
نفسك . فعرف أبو نصر خواشاده انهما قد نصحا وخرج اليهما ايلافا كريماء
ثم عدلا الي تدبير أمر العامة فاحضرا شبوخهم ووجوههم وقال لهم : ان

كنتم توترون مقامنا بين ظهرانيكم فولّونا أئوركم ولا تشبهوا بقتل أصحاب
السلطان صدوركم فانه شفاء يعقب داء عضالا ولا تجدون من السلطان في
ذلك اغضاء واجالا . والذي نراه ان تكفوا احداثكم عن القتل وانصراف
هؤلاء القوم عنكم صرفا جيلا وتلطف السلطان اقدامنا عندكم . فاجابوه
بالسمع والطاعة وبذل المسكنة والاستطاعة وبكر العوام الى الدار فلم يزل ابنا
حمدان والمشيخة بهم رفقا ولطفا حتى استقر الامر بعد هنة على ان يهبوا الدم
وينهبوا الاموال وان يصعد الجند الى ^(٢٦٠) السطوح ويقف على الدرج من
الشيوخ من ينمى العامة من الصعود . ودخلوا الدار وخرجوا بنهب الموجود
ثم غلقت الابواب وصار جند السلطان محبوسين أياما الى ان انحدروا بأسوأ
حال في الزواريق الى بغداد وأفرج عن أبي نصر وأحسن اليه وعاد الى الحضرة .
وتشاغل ابنا حمدان بالنظر في أمورهما واثال عليهما من بنى عقيل العدد
ولم يكن لهما من الجند الا العامة وثلاثون الف من الحمدانية

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها كانت الوقعة بين باد وبين أبي طاهر ^(١) وأبي عبد الله ابني ناصر
الدولة بن حمدان وبين بنى عقيل بظاهر الموصل
﴿ ذكر ما جرى عليه الحال في هذه الوقعة ﴾

(من قتل باد وهزيمة أصحابه)

لما حصل أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا ناصر الدولة بظاهر الموصل
استضعفهما باد وطمع في قصدهما وأخذ البلد منهما . وعلم ان لاجند لهما سوى
العامة فكتاب أهل الموصل واستمالهم فاجابه بعضهم وسار في ستة آلاف

رجل من أصناف الاكراد ونزل في الجانب الشرق . نخافه ^(١٦١) ابنا حمدان
وعلم ان لا طاقة لهما به فلجأ الى بني عقيل وراسلا أبا الدواد محمد بن المسيب
وسألاه النصرة وبذلا له النزول على حكمه فالتمس منهما الجزيرة ونصيبين
وبلد وعدة مواضع فأجاباه الى ملتسه . فلما استقرت بينهم هذه القاعدة سار
اليه أبو عبد الله ابن حمدان ووافى به في الفي فارس الى بلد وهي في أعلا
الموصل في الجانب الغربي وعبرا دجلة وحصلا مع باد على أرض واحدة وباد
عنهما غافل وبحرب أبي طاهر وأهل الموصل متشاغل . فجاءته طليعة من
طلائعه تخبر بمبورهما فخف ان يمبر اليه من بازائه ويكبسه أبو عبد الله وبنو
عقيل من ورائه فتقدم الى أصحابه بالانتقال واللوذ بأكناف الجبال واضطربوا
واخلطوا ما بين سابق مستعجل ولاحق مرتحل ونابت في المعركة مستقبل .
﴿ ذكر اتفاق عجب آل الى هلاك باد بعد انقضاء مدته ﴾

بينما الحال على ما ذكر من اختلاط أصحاب باد اذ قتل عبد الله حاجبه
المعروف بعروس الخيل فتجمع به وانزعج لتقدمه وأراد الانتقال من فرس ^(١٦٢)
الى فرس فحول رجلاه من ركاب الى ركاب ووثب فسقط الى الارض بشغل
بدنه فاندقت ترقوته والحرب قائمة بين الفريقين حتى عرف أبو ^(١) على
الحسن بن مروان ان أخته خبره فصاروا اليه فقالوا له : احمل نفسك كي
تلحق الخيل . فقال لهم : لا حراك بي نخذوا انفسكم . فانصرفوا في خمسمائة
فارس طالين الجبل عرضا حتى خلصوا اليه من السهل . وجسد بنو عقيل
منهم فرسانا وسلم بنو مروان وأكثر من معهم وساروا في لحف الجبل الى
ديار بكر . وحصل باد في جملة القتلى وبه رمق فعرفه أحد بني عقيل فأخذ

رأسه فحمله الى ابني حمدان وأخذ عليه منهما جائزة سنوية ودل على جثته فحمل الى الموصل وقطعت يده ورجله وحملت الى بغداد وُصِّلَ شلوه على باب دار الامارة بالموصل . فثار العامة وقالوا : هذا رجل غاز فلا تحل المثلة به . فخط وكفن وصلي عليه ودفن . وظهر من محبة العامة له بعد هلاكه ما كان طريقاً بل لا يستطرف من الغوغاء تناقض الاهواء ولا يستنكر للرعاع اختلاف الطباع وهم أجراً الخلق اذا طعموا وأخبهم اذا قُعموا ومضي أبو علي ابن مروان من فوره الى قلعة كيفا وهي قلعة علي دجلة حصينة جداً وبها زوجة باد الديلمية ^(٢٦٣)

﴿ ذكر حيلة لابن مروان ملك بها القلعة ﴾

لما وصل الى باب القلعة قال لزوجته باد : قد أتقذني خالي اليك في مهمات . فظنته حقاً فلما صعد وحصل عندهما أعلمها بهلا كه ثم تزوج بها ورتب أصحابه فيها ونزل فقصد حصناً حصناً حتى رتب أمور جميع الحصون وأقام ثقاه فيها وصار الى ميفارقين . ونهض أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان الى ديار بكر طمعا في فتح القلاع وحملوا معهما رأس باد فوجدوا الامر ممتنعاً وقد أحكم ابن مروان بناءه وحكى حماه فعدوا الى قتاله ووقعت بينهما وقعة كان الظفر فيها لابن مروان وحصل أبو عبد الله ابن حمدان أسيراً في يده .

﴿ ذكر جميل لابن مروان الى أبي عبد الله عند أسره ﴾

(لم يشكر عليه فساءت عاقبة أمره)

لما أسر ابن مروان أبا عبد الله أحسن اليه وأكرمه وأفرج عنه فصار الى أخيه أبي طاهر وقد نزل على آمد فآشار عليه بمصالحة ابن مروان ^(٢٦٤) وموادعته والانكفاء عن ديار بكر فأبى أبو طاهر الا معاودة حربه مع جمع

كثير من بني عقيل ونير واضطر أبو عبد الله الى مساعدته كما ينهر الاخ
أخاه ظالمًا ومظلوماً . وسارا الى ابن مروان فواقماه وكان النصر له قهرهما
وأسر أبو عبد الله أسراً ثانياً فأساء اليه وضيق عليه واعتقله زماناً طويلاً الى
ان كتبه صاحب مصر في بابه فاطلقه بشفاعته وخطابه ومضى الى مصر وتلد
منها ولاية حلب^(١) وأقام بلك الديار حتى توفي وله بها عقب

وأما أبو طاهر فإنه انهزم ودخل نصيبين وقصده أبو الدواد محمد بن
المسيب فأسره وعائلاً ابنه والرغيف أمير بني نير فقتلهم صبراً . وملك محمد بن
المسيب الموصل وأعمالها وكاتب السلطان وسأل انقاذ من يقيم عنده من
الحضرة فاخرج المظفر أبو الحسن عييد الله بن محمد بن حمدويه وذلك عند غيبة
بهاء الدولة عن بغداد ومقام أبي نصر خواشاذه بها في النيابة عنه . فلم تدخل
يد المظفر الا في أبواب المال وفيما كان له ولا بني نصر خواشاذه من الاموال
والاقطاع في النواحي فاستولى بنو عقيل على سوى ذلك

وفي هذه السنة قبض على أبي الفرج محمد بن أحمد بن الزطبي صاحب
المعونة ببغداد^(٢٦٥)

﴿ ذكر ما جرى عليه أمره في القبض عليه الى ان قتل ﴾

كان هذا الرجل قد تجاوز حد الناظرين في المعونة وأسرف في الاساءة
الى الناس حتى وترهم وبالغ في أيام صمصام الدولة بمسد فتنة اسفار في منع
أسباب أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وتطلب حُرْمه واستيصال أمواله
ونعمه وأغرق في العمل القبيح معهم ومع غيرهم . وكثرت الطوائل لديه

(١) وفي تاريخ ابن الفلاني ص ٥١ انه في سنة ٣٨٧ و١٧٩ صور من قبل

الحاكم صاحب مصر

واجتمعت السكامة عليه وأطعم بهاء الدولة وأبو الحسن السكوكي المعلم في ماله وكثر عندهما مبلغ حاله فقُبِض عليه واعتقل في الخزانة وكرّر الضرب عليه أياما . ووقع الشروع في تقرير أمره واجتمع أبو القاسم عبيد العزيز وأبو محمد ابن مكرم على نصب الجبائل لهلاكه ووضعاً أبا القاسم الشيرازي على ان يضمه بمال كثير

﴿ ذكر مكيدة تمت لعبد العزيز بن يوسف في أمر ﴾

(الزطى حتى هلك ^(٢٦٦))

قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالاستاذ الفاضل : ان أبا القاسم عبد العزيز هو الذى سعى واجتهد في أمر ابن الزطى وذكره عند المعلم بكل ما خوّفه منه وقال : نحن بصدد حرب والمسير للقاء عدو والحوادث لا تؤمن ومتى استيقنت هذا الرجل لم نأمنه جميعا على من نخفّه وراءنا من حرماننا وأولادنا وفي الراحة منه قربة الى الله تعالى وأمن في العاقبة . قال المعلم : ان الملك قد أطعم في مال كثير من جهته . فقال عبد العزيز : لعمري انه ذو مال واسكنه لا يذعن به طوعا ولا يعطيه عفوا وهذا أبو القاسم الشيرازي يئذل فيه ألف الف وخمسمائة ألف درهم ويقول ان المال لا يصح وهو حي تخافه أصحاب الودائع . وحضر الشيرازي وبذل مثل ذلك بلسانه .

قال الاستاذ الفاضل : فقلت له : هل أنت على ثقة مما بذنته ؟ فقال لي سرا : على الاجتهاد فان بلغت المراد والاحتمات الى زوجة هذا (وأشار الى المعلم) عشرة آلاف درهم وقد خلصتني من يده . وضحك وضحكت . ولم يزل عبد العزيز بالمعلم حتى تقرر الامر على قتله واستؤذن بهاء الدولة

وتحقق عنده المال المبدول عنه فأذن في ذلك وعُبر بالرجل الى الجانب الغربي
وخل رأسه الى الملم فانقذه الى محمد بن مكرم فوضه في غد في دهايزه
ليشاهده الناس

وهذه حكاية عجيبة^(٢٦٧) وليس المعجب من قتل ابن الزطى فانه كان
من الاشرار وما آل اليه الاشرار من البوار وانما العجب من استيلاء الملم
على بهاء الدولة واستيلاء المرأة على المسلم حتى يلعبا بالرجال ويتحكما بالدماء
والاموال وان أمثال هذه الاحوال لتكسو الدول من الدار بروداً وتنظم
لها من المساوى عقوداً. فاذا أحب الله صلاح دولة طهرها من مثل هذه
الادناس وقبض تسديرها أخيار الناس فتكون ما بقيت منصوره مؤيدة
ثم تبقى محاسنها في الصحف محفوظة مؤيدة.

وعول بعد قتل ابن الزطى على أبي محمد الحسن بن مكرم الحاجب وخلع
عليه فابان فيها أثراً جميلاً وأخذ العيارين والدعائر أخذاً شديداً بعد ان كان قد
استشرى أهل القداد. فقامت الهيئة واستقامت الامور على السداد وأمن
البلد وهرب كل ذى رية. ثم استغنى منها وخرج في الصحبة الى واسط
(ذكر السبب في ذلك)

كان رأى أبي الحسن الملم فاسداً في الوزير أبي منصور وانما أقره على الوزارة
تأنيساً لابي القاسم الملاء بن الحسن وتقريراً لحيلة تم عليه. فلما فعل بفارس
ما فعله ووقع اليأس من خداعه بعد كشف قناعه قدم على^(١) القبض^(٢٦٨)
على الوزير أبي منصور ما كان آخر وعول على أبي نصر^(٢) سابور بن أردشير
في النظر وخلعت عليه خلع الوزارة ونقل الوزير أبو منصور الى الخزنة

(١) لعله : من (٢) في الاصل : منصور

ونزل أبو نصر سابور داره

وعلى ذامضى الناس ! منصور ومخذول وموئى وممزول ومختار
ومردود ومشتهى ومملول وأعمال السلطان عواري لا بد من استرجاعها
وملابس لا بد من انتزاعها . والسعيد من خسنت من تلك العواري حاله
وكرمت فى خلال تلك الملابس خلاله فاذا ارتجعت منه بقى له من المجد
حظ موثر واذا انتزعت منه صفا عليه من الحمد بُرد محبته نختمت بالصالحات
أعماله وذكرت بعده بالخيرات أفعاله .

وفى سار بهاء الدولة متوجها الى شيراز بعد استتباب أبى نصر
خواشاه فى خلافته ببغداد وخلم عليه وطرح له دستا كاملا فى دار المملكة
الاولى وثلاث مخاد فى الدار الداخلة وما رؤى أحد من الوزراء والا كبار
جلس فى هذه الدار على مثل ذلك وكتب له عهد ذكر فيه « بشيخنا »
وهو أول من خطب بهذا الاسم من الخوإشى . وعزل على أبى عبد الله
ابن طاهر فى النيابة عن الوزير أبى نصر سابور ببغداد فلم يستقم ما بينه
وبين أبى نصر ^(٢٦٩) خواشاه واستمر الفساد بينهما الى ان عاد بهاء الدولة
فقبض عليهما على ما يأتى ذكره فى موضعه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر بهاء الدولة فى هذه السفارة ﴾

انحدر ومعه أبو الحسن المعلم والوزير أبو نصر سابور والامر لابی
الحسن فى الكبير والصغير وهو الغالب على الرأى فى التدبير . وأقام
بواسط أيا ما وسار ونزل بمسكر أبى جعفر ابن الحجاج ودخل البصرة
فشاهدها وعاد الى خيمة . وورد عليه خبر وفاة أبى طاهر أخيه بخلس لزماته
ثم توجه الى الاهواز وسير أبا العلاء عبيد الله بن الفضل على مقدمته ومعه

جمهور عسكره فصار الى ارجان ودخلها وفتح القلعة بالجند وماسكها وكان فيها من أصناف الاموال شيء كثير . فلما وصل الخبر الى بهاء الدولة سار الى ارجان ونزلها وأمر بحط جميع ما كان في القلعة من المال وغيره وتسليمه الى الخزان وكان من الدين الف^(٢٧٠) الف دينار ومن الورق ثمانية آلاف الف الف درهم ومن الجواهر والثياب والآلات والاسلحة ما يذخر الملوك مثله^(٢٧٠)

﴿ ذكر ماجرى في أمر هذا المال حتى تفرق أكثره ﴾
لما حصل المال في الخزان أحب بهاء الدولة تنفيذه باجناسه في مجلس الشرب فنضد جميعه على أحسن تنفيد ووكّل الحفظة والخزان به في موضعه أياما فكان منظر أليفاً إلا أنه شاع من ذلك ما صار الى التفرقة طريقاً . فعند ذلك شغب الأتراك والديلم شغباً متتابعاً فاطلقت تلك الاوال حتى لم يبق منها بعد مدينة غير أربع مائة الف دينار وأربع مائة الف^(٢٧١) الف درهم حملت الى الاهواز . وتوجه أبوالملاء ابن الفضل من ارجان الى النوبندگان وهزم من كان بها من عساكر صمصام الدولة وأثبت أصحابه في نواحى فارس . وبرز أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شيراز وسار على مقدمة صمصام الدولة وواقع أباالملاء بخواباذان فهزمه

﴿ ذكر هذه الواقعة والمكيدة التى كانت سبباً ﴾

(لهزيمة عسكر بهاء الدولة)

لما حصل أبوالملاء والأتراك بازاء فولاذ والديلم في وادى خواباذان وقنطرة^(٢٧١) حجاز بين الفريقين تطرق قوم من التلّمان الى جمال الديلم

فساقوها وعادوا بها الى معسكرهم ورآهم بقية الغلمان الاتراك فطمعوا في مثل ذلك وركب من انفذ منهم سبعون غلاما من الوجوه وعبروا القنطرة . وكان الديلم قد أرسلوا جمالا مهيمة لاجاة معها على سبيل السكر والخديعة فاستاقهم الغلمان وكرّوا راجعين . ووقعت الصيحة فركب في أثرهم فرسان من الديلم والاكراد كانوا معدين ووصل الغلمان الى القنطرة فوجدوا من دونها خمسمائة رجل من الديلم كان فولاذ قد رتبهم وراء جبل بالقرب فلما عبر الغلمان باموالهم رأوهم على القنطرة بالرصد فلم يكن للغلمان سبيل الى العبور ولحقهم الفرسان فاوقعوا بهم وقتلواهم عن بكرة أبيهم وأخذوا رؤوس أكابهم فأنفذوها الى شيراز وكان ذلك وهما عظيما وثلما كبيرا في عسكر بهاء الدولة . وراسل فولاذ أبا العلاء فاطمعه وخدعه ثم سار اليه وكبسه فانهزم من بين يديه وعاد الى ارجان مغلولاً . ولما وصل الخبر بذلك الى صمصام الدولة سار من شيراز .

وغلت الاسعار بارجان ونواحها وضائق المير والعلوفة ثم وقع الشروع في السلم وترددت فيه كتب ورُسُل فتم على ان يكون لصمصام^(٢٧٢) الدولة فارس وارجان ولهباء الدولة خوزستان والعراق وان يكون لكل واحد منهما اقطاع في بلاد صاحبه . وعقدت العقود وأحكمت العمود وحلف كل واحد منهما الآخر على التخالص والتصافي يمين بالمنة وشُرطت وحررت على النسختين وعاد بهاء الدولة الى الاهواز

وورد أبو عبد الله الحسين بن علي بن عبدان نائبا عن صمصام الدولة بالحضرة وناظرا فيما أفرد له من الاقطاع بالعراق وعول على أبي سعد بدار

ابن الفيروزان في النياحة عن بهاء الدولة بفارس
وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي الفرج يعقوب بن يوسف وزير
صاحب مصر الملقب بالعزیز^(١)

﴿ ذكر حاله وما جرى عليه أمر اوزازة بمصر من بعده ﴾
كان أبو الفرج كبير الهمة عظيم الهيبة فاستولى على الامر ونصح صاحبه
فيه فقرّب من قلبه ونسكن من قربه فقوضت الامور اليه واستقامت على
يديه . فلما اعتل علة الوفاة ركب اليه صاحب مصر عائدا ووجده على شرف
اليأس فحزن له وقال : يا يعقوب وددت أن تباع فاتباعك بملكي أو تُفدى
فافتديك فهل من حاجة توصي بها ؟ فبكى^(٢٧٣) يعقوب وقبل يده ووضعها
على عينه وقال : اما فيما يخصني فلا فانك أرفعى لحي من ان أستريك وأراف
بمخلفي من أن أوصيك ولكني أقول لك فيما يتعلق بدولتك سالم الروم
ماسالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تُبق على المفرج بن دغل
ابن الجراح متى أمكنت فيه الفرصة . ولم يشغله ما كان فيه من فراق دنياه
عن نصيح صاحبه ومحبة وهواه وكذلك حال كل ناصح صدوق . ثم توفي
فامر صاحب مصر يان يدين في قصره في قمة كان بناها لنفسه وحضر
جنازته فصلى عليه وألحده يده في قبره وانصرف من مدفته حزينا لفقدته
وأغلق الدواوين أياما من بعده

واستخدم أبا عبد الله الموصلي مدة ثم صرفه وقاد عيسى بن نسطورس

(١) والوزير هو ابن كلس وردت هذه القصة في تاريخ أبي بلى ابن القلاسي
ص ٣٢ وهي مأخوذة من تاريخ هلال الصابي . وفي ارشاد الأريب ٢ : ٤١١ وردت
قصة ابن كلس هذا مع ولد لوزير أبي الفضل ابن حنزاب

وكانت نصرايا فبسط الامور وجمع الاوال ومال الى النصرارى وولام
الاعمال وعدل عن الكتاب والمتصرفين من المسلمين واستتاب بالشام
يهوديا يعرف بمنشا بن ابراهيم بن الفرار فملك منشام مع اليهود سبيل عيسى
مع النصرارى واستولى اهل هاتين الملتين على جميع الاعمال

﴿ ذكر حيلة لطيفة عادت بكشف هذه الغمة ﴾^(٢٧٤)

كتب رجل من المسلمين قصة وسلمها الى امرأة وبذل لها بذلا على
اعتراض صاحب مصر بالظلامة وتسليمها الى يده وكان مضمونها : يا مولانا
بالذي أعز النصرارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار وأذل
المسلمين بك الا نظرت في أمرى . وكانت لصاحب مصر بغلة معروفة اذا
ركبها مرت في سيرها كالريح ولم تلحق فوقفت له المرأة في مضيق فلما قاربها
رمت بالقصة اليه ودخات في الناس . فلما وقف عليها أمر بطاها فلم توجد
وعاد الى قصره متقسما الفكر في أمره واستدعى قاضيه أبا عبد الله محمد بن
النعمان وكان من خاصته وأهل أنسه فشاورد في ذلك فقال ابن النعمان :
أنت أعرف بوجه رأى . فقال : لقد صدقت المرأة في القصة ونهبت من
الغفلة . وتقدم في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتاب
من النصرارى وكتب الى^(١) الشام باقبض على منشام بن الفرار وجماعة
المتصرفين من اليهود وأمر برّد الدواوين والاعمال الى الكتاب المسلمين
والتحويل في الاشراف عليهم في البلاد^(٢)

(١) وفي الاصل : من (٢) وفي تاريخ ابن القلاندى ص ٣٣ : على

القصة في البلاد

{ ذكر تدبير توصل به عيسى بن نسطورس الى }
(الخلاص والعود الى النظر ^(٢٧٥))

كانت بنت المتلقب بالعزير المعروفة بست الملك كريمة عليه حبيبة اليه
لا يرد لها قولا فاستشفع عيسى بها في الصفح عنه وحمل الى الخزنة ثلثمائة
الف دينار . وكتب اليه يذكرة بحجته وحرمة فرضي عنه وأعادته الى
ما كان ناظرا فيه وشرط عليه استخدام المسلمين في دواوينه وأعماله
وفي هذه السنة كثرت فتن العيارين بعد انحدار بهاء الدولة ورفعت
الحشمة وجرى من الحرب بين أهل الدروب والمحال نوبة بعد نوبة ما أعيا
فيه الخطب وتكرر الحريق والنهب تارة على أيدي العيارين وتارة على
أيدي النولاة وولى المعونة عدة فما أغنوا شيئا واستمر الفساد الى حين
عود بهاء الدولة

{ ودخلت سنة احدى وثمانين وثلثمائة }

فيها قبض على أبي [نصر] سابور الوزير بالاهواز ونظر أبو القاسم
عبد العزيز بن يوسف في الامور

{ ذكر السبب في ذلك }

لما عاد بهاء الدولة بعد الصلح الى الاهواز شغب الديلم والأتراك
وطالبوا ^(٢٧٦) باطلاق المال وذكروا أبا الحسن المعلم وأبا نصر سابور وأبا
الفضل محمد بن أحمد عارض الديلم وعلى بن أحمد عارض الأتراك وجأهروا
بالشكوى منهم وظاهرُوا بالكراهية لهم . وترددت بينهم وبين بهاء الدولة
مراسلات انتهت الى ان استوهب منهم أبا الحسن المعلم وأبا القاسم على بن
أحمد وأرضاهم بالقبض على أبي نصر سابور وأبي الفضل محمد بن أحمد وقتل

أبا القاسم عبد العزيز الوزارة وخلع عليه

ومن حسن سياسة الملوك ان يحملوا خاصتهم كما مذهب الافعال محمود
الخصال موصوفا بالخير والمقل معروف بالصلاح والعدل فان الملك
لا تحالطه العادة ولا أكثر الجند وانما يرون خواصه فان كانت طرائقهم
سديدة وأفعالهم رشيدة عظمت هبة الملك في نفس من يبعد عنه لاستقامة
طريقة من يقرب منه . فقد ورد عن الاسكندر انه قال : انا اذا فتحنا مدينة
عرفنا خيارها من شرارها قبل تجربتهم . قبل له : كيف . قال : لانا نرى
خيارهم يتصافون الى خيارنا وشرارهم الى شرارنا .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال : ما شيء أدل على شيء
ولا الدخان على الدخان^(١) من الصاحب على الصاحب . قال عدى بن زيد :^(٢٧٧)

عن المرء لا تسئل وابصر قرينه * فان القرين بالمقارن يقتدى

واذا كان خواص الملك ممن يُقدح فيهم وتذكر مساوئهم قلت الهيبة
في النفوس فظهر الجند استقلالاً لامره ثم صار الاضمار نجوى بينهم ثم
زادت الخيرة فصارت النجوى اعلانا فعند ذلك تقم المجاهرة وترقع المراقبة
ويتحكمون عليه تحكم الأمر لا الأمور والقاهر لا المقهور .

وفي هذه السنة اتفق خلف بن أحمد عمرا ابنه الى كرمان ودفع ثمنها

﴿ شرح^(٢) عليه أمر خلف بن أحمد صاحب سجستان ﴾

﴿ في انقاذ عمرو ابنه الى كرمان . ويتصل هذا ﴾

﴿ الحديث بما جرى بعد هذه السنة ﴾

﴿ من أحوال تلك البلاد ﴾

كان أبو أحمد خلف بن أحمد المعروف بابن بنت عمرو^(١) بن الليث الصفار قد ورد العراق في أيام معز الدولة وخلع عليه بالخضرة الخلع السلطانية لولاية سجستان . وكان ردىء الدخيلة في الباطن جيد الناموس في الظاهر شديد الطمع في الاموال متوصلا الى أخذها باللفظ والاحتيال ويقول^(٢٧٨) « ليس يجب ان يكون للرجال من الرعية أكثر من عشرة آلاف درهم لانها ذخيرة لذى الحاجة وبضاعة لذى التجارة »

﴿ ذكر الحيلة التي استمر عليها خلف بن أحمد ﴾
(في أخذ أموال رعيته)

كان يتبع أمور أهل البلاد في مكاسبهم ومتاجرهم وبضائهم وذخائرهم فاذا عرف استظهار قوم منهم عمل ثبنا باسمائهم . وخرج على وجه التزهد والتصيّد ونصب رجلا من أصحابه في النيابة عنه ووافق على أخذهم ومطالبتهم بالفضل الذي يقدر انه في أيديهم فاذا علم ان المال معظمه قد صح من جهتهم رجع فيشكون اليه ما غوملوا به فيظهر لهم التوجع ويتقدم بالافراج عن من بقي منهم في الاعتقال ومساحتهم بما تأخر عليهم من المال ويحضر صاحبه الذي استنابه فيجعله بالانكار وربما ضربه بمشهدهم ليزول ما خامر قلوبهم من الاستشمار . وكان يمشى الى المسجد الجامع في كل جمعة بالطليسان وربما خطب وصلى بالناس وأملى الحديث وله اسناد عال ورواية عن شيوخ العراقيين ومحدثي الحرمين .

وكان عضد الدولة عند حصوله بكرمان^(٢) قرر معه همدنة على ان لا يتعرض^(٣) كل واحد منهما ببلاد صاحبه وكتب بينهما كتابا بذلك

(١) وفي الاصل : عمر . والعيوب فيها بعد (٢) وذلك في سنة ٣٥٧ لراجع ٢ : ٢٥٣

شاع ذكره عند أمراء ساسان^(١) وكبراء أهل خراسان وجري الامر على المسالمة مدة أيام عضد الدولة

فلما توفي وملك شرف الدولة وانصرف أبو علي الحسين بن محمد الحاجب عن كرمان وتقلدها تمرناش وسار شرف الدولة الى المراق تحدثت نفس خاف بالفسد ثم أحجم عن الامر . فلما توفي شرف الدولة وملك صمصام الدولة فارس ووقع الخلف بينه وبين بهاء الدولة قوى طمعه وجهز جيشا مع عمرو ابنه فلم يشمر تمرناش بهم حتي نزلوا بعرض اردشير ليلا وكان هو وعسكره في موضع يعرف بتركيا باد من أبنية أبي عبد الله بن الياس^(٢) ومعهم أموالهم وعلاهم فكان قصاراهم ان تركوا الدور وما فيها من الاموال ودخلوا بردشير بما أمكنهم حمله وحصلوا في الحصار وملك عمرو بن خلف جميع أعمال كرمان سوي بردشير وجي الاموال وصار تمرناش^(٣) الى فارس . وكانت بينه وبين الملاء بن الحسن عداوة من أيام شرف الدولة فوجد الملاء في هذا الوقت الفرصة التي كان يتوقعها في أمره

﴿ ذكر الحيلة التي رتبها الملاء بن الحسن في القبض ﴾

(على تمرناش وقتله من بعد^(٢٨٠))

قال الملاء بن الحسن لصمصام الدولة : ان تمرناش في جنبه بهاء الدولة ولا يؤمن ان يعيل اليه ويقيم الخطبة له . وقرر معه تجهيز عسكر كثير من الديلم لموته وموافقة وجوهمهم على القبض عليه عند الحصول ببردشير فاخرج أبا جعفر نقيب نقباء الديلم وتقدم اليه بذلك . وسار أبو جعفر الى

(١) لعله : سامان (٢) أطلقه البيع ابن محمد بن الياس (٣) وفي الأصل :

كرمان وعرف عمرو بن خلف حصوله بالشيرجان فعاد الى بيم و نرماشير .
وتعم أبو جعفر الى بردشير فاستقبله تمر تاش مبعدا في استقباله وسارا جميعا
الى الخيم التي ضربت لابى جعفر فلما وصلا اليها قال أبو جعفر لتمر تاش :
يبنى وبينكم ما يجب ان تتواتف عليه في هذا العدو والصواب ان تقدمه .
فعاد الى مضاربه وكان أبو جعفر قد رتب فيها قوما من الديلم لما يريد
خفين نزلا قبض عليه وقيده فأتقذ الى داره من احتاط على خزائنه
واصطبلاته . وكان مموّلا فوجد له ما عظم قدره . وحمل تمر تاش الى شيراز
فحبسه الملاء ثم قتله

ولما فرغ أبو جعفر من أمر تمر تاش سار بالمسكر الذي صحبه وبعن كان
مقيا بردشير يطاب . واقعة عمرو بن خلف

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر ^(٢٨١) أبى جعفر في هزيمته ﴾

لما التقى الفريقان بدارزين وهي في سهل من الارض يتسع فيها اطراد
الفرسان استظهر ابن خلف عليه بكثرة من الفرسان وضافت المير على أبى
جعفر ومن معه فهرب ايللا وعاد على طريق جبيرفت . وبلغ الخبر صمصام
الدولة وسدبيري أمره فانزعجوا منه ثم أجمعوا أمرهم وأخرجوا العباس بن
أحمد الحاجب الى هذا الوجه في عيدد كثير من طوائف المسكر وسار
متوجها للحرب

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر عمرو بن خلف في هذه ﴾

(الوقعة وهزيمته وما آل جاله اليه من القتل)

لما حصل العباس بن أحمد الحاجب بقرب الشيرجان برز اليه عمرو
ابن خلف ووقعت الوقعة على باب البلد فكانت الدائرة على عمرو وأسر

الفتكين وكان وجيها في عسكره والمعروف بابن أمير الخليل صهر خلف وعدد كثير من السجزية وذلك في محرم سنة ائنتين وثمانين. وعاد عمرو الى سجستان مفلولا مع نفر من أصحابه ولما دخل الى أبيه قيده وأزرى به وعجزه^(٢٨٢) في هزيمته وحبس أياما ثم قتله بين يديه وتولى غسله والصلاة عليه ودفنه في القلعة.

فليت شعري ما كان مراده من قتل ولده ! اما كان عذره في قطع يده بيده أترأه ظن انه يشفى غلته أو يجبر وهنه بقت عضده ؟ كلا بل خاب ظنه وزاد وهنه وطال حزنه لقد فعل في الدنيا نكرا وحمل للآخرة وزرا فويل للقاسية قلوبهم ما أبعدهم من الصواب وأقربهم من العذاب !
ووصل أبو علي ابن أستاذ هرمز الى فارس وقرب من خدمة صمصام الدولة فنشرع في انفاذ أستاذ هرمز إليه^(١) الى كرمان وقرر الامر معه واستعيد المباس وتوجه أستاذ هرمز .

فقال أبو بكر ابن عمرو بن يعقوب كاتبه : لما انتهى الخبر الى خلف بن أحمد وجم لذلك الجنيد ورأى انه قدر رمي^(٢) بحجره حين لا قدرة له على الذب عن حريمه لتمزق رجاله واضطراب حاله وعلم انه متى قصده في عقر داره وهو على هذه الصورة انتهز فيه الفرصة فعمد الى اعمال الحيلة

﴿ ذكر حيلة عملها خلف بن أحمد في تليل ﴾

(أستاذ هرمز عن قصده^(٢٨٣))

كتب كتابا غير معنون أقام فيه العذر لنفسه وجعل حجته في نقض الهدنة العضدية اختلاف صمصام الدولة وبهاء الدولة اذ كان من شروط

الهدنة انها ماضية بينهما مدة حياتهما ومبتقرة الى اولادهما بعهدهما ما لم يختلفوا وان نقضه لها كان لهذا العذر وانه متى استوفى معه الصلح أجاب اليه .
وانفذ الكتاب على يد أحد الصوفية قال أبو بكر : فلما وصل الكتاب قرأه على أستاذ هرمز وعرفته ما في الصلح من الصلاح فتقدم الى بكتب جوابه على نحو ما وقع الابتداء فعملت . واستمر خلف على هذه الطريقة في مواصلة المكاتبة وتقرير أمر الهدنة حتى استقرت وكتب بها كتابا أخذ فيه خطوط الشهود وتوثق بالآيآت والعمود . واتصلت المهادة والملاطفة بين الجهتين وخلف في أثناء هذه الاحوال يجمع المال ويثبت الرجال ويتجدد العهد حتى اذا قويت شوكته نقض عهده . وأظهر كتابا من المعتضد بالله رحمة الله عليه ببلاد كرمان اقطاعا لجده عمرو [ابن] الليث الصفار وجعل ذلك عذرا عند ملوك الاطراف العارفين بما استقر من تلك المعاهدة

﴿ ذكر مكيدة خلف أراد بها ^(٢٨٤) إساءة ﴾

(سمعة أستاذ هرمز)

كان بسجستان قاض يعرف بابي يوسف البراز مقبول القول بين الرعية يعظمونه غاية الاعظام ويجرو به عندهم مجرى الامام فاستدعاه خلف وأخرجه رسولا الى أستاذ هرمز وضم اليه رجلا من الصوفية يعرف بالحلي كالمؤانس له وسلم الى المتصوف سما وواقفه على ان يقتله في طعام يحمل اليه من دار أستاذ هرمز وفي عقب حضوره على طبقه لينسب الناس قتله اليه ورتب للصوفي جازات بين سجستان وبم وقال له : اذا قضيت الارب فاهرب . فتوجه أبو يوسف غافلا عما يراد به ووصل الى أستاذ هرمز وهو بم

فاكرمه وسمع منه ما أورده عليه ووعد به بالجواب عنه. ودخل الصوفي بينهما في السفارة وحصلت له بها قدم عند أستاذ هرمز فانس به فاشار عليه باستدعاء أبي يوسف الى طعامه ليشاهد فضل مروءته فيتحدث به في بلده . فقبل منه واستدعى أبا يوسف لذلك فاستغفاه وامتنع فصار الصوفي الي أبي يوسف وقال له : ان في امتناعك عليه انحاشاً له . ولم يزل به حتى لبى دعوته وحضر عنده في بعض ليالي شهر رمضان . واتخذ الصوفي شيئاً كثيراً من القطائف فنه ما عمله بالقانيد السجزي على عادة تلك البلاد ومنه ما عمله بالسكر^(٢٨٥) الطبرزد واللوز على رسم أهل بغداد وجعل السم في البغدادى . فلما انصرف أبو يوسف من دار أستاذ هرمز بعد افطاره معه سأل الصوفي عن حاله وما شاهده من مروءته فما زال أبو يوسف يذكر شيئاً شيئاً حتى أفضى الحديث الى ذكر القطائف فوصف أبو يوسف جودة ما أحضر منه على الطبق فقال الصوفي : ما أظن القاضى أكل مما يصلح عندنا في العراق وقد عملت منه شيئاً لياً كله ويعلم ان لبعدها الزيادة على كل بلد . وقام وأحضر ما أودعه السم . فاستدعى أبو يوسف جماعة من أصحابه لياً أكلوا معه فقال له الصوفي : هذا شيء نخب أن يتوفر عليك وقد عملت لأصحابنا ما يصاح لهم . وأحضر ما كان عمله على رسم تلك البلاد ودعا القوم اليه . وأكل أبو يوسف من المسموم^(٢٨٦) وأمن فيه . وخرج الصوفي من الدار وقصد باب البلد وركب جازة ممددة ودخل المفازة متوجها الى سجستان ونام أبو يوسف فما مضت ساعة حتى عمى السم فيه وطلب الصوفي فلم يلحق ولا عرف له خبر فاحس بالحيلة .

قال أبو بكر السكاتب : فجاءني رسوله في جنح الليل يستدعيني فجئته وهو كما به يتقلب على فراشه ويحتسب الله على خلف فوصاني بحفظ ما يحفظه ومعاونة أصحابه على حمله الى بلده وتسليمه الى وراثته وبقي ساعة ونصفي [نحوه] ^(٢٨٦) وعرف أستاذ هرمز الخبر فقلق لاجله ثم رأى كتمان الامر وأحسن الى أصحاب أبي يوسف وأعادهم موفورين .

ووصل الصوفي الى خلف وحديثه الحديث فقرر معه ان يقول في المحفل الذي يجتمع الاس فيه : ان أستاذ هرمز غدر بأبي يوسف وسمه وقتله وأراد ان يفعل بي مثل ذلك فخرجت على وجهي هاربا منه وأنه قد نقض العهد وعزم على المسير الى هذه البلاد . ثم عقد مجلسا فيه القضاة والشهود ووجوه الخاصة والعامة وأحضر الصوفي حتى أورد ما توافقا عليه فما استتم الصوفي كلامه حتى أجهش خلف بالبكاء والنجيب وقال : وأسناءه على التامضي الشهيد . ونادى : التفسير لغزو كرمان . فكتب محاضر بذلك وأنفذها الى أصحاب الاطراف وشنع على أستاذ هرمز بالقدر والنكث . وندب ولده طاهرا المعروف بشير بابك ^(٢٨٧) مع أربعة آلاف غلام وخمسة آلاف رجل من السجزية الى كرمان .

فسبحان من خلق أطوارا وجعل منهم أخيارا وأشرارا ما كان أجري هذا الرجل على فعل المحذور وقول الزور اأراه ما سمع قول الله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً . وقوله سبحانه : ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل ^(٢٨٧) بهتاناً وإثماً مبيناً . ان الانسان لظالم . كفار ولقد أقدم

(١) وفي تاريخ هلال الصافي هو « شير بابك »

على ظلم عظيم

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر طاهر بن خاف بكرمان ﴾

سار طاهر مع عسكره الى زماسير وبها شهفروز ابن بنت ملك ابن
ونداخرشيد في عدة من وجوه الديلم والجيل^(١) وفيهم سراهنك بن
سياهجيک الجيلي قريب زيار بن شهرأكويه وكان فارسا شجاعا فوصلوا الى
باب البلد سحرا كما شمر الناس الابنمرة الأتراك . وبادر الديلم عند ذلك الى
ميدان في البلد فاجتثموا فيه وتشاوروا فيما بينهم فيما يدبرون به أمرهم مع
قصورهم عن مقاومة من نزل بساحتهم . وفيما هم في تراجع القول اذا حرق
السجزية أحد أبواب البلد وصعدوا النور واستقر رأى الديلم على الخروج
من باب ينفضى الى البساتين والحيطان وسلكوا طريق بينهما تضيق عن مجال
الفرسان وتوجهوا على هذه النية . فلما وصلوا الى الباب صادفوا السجزية
داخلين منه فلاقوا وكان يقدم الديلم سراهنك بن سياهجيک فرمى مليلين^(٢)
الدواتي أحد قواد خلف بزوين سقط . منه صريحا ورمى آخر فقتله وثلاث
فأزم السجزية ناكصين على أعقابهم^(٣) الى الصحراء . وخرج الديلم
بأهلهم وأموالهم ولزموا حيطان البساتين وقصدوا جبلا كان قريبا منهم
وصعدوا فيه حتى خلاصوا ومضوا الى جيفت . ولم يقدم فرسان ابن خاف
على اتباعهم في تلك الطريق ودخل طاهر بن خاف زماسير بمدانصرافهم منه
وبلغ أستاذ هرمن الخبر وهو بهم وكان في القلعة التي هو بها سلاح
كثير له خطر كبير

(١) وفي الأصل : والجيل (٢) كذا في الأصل

﴿ ذكر ما دبر به أستاذ هرمز أمره عند وصول الخبر إليه ﴾
 جمع إليه من كان معه من الديلم وشاورهم في الأمر فقالوا : لا طاقة لنا
 اليوم بهذا الرجل مع قوة شوكته لا سيما وقد انقطع عنا العسكر الذين كانوا
 بمرماير والصواب أن نحمل من هذه الاسلحة ما نقدر على حمله ونحرق الباقي
 لئلا يستظار العدو به علينا ونمضي إلى جيرفت ونقرر رأينا هناك . فاستصوب
 رأيهم وعمل به وبأدر إلى جيرفت وأقام بها يستكثر من الرجال ويستعد للقتال .
 وسار ابن خلف إلى بردسير لأنها قطب كرمان ومن ملكها وقلعتها
 تمكنت قدمه واستقام ملكه ^(٢٨٩)

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر ابن خلف في قصد ﴾

(بردسير وما آل أمره إليه من الجزية)

كان الحامي بردسير في ذلك الوقت أبو بكر محمد بن الحسن قريب
 أبي الوفاء طاهر بن محمد فجاهد في الذب عن البلد ثلاثة أشهر ثم ضاقت
 الميرة فكتب إلى أستاذ هرمز يعلمه اشتداد الحصار به وأنه متى لم يدركه سلم
 البلد . فبلغ ذلك من أستاذ هرمز كل مبلغ وخاف أن تتم الحيلة فسيار من
 جيرفت في ستة أربع وعشرين والزمان شات ولاقى عسقا في طرق سلكها
 واطار ركبها فلما قرب من بردسير أخذ في لطف الجبل حتى صار بينه وبين
 القلعة ثلاثة فراسخ ثم رتب مصافه وسار . وعرف من في القلعة ورود
 فضرى البوقات والطبول وبرزوا وتلاقى السجزيه وعسكر أستاذ هرمز
 واقتتلوا عامة النهار وأستاذ هرمز زحف بعسكره إلى باب البلد حتى إذا
 شارفه قلع السجزيه مضاربهم من موضعها وتأخروا واختلطوا محاصرين ^(١)

(١) يريد : واختلط عسكر المحاصرين بعسكر أستاذ هرمز

لمسكر أستاذ هرمز . وقوى بعضهم يعض وها بهم السجزية وأحجموا عن
الاقدام عليهم وأقاموا يوماً واحداً^(٢١٠) ثم أوقدوا الزيران ليلاً يوهمون بها
انهم مقيمون ورحلوا . وعرف أستاذ هرمز خبر انصرافهم سحراً فاقذف أبا
غالب ابنه في جماعة من الفرسان لاقتصاص آثامهم فسار مجدداً في طلبهم
وقتل جماعة ظفر بهم منهم . ورحل أستاذ هرمز يطوى المنازل الى زماسير
فوصاها وقد دخل طاهر بن خاف المفازة عائدا الى سجستان . وتعود الى
سياقة التاريخ .

وفي هذه السنة عاد بهاء الدولة من الاهواز الى مدينة السلام وقبض
على أبي نصر خواشاده وأبي عبد الله ابن طاهر

(ذكر السبب في ذلك)

كان أبو الحسن المعلم يتوقع في كل ناظر خدمة وهدية وكان أبو نصر
فيه شح يمنعه عن ذلك فاذا أشير عليه قال : انما يفعل هذا الفعل من يرتزق
أو يرتقى . ففسد رأى أبي الحسن فيه فساداً عرفه كل أحد وبلغ أبا نصر
فخافه وهم بالهرب عن قرب بهاء الدولة واستدعى من العرب من يخرج
معه . ثم توقف وأشار عليه أهل أنسه بتلافي أبي الحسن بما يحمله اليه فنازلهم
الى الف دينار فقالوا له : تكون وزناً يلقي بها بواسطة . فلم يفعل وأخذ خط
بعض الباعة به وأتقذه اليه فلم يقع موقعه الا انه قبله تأنيساً له . وورد مدينة
السلام فقبض عليه وأخذ له عند القبض عليه من عدة مواضع ما بلغ^(٢١١)
قيمته الثمن الف دينار وأفرج عنه بعد ذلك بمدة

فانظر الى هذا الشح المطاع كيف التقى صاحبه في الممالك وأخرجه الى
ضيق المسالك فانه ضيق الكثير من حيث حفظ القليل . والجواد أملك

لما له من الشحيح لان ذلك يبدله إما لنفع عاجل وإما لذخر آجل وهذا يميزه
إما لحادث وإما لوارث فذلك محظوظ وهذا محروم وذلك مشكور وهذا
مذموم . وقد قيل : اتفق في حالتي الاقبال والادبار والاتفاق في زمن
الاقبال لا ينقص حالا والامساك في زمن الادبار لا يحفظ مالا قال الله تعالى :
ومن يؤق شئ نفسه فاولئك هم المفلحون

فأما أبو عبد الله ابن طاهر فإنه كان نائباً عن أبي نصر سابور إلا أنه أقر
على أمره عند القبض على سابور بالاهواز لأنه ^(١) أعطى أبا الحسن المعلم
ما أرضاه ثم ^(٢) يدفع عنه كراهة منه لأبى الجاش أبي القاسم عبد العزيز فقبض
عليه وقرر أمره على مال صححه وخلي عنه .

وفيهما سكنت الفتنة وتتبع العيارون وأخذوا وقتلوا واطمأن الناس
وقامت الهيبة . وكان في جملة العيارين المأخوذون انسان يعرف بأبن جوامرد
من وجوههم وكان قد أبقى في أيام [صمصام الدولة] ^(٣) وحرس
الاسواق فستل بهاء الدولة في أمره فأمنه ومن أبقى أبقى عليه ومن أساء
أساء ^(٤) اليه ومن أحسن أحسن اليه

وفيهما هرب أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شيراز

(ذكر السبب في هرب فولاذ)

لما استفحل أمره بفارس وزاد على حد أصحاب الجيوش حصل
صمصام الدولة تحت حكمه وجعل اسمه مقترنا باسمه في المنشير وكتب فيها :
هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار بن عضد الدولة يمين
أمير المؤمنين ومن عبده وصاحب جيشه نجم الدولة أبي منصور مولى أمير

(١) وفي الاصل : إلا أنه (٢) له سقط : لم (٣) له : (أسير)

المؤمنين . وكانت بينه وبين العلاء بن الحسن المودة التي تقدم ذكرها ثم استحات عداوة ثبتت على الايام اصولها وبسقت فروعها فعمل فولاذ على القبض عليه وخاطب صمصام الدولة على ذلك فاجابه الي مراده منه

﴿ ذكر الحيلة التي رتبها فولاذ على العلاء بن الحسن ﴾

﴿ وانعكاسها حتى صارت الدائرة على فولاذ ^(٢٩٣) ﴾

صار فولاذ الى دار الامارة وفيها أبو القاسم العلاء بن الحسن على عادته فقدم اليه واستقبله وقضى حقه وأخذ بيده وماشاه وحادثه ثم وقف على باب بيت ودفع في صدره حتى حصل بالبيت « أغلق بابه عليه ووكل به قوما . فاشتغل فولاذ بلقاء الديلم وسلامهم وخطابهم على أمورهم وكان البيت الذي حصل فيه له باب آخر قد سمر فعالجه حتى فتحه وخرج منه ودخل على صمصام الدولة في حجرة خلوته فقال له : قد قبض هذا الرجل عليّ وغرضه في ذلك ان لا يترك بين يديك من يخدمك وفي نفسه ان يملو على الملك . قال : فما الرأي . قال : ان تقبض عليه اذا دخل اليك الساعة وعلى ان لا يجري من العسكر قول في معناه . ففعل وتقدم الى بعض الحواشي بالقبض عليه اذا أقبل الى حضرة صمصام الدولة والممدول به الى بعض البيوت . وسمع على الارزناني ^(١) النديم الحديث وكان يتجسس على صمصام الدولة لفولاذ فلما وافى فولاذ أومى على اليه بيده أن « ارجع فانك مأخوذ » فرجع فولاذ نافرا وانصرف الى داره . وخرج العلاء بن الحسن الى وسط العسكر على أثره وأظهر لهم عصيانه ونادى لاركوب اليه والقبض عليه فمرف فولاذ ما عول عليه العلاء فاخذ ما خف من ماله على الجازات وسار . وتبعه العلاء

فمذآ في طلبه^(١) فانما بما تم عليه^(٢) من هربه ومضى فولاذ الى الاكراد
المسروية فنزل عليهم وعاد العلاء واقطع الديلم اقطاعات فولاذ واستقام
الامر له . وكانب الاكراد وطلبهم بفولاذ وسبق اليهم بالوعيد ان يسلموه
وكانوا قد طعموا في مال فولاذ وانضاف الى الطمع فيه الخوف من العلاء
فهبوه وأفلت بنفسه منهم وحصل بالرى وأقام عند فخر الدولة الى ان توفي .
فاما علي الارزناني فان صمصام الدولة أمر بقتله فقتل

وفيها قبض على أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وعلى أصحابه وأسبابه
وكانت مدة نظره ببغداد شهرين ونصفا . وقلد أبو القاسم على بن أحمد
الابرقوهي الوزارة وخلع عليه

وفي هذا الوقت قبض على الطائع لله وقد جلس لبهاء الدولة .

﴿ ذكر السبب في القبض على الطائع لله رضوان الله عليه ﴾

كان أبو الحسن المظفر (وبئس القرين هو) قد كثر عند بهاء الدولة مال
الطائع لله وذخائره وأطعمه فيها وهون عليه أمرا عظيما وجراه على خطة
شنعاء فقبل منه وقبض عليه . ثم لم يحظ من ذلك الا بسوء الذكر الى آخر
الدهر ولو لا ان حسرات أيام القادر بالله رضوان الله عليه أسبلت^(٣) على
مساوي هذا الفعل سترآ لما وجد عند الله تعالى ولا عند المخلوقين عذرا
ليكن محاسن ذلك الامام التقى الرضى أعادت وجه الدين مشرقا وعُود
الاسلام مورقا . فاما شرح ما جرت عليه الحال يوم القبض فلم نذكره اذ
لا سياسة فيه فتحكى ولا فضيلة فتروى الاياتا للرضى أبي الحسن
الموسوي رحمه الله فانه كان في جملة من حضر فلما أحس بالفتنة أخذ بالحزم

وبادر الخروج من الدار وتلوّم من تلوّم من الامائل فامتنهوا وسلبت ثيابهم وسلم هو فقال ^(١)

أعجب لمسكة نفسي بعد ما رميت * من النوائب بالابكار والدين
ومن نجاتي يوم الدار حين هوى * غيري ولم أخل من حزم ينجيني
مرقت منها مروق النجم منسكرا * وقد تلاقت مصاريم الردى دوني
وكننت أول طلاع ثنتها * ومن وراى شر غير مأمون
من بعد ما كان رب الملك مبتما * الى أدبته في النجوى ويدنني
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني * يا قرب ما عاد بالضراء يبكني
هبات أغتر بالسلطان ثانية * قدضل ولاج أبواب السلاطين ^(٢٩٦)
وبالله تعالى نستعين من شر الفتن وانقلاب الزمن وياه نسأل سلامة
شاملة وعاتبة حميدة بجمه

ولما انصرف بهاء الدولة الى داره (وقد حمل الطائع لله قبله اليها واعتقل فيها) أظهر أمر الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بالله رضوان الله عليهم ونادى بشماره في البلد . وكتب على الطائع كتابا بالخلم وتسليم الامر الى القادر بالله رضى الله عنه وشهد الشهود فيه وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام . وانحدر الى حضرة القادر بالله من خواص بهاء الدولة من يثنيه بالخلافة ويصعد في خدمته الى مدينة السلام وشغب الديلم والأتراك مطالبين برسم البيعة ومنعوا من الخطبة باسم الخليفة في يوم الجمعة فقيل « اللهم اصلح عبدك وخليفك القادر بالله »

الخليفة في يوم الجمعة فقيس « اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله » ولم يُسم . وترددت الرسل بين بهاء الدولة وبين العسكر فارضى الوجوه والاكابر ثم قرر لكل واحد ثمانمائة درهم وأخذت البيعة على الجماعة وافقت الكلمة على الرضاء والطاعة . وأقيمت الخطبة باسم أمير المؤمنين القادر بالله أبي العباس أحمد رضوان الله عليه في يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان ^(١) وقيل ان القادر بالله ^(٢١٧) رضوان الله عليه رأى رؤيا قبل ورود

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في خلع الطائع لله : وسيد ان أبا الحسن ابن المعلم كان من خواص بهاء الدولة فحبس فجاء بهاء الدولة وقد جلس الطائع لله في الرواق متقلدا سيفاً فلما قرب بهاء الدولة قبل الارض وجلس على كرسي فتقدم أصحاب بهاء الدولة فجذبوا الطائع بمحائل سيفه من سريره وتكأثر عليه الديلم فلفوه في كساء وحمل في زبزب وأصعد الى دار المملكة وشاش البلد وقد رأى أكثر الجند ان القبض على بهاء الدولة فوقعوا في الذهب وشلح من حضر من الاشراف والعدول وقبض على الرئيس على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان في جماعة وصودروا واحتيط على الخزان والخدم ورجع بهاء الدولة الى داره . وأظهر أمر القادر بالله وأنه الخليفة ونودي له في الاسواق وكتب على الطائع كتاباً بخلع نفسه وأنه سلم الامر الى القادر بالله وشهد عليه الاكابر والاشراف وتقد الى القادر المكتوب وحثه على القدوم . وشعب الديلم والترك يطالون برسم البيعة وبرزوا الى طاهر بغداد وترددت الرسل منهم الى بهاء الدولة ومنعوا من الخطبة للقادر ثم أرضوهم فسكنوا وأقيمت الخطبة للقادر في الجمعة الآتية وهي ثالث رمضان . وحول من دار الخلافة جميع ما فيها حتى الخشب الناج والرخام ثم أبيضت للخاصة والعامة فقلعت أبوابها وشبايكها . وجهاز مذهب الدولة على بن نصر القادر بالله من البطائع وحمل اليه من الآلات والفرش ما أمكنه وأعطاء طياراً كان عمله نفسه وشيعه فلما وصل الى واسط اجتمع الجند وطالبوه بالبيعة وحجرت لهم خطوط انتهت الي ان وعدهم باجرائهم مجرى البغداديين فرضوا وسار وكان مقامه بالطيخة منذ يوم حصل فيها الى ان خرج عنها سنتين واحد عشر شهرا وقيل سنتين وأربعة أشهر عند أميرها مذهب الدولة قال هلال بن المحسن : وجدت الكتاب الذي كتبه القادر بالله : من عبد الله أحمد

الخبر اليه بمصير الامر اليه

﴿ ذكر الرؤيا التي رآها القادر بالله رضوان الله عليه ﴾

قال هبة [الله] بن عيسى كاتب مذهب الدولة : كنت أغشي مجلس القادر بالله في مقامه بالطيحة في كل أسبوع يومين فإذا حضرت رفعتي وإذا رمت تقبيل يده منعتي . فدخلت اليه يوما فوجدته قد تأهب تأهباً لم تجر عادته بمثله ولم أر منه ما عودنيته من الاكرام وجلست دون موضعي فما

الامام القادر بالله أمير المؤمنين الي بهاء الدولة وضياء الله أبي نصر ابن عضد الدولة ، ولي أمير المؤمنين سلام عليك . فان أمير المؤمنين بحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله أما بعد أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك وأحسن امتاع أمير المؤمنين بك فان كتابك الوارد في حجة الحسن بن محمد بن نصر رعاه الله عرض على أمير المؤمنين تالياً لما تقدمه وشافها ماسبقه ومتضمناً مثل ما حواه قبله من اجماع المسلمين قبلك بمشهد منك على خلع العاصي الملقب بالطائع عن الامامة ونزعه عن الخلافة لبوائقه المستمرة وسوء نيته المدخولة واشهادته على نفسه بعمجه ونكوله وارائه الكافة من بيعة وانتماع صدور الناس لبيعة أمير المؤمنين ووفق أمير المؤمنين على ذلك كله ووجدك أدام الله تأييدك قد انفردت بهذه المسألة واستحققت بها من الله جليل الاثارة ومن أمير المؤمنين سني المنزلة وعلي المرتبة وفيه فقد أصبحت سيف أمير المؤمنين المبير لاعدائه الحاظي دون غيرك بحمد رأيه المستبد بحماية حوزته ورعاية رعيته والسفارة بينه وبين ودائع الله عنده في بريته . وقد برزت راية أمير المؤمنين عن الصليق متوجها نحو سريره الذي حرسه ومستقر عزه الذي شيدته ودار مملكته التي أنت عمادها . . . الى ان قال : فواصل حضرة أمير المؤمنين بالانتهاء والمطالعة ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب لثالثة بقي من شعبان .

واسم القادر أحمد بن اسحق بن المقتدر أبو العباس وأمه تمني مولاة عبد الواحد بن المقتدر ولد سنة ٣٣٦ وكان حسن الطريقة كثير المعروف فيه دين وخير قوصل الى جبن في عاشر رمضان وجلس من الغد جلوساً عاماً وهي . وحمل الى القادر بعض الآلات المأخوذة من الطائع واستكتب له أبو الفضل محمد بن أحمد عارض الديلم وجعل استداره

أنسكرك ذلك . نى ورميت تقبيل يده فدها الى فاختلفت بي الظنون لزلّة منى
فان تسكن فاسئل اعلامى بها فاما ان أحاب مخرجا منها بالعذر أو ألوذ فيها
بالعفو فاجاني بوقار ان اسمع : رأيت البارحة فى منامى كان نهر كم هذا (وأومى
الى نهر الصليق) قد اتسع حتى صار عرض دجلة دفعات وكأنى متعجب من
ذلك وسرت على حافه [مستظما] لامره ومستطرفا لعظمه فرأيت دسنا
هيسج قنطرة عظيمة ^(١) فقلت « ترى من قد حدث نفسه بعمل قنطرة فى
هذا الموضع على مثل هذا البحر الكبير؟ » وصعدته فكان ^(٢٩٨) بثقا محكما

عبد الواحد بن الحسن الشيرازى . وفى شوال عقد مجلس عظيم وحلف القادر وبها
الولة كل منهما لصاحبه بالوفاء وقلده القادر ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة . وكان
القادر أبيض حسن الجسم كث اللحية طويها تخضب وصفه الخطيب البغدادي بهذا وقال
كان من الديانة والستارة وإدامة التهجد وكثرة الصدقات على صفة اشتهرت عنه وقد
صنف كتابا فى الاصول ذكر فيه فضائل الصحابة واكفار المعتزلة القائلين بخلق القرآن.
وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني ان القادر كان يلبس زي العوام ويقصد الاماكن
المعروفة بالخير والبركة كقبر معروف وغيره وطلب من ابن القزويني الزاهد أن ينفذ له
طعامه الذى يأكله فأنفذ اليه باذنجان مقلو بخل وباقلى ودبس وخبز بيتى وشده فى ميزر
فاكل منه وفرق الباقي وبعث الى ابن القزويني مائتي دينار فقباها ثم بعد أيام طلب منه
طعاما فأنفذ اليه طبقا جديدا وفيه زيادى فيها فراريج وقالودج ودجاجة مشوية فتعجب
الخليفة وأرسل يكلمه فى ذلك فقال : ما تكلفت لما وسع على وسعت على نفسى .
فتعجب من عقله ودينه ولم يزل مواصلة بالمطاه

وابن القزويني هو أبو الحسن على بن عمر بن محمد الحرابي الزاهد توفى فى شعبان
سنة ٤٤٢ قال الخطيب : كتبنا عنه وكان أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله
الصالحين يقرئ القرآن ويروي الحديث ولا يخرج من بيته الا للصلاة وكان وافر العقل
صحيح الرأي .

(١) وفى مرآة الزمان : واذا بقواعد قنطرة عظيمة . وكلمة دسنا هيسج . لعل

معناها درابزين

ومددت عيني واذا بازائه مشله وزل الشك عني في انهما دستاهميج فنظرة
واقبلت أصعد وأصوب في التعجب . فينبأ أنا واقف عليه اذ رأيت شخصا
قد تألمني من ذلك الجانب وناداني يا أحمد أتريد أن تعبر . قلت : نعم . فمد
يده حتى وصلت الي وأخذني وعبر بي فها لي فعله فقلت له وقد تعاظمني
أمره : من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب هذا الامر صائر اليك ويضول
عمرك فيه فأحسن الي ولدي وشيعتي . فما انتهى الخليفة هذا المقال من قوله
حتى سمعنا صياح ملاحين وضجيج ناس فسالنا عن ذلك فقيل : ورد أبو علي
ابن محمد بن نصر وجماعة معه . فاذا هم انواردون للاصماد به فقد تقررت
الخلافة له . فماودت تنبيل يده ورجله وخاطبته بأسرة المؤمنين وإيمته .

ثم قام مهذب الدولة بخدمة الخليفة في اسماده وانحداه أحسن قيام
وحمل اليه من المال والنياب والآلات ما يحمل مثله الى الخلفاء وأعطاه الطيار
الذي كان صنعه لنفسه وشيعه الى بعض الطريق وأثذبه [الله] بن عيسى
في خدمته . فلما وصل الى واسط اجتمع الخنم بها وطلبوا برسم البيعة
وجرت لهم خطوط انتهت الى ان وعدوا باجرائهم مجرى البنداديين .
فلما تقررت أمورهم عليه ورضوا سار فلما بلغ الجبل انحدر بهاء الدولة
ووجوه الاولياء وأماثل الناس لتلقيه ^(٢٩٩) وخدمته وخل دار الخلافة ليلة
الاحد ثاني عشر رمضان

﴿ ذكر جلوس القادر بالله أمير المؤمنين رضوان ﴾

﴿ الله عليه على سرير الخلافة ﴾

جلس ثاني يوم حصوله في الدار جلوساً عاماً وهني بالامر وأشد المديح
بالشمر وكان من ذلك قصيدة للرضي أبي الحسن الوسوي أولها

شرف الخلافة يابني العباس * اليوم جده أبو العباس
 هذا الذي رفعت يدها بناءها السمالى وذلك موطن الاساس
 ذا الطود بقاء الزمان ذخيرة * من ذلك الجبل الاشم الراى
 وتماها ما ثبت في ديوان شعره ^(١) ولقد صدق الموسوى في قوله ان
 القادر بالله جدد ماهد الخلافة وأبار أعلامها وكشف غم الفتنة وجلى ظلامها
 ويقولون لئن كان لكل من الائمة رضوان الله عليهم مناقب مروية
 وطرائق مرضية فان لاربة منهم فضائل أفردوا بجزاها وحفظوا برباعها
 وصفاياها : قام أمير المؤمنين السفاح سفع دماء الاعداء وتاخي كشف
 الغمائم ^(٢) وتفرّد وفضل بفضيلة الابتداء : والمنصور بالله أيد بالنصر في توطيد
 قواعد الامر فذل كل صعب وأزال كل شعب وثقف كل مناد ومهد ^(٣)
 لمن بعده أحسن مهاد : ثم المعتضد بالله عضد الدولة بحسن تديره وسياسته
 وتلافها بشرف نفسه وعلو همته وأعادها بعد الضعف الى القوة وبعد اللين
 الى الشدة وبعد الأود الى الاستقامة وبعد الفتنة الى السلامة : ثم القادر بالله
 قدّر من صلاحها على ما لم يقدر عليه سواه وسلك من طريق الزهد والورع
 ما تقدمت فيه خطاه . فكان راهب بنى العباس حقا وزاهدهم صدقا ساس
 الدنيا والدين وأغاث الاسلام والمسلمين واستأنف في سياسة الامر
 طرائق قوية ومسالك مأمونة سليمة هي الى الآن مستمرة والقاعدة عليها
 مستقرة لم تعرف منه زلة ولا ذمت له خلة : فطالت أيامه وطابت أخباره

(١) في ديوان الرضى طبع بيروت ١ : ٤١٧ وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبي
 ١٣١٨ ص ١٨٤) انه كان الرضى يرشح الى الخلافة وكان أبو اسحق الصائى بطمنه فيها
 وبزعم ان طالعها يدل على ذلك (٢) في الإصلي : كشف ما حيى النباه

وأقنيت آثاره وبقيت على ذريته الشريفة أنواره رضى الله عنه رضاه عن
الائمة المتقين وجعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين
وحمل الى القادر بالله بعض ما كان أخذ من دار الخلافة من الاثاث
والاواني والآلات وجعل كُتَّابَه وحجَّابَه وحواشيه جميعهم من أصحاب
بهاء الدولة ثم أعاد القادر بالله بعد ذلك حاشية الدار القدماء الى واضعهم .
وكان مدة مقامه ^(٣٠١) بالطبحة من يوم وصلها الى يوم خرج منها ستين
واحدا عشر شهرا .

فاما أخت بهاء الدولة التي كانت في حبسال الطائفة لله فان دارها
حُرست يوم القبض من النهب ثم نقلت الى دار بمشرفة الصحراء أقامت فيها
موقرة الى ان توفيت
وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الدولة أبي الممالى ابن سيف
الدولة بعد قتله بكجور غلامه ^(١)

﴿ شرح الحال في عصيان بكجور وما آل اليه أمره من ﴾
﴿ القتل وتبذ من أخبار المصريين تتصل بها ﴾
(في هذه السنة وما بعدها)

كان لسعد الدولة غلام يعرف ببكجور فاضطمه وقلده الرقة والرحبة
واستكتب له أبا الحسن علي بن الحسين المغربي . فلما طالت مدته في ولايته
جحد الاحسان وحدث نفسه بالعصيان واستغوى طائفة من رفقاءه فصلوا
اليه وخرج الي أبي الحسن المغربي بسرره فإشار اليه بمكاتبة صاحب مصر
الملك بالعزيز والتخيز اليه فقبل منه وكان به واستأذنه في قصد بابه فاذن له .

(١) وأما ابتداء أمر بكجور هذا فليراجع تاريخ ابن الفلاس ص ٢٧

وسار عن الرقة بعد ان خلف عليها سلامة الرشيقى غلامه . وأخذ رهائن أهلها على الطاعة . فلقيته كُتّيب صاحب مصر وخَلعه ^(٣٠٢) وعهد على دمشق فنزل بها وتسلمها ممن كان والياً عليها . ووجد أحداثها وشبانها مستولين فقتل بهم وقتل منهم وقامت هيئته بذلك ^(١) وترددت يده وبين عيسى بن نسطورس الوزير مكاتبات خاطبه فيها بكجور بخطاب توقع عيسى أوفى منه ففسد ما بينهما وأسر عيسى الدواوة له وأساء غيبه وقطع بكجور مكاتبة عيسى وشكاها الى صاحب مصر فامر عيسى باستئناف الجليل معه فقبل ظاهرا وخالف باطنا . وخاف بكجور عيسى ومكيدته فاستمال طوائف من العرب وصاهرهم فمالوا اليه رغبة وعاد الى الرقة وكتب اليه صاحب مصر يعاتبه على فعله فاجابه جواب المعتذر الملائف

﴿ ذكر السبب في مسير بكجور الى حلب ﴾

﴿ لقتال مولاه ^(٢) ﴾

كان لبكجور رفقاء بحلب يوادونه فكاتبوه وأطعموه في الامر وأعلموه تشاغل سعد الدولة باللذة فاغتر باقوالهم وكتب الى صاحب مصر يبذل له فتح حلب ويطلب منه الانجاد والمدة فاجابه الى كل ما تمس وكتب الى نزال الغورى والى طرابلس بالمسير اليه متى ^(٣) استدعاه من غير معاودة وكان نزال هذا ^(٣٠٣) من قواد المغاربة وصناديدهم ومن صنائهم عيسى وخواصه

(١) وهذا في سنة ٣٧٧ : ابن القلاندي ص ٣٠ (٢) ابراهيم ابن

(ج ٣ - م ١٤)

القلاندي ص ٣٤ (٣) وفي الاصل : من

* (ذكر الحيلة التي رتبها عيسى مع نزال في) *

﴿ التقاعد بـبـكـجـور حتى ورطه ﴾

كتب عيسى الى نزال سرّاً بان يظهر لبـكـجـوز المـسـارعة ويـطـن له المداقة فاذا تورط مع مولاه وصادمه تأخر عنه وأسـده . فرحل بـكـجـور عن الرقة وكتب الى نزال بان يسير من طرابلس ليكون وصولهما الى حلب في وقت واحد وسار اليها . ورحل نزال وأبطأ في سيره وواصل مكاتبة بـكـجـور بنزوله في منزل بمد منزل وقرب عليه الامر في وصوله . وقد كان سعد الدولة كتب الى بسيل عظيم الروم وأعلمه عصيان بـكـجـور عليه وسأله مكاتبة البرجي صاحبه بانطاكية بالمسير اليه متى استنجدته فكاتبه بسيل بذلك فلما وافى بـكـجـور كتب سعد الدولة الى البرجي بالمسير اليه فسار . وبرز سعد الدولة في غلمانه وطوائف عسكره (وأولو الجراحى السكبير يحجبه) ولم يكن معه من العرب الا عمرو بن كلاب وعدتهم خمسمائة فارس الا انهم أولو بأس ومن سواهم من ^(١) عدته وعدته فنزل الى الارض وصلى وعفر خديه وسأل الله تعالى النصر . ثم استدعى كاتبه وأمره بان يكتب الى ^(٢٠٤) بـكـجـور عنه ويستظنه ويذكره الله ويبدل له ان يقطعه من الرقة الى باب حمص ويدعوه الى المهادنة ورعاية حق الرق والعبودية . ومضى بالكتاب رسول فأوصله اليه فلما وقف عليه قال : الجواب مايراه عيانا . فعاد ان رسول وأعاد على سعد الدولة قوله وأخبره انه سائر على أثره . فتقدم سعد الدولة وتقارب العسكران ورتب المصاف ووقع الطراد

(١) زاد هاهنا ابن الفلانسى ص ٣٤ : ومن سواهم من بطون العرب بنى كلاب

مع بـكـجـور وأحجبه (يعنى سعد الدولة) ما رأى من عدته وعدته الخ

﴿ ذكر جود عاد على سعد الدولة بحفظ دولته ﴾

﴿ وشح آل بكجور الى ذهاب مهجته ﴾

كان الفارس من أصحاب سعد الدولة اذا عاد اليه وقد طعن أو جرح خلع عليه وأحسن اليه وكان بكجور شحيحا فاذا عاد اليه رجل من رجاله على هذه الحال أمر بان يكتب اسمه لينظر مستأفقا في أمره . وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وأمنهم ووعدهم ورغبهم فلما حصلت كتبته بالامان معهم عطفوا على ^(١) سواده ونهبوه واستأمنوا الى سعد الدولة . ورأى بكجور ماتم عليه من تقاعد نزال به وانصراف العرب عنه وتأخر رفقاؤه الذين كانوا كاتبوه ووعدوه بالانحياز اليه اذا شاهدوه فاستدعى أبا الحسن المغربي كاتبه وقال له : لقد غررتي فما الرأي الآن ؟ قال له : أيها الامير لم أكذبك في شيء قلته ولا أردت ^(٢) الا نصحك والصواب مع هذه الاسباب ان ترجع الى الرقة وتكتب صاحب مصر بما اعتمدته نزال معك وتعاود استنجاهه . وكان في العسكر قائد من القواد يجري مجراه في التقدم فسمع ما جرى بينهما فقال لبكجور : هذا كاتبك اذا جلس في دسسته قال « الاقلام تنكس الاعلام » فاذا تحققت الحقائق أشار علينا بالهرب والله لا هربنا . وحلف بالطلاق على ذلك وسمع أبو الحسن المغربي قوله فخاف وكان قد واقف بدويا من بني كلاب على ان يحمله الى الرقة متى كانت هزيمة وبذل له الف دينار على ذلك فلما استشعر ما استشعر قدّم ما كان أخره وسأل البدوي تسييره الى الرقة فسيّره

﴿ ذكر ما دبره بكجور بفضل شجاعته خالت ﴾

﴿ المقادير دون ارادته ﴾

لما رأى الامر معضلا عمل على ان يعتمد الى الموضع الذي فيه سعد الدولة من المصاف ويحمل عليه بنفسه ومن ينتخبه من صناديد عسكره موقعا به فاختار وجوه غلمانه وقال لهم : قد حصلنا من هذه الحرب على شرف أمرين صعبين من هزيمة وهلاك وقد عوّلت على صكيت وكيت فان ساعدتموني رجوت لكم الفتح . فقالوا : نحن طوعك وما نرغب بنفوسنا عن نفسك . فقدر واحد من الغلمان واستأمن الي لؤلؤ^(٣٠٦) الجراحى وأعلمه بما عوّل عليه

﴿ ذكر ما فعله لؤلؤ من اقتداء مولاه بنفسه ﴾

﴿ فتجاهما الله بحسن النية ﴾

أسرع لؤلؤ الى سعد الدولة وأخبره الحال وقال : قد أيس بكجور من نفسه وهو لاشك فاعل ما قد عزم عليه فاتتبع من مكانك الى مكانى لا تف أنا فى موضعك وأكون وقاية لك ولدولتك . فقبل سعد الدولة رأيه ووقف لؤلؤ تحت الراية وجال بكجور فى أربعمائة غلام شاكين فى السلاح ثم حمل فى عقيب جوله حملة أفرجت له العساكر ولم يزل يخبط من تلقاء بالسيف الى ان وصل الى لؤلؤ وهو يظنه سعد الدولة فضربه على الخوذة ضربة قدّها ووصلت الى رأسه ووقع لؤلؤ الى الارض . وحمل السكر على بكجور وبادر سعد الدولة عائدا الى مكانه مظهرا نفسه للغلمان فلما رأوه قويت شوكتهم وثبتت أقدامهم واشتدوا فى القتال حتى استفرغ بكجور وسعه ثم انهزم فى سبمة نهر

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر بكجور بعد الهزيمة الى ان قتل ﴾

كان تحته فرس ثمنه الف دينار فاتتهى الى ساقية تحمل الماء الى رحا الطريق سميتها^(٣٠٧) قدر ذراعين فجهد الفرس على ان يعبرها خوفاً أو وثباً فلم يكن فيه ووقف ولحقته عشرة فوارس من العرب فرجلته وأصحابه وجرّ دهم من ثيابهم وآبوا عنهم بأسلابهم ونجا بكجور ومن معه الى الرحا فاستكنوا فيه ثم خرجوا من بعد الى قراح فيه زرع فمرّ بهم قوم من العرب وكان فيهم رجل من بني قطن كان بكجور يستخدمه كثيراً في مهماته فناداه « أن ارجع » فرجع وهو لا يعرفه فاخذ ذمامه . ثم عرفه نفسه وبذل له على ايصاله الرقة حمل بعيره ذهباً فاردفه وحمله الى بيته وكساه . وكان سعد الدولة قد بث الخيل في طلبه وجعل لمن أحضره حكمه فساء ظن البدوي وطمع فيما كان سعد الدولة بذله واستشار ابن عمه في أمره فقال له : هو رجل بخيل وربما غدر في وعده واذا قصدت سعد الدولة به حظيت برفده . فاسرع البدوي الى معسكر سعد الدولة وأشعره بحال بكجور واحتكم عليه مائتي فدان زراعة ومائة الف درهم ومائة راحلة محملة براً وخمسين قطعة ثيابا فبذل له سعد الدولة ذلك جميعه . وعرف لؤلؤ الجراحي الخبر وتقرّر ان يمضى البدوي ويحضره فتحامل وهو مثخن بالضربة التي أصابته ومشى يهادى على أيدي غلمانة حتى حضر عند سعد الدولة

﴿ ذكر حزم أخذ به لؤلؤ دل منه^(٣٠٨) على اصابة رأى ﴾

لما حضر سأل عما يقوله البدوي فاخبر به فقبض لؤلؤ على يده وقال له : أين أهلك . فقال : في المرج على فرسخ . فاستدعى جماعة من غلمانة وأمرهم ان يسرعوا الى الحلة ويقبضوا على بكجور ويحملوه فتوجروا وهو

قابض على يد البدوي والبدوي يستغيث . فقدم لؤلؤ الى سعد الدولة وقال :
يا مولانا لا تنكر عليّ فعل فانه منى عن استظهار في خدمتك فلو عاد هذا
البدوي الى بيته لم نأمن ان يسذل له بكجور مالا جما فيقبل منه وتطلب منه
بعد ذلك أترا بعد عين والذي طلبه البدوي مبدول وما ضر الاحتياط . فقال
له سعد الدولة : أحسنت يا أبا محمد لله درك . ولم يمض ساعات حتى أحضر
بكجور فشاور سعد الدولة لؤلؤا في أمره فإشار عليه بقتله خوفا من أن تسأل
أخت سعد الدولة فيه فيفرج عنه فامر عند ذلك بضرب عنقه

فسار سعد الدولة الى الرقة فنزل عليها وفيها سلامة الرشيق وأبو الحسن
المغربى وأولاد بكجور وحرمة وأمواله ونعمه فارسل الى سلامة يلتمس منه
تسليم البلد فاجابه : باني عبدك وعبد عبدك الا ان لبكجور على عهداً
ومواثيق لا مخلص لي عند الله منها الا باحد أمرين اما انك تدم لأولاده
على نفوسهم وحرمتهم ^(٣٠١) وتقتصر فيما تأخذه منهم على آلات الحرب
وعدها وتحلف لهم على الوفاء به واما بان أبلي ^(١) عذرا عند الله تعالى فيما
أخذ عليّ من عهد وعقد معي من عقد . فاجابه سعد الدولة الى ما اشترطه
من الذمام وحلف له يمين مستوفاة الاقسام ودخل فيها الامان لابي الحسن
المغربى بعد ان كان قد هدر دمه الا انه آمنه على أن يقيم في بلاده فهرب الى
الكوفة وأقام بمشهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام

﴿ ذكر ماجرى عليه أمر سلامة الرشيق وأولاد بكجور ﴾

﴿ في خروجهم من الرقة وغدر سعد الدولة ﴾

لما توثق سلامة لنفسه ولأولاد بكجور سلم خصن الرفقة وخرجوا

مُتَّحًا ومعه من الاموال والزينة ما كثر في عين سعد الدولة فانه كان يشاهدهم من وراء سرادقه وبين يديه ابن ابني الحصين القاضي وقال له : ما ظننت ان حال بكجور انتهت الى ما أراه من هذه الاثقال والاموال . فقال له ابن ابني الحصين : ان بكجور وأولاده ممالكك وكلها ملكه ولملكوه هو لك لا حرج عليك فيما تأخذه منهم ولا خنت في الايمان التي حلفت بها ومهما كان فيها من وزر واتم فلي دونك .^(١٠) فلما سمع هذا القول أصغى اليه وغدر بهم وقبض على جميع ما كان معهم

فما كان أسوأ محضر هذا القاضي الذي حسن لسعد الدولة تسويل الشيطان وأفناه بنقض الايمان ثم لم يقنع بما زين له من غدره ولبس عليه من أمره حتى تكفل له بحمل وزره . وهل أحد حامل وزر غيره أما سمع قول الله تعالى في أهل الضلالة : وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بمجاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون . وكان أولاد بكجور كتبوا الى العزيز بما جرى على والدهم وسألوه مكتابة سعد الدولة بالابقاء عليهم

﴿ ذكر ما جرى بين صاحب مصر وسعد الدولة ﴾

﴿ من المراسلات وما اتفق من وفاة ﴾

(سعد الدولة بمقب ذلك)

كتب صاحب مصر اليه كتابا يتوعده فيه ويأمره بالابقاء عليهم وتسييرهم الى مصر موفورين ويقول في آخره : فان خالفت كنت خصمك ووجهت المساكر فنوك . وأتخذ الكتاب مع فائق الصقلي^(١١) أحد

(١) وفي الاصل : الصقلي . والصواب عند ابن القلانسي ص ٣٨

خواصه وسيّره على نهج سمر اعاب به فوصل فائق الى سعد الدولة وقد وصل
من الرقة الى ظاهر حلب وأوصل اليه الكتاب فلما وقف عليه جمع وجوه
عسكره وقراه عليهم ثم قال لهم : ما ^(٣١١) الرأي عندكم . قالوا له : نحن عبيد
طاعتك ومهما أمرتنا به كنا عند طاعتك منه . فامر باحضار فائق فاهانه
وقال له ^(١) عد الى صاحبك وقتل له « لست ممن يستغزه وعيدك وما بك
حاجة الى تجهيز عسكر اليّ فاني سائر اليك وخبري يأتيك من الرملة . وقدم
قطعة من عسكره الى حصص امامه وعاد فائق الى صاحبه فمرّقه ما سمعه ورآه
فازعجه وأقلقه . وأقام سعد الدولة بظاهر حلب أياما ليرتب أموره ويتبع
المسكر الذي تقدّمه فمرض له القولنج أشفي منه وعاد الى البلد متداويا
وابلّ وهني بالسلامة . وعول على العود الى المعسكر فحضرت فراشه في
الليلة التي عزم على الركوب في صبيحتها احدى حظاياها وتبعها النفس
الشهوانية المهلكة فواقمها وسقط عنها وقد جف نصفه وعرفت أخته الصورة
فدخلت اليه وهو يجود بنفسه واستدعى الطبيب فإشار بسجر الند ^(٢) والعنبر
حوله فافاق قليلا فقال له الطبيب : اعطني يدك أيها الامير لا خذ مجسك .
فاعطاه اليسري فقال : يا مولانا اليمين . فقال : أيها الطبيب ما تركت لي
اليمين يمينا . فكانه تذكر ما فرط من خيائته وندم على نقض العهد ونكته
ومضت عليه ثلاث ليال وقضى نهجه بعد ان قلّد عهده لولده أبي
الفضائل ووصّى الى لؤلؤ الجراحي به ^(٣١٢) وبيّنة ولده

(١) وزاد ابن القلانسي انه أمر باعطائه الكتاب ولطمه حتى يأكله

(٢) وفي الاصل : النار . والصواب ما قاله ابن القلانسي

﴿ ذكر قيام أبي الفضائل ابن سعد الدولة بعد أبيه ﴾
 ﴿ وما جرى له مع العساكر المصرية ﴾

جده لؤلؤ في نصب أبي الفضائل في الامر وأخذ له البيعة على الجند .
 وتراجعت العساكر الى حلب واستأمن منها الى صاحب [مصر] وفاء
 الصقلي ^(١) وبشارة الاخشيدي ورياح وقوم آخرون فقبلهم وأحسن اليهم
 وولّى كل منهم بلداً .

وقد كان أبو الحسن المغربي بعد حصوله في المشهد بالكوفة كاتب
 صاحب مصر وصار بعد المكتبة الى بابه فلما توفي سعد الدولة عظم أمر
 حلب عنده وكثر له أموالها وهون عليه حصولها وأشار باصطناع أحد
 الغلمان واتقاه اليها . فقبل منه اشارته وقدم غلاماً يسمى منجوتكين فغولاه
 ومولاه ورفع قدره ونوّه بذكره وأمر القواد والاكابر بالترجل له وولاه
 الشام واستكتب له أحمد بن محمد القشوري وسيره الى حلب وضم اليه أبا
 الحسن المغربي ليقوم بالامر والتدبير

﴿ ذكر مسير منجوتكين من مصر الى حلب ﴾
 ﴿ ونزوله عليها ^(٣١٣) ﴾

لما وصل الى دمشق تلقاه قوادها وأهلها وعساكر الشام كلها فاقام
 بها مدة ثم رحل الى حلب وقد استعد واحتشد ونزلها في ثلاثين الف رجل
 وتحصن أبو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد . وقد كان لؤلؤ عند معرفته
 ب ورود العساكر المصرية كتب الى بسيل عظيم الروم وذكره ما كان بينه
 وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة وبذل له عن أبي الفضائل ولده الجري

(١) وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٣٩ : رقي الصقلي

على تلك المادة وحمل اليه ألقافا كثيرة واستنجده وأخذ اليه ملكوتنا^(١) السرياني رسولاً . فوصل اليه ملكوتنا وهو بازاء عساكر ملك البلقر مقاتلاً فقبل ما ورد فيه وكتب الى البرجي صاحبه بانطاكية بجمع عساكر الروم وقصد حلب ودفع المغاربة عنها . فسار البرجي في خمسة آلاف رجل وقول بحجر الحديد بين انطاكية وحلب وعرف منجوتكين وأبو الحسن ذلك فجعا وجوه المسكر وشاوراهم في تدبير الامر

﴿ ذكر مشورة أنتجت رأياً سديداً كان في ﴾

﴿ اثنا عشر الظفر بالروم ﴾

أشار ذو الرأي والحصافة منهم بالانصراف عن حلب وقصد الروم^(٢) والابتداء بهم ومناجزتهم لئلا يحصلوا بين عدوين فاجعوا على ذلك وساروا حتي صار بينهم وبين الروم النهر المعروف بالملقوب . فلما تراءى الجمعان تراموا بالنشاب وبينهم النهر وليس للفريقين طريق الي العبور . فبرز من الديلم الذين في جملة منجوتكين شيخ في يديه ترس وثلاث زويينات ورعى نفسه الى الماء والمسلمون ينظرون اليه والروم يرمونه بالنبل والحجارة وهو يسبح قدماً والترس في يده والماء الى صدره وشاهد المسلمون ذلك وطرحوا نفوسهم في أثره وطرحت العرب خيولهم في النهر وهجم المسكر عن الخاض وحصلوا مع الروم على أرض واحدة ومنجوتكين بمنعهم فلا يتمتعون . وأنزل الله تعالى النصر عليهم وولّى الروم أديبارهم^(٣)

(١) في الاصل : ملكوتنا . والضواب عند ابن القلانسي ص ٤١ ص ١٤ (٢) وفي ابن القلانسي ص ٤٢ : وولت الروم وأعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون ونكوا بهم النكابة الوافة قتلاً وأسراً وفلاً وقهراً وأفلت البرجي الخ

بين مقتول ومأسور ومفلول . وأفلت البرجي في عدد قليل وغنمت منهم
الغنيمة الكثيرة وجمع من رؤس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس وحملت الى
مصر . وتمم منجوتكين الى انطاكية ونهب رساتيقها وأحرقها وكان وقت
ادراك الغلة فانفذ لؤلؤ وأحرق ما يقارب حلب منها اضرازا بالعسكر
المصرى وقاطعا للميرة عليهم . وكرر منجوتكين راجعا الى حلب

﴿ ذكر تدير لطيف دبره لؤلؤ في صرف العساكر ﴾

﴿ المصرية عن حلب ^(٣١٥) ﴾

لما رأى لؤلؤ هزيمة الروم وقوة العساكر المصرية وضعفه عن
مقاومتهم كاتب أبا الحسن المغربي والقشورى ورغبهما في المال وبذل لهما منه
ما استمالهما به وسأل لهما المشورة على منجوتكين بالانصراف عن حلب في
هذا العام والمعاودة في [العام] القابل لعدة تعذر الاقوات والموفات .
فاجاباه الى ذلك وخاطبا منجوتكين به فصادف قولهما منه شوقا الى دمشق
وخفض العيش وضجر من الاسفار والحروب وكتبت الجماعة الى صاحب
مصر بهذه الصورة واستأذناه في الانكفاء فقبل ان يصل الكتاب ويود
الجواب رحلوا عابدين وعرف صاحب مصر ذلك فاستشاط غضبا ووجد
أعداء أبا الحسن المغربي طريقا الى الطعن عليه فصرفه بصالح بن
على الروذباري

﴿ ذكر ما دبره المتلقب بالعزيز في امداد العسكر بالميرة ﴾

﴿ واعاقبهم الى حلب ﴾

آلى على نفسه ان يمد العسكر بالميرة من غلات مصر فحمل مائة الف
تليس (والتليس قفيزان بالمعدل) في البحر الى طرابلس ومنها على الظهور

الى حصن اقامية . ورجع منجوتكين في السنة الثانية الى حلب وزل عليها
وصالح بن علي الروذباري المدير فكان يوقع للعلماء بجزائهم وقضيم دوابهم
الى اقامية على ^(٣١٦) خمسة وعشرين فرسخا فيمضون ويقبضونها ويعودون بها
وأقاروا ثلاثة عشر شهرا وبنوا الحمامات والخانات والاسواق وأبو الفضائل
ولواو ومن معها متحصنون بالبلد وتعذرت الاقوات عندهم فكان لواو
يتاع القفيز من الخطة بثلاثة دنانير ويبيعها على الناس بدينار رفقا بهم ويفتح
الابواب في الايام ويخرج من البلد من تمنه المضرتان عن المقام ^(١) وأشير
على منجوتكين بتبع من يخرج وقتله ليمتع الناس من الخروج ليضيق
الاقوات عندهم فلم يفعل . وأنفذ لواو في أثناء هذه الاحوال ملكونا الى
بسيل عظيم الروم معاودا لاستنجاهه وكان بسيل قد توسط بلاد البلنر
فقصده ملكونا الى موضعه وأوصل اليه الكتاب وقال له : متى أخذت
حلب ففتح انطاكية بعدها وأتبعك التلافي واذا سرت بنفسك حفظت
البلدين جميعا وسائر الاعمال

﴿ ذكر مسير بسيل الى الشام لقتال العساكر ﴾

﴿ المصريه وما جرى عليه أمره في ذلك ﴾

لما سمع بسيل قول ملكونا سار نحو حلب وبينه وبينها ثلثمائة فرسخ
فقطعها في سنة وعشرين يوما وقاد الجنائب بأيدي الفرسان وحمل الرجاله
على البغال . وكان الزمان ربيعا وقد أنفذ منجوتكين وعسكره كراهم
الى الروج لترعى فيها وقرب هجوم بسيل عليهم من حيث لا يشعرون

(١) كذا في الاصل وعند ابن القلانسي ص ٤٣ : ويخرج من الناس من أراد

من الفقراء من الجوع وطول المقام وقد كان أشيرالح . والمضرتان هما الجوع والوباء

﴿ ذكر ما دبره واعتمده لولو من رعاية حرمة الاسلام ﴾

﴿ وانذار منجوتكين بخبر هجوم الروم ﴾

أرسل الى منجوتكين يقول له : ان عصمة الاسلام الجامعة لنا تدعوني الى انذاركم والنصح لكم وقد أظلمكم بسيل في جيوش الروم نفخوا الخذر لا تفسكم : وجاءت طلائع منجوتكين بمثل الخبر فاحرق الخزائن والاسواق والابنية التي كان استحدثها ورحل في الحال منهزما . ووافي بسيل فنزل على باب حلب وخرج اليه أبو الفضائل ولولو ولقياه ثم عاد ورحل في اليوم الثالث الى الشام . وفتح حمص ونهب وسبي ونزل على طرابلس فنمت جانبها منه فاقام نيفاً وأربعين يوماً فلما أيس منها عاد الى بلاد الروم .

وانتهى الخبر الى صاحب مصر فعظم ذلك عليه وأمر فتودي بالنفير

فنفر الناس

﴿ ذكر مسير الملقب بالعزيز من ^(٣١٨) مصر لنزو ﴾

﴿ الروم وما اتفق من موته وجلوس ولده ﴾

(الملقب بالحاكم في موضعه)

خرج من داره مستصجبا جميع عبا كره وعدده وأمواله وسار منها مسافة عشرة فراسخ حتى نزل بليس ^(١) وأقام بظاهرها . وعارضته علل كثيرة أيس منها من نفسه فاوصى الى أرجوان ^(٢) الخادم الذي كان خصيصا به ومتوليا لأمر داره بولده الملقب بالحاكم من بعده ثم قضى نحبه . وقام أرجوان بأمر الحاكم ودعا الناس الى البيعة وحالفهم على الطاعة وأطلق لهم المعطاء

(١) وفي الاصل : بليس . والصواب عندنا بن الفلاني ص ٤٤ (٢) أو : أرجوان

وذلك في شهر رمضان سنة ٣٨٩ وانكفأ الحاكم الى قصر أبيه وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة

وتقدم أبو محمد الحسن بن عمار وكان شيخ كرامة وسندها ويلقب بأمين الدولة وهو أول من لقب في دولة المغاربة وتعدت أوامره في الخزائن والاموال اطلاقاً وعطاء حتى على جوارى القصر هبة وعتقا واستولى أصحابه وقتل مبالاتهم وأشاروا عليه بقتل الحاكم فلم يعبأ به استصغاراً لسنه واستهانة بأمره . وارجوان في أثناء ذلك يحرس الحاكم ويلزمه وينمسه الركوب والظهور من قصره .

واتفق شكر المضدي معه فتعاضدا وصارت كلمتهما واحدة (٣١٩)
حتى تمّ لهما ما أراداه

* (ذكر ما دبره ارجوان في أمر ابن عمار ومكاتبة) *

(منجوتسكين والاستنصار به عليه)

لما زاد أمر ابن عمار في تمكّنه كتب ارجوان الى منجوتسكين وشكا اليه ما هم فيه ودعاه الى قصد مصر ومقابلة نعمة العزيز عنده وكشف هذه النعمة عن ولده . فتقبل منجوتسكين كتابه وركب الى المسجد الجامع بثياب المصيبة وجمع الناس وذكرهم جميل العزيز اليهم ثم خرج الي ذكر ما له عليه خاصة من الاصطناع وما يلزمه من خدمة ولده بعده ثم ذكر تغلب ابن عمار على الملك وسوء سيرته وما يلقاه أثنتا القيمون بمصر من الذلة والهوان وبكى بكاء شديداً رقت له القلوب وخرق ثيابه واقتدى الناس به في البكاء وتخريق الثياب وأجابوه الي الطاعة وبذل المهج من غير التماس عطاء ولا مؤونة . فشكرهم وعاد الي داره وأجمع أمره للمسير فصار الي الرملة

﴿ ذكر ما دبره ابن عمار في تجهيز ^(٣٢٠) الجيش ﴾
 ﴿ وما آل اليه أمر منجوتكين من الهزيمة ﴾

لما وصل الخبر الى ابن عمار بما فعله منجوتكين عظم عليه ومع
 وجوه كتامة ^(١) وأخبرهم بما تجدد وأظهر ان منجوتكين قد عصى على
 الحاكم فبدلوا الطاعة والانتهاى الى ما يأمرهم به . وأحضر أرجوان وشكر
 العضى واستألفهما واستحلفهما على المساعدة والمعاودة خلفا له اضطرارا .
 ونذب العساكر لقتال منجوتكين وقدم أباطيم سالم ^(٢) بن جعفر عليها
 وأمدّه من الاموال والعدد ما أسرف فيه . وكان عيسى بن نطورس على
 حاله في الوزارة فبلغه عنه ما أنكره فضرب عنقه .

وسار أبو تميم من مصر ورحل منجوتكين من الرملة بعد ان ملكها
 والتقى بمسقلان وتواقما فاجلت الوقعة عن هزيمة منجوتكين وأصحابه
 وتبعوا . وجعل أبو تميم لمن يأتيه بمنجوتكين عشرة آلاف دينار ومائة
 ثوب فانبثت العرب في طلبه وأدركه على بن الجراح فأسره وجاء به الى أبي
 تميم فسلّمه اليه وقبض المال منه . فحمل الى مصر وأبقى ابن عمار عليه واصطنعه
 وأحسن اليه استمالة للمشاركة بذلك . وسار أبو تميم فنزل طبرية وأتقذ أخاه
 عليا الى دمشق فاعتصم أهلها عليه ومنعوه الدخول وكاتب أخاه بعصيانهم
 واستأذنه ^(٣٢١) في قتالهم فكتب أبو تميم الي متقدميهم من الاشراف
 والشيوخ وحذرهم عواقب فعل سفهائهم فلما وصل الكتاب اليهم خافوا
 وخرجوا الى على مدعين بالطاعة ومنكرين لما فعله أهل الجهالة فلم يعبأ بقولهم
 وزحف الى باب البلد فملكه وأحرق وقتل وعاد الي معسكره . ووافى أبو

(١) وفي الاصل : كتابه (٢) وعند ابن الفلاني ص ٤٦ سليمان . وهو ابن فلاح

تميم في غدا فانكر على أخيه ما فعله وتلقاه وجوه الناس فشكوا اليه ما أظلم
فاحسن لقاءهم وأمن جناتهم فسكنوا وعادوا الي معاشهم
﴿ ذكر ما اعتمده أبو تميم الكتامي ^(١) من ﴾

﴿ حسن سيرة ملك بها قلوب الرعية ﴾

ركب الى المسجد الجامع في يوم الجمعة بزي أهل الوقار واجتاز في البلد
بسكينة وبين يديه القراء وقوم يفرقون الدراهم على أهل المسكنة وصلى
الجمعة وعاد الى القصر الذي نزل به بظاهر دمشق وقد استمال قلوب العامة
بما فعله . ثم نظر في الظلمات وأطلق من الجوس جماعة من أهل الجنائيات
فازدادوا له حباً واستقرت قدمه واستقام أمره . وعدل من بعد الى النظر
في أمور السواحل فهذبها وولى أخاه طرابلس وصرف عنها جيش ^(٢) بن
الصمصامة وكان جيش هذا من شيوخ ^(٣٢٢) كتامة أيضا الا انه كانت بينه
وبين أبي تميم عداوة . فلما عزله عن طرابلس مضى الى مصر وجها واحدا
واجتمع مع ارجوان سرا ورمي نفسه عليه فقبله وبذل له المعاونة . ورأى
أرجوان الفرصة قد أمكنت ببعث كتامة عن مصر الا العدد القليل منهم فقرر
مع الاثرالك المشاركة الفتك بهم وأحكم الامر في الاستيثاق . وأحسن
ابن عمار بذلك فعمل على الفتك بأرجوان وسبقه الى ما يحاوله منه

﴿ ذكر ما هم به ابن عمار من الفتك بأرجوان وشكر ﴾

﴿ وما دبراه في التحرز منه حتى سلما ﴾

(منه وتورط هو) ..

رتب ابن عمار جماعة في دهليزه وواقفهم على الايقاع بأرجوان وشكر

(١) وفي الاصل : البكناني (٢) وفي الاصل : جيش

اذا دخلا داره . وكان لارجوان عيون على ابن عمار فصاروا اليه وأخبروه بما قد رتبته فاجتمع ارجوان وشكر وتقاضا الرأي في التعرّض مما بلغهما وقررا بينهما ان يركبا عند ركوبهما جماعة من العلّمان يتبعوهما فان أحسا على باب ابن عمار بما يريدان رجعا القهقري وفي ظهورهما من يمنع عنهما . فرتبا ذلك وتوجها الى دار ابن عمار فلما^(٣٢٣) قربا من الباب بانت لهما شواهد الشر وما كانا اُخبرا به فكرا اركضا ومنع عنهما العلّمان الذين كانوا وراءهما ودخلا قصر الحاكم با كين صارخين وتارت الفتنة . واجتمع المشارقة وعبيد الشرى على باب القصر وركب الحسن بن عمار في كُتامة ومن انضاف اليهم من القبائل الى الصحراء وفتح ارجوان الخزائن ففرق الاموال وحثّ الرجال . وبرز ثلاثة من وجوه الاتراك في خمسمائة فارس لقتالهم فوافعهم وكسروهم وهرب ابن عمار واستتر عند بعض العامة

﴿ ذكر ما دبر به ارجوان أمر الملك ﴾

لما تم له الظفر فتح باب القصر وأخرج الحاكم وأجلسه وأخذ له يعة مجددة على الجند وأمن وجوه كُتامة وقوادها فحضرُوا وأعطاوا أيديهم بالطاعة ومهد الامور في يومه وليته . وكتب المظفات الى الاشراف والي وجوه العامة بدمشق بالايقاع بابي تيم ونهيه والي المشارقة بمعاونتهم عليه

﴿ ذكر ماتم على أبي تيم من أهل دمشق^(٣٢٤) ﴾

(بقلّة حزمه وضعف رأيه)

كان أبو تيم مع سياسته مستهترا باللذات ووصلت المظفات وأبو تيم مشغول بلهوه فلم يشعر الا بهجوم المشارقة والعامة على قصره فخرج هاربا

على ظهر فرسه ونهبوا خزائنه وأوقعوا بمن كان فيه من كتامة وعادت الفتنة بدمشق واستولي الاحداث . وكان فهد بن ابراهيم النصراني المكنى بابي العلاء يكتب لارجوان من قبل فلما صار الامر اليه استوزره . ولم يزل ارجوان^(١) يتلطف للحسن بن عمار حتى أخرجه من استتاره وأعادته الي داره وأجراه على رسمه في اقطاعاته واشترط عليه اغلاق بابيه واستحلفه على لزوم الطريقة المستقيمة .

وكان أهل صور قد عصوا وأمرؤا عليهم رجلا ملاحا يعرف بالعلاقة وكان المفرج^(٢) بن دغفل بن الجراح قد نزل على الرملة وعاث في البلاد وانضاف الي هذين الحادثين نزول الدوقس صاحب الروم في عسكر كثير على حصن افامية . فاصطنع ارجوان جيش بن محمد بن الصمصامة وقدمه وجهز معه عسكراً وسيّره الي دمشق وبسط يده في الاموال ونفذ أمره في الاعمال

* (ذكر ما جرى عليه أمر جيش^(٣٢٥) بن الصمصامة) *

(في هذا الوجه الى ان توفي)

سار جيش ونزل على الرملة وعليها وحيد الهلالي والياً فتلقاه طائفاً وصادف أبا تميم بها فقبض عليه قبضاً جميلاً . وندب أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر الي صور بعد ان كان أنقذ اليها مراكب في البحر مشحونة بالرجال فاحاطت العساكر بها براً وبحراً . وضعف أهل صور عن القتال وأخذ العلاقة فحمل الي مصر فسلخ وصلب بها وأقام ابن حمدان بصور والياً عليها

(١) الاصل معرف والصواب عند ابن القلانسي ص ٥٠ (٢) وفي الاصل : المفرج

وسار جيش لقصد الفرّج بن دغفل بن الجراح فهرب من بين يديه
واتبعه حتى كاد يدركه فضاقت الارض على ابن الجراح وعاذ بالصفح وأتقذ
اليه عجائز نسائه يطلب الامان فكف جيش عنه وأمنه واستخلفه على ماقرره
معه وعاد سائرا الى عسكر الروم النازل على حصن افامية . فلما وصل الى
دمشق تلقاه أهلها في اشرافها ووجوه اعدائها مذعنين له بالانقياد راغبين اليه
في استصحابهم للجهاد فجزاهم خيرا

﴿ ذكر مكيدة بدأ جيش بها في هذه النوبة مع احداث ﴾

﴿ دمشق الى ان أمكنته ^(٢٢٦) الفرصة منهم في ﴾

(السكرّة الثانية)

أقبل على رؤساء الاحداث وبذل لهم الجليل ونادى في البلد برفع المئون
واباحة دم كل مغربي يتعرض لفساد فاجتمعت الرعية وشكروه وسألوه
دخول البلد والنزول بينهم فلم يفعل وأقام ثلاثة أيام وسار بعد ان خلع على
رؤساء الاحداث ووصلهم ونزل بمحض واجتمعت عساكر الشام وتوجه
الى حصن افامية . فوجد أهلها وقد اشتد بهم الحصار فنزل بازاء عسكر
الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالقلوب ويعرف بالماصى . ثم اتى الفريقان
من بعد وتنازعا الحرب وكان المسلمون يومئذ في عشرة آلاف من الطوائف
والفر فارس من بني كلاب فحمت الروم على المسلمين فزحزحهم عن مصافهم
وانهزمت الميمنة والميسرة واستولى الروم على كراعهم وعظقت بنو كلاب
على أكثر ذلك فهبوه وثبت بشارة الاخشيدي في خمسمائة فارس ، ورأى
من في حصن افامية من المسلمين ما أصاب اخوانهم فأيسوا من نفوسهم
وابتهلوا الى الله تعالى يسألونه الرحمة فاستجاب لهم

﴿ ذكر ما أنزل الله تعالى على المسلمين ^(٣٢٧) من النصر فقتل ﴾

﴿ زعيم الروم على يد أحدهم ﴾

كان الدوقس ^(١) قد وقف على رايصة وبين يديه ولد له وعشرة غلمة وهو يشاهد ظفر أصحابه وأخذهم للفنائم فقصد كرودي يعرف باحمد بن الضحاك السليل على فرس جواد ويده اليمنى خشت فظنه الدوقس مستأمناً اليه أو مستجيراً فلم يحفل به فلما دنا منه حمل عليه فرغ الدوقس يده متقياً وضربه الكردي بالخش فاصاب خلافاً في الدرع نقرقه ونفذ في أضلاعه وسقط الى الارض ميتاً. وصاح السامون « ان عدو الله قد قتل » ونزل النصر فانهزمت الروم وتراجع المسلمون ونزل من كان في الحصن وقتل من الروم مقتلة عظيمة. وباتوا غانمين مستبشرين بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المحسنين

ثم سار جيش بن الصمصامة الى باب انطاكية فسي وأحرق وانصرف عائداً الى دمشق وقد عظمت هيته في النفوس .

﴿ ذكر تمام هيته في المكيدة التي كان بدأ بها جيش في ﴾

(تسكين احداث دمشق ^(٣٢٨) حتى ظفر بهم)

لما عاد الى دمشق استقبله أهلها مهتئين داعين فلقاهم بالبشاشة والبشر وزادهم من الكرامة والبر وخلع على وجوه الاحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجوارى والغلمان . وعسكر بظاهر البلد وسألوه الدخول والجواز في الاسواق وقد كانوا زينوها اظهاراً للسرور فلم يفعل وقال : هذه عساكر واذا دخلت لم آمن ان تثقل وطأتهم . والتمس منهم

(١) هو داميانوس ويعرف بالدلاسينوس : كذا في تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي

ان يخلوا قرية على باب دمشق^(١) ليكون مقامه فيها فاجابوه الى ذلك وتوفر على استعمال المدل وتخفيف الثقل فاستنص رؤساء الاحداث واستعجب جماعة منهم . وكان يعمل لهم سباطاً يحضرونه في كل يوم للاكل عنده ويبالغ في تأنيسهم فلما اطمأنوا ومضت مدة على ذلك أحضر قواده وتقدم بان يكونوا على أهبة لما يريد استخدامهم فيه وتوقع ما يأمرهم به في رفاع مختومة والعمل بما فيها . ثم كتب رفاعا بقسمة البلد وعين لكل من قواده الموضع الذي يدخل منه ويفتك فيها وختما وأعدّها ثم رتب في حمام داره قوما من المغاربة وتقدم الى أحد خواصه بان يراعى حضور رؤساء الاحداث طعامه فاذا أكلوا^(٢) وقاموا الى المجلس الذي جرت عادتهم بغسل أيديهم فيه أغلق بابه عليهم وأمر التكمينين في الحمام بالخروج على أصحابهم والابقاع بهم . وحضر القوم على رسمهم وبأدرجيش باشاذا الرفاع الى قواده وجلس معهم للاكل فلما فرغ وفرغوا نهض الى حجرته ونهضوا الى المجلس فاغلق القراش عليهم بابه وخرج من في الحمام فاوقعوا بأصحابهم وقتلوهم بأسرهم . وركب القواد ودخلوا البلد فقتلوا قتلا ذريعا وثلّموا السور من كل جانب ونزلت المغاربة دُور دمشق وركب جيش فدخل دمشق وطافها واستغاث الناس به ولاذوا بفعوه فكف عنهم واستدعى الاشراف استدعاء حسن ظنهم فيه فلما حضر وأخرج رؤساء الاحداث وأمر بضرب رقابهم بين أيديهم ثم صلب كل واحد منهم في محله حتى اذا فرغ من ذلك قبض على الاشراف وحملهم الى مصر واستأصل أموالهم ونعمهم ووظف على البلد خمسمائة الف^(٣) دينار

(١) وعند ابن الفلاني ص ٥٢ : عرف بيت ايا (٢) زدنا كلمة « الف »

ثم جاءه أمر الله الذي لا يُغلب وقضاؤه الذي لا يوارب ولا قنّة المنيّة التي تجعل العزيز ذليلاً والكثير قليلاً^(١) فما أغنت عنه عندها قدرة ولا حيلة ولا تقمته معها فدية ولا وسيلة . وكان سبب منيته علة باطنة حدثت به^(٣٠) ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الاسباب والداء واحد وورد الخبر الى مصر بموته فقلد محمد ولده مكانه .

واستقامت الامور على يد ارجوان وجرت بينه وبين بسيل عظيم الروم مراسلات وملاطقات انتهت الى تقرير الهدنة مدّة عشر سنين وصالحت الحال مع العرب .

وكان يواصل النظر في قصر الحاكم نهاره أجمع الاساعة في وقت الظهر ثم يعود الى منتصف الليل ويوفى السياسة حقها وفهد بن ابراهيم بين يديه ينفذ الامور أحسن تنفيذ فلم يزل على هذه الوتيرة الى ان قتل

﴿ ذكر السبب في قتل ارجوان وشرح الحال في ذلك ﴾

كان ارجوان يأخذ الحاكم بهذيب الاخلاق وينصحه (والنصح مرّة المذاق) ويمنعه كثرة الركوب لقرط الاشفاق ويصده عن التبذير في غير موضع الاستحقاق فصارت له هذه الاحوال ذنوباً ثم لان لكل امرئ أجلاً مكتوباً . وكان مع الحاكم خادم يعرف بريدان^(٢) الصقلي قد خص به فأنس في شكوى ارجوان اليه فزاده ريدان إغراء به وقال : انه يريد^(٣١)

(١) وأما موت جيش وقصته مع أبي بكر الحرّمى الزاهد فليراجع فيه ابن الفلانسى ص ٥٤ : وأبو بكر هو محمد بن عبد الله بن حسن بن هرون الواحى توفى سنة ٤٣٦ كذا في تاريخ الاسلام (٢) وفي الاصل : زيدان . وهذا غلط وليراجع ابن الفلانسى ص ٥٥

ان يجعل نفسه في موضع كافور الاخشيدي ويجريك مجرى ابن الاخشيدي
 في الحجر عليك . ولم يزل بالحاكم حتى حمله على قتل ارجوان واستقر بينهما
 ان يستدعى ارجوان في وقت الظهر بعد انصرافه الى داره وان يؤمر الناس
 بالركوب الى الصيد ليتفرقوا فاذا حضر أمر بقتله ففعل ذلك وقال الحاكم
 لريدان اذا حضر ارجوان وتبني الى البستان فاتبعه فاذا التفت اليك فاغلقه
 بالسكين : فينبأهما في الحديث اذ دخل ارجوان فقال : يا مولاي الحر شديد
 والبزاة لا تصيد في مثله . فقال : صدقت ولكننا ندخل البستان ونطوف
 ساعة ونخرج . فقام ومشي ارجوان خلفه وريدان بعده فاهوى ريدان عند
 الثفات الحاكم اليه بالسكين الى ظهر ارجوان فاطلها من صدره فقال
 ارجوان : يا مولاي غدرت . وصاح الحاكم بالخدم وتكاثروا وأجهزوا عليه
 وخرج الخدم الكبار فردوا الجنايب وبغال الموكب والجوارح . فسألهم
 شكر المضدي عن الحال فلم يجيبوه فجاء الناس أمر لم يفهموه وعاد شكر
 والموكب وشهر الجند سيوفهم وظنوا حيلة تمت لابن عمار على الحاكم
 وأحاطوا بالقصر وعظم الامر واجتمع القواد والوجوه . فلما رأى الحاكم
 زيادة الاحتياط ظهر من منظره على أعلى الباب وسلم على الناس فترجلوا له
 (٣٣٢) وخدموه وأمر بفتح الباب وأنفذ على أيدي أصحاب الرسائل رقاعاً
 بخط يده الى شكر وأكابر الاتراك والقواد مضمونها : اني أنكرت من
 ارجوان أمورا أوجبت قتله وقتلته فالزموا الطاعة وحافظوا على ما في
 أعناقكم من الايمان . فلما وقفوا عليها أذعنوا وسلوا واستدعى الحسين بن
 جوهر وكان من شيوخ القواد فامر به بصرف الاس فصرفهم وعادوا الى
 دورهم والنفوس خائفة وجلة من فتنة تنور بين المشاركة والمعاربة . ثم جلس

الحاكم بعد عشاء الاخرة واستدعي الحسين بن جوهر وفهد بن ابراهيم وتقدم باحضار الكتاب خضروا وأوصلهم اليه وقال لهم : ان فهدا كان كاتب ارجوان وهذا اليوم وزيرى فاسمعوا له وأطيعوا . وقال لفهد : هؤلاء الكتاب خدمي فاعرف حقوقهم وأحسن اليهم . وأمر بان يكتب الى سائر ولادة البلاد بقتل ارجوان وتسكينهم في أعمالهم وتقيدت الكتب وسكن الناس وأمن ما خيف من الفتنة . وكان ذلك في سنة ٣٨٩

ومضى ارجوان كانه لم يكن ولو علم ان هلاكه على يد الحاكم لأقصر عن ذلك الاجتهاد في حفظه . ورب حافظ دواء دأؤه فيه وحامل سلاح حفته به وضنين بذخر وباله منه ومع الاحوال كلها فالافراط (٣٣٣) في منع الملوك عن شهواتهم جنائية والاقصار عما يلزم من نصحتهم خيانة لكن بشرط الاقتصاد وقد قيل : كثرة المراقبة تفاق وكثرة المخالفة شقاق . وكم من شفيق على الملوك قد هلك بفرط شففته وحيب صار بغيضا بكثرة نصحه . ولم يبعد المهد بما شوهد من فعل الملك أبي كاليبجار بخادمه الملقب بالمؤيد وقصته مناسبة لقصة ارجوان

وما أحسن الرواية التي تُروى عن المأمون رضوان الله عليه حين سأل جلساءه عن أرفه الناس عيشاً فقال كل واحد منهم قولاً لم يعجبه فقال المأمون أرفه الناس عيشاً رجل أتاه الله كفاية لا يعرفنا ولا نعرفه . وقال بعض العقلاء : مثل السلطان كمثل النار فلا تقرب منها قريباً تباشر فيه لهبها ولا تبعد عنها بعداً تفقد معه ضوءها . وجملة القول ان القرب من الملوك عز مع تب والبعد منهم ذل مع راحة والعيش في الخمول وتختلف الطباع في هذا الاختيار وكل امرئ ميسر لما خلق له

﴿ ذكر ما جرت عليه الامور بعد قتل ارجوان ^(٣٣١) ﴾

استوزر فهد بن ابراهيم وقدم الحسين بن جوهر ولقبه بقائد القواد ثم استمر القتاك منه بالناس فقتل في المدة اليسيرة العدد الكثير .

واستحضر بعد أربعة أشهر الحسن بن عمار من داره فلقبه بالاحسان وأعطاه يده بالامان وانصرف مسرورا الى داره وركب الناس اليه يهنئونه بالغفوة ثم قتله بعد اسبوع . ثم قتل فهد بن ابراهيم بسعاية كاتين من كتاب البدواوين به وولاهما الاعمال ثم قتلها ثم قتل الحسين بن جوهر ولم يكن في شرح أحوال قتلها ما يستفاد منه تجربة لانه اختباط واختلاط . ثم قتل عليا ومحمدا ابني المغربي وأمر باحضار أبي القاسم الحسين بن علي صاحب الشعر والرسائل الذي وزر ببغداد وأخويه فقتلوا واستتر الوزير أبو القاسم وما زال يعمل الحيلة حتى هرب مع بعض البادية وحصل عند الحسن بن المبرج بن الجراح واستجار به وأجاره .

وقد كان في نفس الحاكم ما جرى على عساكر مصر يباب حلب فنزل على يارختكين ^(١) العزيزي للخروج الي الشام وقدمه وكثر أمواله ونعمه وأمر وجوه القواد بتبجيله والترجل في موكبه . وكان في جملة من أمر بخدمته والترجل له علي ومحمود ابنا المفرج [وجاءا] الي أبيهما وعرفاه ما أمرا به من الترجل ليارختكين والمشى بين ^(٣٣٥) يديه وما لقيه من ذلك من المشقة وان نفوسهما تأبى الصبر على هذه المذلة ثم حذراه يارختكين وتوجهه وقال : انك لا تأمن ان ينتهز فيك فرصة ويستفحل أمره فينبوا بك وبنا المقام في هذه الديار فدبر أمرك في فسحة من رأيك وعاجله في

(١) وعند ابن الفلاني هو « ختكين » والصواب « ياروغتكين » في تاريخ الاسلام

الجفار قبل وصوله الى الرملة واعتضاده بعساكرها . وكان يارختكين سار في عدة قليلة على ان يجمع عساكر الشام ويسير بها الى حاب وصحبه أهله وماله وعدد كثير من التجار فلما توسط الجفار أشار أبو القاسم المغربي على حسان بن الفرّج بلقائه وانتهز الفرصة فيه فسار حسان الى أبيه وسهل عليهما الامر فاجتمع رأيهما على ذلك . وجعا العرب ورصدا وصول يارختكين الى غزّة وعرف يارختكين الخبر فجمع ذوى الرأي من أصحابه وشاورهم ﴿ ذكر رأيين كل منهما شديد لوساء القدر فيه ﴾

قال أحدهم له : انك من الرملة على عشرة فراسخ وبها خمسة آلاف رجل وعندك خيول مضرة ولو أسریت ليلا لصبحت الرملة وحصلت في قصرک آمنّا وعرفت العرب خبرک فهاؤک وراقؤک وسرنا بعدک على طمأنينة . (٣٣٦) فاعترض آخر وقال : هذا المرء اليوم في ابتداء أمره فاذا شاع بين الناس انه أشفق وهرب لم تبق له هبة في النفوس ولكن الرأي ان يستدعي قائدا من قواد الرملة في الف فارس ليلقانا بمسقلان . فاستقر الامر على ذلك وكتب يارختكين الى قائد يعرف بابن سرحان يستدعيه وأنفذ الكتاب مع رسول قدّر لوصوله وخروج ابن سرحان ثلاثة أيام . فاتفق ان الرسول أخذ في الطريق قبل وصوله الى ابن سرحان ﴿ ذكر عجلة ضاع الحزم بها ﴾

لما مضى يومان من الثلاثة التي قدرها يارختكين سار على طريق الساحل وهو لا يشك في تعجيل ابن سرحان اليه . وكان حسان بن الفرّج قد عرف خبره فبث الخيل من كل جانب فوقعت على يارختكين وجرت بين الفريقين حرب شديدة كانت الغلبة فيها للعرب وأسر يارختكين

وأخذ ولده وحرمه وأموال التجار وجعل أكثر ذلك في يد حسان .
وعادت العرب الى الرملة وشنوا الغارة على رساتيقها وخرج المسكر الذي
بها فقاتلوهم قتالا همت العرب معه بالانصراف

﴿ ذكر رأى أشار به ابن ^(٣٣٧) المغربي في تلك الحال ﴾

قال لهم الوزير أبو القاسم ابن المغربي : ان رحلت على هذه الصورة وقع
الطمع فيكم وان صبرتم حتى تفتحوا البلد خافكم الحاكم وملكتم الشام
والرأى أن تبادروا وتنادوا في السواد وتسمعوا الشراة في الجبال بإباحة النهب
والغنيمة . فقبلوا منه وحشروا فنادوا فوافى خلق كثير وزحفوا الى البلد
وملكوه وأسأوا الملكة بالفتك والهلاك . وتأدى الخبر الى الحاكم فازعج
وكتب الى المقرج بن دغل كتابا عاتبه فيه وحذره سوء العاقبة وطالبه
بانتزاع يارختكين من يد حسان وحمله الى مصر ووعده على ذلك بخمسين
الف دينار

﴿ ذكر رأى لابن المغربي قصد به تأكيد الوحشة ﴾

﴿ بين حسان وصاحب مصر ﴾

قال حسان : ان والدك سيركب اليك ولا يبرح من عندك الا
يارختكين ومتى أفرجتم عنه وعاد الى الحاكم رده اليكم في المساكر التي
لا قبل لكم بها . فلما سمع حسان ذلك (وكان في رأسه نشوة) أحضر
يارختكين بقيوده فضرب عنقه صبورا وأخذ رأسه الى المقرج . فشق عليه
ما جرى وعلم فوت الامر فامسك . ^(٣٣٨)

ثم اجتمع الوزير أبو القاسم مع المقرج وأولاده وقال لهم : قد كشفتم
القناع في مباينة الحاكم ولم يبق من بعد للصلح موضع . وأشار عليهم براسلة

أبي الفتح الحسن بن جعفر العلوي واستجذابه به اليهم ومبايعة على الامامة
فانه لا منع في نسبه وسهل الخطب عليهم في ذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي الفتح العلوي ﴾

كان أبو الفتح بمكة اميرا فمضى اليه ابن المغربي وأطمعه في الامر
فقطع فيه وجمع بني حسن وشاورهم فصبوا الى المز وأعطوه أيديهم بالبيعة
ثم عاد^(١) الناس اليه وتلقب بالراشد بالله وصعد المنبر وخطب لنفسه . واتفق ان
انسانا موسرا توفي تلك السنة بمكة ووصى لابني الفتح من تركته بمال
لكي يسلم الباقي لورثته فديده الى التركة فاستوعبها بمشورة ابن المغربي عليه
بذلك وسار لاحقا بال الجراح فلما قرب من الرملة تلقوه وقبلوا الارض
بين يديه وسلموا عليه بامرأة المؤمنين ونزل الرملة . ونادى في الناس بأمان
الخانقين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونسى نفسه في أخذ تركة
التاجر بمكة الا ان الناس تراجعوا الى معايشهم^(٢) وظهروا من استثمارهم
وركب في يوم الجمعة والمفرج وأولاده وسائر أمراء طي مشاة بين يديه
حتى دخل المسجد ودعا ابن نبانة الخطيب^(٣) وأمره بصعود المنبر وأسر^(٤) اليه بما
لا يبدأ به^(٥) فصعد وقد طالت الاعناق فحمد الله وأثنى عليه وقرأ : بسم الله
الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى
وفرعون بالحق ليعلم ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيما
يستخف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين
ونريد أن ننم على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم
الوارثين وننم لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم

(١) لعله : دعا (٢) قد كان توفي سنة ٢٧٢ الخطيب المشهور (٣) يريد بما يبدأ به

ما كانوا يحذرون

ولما فرغ أبو الفتوح من الصلاة عاد الى دار الامارة .

وزى ان أبا الفتوح اتبع في هذا الاستشهاد بهذه الآيات محمد بن عبد الله بن حسن فيما جرى بين المنصور بالله وبينه من المكاتبات فإنه استشهد بها . ويتضمن كتاب الكامل الذي صنفه أبو العباس المبرد ذكرها^(١) وقد نظر^(٢) المنصور فيها ولولا شرط الاختصار لذكرناها فإنها عجبية جداً وقد قارعا على الأحساب « والنبي يقرع بمضه بعضا » . وما أحسن أدب القائل حين دخل الى المنصور بالله بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن^(٣) حسن بن حسن أخى محمد والناس ينالون من إبراهيم والمنصور يكره كثيرا من ذلك فقال : أجزك الله يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما استحل من فطيمتك أو ما هذا مناه فتهلل وجه المنصور سرورا بصوابه وقربه اليه من دون أصحائه . والله تعالى يقول : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شىء عليم

﴿ ذكر ما دبره صاحب مصر عند وصول الخبر اليه ﴾

لما تأدى الى الحال كما شرح ما جرى عظم عليه وكبر لديه وكتب الى حسان مطلقا وبذل له بذولا كثيرة والى المقرج بمثل ذلك واستمال آل الجراح جميعهم وحمل الى على ومحمود ابني المقرج أموالا جزيلة حتى قلها من ذلك الجمع وجعلها في حيزه مع جماعة من العرب . وبدأ أمر الحال كما يقوى وأمر أبى الفتوح بضمف وبأن له تغيير آل الجراح عليه وانضاف الى ذلك ورود الخبر بنزول ابن عمه على مله طالباً موضعه

﴿ ذكر تحاسد بين الاهل عاد بويال ^(٢٤١) ﴾

كانت لابي الفتوح ضد من بنى عمه يعرف بابن أبي الطيب يخاطب بالامرة وينها التحاسد وتنازع فكتب اليه الحاكم في هذا الوقت وقلده الحرمين وأتذله واشيوخ بني حسن مالا وثيابا . فسار مع من انضوى اليه من بني عمه الى مكة وبها صاحب أبي الفتوح فنزله وأسرت النجبة الى أبي الفتوح بالخبر فازداد قلقا وخاف خروج الحرمين من يده .

وكان حسان قد أتقذ والدته في أثناء هذه الخطوب الى مصر بتذكرة تتضمن اغراضه وسأل في جعلها ان تُهدى له جارية من إماء القصر فاجابه الحاكم الى جميع ما سأل من اقطاع وتقدير وامضاء وكتب له أمانا بخط يده وأهدى له جارية جهزها بما بلغ قيمته مالا عظيما . فعادت والدته حسان اليه بالرغائب له ولا ييه فسر بذلك وأظهر طاعة الحاكم ولبس خلع

وعرف أبو الفتوح الحال فأيس معها من نفسه فركب الى المفرج مستجيরা به وقال : انما فارقت نعمتي وأبديت للحاكم صفحتي نسكونا الى ذمامك وأنا الآن خائف من غدر حسان فأبلغني مأمني وسيرني الي وطني فحفظ المفرج ذمامه وضم اليه من أمجازه وادى القري فلقاه بنو حسن وأصحابه ومضوا الي مكة واستقامت أموره بها وكان الحاكم واعتذر اليه فقبل عنده . وأما الوزير أبو ^(٢٤٢) القاسم فإنه استجار بالمفرج حتى سيره الى العراق

وصبر الحاكم مدة يسيرة ثم جرد المساكر مع علي بن جعفر بن فلاح أخى أبي تميم ولقبه قطب الدولة وسار في عشرين ألف وتلقاه على ومحمود ابنا المفرج طائعين . وكان الحاكم قد خدع كاتبه للمفرج يعرف بابن المدبر

وبذل له بذولا على قتل المقرج بالسهم فتوصل الكاتب الى ان سقاه سما
فمات وهرب ابن المدبر الى مصر ووفى له الحاكم بما وعده ثم قتله من بعد .
وكذلك عاقبة من تخان مولاه وباع دينه بديناه فهو يخسرهما جميعا
ويحتجب اثما عظيما

واضحل أمر حسان وأخذت معاقله وصار طريداً شريداً مدة حتى
ضاعت عليه أرضه فانفذ والدته والجارية الى مصر لائذا بالامان واستشفع
الى الحاكم باخته فشفعها فيه وأعطى والدته خاتمه وثياب صوف كانت على
بذنه وعمامة على رأسه والعمار الذي يركبه فعادت الجارية بجميع ذلك اليه
وأقامت والدته . فبادر حسان الى الورود ودخل البلد على ذلك العمار بتلك
الثياب فغفاه عنه وأعطاه أرضه واصطنعه وأقطعه وأعاده الى الشام ولم يتعرض
حسان بعدها بفساد الى ان قتل الحاكم . ونمود الى سياقة التاريخ
وفي هذه السنة المقدم ذكرها ^(٢٤٣) وردت كتب أهل الرحبة
والرقة الى الحضرة باستدعاء من يسلمون اليه البلاد فندب خمارتسكين
الحمصي للمسير

﴿ ذكر ما جرى عليه أمره في ذلك ﴾

سار الى الرحبة وملسها وأقام بها أياماً ثم سار الى الرقة وبها ساعد
السعدي فاعتصم بالرافقة وجرت بينه وبين خمارتسكين وقعات ولم يتم فتحها
وعاد الى الرحبة . وقد بلغه اضطراب الامور ببغداد فرجع واعترضه قوم
من العرب في رجوعه فاخذوه أسيراً في أيديهم حتى اقتدى منهم بمال .
وفيها خرج أبو جعفر الحجاج بن هرمز الى أعمال الموصل مع عدد
كثير من المسكر وحصل بها . واجتمعت بنو عقيل وزعيمهم يومئذ

أبو الدواد محمد بن المسيب على حربه فحرت بينهما وقائع ظهر من أبي جعفر فيها شجاعة سار ذكره بها حتى انه كان يضع كرسيًا في وسط المصاف ويجلس عليه والحرب قائمة بين يديه وتمكنت له في قلوب العرب هيبة بذلك . واستنجد من الحضرة فانجد بالوزير أبي القاسم علي بن أحمد^(١) واستقر الصلح مع العرب على المناصفة فيما قرُب من أعمال الموصل وبقي أبو جعفر هناك الى ان توفي محمد بن المسيب وعاد بنو^(٢) عقيل فاختدوا منه البلد

وفيا وصل الاشراف والقضاة والشهود الى حضرة القادر بالله رضوان الله عليه وسمعوا يمينه لبهاء الدولة بالوفاء وخلوص النية وتقليده ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة وذلك بعد ان حلف له بهاء الدولة على صدق الطاعة والقيام بشروط البيعة

﴿ ودخلت سنة اثنين وثمانين وثلثمائة ﴾

وفيا خلع على الوزير أبي القاسم علي بن أحمد وندب الى الخروج الى الموصل وقتال بني عقيل

﴿ ذكر السبب في ذلك وما انتهى اليه الامر فيه ﴾

كانت الحال بين أبي القاسم وبين أبي الحسن المعلم قد بدأت في الفساد ودخلت بينهما بلاغات حلت عرى الوداد وكان أبو القاسم يجري نفسه معه مجرى الكاتب حتى انه نزل يوما معه في زبزه فجلس على السكوار بين يديه والناس يشاهدونه ويتعجبون منه . ووردت كتب أبي جعفر الحجاج باجتماع بني عقيل عليه فاشار أبو الحسن على بهاء الدولة باخراج أبي القاسم^(٣)

(١) هو أبو القاسم الأبرقومي

فتقدم اليه بذلك وجرّد معه عددا كثيرا من طوائف العسكر وسار بمد ان
ركب اليه بهاء الدولة وودعه . فوصل الى الموصل وخيم بظاهرها واجتمع
مع أبي جعفر وانصرف بنوعيل وبدأ بإحكام قواعد الامور فلم يمهله أبو
الحسن المعلم حتى كاتب أبا جعفر بالقبض عليه
(ذكر رأى سيد لا بي جعفر نظر فيه للمعاقبة)

علم أبو جعفر انه ان فعل ذلك اضرب الامور وطمت العرب ولم
يمكنه الثبات فتوقف وراجع أبا الحسن وأعلمه وجه الغلط فيما رآه . واتصل
الخبر بابي القاسم بما يجري من الخوض ^(١) في بابه من عيون له على بهاء الدولة
وأبي الحسن وخواصهما ^(٢) وعول على مهاذنة بني عقيل وأخذ رهائنهم
وعمل على الانكفاء الى بغداد ولما رأى أبو الحسن ان أبا جعفر قد توقف
عما كاتبه فيه فاخرج أبا الفتح محمد بن الحسن الحاجب اليه ليلزمه امضاء
العزيمة فيما أمره به .

فعلم أبو نصر محمد بن علي بن سياجيك وكان كاتب أبي القاسم يومئذ
قال : لما وصل الخبر الينا بما تقرّر من خروج أبي الفتح محمد بن الحسن
^(٣٤٦) على القاعدة المذكورة ثم تلاه كتاب من تكرت بوصوله اليها خاف
أبو القاسم وأشار عليه من يثق به بالهرب ففرقت نفسه عنه وعزم على
الانكفاء الى بغداد ولم يأمن ان يظهر فيمنه أبو جعفر

(ذكر ما رتبته أبو القاسم من الحيلة حتى)

(تم له الانحدار)

راسل أبا جعفر وقال له : قد توقف محمد بن المسيب عن تفرقة العرب

(١) في الاصل : الخواص (٢) وفي الاصل : من خواصهما

من حوله وتسليم ما ووقف على تسليمه من النواحي وقال : لست فاعلا ذلك الا بعد ان تنحدر أنت ومن معك من المعسكر وآمن انتقاض ما تقرر» وقد عازمت على ان انتقل بمسكري من موضعه وأظير الانحدار فليكن ادعى الى سكونه . فاستصاب أبو جعفر رأيه وأمر أبا القاسم بالرحيل ليلا وأصبح على عشرة فراسخ من الموصل . فراسله أبو جعفر وعاتبه على فعله فرد عليه جوابا معالا بالاعتذار وقال : ان الاولياء طالبوني بالانحدار ولم يمكن مخالفتهم . ووصل الى الحديث وقد نزلها أبو الفتح الحالج فخرج وتلقى الوزير وخذه وأعطاه كتابا من بهاء الدولة مضمونه : ان الامور قد ^(٣٤٧) وقفت بيمدك وخيل لنا ان أبا جعفر منعمك من العود ولم يقف عند ^(٣٤٨) ما تدبره به فائقنا أبا الفتح ليوافق أبا جعفر على طاعتك والرضاء بما تقرر له ليمجل عودك . فوقف أبو القاسم على الكتاب فلما نزل نحيمة استدعي أبا الفتح وراوضه على ان يصدقه عن باطن الأمر وبذل له ثلاثة آلاف دينار خاف له أبو الفتح على تقابل الظاهر والباطن فيما أوصله اليه فقال أبو نصر : فاستدعاني الوزير بعد خروج أبي الفتح من عنده وقال لي : قد ورد هذا الكتاب بما قد علمته وقد كتب أصدقائنا ونصحاءنا بما عرفت فما الرأي ؟ قلت له : ليس الا مراسلة أبي الدواد فانه نازل بازائنا وأخذ الذبام منه والعبور اليه والمقام عنده ثم تدبير الامر مع الامن . فقال : لعمري ان هذا هو الرأي الذي توجبه الخبرة في حراسة النفس ولاكني أستقبح ذلك وسأدخل به داء متوكلا على الله تعالى . ثم ورد الخبر في أعقاب ذلك بالقبض

على أبي الحسن المعلم وقتله^(١) فدخلت الى الوزير فأقرأني الكتاب الوارد
بذكر ذلك وعنده من يحتمشه فظهرت وجوما . فلما خلا عدت اليه وفي
وجهي آثار الاستبشار ووجدته مفكرا مطرقا فلما رآني قال : أظنك قد
سررت بما ورد . قلت : نعم . قال : وما ذاك مما يسر لان ملصقا قرب رجلا
كقارب بهاء الدولة أبا الحسن وفوض اليه التفويض الذي رأيته ثم
أسلمه للقتل بمراي عينه لتحقيق بان تخاف ملابسته

وفيها ورد أبو العلاء عبيد الله بن الفضل قادما من الاهواز وكان
أبو الحسن المعلم قد مد عينه الى حاله وماله واستدعاه للقبض عليه

﴿ ذكر تدبير جيد سلم به أبو العلاء ﴾

﴿ عبيد الله بن الفضل ﴾

لما أحس أبو العلاء بما هم به أبو الحسن بلا عينه بالتحف والملاطفات
وعمل الدعوات المترادفات وسلك معه سبيل التذلل والمخادعة حتى اندفعت
عنه النسكة وتجدد من قتل المعلم ما كفي به أمره
وفيها أفرج عن أبي الحسن محمد بن عمر العلوي
وفيها قبض على أبي الحسن المعلم وقتل

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فمن الحوادث في سنة ٣٨٢ ان أبا الحسن على
ابن محمد بن المعلم الكوكبي كان قد استولى على أمور السلطان بهاء الدولة كلها ففتح أهل
الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح وكان كذلك يعمل من
نحو ثلاثين سنة . ووقع أيضا باسقاط جميع من قبل من الشهود بعد وفاة القاضي أبي
محمد ابن معروف وان لا يقبل في الشهادة الا من كان ارتضاه ابن معروف وذلك لأنه
لما توفي كثر قبول الشهود بالشفاعات حتى بلغت عدة الشهود ثلاثمائة وثلاثة أنفس ثم انه
فيها بعد وقع قبولهم في السنة

﴿ شرح حال أبي الحسن المعلم في القبض عليه وقتله ﴾
 كان قد استولي على الامور الاستيلاء الذي تقدم ذكره ووتر القريب
 والبعيد وخنق أبا علي ابن شرف الدولة بيده وأفسد نيات وجوه العسكر
 والرعية ^(٣٩٩) وفعل الافعال المنكرة وأملى له حتى امتلات صحيفته .
 فشبب الجند في هذا الوقت وبرزوا الى ظاهر البلد وراسلوا بهاء الدولة
 بالشكوى منه وطالبوه بتسليمه اليهم فآخذهم باللطف ووعدهم بازالة
 شكواهم وان يتولى بنفسه أمورهم ويقتصر أبو الحسن المعلم على خدمته
 فيما يخصه . فلم يفتنوا فبذل لهم ان يبعده عن مملكته الى حيث يأمن على
 مهجته ويبلغ الجند مرادهم يبعده ولا يتتبع هو بتسليمه وقتله فكان جوابهم
 أخس من القول الاول . فقال بكران بهاء الدولة وكان السفير بينه وبين
 العسكر : أيها الملك ان الامر على خلاف ما تقدّرهُ وأنت تحيّر بين بقاء أبي
 الحسن وبين بقاء دولتك فاختر أيهما شئت . فقبض عند ذلك على أبي الحسن
 وعلى جميع أصحابه وأسبابه وظن انهم يرضون ويعودون فلم يفعلوا وأقاموا
 على المطالبة بتسليمه اليهم فذمم من ذلك وركب بنفسه لئلا لهم العود
 والاقطار على ماجرى من القبض على المعلم فلم يبق أحد منهم اليه ولا خدومه
 وأبوا ان يرجعوا الا بعد تسليمه . فسلم حينئذ الى أبي حرب شيرزيل ^(٤٠٠)
 وشقى السم دفعتين فلم يعمل فيه فخنق بحبال الستارة ودهمه أحد الغلمان
 بسكين فقتل نجيته وأخرج ودفن . ثم مات ^(٤٠١) الجند الى منازلهم
 وسكنت الفتنة

ولو ان بهاء الدولة اقتصد في أمر هذا المعلم لكان ذلك احسن بداية

وأجل توسطاً وأحمد عاقبة وآمن مقبلةً وأطيب أهدونة ولكنه أخطأ باختيار من لا خير فيه ثم أفرط في تقريبه ثم أسرف في تمكينه لا جرم ان السمعة ساءت والرقبة رفعت والحشمة ذهبت والوصة بقيت ولم يسلم المعلم مع ذلك كله . فيا قرب ما بين ذلك المز وهذا الهوان وذلك الاكرام وهذا الاسلام ! « فباكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »

وفيها سلم الطائع الى الخليفة القادر بالله رضوان الله عليه وأزله في حجرة من حجر خاصته ووكل به من يحفظه من ثقات خدمه . وأحسرت ضيافته ومراعاة أوره حتى انه كان يطالب من الخدمة بمثل ما كان يطالب به ايام خلافته وكان القادر بالله رضوان الله عليه يتفقد ما يقيم له ويقدم بين يديه أكثر تفقداً مما يخص به نفسه . وأقام على ذلك الى ان توفي رضوان الله عليه ^(١)

وفيها ورد الوزير أبو القاسم علي بن أحمد والعسكر في صحبته ^(٢٤١)
 ﴿ ذكر ماجرى عليه أمر الوزير أبي القاسم وما استمر ﴾
 (في أمر النظر بعد القبض عليه)

ورد وعنده انه قد كفى ما يحاذره بهلاك المعلم وكان بهاء الدولة قد

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فكان المخلوع يطالب من زيادة الخدمة بمثل ما كان يطالب به ايام خلافته وانه حمل اليه طيب من بعض العطارين فقال : أمن هذا يطيب أبو العباس ؟ فقالوا : نعم . فقال : قولوا له « في الموضع الفلاني من الدار كندوج فيه طيب مما كنت أستعمله فانفذ لي بمضه » وقدمت اليه في بعض الياالي شحنة قد أوقد بعضها فانكر ذلك فغملوا اليه غيرها وأقام على هذا الى ان توفي .
 وقال أيضاً انه مات ليلة عيد الفطر سنة ٣٩٣ وصفي عليه الفادر بالله وكبر عليه خمسا وحمل الى الرصافة وشيعه الا كبار والخدم وراثه الشريف الرضي بقصيدة (ليراجع ديوانه طبع بيروت ٢ : ٦٨٢)

نقم عليه لاسباب اكدّها المعلم في نفسه أحدهما ما كان منه بمقاربة بني عقيل
ثم صح في نفسه ان الشغب الواقع من المسكر كان بكتبه ورسائله اليهم .
فقبض عليه وخلص على أبي عبد الله ^(١) الحسين بن أحمد ورد اليه العرض
وأقرأ الحسن علي ^(٢) بن سهل الدورقي على رسمه في نيابة الوزارة .
وخطوب أبو منصور ابن صالحان على تقلد الامر فاستغنى فاستقر الامر
على استدعاء أبي نصر سابور وكان قد صار الى البطيحة مستوحشاً من المعلم
فكوتب بالحضور فحضر . وأشير على بهاء الدولة بالجمع بينه وبين أبي
منصور ابن صالحان في الوزارة فامر بذلك بعد ان قرّره معهما وخلص عليهما
جميعاً وطرح لهما دستا كاملاً وكانا يتناوبان في تقديم اسم أحدهما على
الآخر في المكاتبات

وفيها قبض صمصام الدولة على أبي القاسم الغلاء بن الحسن بشيراز ^(٣٥٢)

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك ﴾

كان الغلاء بن الحسن غالباً على أمر صمصام الدولة ووالدته كثير
الافضال على أصحابه وحاشيته ولم يكن مع ذلك مغضياً لهم على أمر يجل عرى
السياسة . وكان قد اصطنع أبا القاسم الدلجي واستصحبه من الاهواز لما
أعاده شرف الدولة الى شيراز وقدمه وقرّبه ثم ولّاه ديوان الانشاء حين
حصل صمصام الدولة بشيراز وخلص عليه ورتبه في ذلك ترتيب الوزراء
ومضى الامر على هذا زماناً . وتبدّلت الرضيع وسعادة وكتاب السيدة والدة
صمصام الدولة واستولوا وطالبوا الغلاء بما تقصر المادة عنه وتفضطرب
الامور منه . فضائق مجال قدرته عن اقتراحاتهم ففسدت الحال بينه وبينهم

(١) وفي الاصل « أبي عبد الله بن الحسين » وهو غلط (٢) في الاصل : بن علي

لأجل ذلك وشرعوا في فساد أمره فوجدوا عند أبي القاسم الدبلي مساعدة لهم عليه عند صمصام الدولة طمعا في حاله وحال [من] دونه فقبض عليه وعلى كتابه وحواشيه وعلى ابنته زوجة العلوي الرازي وطولبوا أشد مطالبة وعقبوا أشد معاقبة حتى تلفت ابنته وجماعة من أصحابه تحت الضرب . وبقي العلاء معتقلا في بعض المطامير ^(٣٥٣) لا يعرف له خبر إلى أن فسد أمر أبي القاسم الدبلي فتغير رأى السيدة والدة صمصام الدولة وقبض عليه في سنة ثلاث وثمانين وأفرج عن العلاء بن الحسن ورُدَّ إليه النظر ﴿ ذكر ما جرى عليه أمر العلاء بن الحسن ﴾
(في عوده إلى الوزارة)

أخرج من محبسه وقد ضعف بصره وحصل في دار السيدة وعولج حتى برىء وخلع عليه ورُدَّ إلى الوزارة وصحب صمصام الدولة إلى الأهواز ثم رجع إلى أرجان فأقام بها على النظر في أمور فارس . فلما جرى ما جرى بتل طاووس وعاد الديلم منهزمين وأنهزم صمصام الدولة إلى شيراز فسار العلاء إلى الأهواز وقاتل عسكر بهاء الدولة ثم مات بمسكر مكرم ولم تخلص نيته لصمصام الدولة بعد ما لحقه وابنته وأهله بل أهلك دولته باقطاع الاقطاعات وإيجاب الزيادات وتمزيق الأموال وتسليم الأعمال وتأدَّت أمور صمصام الدولة إلى الاضطراب وأحواله إلى الاحتلال . وهكذا يسي في فساد الأمور كل حنق موقوف وفيها ورد الخبر بنزول ملك الروم على خلاط وأرجيش وأخذهما وانزعج الناس لذلك . ثم ذكر من بعد ^(٣٥٤) استقرار الهدنة بين أبي على الحسن ابن مروان وبينه مدة عشر سنين وانصرف عن الأعمال

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيهما ورد الظير باستيلاء أولاد بختيار على القلعة التي كانوا معتقلين فيها ومسيرا إلى
[على] الحسن بن أستاذ هرمز من شيراز اليهم والقبض عليهم وقتل نفسين منهم
﴿ ذكر الحال في ذلك وما انتهى إليه أمرهم ﴾

قد تقدم ذكر حال هؤلاء القوم واحسان شرف الدولة اليهم بالافراج
عنهم ولما هم بقصد العراق أخرجهم الى بعض دور شيراز وجعل معايشهم
واقطاعاتهم منها . فلما توفي قبض عليهم وجلسوا في قلعة خرشنة فكانوا
فيها الى ان مضى صدر كبير من أيام صمصام الدولة

*) (ذكر حيلة عملها أولاد بختيار ملكوها القلعة^(٣٥٥)) *

استمالوا حافظ القلعة ومن كان معه من الديلم فطاوعوهم فافرجوا عنهم
ثم ألقوا الى أهل تلك النواحي المطيفة بالقلعة وأكثرهم رجالة أصحاب
سلاح ونجدة فاجتذبوا منهم عدة كثيرة واجتمعوا تحت القلعة . وعرف
صمصام الدولة الخبر فاخرج اليهم أبا علي ابن أستاذ هرمز في عسكر وسار
فلما قرب من القلعة تفرق من كان اجتمع تحتها من الرجال وتحصن بنو بختيار
والديلم فيها ونزل أبو علي عليها محاصرا ومحاربا .

*) (ذكر ما دبره أبو علي ابن أستاذ هرمز في فتح القلعة) *

راسل أحد وجوه الديلم الذين في القلعة وأطمعه في الاحسان والزيادة
في المنزلة فاستجاب له ووافقه على ان ينزل اليه جبلا من أعلى القلعة ليرتقي
به الرجال الى بابها وكان على سن من الجبل . فلما دنا الجبل خاطب أبو علي
ابن أستاذ هرمز جماعة من الذين معه على الصعود فتوقفوا حتى ابتدر^(١) أحد

أصحابه فصعد . فلما دنا يقرب من الباب اضطربت يده على الحبل فخر^{٢٤٦} مترديا وأحجم الباقون فصب بين أيديهم أموالا وبسط^(٢٤٧) منهم آمالا وابتدر^(٢٤٨) قوم من أصحابه فيهم لوثة وجزأة فصعدوا الى القلعة واحد بعد واحد حتى حصل عدد منهم على الباب ففتح لهم ودخلوا القلعة وملكوها فقبض على أولاد بختيار وكانوا ستة . وكتب كتابا بالفتح الى صمصام الدولة فأنفذ فراسا تولي قتل نفسين من أولاد بختيار وأنفذ الباقون الى قلعة الجند فاعتقلوا فيها .

وفيها نذب أبو الملاء عبيد الله بن الفضل للخروج الى الاهواز وخلق عليه
*(ذكر السبب في ذلك) *

كانت بين الشريف أبي الحسن محمد بن عمر وبين [أبي] الملاء عبيد الله عداوة ومباينة وتقدم أبو الملاء عند بهاء الدولة وقرب منه بخدمته له . فاجتمع أبو الحسن محمد بن عمر وأبو نصر سابور الوزير واتقيا على الشروع في إبعاده فارسل الوزير أبو نصر سابور الاستاذ الفاضل أبا نصر الحسين بن الحسن الى بهاء الدولة وقال له . قل للملك : أنا أعلم ما في نفسك من أمر فارس وقد انحل أمر صمصام الدولة ومضى أكثر أعوانه ولك عشرون ألف درهم معدة منها ما آخذه من أبي محمد ابن مكرم والمتصرفين بالاهواز ومنها ما وجوهه لائحة والتدبير في هذا الامر ان يخرج أبو الملاء الى الاهواز كانه عائد^(٢٤٧) اليها للمقام بها ويمجد معه قطعة من العسكر ثم تتبعه بعد مدة بطائفة أخرى فاذا تسكملت المساكر هناك أظهرنا حينئذ ما نظهره وسار أبو الملاء من الاهواز فأعجل القوم عن أهبة واستعداد

فاعاد الاستاذ الفاضل أبو نصر على بهاء الدولة ما ذكره سابور فتشوقت نفسه اليه وتعلق طمعه به وأمر في الجواب بما يجب ترتيبه وكتب بالقبض على أبي محمد ابن مكرم وأصحابه وتقدم الي أبي العلاء بالسير بعد ان أعلم بياطن التدبير واستكتمه .

(*) ذكر تهريط من أبي العلاء في اذاعة سر عجل به)*

قال الاستاذ الفاضل : فوالله لقد خلع على وسرت في موكبه الى داره . فما استقر في مجلسه حتى دخل أبو الحسين شهرستان بن الشكري لتهنئته فقال : يا ابا الحسين أي دار تريدها بشيراز . فغمرته فتنه واستدرك وقال لشهرستان : انما أردت بالاهواز . ولم يخف الخبر وشاع فان القول كالسهم اذا نفذ على كبد القوس فأت .

وأقام أبو العلاء في معسكره أياما كثيرة ولم يخرج معه أحد وبطل ما كان سابور بذله في أمر المال^(٣٥٨) وحصوله . وخرج أبو العلاء بعد ذلك في شزيمة قليلين فسار الي الاهواز فسا وصلها الا وقد عرف الخبر بفارس ووقع الشروع من هناك في المسير الي العراق

وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه لاهل خراسان عند عودهم من الحج وخطبوا على أمر الخطبة واقامتها وحملوا رسالة وكتبا الي صاحب خراسان في المعنى

وفيها شغب الديلم لاجل التقذ وفساد السعر وغلاته^(١) وتأخر العطاء ونهبوا دار الوزير أبي نصر سابور وأقت منهم ناجيا بنفسه . وراسلوا بهاء الدولة بتسليمه وتسليم أبي القرج محمد بن علي الخازن^(٢) وكان ناظرا في

(١) وفي الاصل : وغلاته (٢) قلدا البصرة في أواخر سنة ٤٠٢ : ارشاد الاربيب ٢ : ١٢٠

خزانة المال ودار الضرب وتردد القول بينهم الى ان وُعدوا بالاطلاق وتجويد النقد وسكنت الفتنة . واستمر سابور على استتاره وروسل وهو مستتر بتسليم أبي القاسم على بن أحمد وكان سُلّم اليه ليمتقله عنده فسلمه وحمل في هذا الوقت الى الخزانة في دار المملكة

ولما جرى على سابور ما جرى استغنى أبو منصور ابن صالحان من التفرّد بالنظر وأظهر المعجز عنه . وكانت الاقامات قد زادت على قدر المادة وأحوجت النظار الى التسكّم فيها وصارت الهمة جميعها مصروفة الى ما يحصل لابن العباس أحمد بن علي وهو الوكيل في هذا الوقت . فبدأ عند ذلك أبو القاسم على بن أحمد^(٣٥٩) في طلب العود الى الوزارة وراسل بهاء الدولة وبذل له ان يكفيه الاهتمام بأمر الإقامة متى مكنه وبسط يده فاشترأت نفس بهاء الدولة لذلك فاحاله اليه واستوزره وخلع عليه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي القاسم على ابن أحمد في هذه الوزارة ﴾ قبض على جماعة من الكتاب والمتصرفين وأخذ منهم مالا مبلغه ستة آلاف^(١) درهم وأحضر أبا العباس الوكيل وقرّر عليه تقريراً صالحاً عن نفسه وأعطاه وأقام له وجوهاً بالإقامة لمدة أربعة أشهر وأخذ خطه باستيفاء ذلك وأثقله الى بهاء الدولة فحسن موقعه عنده وملك به رأيه وقلبه لكنه أفسد قلوب الخواشي وأبعد بعضهم ومضت على ذلك مدة وحاله تزداد عند بهاء الدولة تمسكنا واستقراراً وتزداد قلوب الخواشي منه استيجاشاً وتجاراً .

وكان قد قلّد أبا محمد الحسن بن مكرم البصرة حرباً وخراباً في اعجاز نسكته بالاهواز وأمره بالقبض على أبي عبيد الله ابن طاهر وكان ناظرآ

بالبصرة فقبض عليه وحبسه

﴿ ذكر سبب وجد به الحواشي طريقاً ^(٣٦٠) الى فساد حال الوزير أبي القاسم ﴾
ورد الخبر ان أبا عبد الله ابن طاهر قُتل في محبسه وانه وضع عليه قوما
دخلوا اليه وفكوا به فوجد الحواشي سبيلاً الى الوقعة في الوزير وعرفوا
بهاء الدولة من قتل ^(٣٦١) أبي عبد الله على الوجه القبيح ما غير رأيه فقال :
قد قتل في تلك الكرة الملم وفي هذه الكرة ابن طاهر أفتراه بمن يثلث ؟
واتمى هذا القول الي أبي القاسم من عيون كانت له في الدار بمحضرة
بهاء الدولة تخاف وهرب في ليلة يومه

﴿ ذكر ما جرت عليه الامور بعد هرب الوزير أبي القاسم ﴾
(على بن أحمد وعود أبي نصر سابور ^(٣٦٢))

قصد أبو نصر سابور دار بكران واستعاذ به حتي أصالح له قلوب الديلم
وأمن جانبهم وظار من داره . وأفرج عن الجماعة الذين اعتقلهم الوزير
أبو القاسم ورتب في كل من الدواوين كاتباً يتولى أمره ونظر هو في
الخبر والبريد والحماية ظاهراً وفي تدبير الامور وتقريرها وتنفيذها باطناً
فكانت الجماعة يصدرن عنه ويوردون اليه وجرت الحال على هذا الترتيب
^(٣٦١) أشهراً ثم تظاهر بالعمل .

وفيها وردت كتب أبي الملاء عبيد الله بن الفضل ويذكر فيها مسير
عساكر فارس مقبلة الى الاهواز ويحث على امداده بالساكر

(١) وفي الاصل : قبل (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة
ابتاع الوزير أبو نصر سابور داراً بالكرخ وعمرها وسماها دار العلم يوقفها على العلماء
وقل اليها كتباً كثيرة .

﴿ ذكر ما دبره بهاء الدولة في ذلك ﴾

ندب أبا طاهر دريده شيرى^(١) للخروج الى الاهواز في جماعة من الديلم وجرى أبا حرب شيرزى الى البصرة . وورد الخبر بانتهال عسكر فارس من ارجان قاصر بهاء الدولة باخراج مضاربه ثم ورد الخبر بحصولها برامهرمز . فندب طغان الحاجب في عدد كثير من الغلمان وخلق عليه وأخرج معه عيسى بن ماسرجس^(٢) ناظرا في خلافة الوزارة وأخرج مافي الخزان من الاواني الذهب والفضة فكسرت وضربت دنائير ودراهم وفريق عايشهم . ثم ورد الخبر بدخول عساكر فارس وعليهم أبو الفرج محمد ابن علي بن زيار الى الاهواز وهزيمة أبي الغلاء عبيد الله بن الفضل وحصوله أسيرا في أيديهم

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي الغلاء بعد الاسر ﴾

(والاتفاق الذي سكن به (٣٦٢))

لما أسره أبو الفرج ابن زيار حمله الى شيراز وصمصام الدولة بدولتباد^(٣) للتوجه علي سمت العراق فأدخل المعسكر على جمل وقد أنبس ثيابا مصبغة وطيف به وكل أحد لا يشك انه مقتول . فاتفق انه أجيز على خيم السيدة والدة صمصام الدولة فاومى بيده كالمستغيث المسترحم فبدرته قهرمانه من الديلميات بالسب فسمعتها السيدة فانكرت قولها عليها وتقدمت بحطه عن الجمل ونزع الثياب المصوغة عنه والباسه غيرها وحمله الى القلعة واعتقاله بها

(١) وفي الاصل دبر شيرى . (٢) وفي الاصل : ماسرجيس . هو أبو الباس

وله قصة مع أحمد النهرجورى الشاعر ومع ابن حاجب النعمان : ارشاد الارب

٢ : ١٢٠ : ٥٥ : ٢٦٠ (٣) قال ياقوت في معجم البلدان : دولتباد موضع ظاهر شيراز

تسير اليه العساكر اذا أرادوا الاهواز

واحسان مراعاته فيها . فكان فعل هذه المرأة سبب حياته والابقاء عليه ولما ورد على بهاء الدولة خبر كسر عسكره بالاهواز وأسر أبي العلاء انزعج انزعاجا شديدا وتقدم الى طغان بالمسير . ورأى خلو خزانته من المال وحاجته اليه فامر الوزير أبا نصر بالانحدار الى واسط واجتذاب ما يلوح له وجه منه ومراسلة مهذب الدولة والاستدانة منه على رهن يجعل له عنده وسلم اليه من الجوهر والآلات كل خطير

وفيهما عقد القادر بالله رضوان الله عليه على ابنة بهاء الدولة ^(١) بصداق مائة الف دينار بحضرته والولي الشريف أبو أحمد ابن موسى الموسوي وتوفيت قبل النقلة ^(٢٦٣)

﴿ ودخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيهما وقع العقد لمهذب الدولة أبي الحسن على ابنة بهاء الدولة وللاмир أبي منصور ابن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة وكل عقد منهما كان على صدق مائة الف دينار وحمل المهذب بالمبلغ مالا وغلة وخطب له بواسط وأعمالها واحتسب له من مال ضماناته بأسفل واسط بالف الف وثلاثمائة الف درهم غياثية منسوبة الى الاقطاع . وكان عيار الدرهم الغياثي ثمانية ونصف حرفا في كل عشرة .

وفيهما أشار أبو نصر خواشاده على بهاء الدولة بمراسلة نحر الدولة باستصلاحه واستكفافه عن مساعدة صمصام الدولة فاستصوب ذلك ورسم

(١) وفي تاريخ الاسلام ان اسمها « سكينه » وفيه أيضا ان هذه السنة باع كمره ائتمح منه آلاف وثمانه درهم غياثية والكرة الدفوق مائتين وستين درهما

له السفارة فيه . فاختار أبا الحسن الافيسبي^(١) العلوي للخروج في الرسالة نيابة
عن أبي نصر خواشاذه وخرج الافيسبي فقبل ان يصل الى مقصده قبض عليه
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان بين أبي نصر خواشاذه وبين أبي نصر سابور صداقة ومخالطة^(٣٦٤)
فلما انحدر أبو نصر سابور الى واسط هرب الى البطيحة فوجد أعداء
أبي نصر خواشاذه طريقا الى السعي فحسبوا لبهاء الدولة القبض عليه .
فأمل هذه الآراء الطريفة والاهواء العجيبة في تقارب ما بين القبض
والاطلاق والعزل والتولية حتى صار الامر عجبا والجد لبا على ان الحياة
الدنيا لعب ولهو ولسكن في اللعب مستقيم ومختل . وهذا من المحتل
الذي تخالفت أعجازه وبواديه وتناقضت أولخره ومبادئه فهل ترى في جميع
ما شرد من أخبار الدولة البهائية نظاما مستقيما تحمد سلوك مذهبهم وتديروا
جيذاً يتنفع بمعرفة تجاربه ؟ كلاً ججميعه واهي الاسباب وما يجري فيه من
صواب فانما هو بالاتفاق . ونعود الى سياقة التاريخ

وفيها سار طغان والفلمان من واسط الى خوزستان

﴿ شرح ما يجري عليه أمره في هذا الوجه وظفرهم بمساكر ﴾

﴿ صمصام الدولة وانهزامه من بين أيديهم ﴾

لما شارفوا السوس انهزم أصحاب صمصام الدولة عنها ودخلوها^(٣٦٥)
وتقدم ارسالان تسكين السكر كيري في سرية من الفلمان الى جندي
سابور ودفعوا من كان بها وانتشرت الاثرات في أعمال خوزستان وعلت
كلتهم وظهرت على الديلم بسطتهم . ووصل صمصام الدولة الى الاهواز
(١) قال ياقوت في معجم البلدان . الافسان قرية بالسكوفة بنسب اليها جماعة من العلويين

وقد اجتمعت معه جيوش الديلم وبنو تميم وبنو أسد فلما حصل بدستر رحل
ليلا على ان يسري فيكبس معسكر الاتراك

﴿ ذكر اتفاق سبيء عاد بضد التقدير ﴾

ضل الادلاء الطريق وساروا طول ليلتهم على حيرة وأسفر الصبح عنهم
وبينهم وبين معسكر الاتراك مدى بعيد . وشاهد ^(١) بعض طلائع طغان
بسواد المعسكر فكروا اليه راجعا وأخبره وقال : تأهب لامرك فان الديلم
قد صبحوك موكبا . فركب وتلاحق به الغلمان واستعاد كل من كان قد
ذهب ممتارا فاجتمعوا حوله فكانوا نحو سبعمائة غلام والديلم ومن معهم في
ألوف كثيرة . فصعد ارسلان تسكين الكركرى تل طاووس فيقف
عليه وقسم طغان الغلمان كراديس وأنفذ كردوسا مع يارغ ^(٢) وقال له :
سر عرضا واخرج على الديلم من ورائهم وابلهم في سوادهم لنشأغهم نحن
عن امامهم فاذا حملت ^(٣٦٦) حملنا عليهم . فسار على ذلك ووقف طغان والغلمان
بين يديه يطاردون الفرسان وزحف الديلم فلكوا التل ونزل ارسلان تسكين
الكركرى عنقه ووقف صمصام الدولة عليه ووقع يارغ وكردوسه على
السواد وحمل على المصاف وحمل طغان والغلمان وكانت الهزيمة . ووقف
سعادة وعنان صمصام الدولة في يده متحيرا ما يدرى ما يصنع فقال له يارغ
بالفارسية : ما وقوفك يا حجام خذ صاحبك وانصرف . فولى عند ذلك
صمصام الدولة ومضى ولم يتمكن رجالة [صمصام] الدولة من الحرب مع
ارهاق الامر واشتداد الطلب وكذا السير فاستأمن منهم أكثر من النفي
رجل وتقطع الباقون وغنم الاتراك غنما عظيما

﴿ ذكر ما دبره الممان في قتل المستأمنه اليهم من الديلم ﴾
 لما اجتمع الديلم المستأمنون الي خيم ضربها طغان لهم بشاور الغلمان
 فيهم فقالوا: هؤلاء قوم موتورون وعدتهم أكثر من عدتنا وان استبقيناكم
 معنا خفنا نورتهم وان خلينا عنهم لم نأمن عودتهم . فاستقر رأيهم على القتل
 وطرحوا الخيم عليهم ودقوهم بالعمدة حتى أوا عليهم
 فكانت هذه ^(٣٦٧) الوقعة أخت وقعة الحلبة في كثرة من قُتل من
 الديلم ^(١) ووردت الاخبار بذلك على بهاء الدولة بواسط وأظهرت البشارة
 على حسب العادة في أمثالها وسار طغان الى الاهواز فدخلها واستولى على
 جميع أعمالها وعادت طائفة من الغلمان الى مدينة السلام

﴿ ذكر ما فعله بهاء الدولة عند حصوله بواسط ﴾

استقرض من مذهب الدولة مالا بعد القرض الاول واستقر بينهما
 في أمر البصرة ان يحذر بهاء الدولة عسكرا ويفهم مذهب الدولة اليهم عددا
 من رجاله فجرد أبا كاليبجار المرزبان لذلك في طائفة من الجند ورتب مذهب
 الدولة أصحابه معهم وانحدر الجماعة .

وكان أبو الطيب الفرخان قد وصل من سيرانف في البحر وملك
 البصرة فواقموه بنهر الدير وكان الظفر لهم ودخل المرزبان بن شهفروز
 البصرة وخطب لمذهب الدولة بها تاليا لبهاء الدولة .

ولما ورد الخبر على بهاء الدولة بهزيمة صمصام الدولة رحل سائرا
 الى الاهواز وآثر ان يتبدىء بالبصرة فقدمها ونزل بها ^(٣٦٨)

(١) ووقعة الحلبة انهزم فيها قوم خرجوا من بغداد لقتال البساسيري في سنة
 ٤٤٠هـ وقتل منهم جماعة . ليراجع الكامل لابن الاثير ٩ : ٤٤١

﴿ ذكر ما جري عليه أمر الوزارة في البصرة في هذه السنة ﴾
استوزر بهاء الدولة عند حصوله بها أبا الحسن عبيد الله بن محمد بن
حمدويه ونظر في السابع من شعبان واعتزل في الثالث والعشرين منه . وبان
من ركاكة أفعاله في هذه الايام القريبة كل أمر سخيف منها انه كان في
مجلس نظره يوما وهو خفل بالناس وأبو العباس الوكيل حاضر فقال : ادعوا
لى أبا العباس الوكيل . فقال له أبو العباس : ها أنا أيها الوزير . فتشاغل
ساعة ثم قال : ألم أطلب أبا العباس فإين هو ؟ فقال : ها أنا يامولانا . فقال :
نعم . والحاضرون يتغامزون عليه . ومنها انه ركب الى دار الفاضل يعود
فوقف على مزجلة العامة فاستسقى منها ماء . ثم لما وصل الى باب الفاضل
حجب وانكفاً وعرف الفاضل حضوره فاتخذ أصحابه اليه حتى لحقوه في
بعض الطريق فاعادوه ودخل اليه فشكا في أثناء الحديث حاله اليه وأراه
قيصاً رثاً تحت ثيابه يلتبس بذلك مراعاة من بهاء الدولة ومعونته

ثم استعفى بعد أيام من النظر وشرع أبو العباس عيسى بن ماسرجس
في خطبة الوزارة وراسل الفاضل أبا نصر في السفارة فيها بعد ان كان قد
بذل أبو علي الحسن الانماطى لبهاء الدولة عنه بذولا ووعدة بملاطفات^(٣٦٩)
يحملها^(١) وعشرة آلاف دينار يخدمه بها

﴿ ذكر رأي سديد أشار به الفاضل على ﴾

(ماسرجس فلم يعمل به)

أشار عليه في جواب رسالته بان يلاطف أبا علي الحسن بن محمد بن نصر
صاحب البريد وأبا عبد الله الحسين بن أحمد العارض ومكاتبتهما ويسألهما

النيابة عنه ويخاطب أبا عبد الله العارض بسيدنا ليكون عوناً له علي تقرير أمره فلم يقبل . قال الفاضل : فما راعني الاحضور من أخبر بوروده ونزوله في بعض البساتين ثم جاءني رسوله يستقرض مني مائة دينار فحملها اليه في الحال وعيجبت من التماسه هذا القدر النزر مع ما بذل عنه [أبو علي] لبهاء الدولة . ثم حضر عند بهاء الدولة وترك بين يديه ديناراً ودرهما وخدمه وانكسماً فانكر بهاء الدولة ذلك من فعله فقال للانماطى : أين ما وعدتنا به ؟ فعنوان خدمته يدل على ما وراءه . فقال الانماطى : يحمل ما أعده من بعد . ففى ذلك اليوم وغيره ولم يحمل شيئاً وكاتب أبا عبد الله العارض بمولاي ورئيسى فاجتمع هو وأبو علي الحسن بن محمد بن نصر على افساد أمره^(٢٧٠)

﴿ ذكر ما رتباه من الحيلة في أمره حتى انحل ﴾

وضعا منصور بن سهل وكان هو العامل في الوقت^(١) على ان أشاع في البلد ان ابن ماسر جس قد بذل بذولا كثيرة في مصادات التجار وفتح المخازن وأخذ أمتة المجيزين والبحرانيين^(٢) فهاج الناس وكادت الفتنة تثور ورفع أبو علي ذلك الخبر الى بهاء الدولة وعظم الامر في نفسه . واتفق ان الفاضل أبا نصر غاب أياما في بعض الاشغال فخلا أبو عبد الله وأبو علي ببهاء الدولة وقالاه : قد ورد هذا الرجل بيد فارغة وما وفى بشيء مما بذله والبلد على ساق خوفا منه ولا يؤمن حدوث فتنة يبعد تلافئها وأبو الحسين ابن قاطر ميز يبدل ان يأخذ منه مالا يخفف به عنك انقلا . وسهلا عليه الامر في ذلك فاحالهما على الفاضل أبي نصر في الجواب وقال : اجتماعا به

(١) هو عامل البصرة في حدود سنة ٤٠٠ : ارشد الاريب ٢ : ١٢٢ (٢) كانه

إذا عاد وقرّرا الامر . فلما عاد الفاضل اجتماعا معه وقالوا : ان الملك قد أمرنا بالقبض على أبي العباس . فقال : لا يّية حال . قالوا : لما ظهر من نفور الرعية منه وانسكوله عما كان بذل عنه . فقال لهما : هذا مما لا يسوع فعله وكيف يصرف اليوم رجل مستدعى بالامس بغير سبب يقوم به الغدر وهل يجب ذلك الا سوء المقالة من الناس فينا ^(٣٧١) ونسبتهم ايانا الى سخافة الرأى وضعف النجيزة وان خدمة هذا الملك لا تستقيم على أيدينا ؟ وأنا أحضر عند الملك وأعزّفه ما في ذلك . فقالا له : تعرفه ماذا ؟ وقد اتقننا أبا الحسن الكرامى كاتبك وأصحابك الى الرجل ووكلنا به . فوجم أبو نصر وأطرق وتقد السهم وسلم الرجل الى الحسن بن قاطرميز فطالبه واستقصي عليه

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد انصرافه من الوقعة ﴾
لما انصرف به سعادة من المعركة سار عائدا الى الاهواز فلما عبر به وادى دستر كاد يفرق فاستنقده أحد بنى تميم ووصل الى الاهواز في عدد قليل من الديلم وترحل عنها طالبا ارجان . فلقاه أبو القاسم الملاء بن الحسن وحمل اليه من الثياب والرحل ما رم به شعثه وسيره الى شيراز ومعه الصاحب أبو علي ابن أستاذ هرمز وتلقته والدته بما يجب تلقيه به من المراكب والثياب والتجمل . وكان بينها وبينه نفرة فلما رآته بكّت بكاء شديدا وكان صمصام اندوة في عمارية وعليه ثياب سود حزنا وكآبة لا يطعم في الايام الا اليسير من الطعام فسكنت ^(٣٧٢) والدته منه وقالت له : ما زالت الملوك تغلب وتغلب واذا ساءت المهجة رجوت الأوبة . فغيّرت ثيابه وأصلحت حاله وحصل بشيرار ثم تلاحق الناس به وتكامل الديلم عنده

من بعد . ولم نجد في بقية شهور هذه السنة ما يستفاد منه تجربة ^(١)

﴿ ودخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها توفي الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد بالري ونظر في الامور بعده أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي ويلقب بالسكافي الاوحد ﴿ شرح ما جرت عليه الحال في ذلك ﴾

لما اعتل ابن عباد كان أمراء الديلم وكبراء الناس يروحون الى بابه ويفدون ويخدمون بالدعاء وينصرفون . وعاده فخر الدولة عدة مرات فيقال انه قال لفخر الدولة أول مرة وهو على رأس من نفسه : قد خدمتك أيها الامير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرت في دولتك سيرة جلبت لك حسن الذكر بها فان أجريت الامور بعدى على نظامها وقررت القواعد على أحكامها نسب ^(٢) ذلك الجليل السابق اليك ونسيت أنا في أثناء ما يثني به عليك ودامت ^(٣٧٣) الاحدوثة الطيبة لك . وان غيرت ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشكور على السيرة السائقة وكنت أنت المذكور بالطريقة الآتفة وقدح في دولتك ما يشيع في المستقبل عنك . فظهر فخر الدولة

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها قوى أمر العيارين بغداد ونشر القتال بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة وظهر المعروف بعزير من أهل باب البصرة واستفحل أمره والفرق به كثير من المؤذين وطرح النار في المحال وطلب أصحاب الشرطة ثم صالح أهل الكرخ وقصد سوق البزازين وطلب بضرائب الامنة وجبي الاموال وكاشف السلطان وأصحابه وكان ينزل الى السفن ويطلب بالضرائب فامر السلطان بطلب العيارين فهربوا عنه

(٢) وفي الاصل . نسبت . والصواب في ارشاد الارب ٧٠٠١ في ترجمه

أبي العباس الضبي رواية عن هلال الصابي

قبول رأيه .

وقضى ابن عباد نخبه في يومه . وكان أبو محمد خازن الكتب ملازما داره علي سبيل الخدمة له وهو عين لفخر الدولة عليه فبادر باعلامه الخبر فانفذ فخر الدولة ثقائه وخواصه حتى احتاطوا على الدار والخزائن . ووجدوا كيسا فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين الف دينار . وودوعة له عندهم فاستدعاهم وطالبهم بالمسال فاحضروه وكان فيه ما هو بختهم . مؤيد الدولة . فرجعت الظنون في ذلك فمن مقبح لآثاره ينسبه الى الخيانة فيه ومحسن لذكركه يقول « انما أودعه مؤيد الدولة لاولاده » ونقل جميع ما كان في الدار والخزائن الى دار فخر الدولة .

وجيز ابن عباد وأخرج تابوته وقد جلس أبو العباس الضبي للصلاة عليه والعزاء به فلما بدا على أيدي المماليك قامت الجماعة اعظاما له وقبلوا الارض ثم صلوا عليه وعلق بالسلاسل في بيت الى ان نقل الى تربة له بامنهان وقال القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد ^(١) انني لا أرى الترحم عليه لانه مات ^(٢٧٤) عن غير توبة ظهرت عليه فنسب عبد الجبار في هذا القول الى قلة الرعاية . ثم قبض فخر الدولة عليه وعلى المتعلقين به وقبر أمرهم على ثلاثة آلاف الف درهم فباع في جملة ما باع الت طيسان والف ثوب من الصوف المصري

(١) وردت هذه الحكاية في ارشاد الاريب ١ : ٧٠ وفي ترجمة صاحب ٢ : ٣٣٥ والقاضي هو ابن الخليل الاسدي المعروف بالهمداني ذكر أبو بكر الخطيب في تاريخه أنه كان يتخذ مذهب الشافعي في الفروع ومذهب المعتزلة في الاصول وله في ذلك مصنفات ولحقه القضاء بالري وتوفي سنة ٤١٥ . كذا في الانساب لئسماعلي ص ٣٢

فهلّا نظر هذا القاضى فى شأن نفسه ثم أفتى فى شأن غيره مثل ابن عباد الذى قدم قدمه^١ وأثّل نعمته وراش جناحه ومهد أحواله ا صدق المثل « تبصر القذى فى عين غيرك وتدع الجزع المعترض فى حلقك »^(١) فرحم الله من أبصر عيب نفسه فشغل بستره عن عيب غيره .

وبلغنا ان رجلا من الصالحين لقي أخا له فقال له : انى أحبك فى الله . فقال الآخر : لو تظهر لك عيوبى لا بغضتني فى الله . فقال له : عيبى يشغلنى عن تأمل عيب غيرى . نسأل الله توفيقنا بما يضمم جوارحنا وقلوبنا وصنما جيلا يستر مساوينا وعيوبنا .

وقد فخر الدولة أبا الحسن ابن عبد العزيز قضاء القضاة وطالب أبا العباس الضبى بتحصيل ثلاثين ألف ألف درهم من الاعمال ومن المتصرفين فيها وقال له : ان صاحب أضاع الاموال وأهمل الحقوق وقد ينبى ان يستدرك ما فات منها . فامتنع أبو العباس من ذلك مع تردد القول فيه . وكتب أبو على ابن حمولة يخطب الوزارة وضمن عنها ثمانية آلاف الف درهم وأجيب الى^(٣٧٥) الحضور فلما قرب قال فخر الدولة لابن العباس : قد ورد أبو على وقد عزم على الخروج فى غد لتلقيه وأمرت الجماعة بالترجل له فلا بد ان تخرج اليه وتعتمد مثل ذلك معه . فنقل ذلك على أبنى العباس وقال له خواصه ونصحائه : هذا ثمرة امتناعك عليه وتعودك عما دعاك اليه وسيكون لهذه الحال ما بعدها . فراسل فخر الدولة وبذل ستة آلاف الف درهم عن اقراره على لوزارة واعفائه من ان يلقى أبا على وخرج فخر الدولة وتلقاه ولم يخرج أبو العباس . ورأى فخر الدولة ان من الصلاح الاشراك

(١) عبارة المؤلف أقرب الى الموجود فى التلموذ منها الى الموجود فى الانجيل

بينهما في النظر فسامح أبا علي ابن حمولة بالفى ألف درهم من جملة الثمانية التي بذلها وسامح أبا العباس بمثلها من الستة وقرر عليهما جميعا عشرة آلاف ألف درهم وجمع بينهما في النظر وخلق عليهما خلعتين متساويتين ورثب أمرهما على ان يجلسا في دست واحد ويوقعا جميعا فيوما يوقع هذا ويلئم ذلك ويوما يوقع ذلك ويلئم هذا ووقع التراضي بذلك ونظرا في الاعمال .

وقبضا على أصحاب ابن عباد وتبعا كل من جرت مساحمة باسمه في أيامه وقررا المصادرات في البلاد وأنفذ أبا بكر ابن رافع الى استرا باذ ونواحيها بمثل ذلك فقيس انه جمع الوجوه وأرباب الاحوال وأخر الاذن لهم^(٣٧٦) حتى تعالى النهار واشتد الحر ثم أطعمهم طعاما أكثر ملاحه ومنعهم الماء عليه وبمده وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصححونه فلم يزل يستام عليهم وهم بظهور عظاما الى ان التزموا عشرة آلاف ألف درهم .

واجتمع لفخر الدولة في الخزائن والقتلاع ما كثره المقلون ثم تزق بعد وفاته في أقرب مدة فلم يبق منه بقية . وكذلك مال كل روة ذمية المكاسب ومصير كل زهرة خبيثة المنابت فلئن عمر خزانته لقد خرب محاسنه ولئن جمع المال الجزيل لقد ضيع الذكر الجليل . ثم لم يحظ من ذلك الا بالاوزار التي احتقبا والائتم التي اكتسبها وقبح الاحدوتة التي علق باخباره سماتها وبقيت على الايام عظامها اذ لم يبق من عظامه رفاتها . وما يغنى عنه ماله اذا رذّي فياندم النادم اذا ترك ما اكتسبه وراء ظهره وانقلب بثقل الوزر وسوء الذكر الي قبره . وأصعب من ذلك ما بعده « يوم لا يفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم »

وفها أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الأتراك قتل قوم منهم

بشيراز وأجفلت طائفة منهم فمأوا في بلاد فارس فجزء دصمصام الدولة اليهم من دفعهم عنها وانصرفوا الى كرمان وبها أبو جعفر استأذ هرmez فدفعهم أيضا فدفعهم الضرورة^(٢٧٧) الى قصد بلاد السند واستأذوا ملكها في دخول بلده

﴿ ذكر الحيلة التي عملها صاحب السند على الانراك حتى قتلهم ﴾
أظهر لهم القبول وخرج لاستقبالهم ورتب أصحابه صنفين وهم رجاله وواقفهم على الايقاع بهم اذا دخلوا بينهم ففعلوا ذلك ولم يقات منهم الا نفر حصلوا بين القتل وهربوا تحت الليل

وفيها توفي أبو نصر خواشاذه بالبطيحة وسبب حصوله بها انه لما قبض عليه خرج في الصحبة الى واسط واعتقل بها فتوصل الى الحرب . قال صاحب الخبر^(١) : فاذا ذكر وقد انحدرت الى مذهب الدولة واجتمعت مع أبي نصر فرأيت كتب فخر الدولة وصمصامها وبهاثا وبدر بن حسنويه اليه يستدعيه كل واحد منهم ويذل له من المعيشة والاحسان ما يرغب في مثله لكن فخر الدولة قال له في كتابه : لملك تسيء الظن بمعتقدنا للتمسح الذي قدمته في خدمة عضد الدولة عندنا وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قد ملك واصطنعك ومناصحة من كان^(٢٧٨) يصنعك ويرفك وان نعتد لك من وسائلك لم نجمله ذنوبك^(٢) وقد علمت ما عملنا^(٣) به أبو القاسم اسمعيل ابن عباد وانا طوينا جميع ما كان بيننا وبينه واستأثنا معه من الاكرام والتفويض ما لم يقدره ويظنه . ولك علينا عهد الله وميثاقه في ايماننا من كل ما تخافه وتمنوه وانا لك بحيث تحبه وتؤثره فان أردت الخدمة قدمناك الى

(١) وهو هلال الصابي (٢) الجملة محرفة (٣) لعله : عاملنا

أعلى رتبها وأرفع درجها وان رأيت الاعتزال والدعة أوجبنا لك مائة ألف درهم مميصة من أصمهان ووفرناك على المقام في دارك بها . فقلت له : فإلى أي جهة ميلك . فقال : ما كنت أشعر إلا من جهة فخر الدولة وقد وثقت به ولم يعلق قلبي إلا به وأنا عازم على قصد الري عند ورود من أستدعيه من أصحاب بدر بن حسنويه . فعاجلته المنية المريحة من الحل والترحال القاطعة للحاجات والاشغال

وفيها ورد الخبر بمسير العلاء بن الحسن والديلم من ارجان و وفاة طغان بالاهواز فسار بهاء الدولة على سمت الاهواز
(ذكر ما جرى عليه الامر مع العلاء بن الحسن واستيلائه على الاهواز)
لما توفي طغان الحاجب كوتب بهاء الدولة بخبره وبما عول عليه الفلمان^(٣٧٩) وما حدثوا به أنفسهم من العود الى بغداد فانزعج لذلك وعلم ما في أثنائه من ذهاب الدولة مع استمداد العلاء للمقارعة وقدم تسيير أبي كاليجار المرزبان بن شهفروز الى الاهواز للنيابة عنه ورمّ العسكر بها وكان بينهما تذما^(١) في جميع الامور مستقلا للتوقيع والتدبير . وأخذأبا محمد الحسن بن مكرم الى الفتكين الخادم للمقام بموضعه وكان حصل برامهرمز منصورفا مرتين الى عساكر فارس فلم يستقر بالفتكين قدم وانكفا الى الاهواز وكوتب أبو محمد ابن مكرم بالنظر في الاعمال والجد في استخراج الاموال وارضاء الجند . وقرب العلاء بن الحسن فرج على عسكر مكرم ونزل بهاء الدولة بطلا وترددت بينه وبين العلاء مراسلات ومكاتبات سلك فيها العلاء سبيل اللينة والاطماع والمكر والخداع ثم سار على نهر المسرقان

لازماله الى ان حصل بخان طوق. ووقع الحرب بينه وبين أبي محمد ابن مكرم
والفتكين ومن في جملتهما من الفلمان وصدق الفريقان وزحف الديلم بين
البساتين والتخيل حتى دخلوا البلد ودفعوا أبا محمد والفتكين منه . وأرسل
أبو محمد والفتكين الى بهاء الدولة وأشاروا عليه بالعبور والبدار فتوقف عن
ذلك ووعد وسوف ثم أمدهما بثمانين غلاما من غلمان داره مع خدم للتخيل
فعبروا وحملوا على الديلم من ورائهم بغرة الصبوة وقلة التجربة فافرج الديلم
لهم حتى توسطوهم ثم انطبقوا عليهم^(٣٨٠) فقتلوهم . وعرف بهاء الدولة
ما جرى على غلمانه فضعفت نفسه وهم بالهزيمة وخاف ان يظهرها فيطعم فيه
بنو أسد فتقدم بان تسرج الخيل وي طرح عليها السلاح وتحمل الاثقال وأظهر
انه يقصد الاهواز . فلما رتب ذلك جميعه ركب وأخذ سمت الاهواز قليلا
ثم عطف فتوجه لتقاء الجزيرة وأمن ما خافه من اختلاط العسكر عند الهزيمة
وتسلف في طريقه حتى عاد الى عسكره بظاهر البصرة

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي محمد ابن مكرم والفلمان ﴾

لما عرف أبو محمد والفلمان خبر بهاء الدولة في أنصرافه ساروا الى
عسكر مكرم وتبعهم الملاء بن الحسن والديلم ورفعوهم عنها فارتفعوا ونزلوا
براملان بين عسكر مكرم ودستر . وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة لان
الأتراك كانوا يركبون الى باب البلد ويخرج الديلم اليهم ويقاتلونهم قتال
المحاجزة لا المناجزة ومع الأتراك دُستروا وسوادها يمتارون منها . ثم سار
الأتراك الى رامهرمز ومنها الى ارجان واندفع من كان فيها من بين أيديهم
واستولوا عليها واستخرج أبو محمد لهم الاموال منها وأقاموا بها ستة^(٣٨١)
أشهر ثم كروا راجعين الى الاهواز

وبلغ العلاء خبرهم حين قربوا فانفذ الى قنطرة اربق من قطعها ووصل أبو محمد والفلان اليها فطرحوا الاجذاع وأعمدة الخيم عليها وعبروها وحصلوا مع الديلم على أرض واحدة ونزلوا بالمصلى وخيم العلاء نحو شهرين ثم رحل الاتراك من معسكر مكرم وتبعهم العلاء فوجدهم قد امتدوا واسطا وكان العلاء بن الحسن قد رتب مناجزة أبي جعفر بالسوس عند مصير الاتراك الي ارجان وفرق مقطعي كل كورة فيها .

فلما عاد بهاء الدولة الى واسط على ما يأتي ذكره ولم يبق بينه وبين الديلم من يحول دونه جرد قُلُج في عدة من الفلان وسيره الى السوس . وكتب الي أبي محمد ابن مكرم ومن في جلته من الفلان بالتوقف عن الانتماء فلقبهم قُلُج والكتب في الطريق فرجعوا وحصل المعسكر جميعه مع أبي محمد وأقاموا ببصنى

وفيها عاد أبو القاسم على بن أحمد من البطيحة الى حضرة بهاء الدولة للوزارة

﴿ ذكر ما جرت عليه حاله في هذه النوبة ﴾

قال الاستاذ الفاضل أبو نصر : لما عاد بهاء الدولة الى معسكره بظاهر البصرة ^(٢٨٢) وقفت أموره فتددت بينه وبين أبي القاسم مراسلة في العود الى خدمته فاستقر ذلك بواسطة مذهب الدولة بعد ان اشترط على بهاء الدولة انه ان مشى الامر على يديه والا أعاده محروسا الى البطيحة . وكان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوي ولم أعرف ذلك الا بعد استقراره وكنت في بقايا علة واستأذنت بهاء الدولة في الاصعاد الي بغداد للمداواة فلم يأذن فلما ورد الرجل ومضى على وروده ثلاثة أيام راسلى الملك وقال : كنت

استأذنتا في الاصعاد الى بغداد للمداواة وقد أذنَّا لك . فعلمت ان هذا القول على أصل وان الغرض ابعادي فقبلت الارض وقلت : السمع والطاعة وانصرف الرسول

﴿ ذكر رأى سديد رآه الفاضل في استيالة قلب بهاء الدولة ﴾
 قال الفاضل : أخذت دواة ودرجا وأثبت ما كان لي بالبصرة من صامت وناطق حتى لم أترك الا ما كان على جسدي وحملت جميعه على التذكرة به الى الخزانة وقلت : هذا ما أمسكه وأنا مع اصعادي مستغن عنه والخزانة مع كثرة الخرج محتاجة اليه . واستأذنت في الحضور للدواع فوقع ذلك ^(٢٨٣)
 موقعا جميلا وأذن لي في الحضور . وجاءني في أثناء ذلك الشريف أبو أحمد الموسوي وكان يهتمني بالليل الى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر ويستوحش مني لاجله فقال : قد بلغني انك تصعد الليلة الى بغداد وما كنت أوثر البعد عن سلطانك ولو وقفت وتركته أتوسط ما بينك وبين هذا الوزير الوارد وأتوثق لكل واحد . من صاحبه لكان أولى . فقلت : قد كنت على العزم الذي بلغ الشريف واذ قد رأى لي الصواب في المقام أقمت يومين [أو] ثلاثة معمولا على تفضله فيما يقرره . وأردت بهذا القول كتمان حقيقة أمرى عنه اشفاقا من ان يعرف الوزير خبرى فراسل بهاء الدولة فيما تعرفني به ^(١)
 وربما بلغ غرضه في تعاجل الحال .

وانصرف الشريف أبو أحمد ولم تتلنى الارض حتى مضيت الى المضرب وزودت بهاء الدولة وقبلت الارض وبكيت فبكى لكائي وقال : لا تشغل قلبك فاني لك على أجل نية وما أشذتلك الا الى مملكتي وأين كنت فانك

(١) لعله : فراسل بهاء الدولة فيما يعرفني به

على بال من مراعاتي وملاحظتي . وخرجت فاتبني بعض خواصه وقال :
ان الملك يأمرك أن تتوقف ليسلم اليك رهونا تحملها الى مذهب الدولة
وتستقرض عليها مهما أمكنك . فاشفقت من أن أثرب فتجدد من الوزير
في أمري . راسلة بهاء الدولة بما أتقيته فقلت للرسول : تقول لمولانا اني
قد أحسست^(٣٨٤) بأول دور الحى وأنا أصعد وأتوقف بنهر الدير الى ان
يلعقني ما يرى إتناذه . فدخل وخرج وقال : امض فإننا نحمل على أترك
ما يصحبك . فاعتنمت الفرصة وأسرت ولم أتوقف ووصلت الى واسط
فما استقررت بها حتى ورد على الطائر كتاب من عبد العزيز بن يوسف يقول
فيه ان الرجل (يعني الوزير أبا القاسم على بن أحمد) وقف أمره وعاد الى
البيضة . فبادرت في الحال الى الاصماد علما بار الكتب سترد بالعود الي
فما بلغت فم الصلح حتى صاح بنا ركايان وردا من البصرة ومعهما كتاب
بهاء الدولة الي بالانحدار . فاعتذرت في الجواب بقربي من مدينة السلام
وانني أدخلها وأحصل من المال والثياب ما أعلم ان الحاجة داعية الى
تحصيله وأعود .

فما سبب فساد أمره فانه عامل أبا العباس الوكيل بما أوحشه به
واستشمر أبو عبد الله العارض وأبو الفرج الخازن منه واجتمعت كلمة
الحاشية عليه وتطابقوا على فساد أمره خوفا من بواده . وعول بهاء الدولة
على القبض عليه فذكره الشريف أبو أحمد العهد الذي استقر مع مذهب الدولة
بالقيح وأخرج عن اليد فعند ذلك فسح في عوده مع الشريف أبي أحمد
الى بغداد .

﴿ودخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة^(٣٨٥)﴾

وفيها ملك لشكرستان بن ذكي البصرة وانصرف أصحاب بهاء الدولة عنها

﴿شرح الحال في ذلك﴾

كان لشكرستان ذا نفس أبية وهمة عليّة ولم يزل يلوح من شمائله في بده
أصره ما يدل على ارتفاع منزلته وقدره وهو من جملة من انحاز عن بهاء الدولة
إلى صمصام الدولة وحصل مع العلاء بن الحسن بالاهواز فلما انصرف
الأتراك إلى أرجان على ما تقدم ذكره حدثته نفسه بالخروج إلى البصرة
ودفع بهاء الدولة عنها والتمس من العلاء بن الحسن مساعدة على ذلك
فاحجم العلاء عن أفراد بعض المسكر عن نفسه لحاجته إلى الاستظهار بكثرة
العدد . فبينا تردد الخطاب بينهما إذ ورد اليه نحو أربعائة رجل من الديلم
مستأمنين من ديلم بهاء الدولة فضمهم لشكرستان إليه وفرّق فيهم خمسة
آلاف دينار من ماله وسار بهم إلى حصن مهدي . وجرد بهاء الدولة أبا مقاتل
خمارتكين البهائي لقتاله فجرت بينهما مناوشات واعتصم الديلم بالبلد ولم يقدر
خمارتكين على وافتقهم فيه . فلما كان في بعض الأيام عاد منهم وخرج
لشكرستان على أثره وحمل نفسه على الصعب وسار على التعسف^(٣٨٦) حتى
حصل هو ومن معه بأشكرابان . وتسلل إليه من بقي مع بهاء الدولة من
الديلم ولم تكن لأصحاب بهاء الدولة قدرة عليهم لاعتصامهم بالبساتين والمياه
التي يضيق مجال الفرسان فيها ثم ضاقت عليهم الميرة وانقطعت عنهم المادّة
فقطعوا النخل وأكلوا جمارها وأكلوا الزرع
وكان أبو العباس ابن عبد السلام وطائفة من أهل البصرة مائلين إلى

بهاء الدولة ونزلوا بازاء الديلم يصدقونهم القتال . وكان أبو الحسن ابن أبي جعفر العاوي ماثلا الى لشكرستان بن ذكي مضادة لابن عبد السلام لما بين الفريقين من المباينة فحمل العتلولى الى الديلم في السماد دقيقا أمارهم به ونفس عنهم كربهم وعرف بهاء الدولة ذلك وظفر ببعض السفن التي حملت فيها الميرة فانفذ من يقبض عليه فهرب وكبست داره ونُهِيت . وطُلّت هذه الطائفة فاستوحشوا وصار منهم عدد كثير مع أبي جعفر الى لشكرستان وقويت بهم شوكته وجمعوا له سفُنا وحملوا الديلم فيها على ركوب أخطار وشدائد حتى جعلواهم على أرض البصرة ووافوا بهم الى محالهم وواقعوا أصحاب بهاء الدولة فهزموهم ونهبوا دور بني عبد السلام وطائفته وخربوها وجلا^(١) ناس كثير من البصرة وبنوا بهاء الدولة مكانه^(٢٨٧) وخرج البلد عن يده وأصعد الى واسط على الظهر فوصل اليها وقد تقطع عسكره وتمزق سواده .

﴿ ذكر ما جرى عليه امر لشكرستان بالبصرة الى ان ﴾

﴿ استقر ما بينه وبين مذهب الدولة من الصلح ﴾

لما حصل لشكرستان بالبصرة بطش باهلها بقتل وسفك وخرج الناس على وجوههم لفرط الهية الواقعة في نفوسهم ومد يده الى أموال التجار فخرّب البلد وتشرد كل من فيه وكتب بهاء الدولة الى مذهب الدولة يقول له : اذا كان لشكرستان قد غلب على البصرة فانت أحق بها منه . فاستمد مذهب الدولة للقتال وجرد أبا عبد الله ابن مرزوق اليه في عدة كثيرة من الرجال وكاتب أبا العباس ابن واصل وكان بعبادان وغيره من أصحاب الانهار

بالاحتشاد والاستظهار والاجتماع مع ابن مرزوق على حرب اشكرستان
وانحدر ابن مرزوق ودفعه عن البصرة .

فاختلفت الرواية في دفعه عنها ف قيل ان أهل البصرة قويت نفوسهم
فوثبوا على الديلم وانصرف لشكرستان من غير حرب الى أسافل دجلة وقيل
بل عقد جسرا^(٣٨٨) في الموضع المعروف بالجلل وقال : الديلم يرمون كل من
يرد من نهر عمر . وجعل أمامه سلسلة حديد ممتدة من احدى حافتي نهر
ابن عمر الى الاخرى ليدفع عن الجسر ما يرسل على الماء من شاشات القصب
المضرة بالنار تفوس بشقلها فتعبر الشاشات عليها فتفترقها . فوافى عسكر
البيطية من نهر ابن عمر وجمعوا قصباً كثيراً بمرض النهر وأرسلوه مضرمات
بالنار وجعلوا سفنهم التي فيها مقاتلتهم من ورائه فوقع على السلسلة وتقطعت
وعلى السفن الصغار فاحترقت ووصل الى الجسر ودخل عسكر البيطية
البصرة يقدّمهم ابن مرزوق وعسكره الى الجزيرة . وحصل لشكرستان
بسوق الطعام وهي فسيحة واستمر القتال بين الفريقين وكان للديلم الاستظهار
في الحرب وللهؤلاء قطع الميرة . فراسل لشكرستان مهذب الدولة وسأله
المصالحة والوادعة وبذله الطاعة والمتابعة على ان يقيم له الخطبة ويسلم ابنه اليه
رهينة فمال مهذب الدولة الى الصلح وسلم لشكرستان ابنه أبا العز وانصل
الصفاء واستمر الوفاء زماناً طويلاً

وأظهر لشكرستان طاعة صمصام الدولة وبهاثا وأمر نفسه واعتضد بما
عقده بينه وبين مهذب الدولة من المودة وعسف أهل البصرة مدة ثم عدل
فيهم وأحسن السيرة بهم وخفف^(٣٨٩) الوطأة عنهم بعد ان قرر نصف

العشر عليهم وكان يؤخذ من سائر ما يتبايع حتى من المأكولات وعاد البصريون الى دورهم ومنازلهم . والذي تكثرت به العشرة وتطول فيه الفكرة ويستفاد منه التبصر وتنتفع بمشله التجربة حامل حالي بهاء الدولة ومهذبها كيف اختل أمر ذلك وهو عريق في الملك صاحب مملكة لسوء سيرته ! وكيف استقام أمر هذا وهو دخيل في الامارة صاحب بطيحة لحسن طريقته !

لقد ضل من ظن ان الملك يستقيم بالظلم والمال يشعر بالجور أو الارتفاع يكثر بالحيف أو الضرع يذر بالعسف لا ورافع السماء . ووثي الملك من يشاء ما يصلح الملك الا باحسان السيرة واحكام السياسة وترتيب الخاصة وتهذيب العامة والهيبة في الجند والمعدل في الرعية . وهيئات ان يصلح الملك تدير مملكته الا بعد تدير مدينته أو تدير مدينته الا بعد تدير داره أو تهذيب رعيته الا بعد تهذيب جنده أو تهذيب جنده الا بعد تهذيب حاشيته أو تهذيب حاشيته الا بعد تهذيب نفسه . ولولا اننا لا نباهي أصحاب عصرنا أطال الله بقاءهم من الملوك والوزراء الماضين الا كل من كان على الرتبة في العلاء والمجد طيب الاحدوثة بالثناء والحمد لا وردنا في هذا الفصل ما تتبين به مقادير^(٣٩٠) التفاوت والفضل ويقوي معه الدليل على ما قدمناه في صدر كتابنا هذا من تفضيل زماننا بهم . لكننا لا نقيس الفاضل بالناقص ولا المخدج بالكامل ولا العاجز بالقادر ولا النابي بالبار لان الشيء يقاس بما يناسبه ويشبه بما يقاربه . ونعود الى سياقة التاريخ

وفيها عاد أبو نصر سابور بن أردشير الى الوزارة ونظر نحو من

تهرب من هرب

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر سابور في هذه النبوة ﴾

كان بهاء الدولة أنفذ أبا عبد الله العارض وأبا نصر الفاضل الى مذهب الدولة واستقرضاه منه قرضا وتطيبا الى سابور وقررا معه العود الى الوزارة . فلما حصل بالبطيحة وقرر الامر مع سابور حضر عند مذهب الدولة ليعلماه بحال ما استقر فقال مذهب مدولة : أتما في طرفي والملك في آخر وأخرج كتابا بخط بهاء الدولة يسأله انفاذ أبي القاسم على بن أحمد فلما شاهداه وجا وقالوا : قد يجوز أن يكون هذا قد بدالة بعدنا رأى آخر . وانصرفا فقال أبو عبد الله العارض للفاضل : ما فعل الملك ما فعله الا على أصل والصواب القعود هاهنا والاخذ بالحزم . فقال له الفاضل : لا يضعف ^(٣٩١) قلبك واصعد معي ودعني ألقى الملك وأحل ما عقد بعدنا معه فاني أعرف باخلاقه منك ومتى تأخرنا بلغ أعداؤنا منا مرادهم . وما زال به حتى أصعد معه فلما وصلا الى بهاء الدولة قال لهما : ما وراءكما . قالوا : كنا قررنا مع مذهب الدولة أمر القرض ومع سابور أمر النظر فوافي كتابك باستدعاء أبي القاسم على بن أحمد فانتقض جميع ذلك وانصرفنا بعد النجاح بالخيبة . فلما سمع ذلك وجهم (ولم يكن لا أكثر ما قالاه من أمر القرض حقيقة لكنهما قصدا بذلك تقديمه) فقال لهما : ما كتبت ما كتبت الا بما ألزمني أبو أحمد الموسوي واذا كنتم قد قررتماه فالرأي المدول اليه . وأمر بكتب الكتب الى مذهب الدولة بالشكر على ما أورداه عنه وبأخراج سابور الى الحضرة ^(١) وتطيب نفسه وحته على البدار . وانصرف الفاضل الى داره ليغير ثياب السفر وواقف

أبا عبد الله على المقام بحضرة بهاء الدولة الى ان تنفذ الكتب لئلا يدخل اليه من يثنيه .

ونفذت الكتب وورد أبو نصر سابور وقد استوحش الشريف أبو أحمد الموسوي منه لما أسلفه اليه فقال لبهاء الدولة : بيني وبين الغلاء بن الحسن مودّة وأنا أخرج اليه والى صمصام الدولة وأستأنفُ أمر الصالح . فقال لبهاء الدولة الى قوله واستروحت^(٣٨٢) الجماعة الى بعده وأذن له في ذلك ونظر سابور الى الامور

وبدأ أبو القاسم على بن أحمد يكتب الى بهاء الدولة ويشرع معه في تقلد الامر وبلغ أبا^(٣٨٣) نصر من ذلك ما انزعج منه وأراد الاختبار لما عند بهاء الدولة فيه

﴿ ذكر الحيلة التي عملها سابور في اختبار بهاء الدولة ﴾

خلا به وقال له : أيها الملك قد علمت انني قصير اللسان في خطاب الجند وقد استشعروا في الطمع واستشعرت منهم الخوف ولواستدعيت أبا القاسم على بن أحمد وعوّلت عليه في منابذتهم ومعاولتهم ووفرتني على جمع المال واقامة وجوهه لكان ذلك أدعى الي الصواب . فقال له بهاء الدولة : هذا هو الرأي وقد أردت أن أبدأك به فاذا قد سبقت الى القول فيه فهذا كتاب أبي القاسم بخطب الخدمة وقد تقرر الامر معه على هذه القاعدة . فسمع أبو نصر ذلك وانصرف من حضرته وأطلق يده للتوقيعات في الجند ولم يبق وجهها الا أحال عليه أكثر مما فيه فلما علم انه لم يبق بواسط ما تمتد اليه

يد فارق مكانه وهرب الى الصليق وكتب بهاء الدولة الى ابي القاسم
يستدعيه (٢٩٣)

وأنفذ اليه ابا الفضل الاسكافي رسولا بما بذله له من بسط اليد والتمكين
وانحدر ابا الفضل واجتمع معه وأصعبا . فلما حصل في بعض الطريق عدل
أبو القاسم على بن أحمد عن السميت فقال له أبو الفضل : الي أين أيها الوزير
قال : الى حيث أبعد به عنكم أما علم بهاء الدولة ان أبا نصر فرق أمواله
وأفسد أمره وأبطل مملكته ؟ وإنما رغبت فيما رغبت فيه أولا لانه كان هناك
ما يمكن تنشية الامور به فاما الآن فلم يبق الا شجي الخلق وقذى الميون
ولقاء المكروه فما أنشط لذلك . وفارقه ومضى الى الجبل وبقي مجلس النظر
خاليا حتى ورد أبو العباس عيسى بن ماسرجس ونظر في الامور
وفيها استكتب القادر بالله رضوان الله عليه أبا الحسن علي بن عبد
العزيز حاجب النعمان (١)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان رجالان من التجار خرجا للحج فتبايعا عقارا في الكرخ وهما بمكة
وأشهدا انسانا من الذين حضروا الموسم ورده (٢) المشتري الى مدينة السلام
فحاول ثبوت كتابه عند القضاة الاربعة وهم أبو عبد الله الضبي وأبو محمد ابن
الاكفاني وأبو الحسين ابن معروف وأبو الحسين الجوزي (٣) بشهادة من
شهد من التجار . وقد كان القادر بالله رضى الله عنه أمرهم ان لا يقبلوا في

(١) ليراجع قصة صرف القادر بالله ابن حاجب النعمان عن كتابته بإبي
الحسن أحمد بن علي البقي الذي كان يكتب له عند مقامه بالطيعة . ارشاد الارب

مثل ذلك الا شهادة الشهود المدلين . فتنجز المشتري كتباً من بهاء الدولة الى القضاة باستماع قوله والى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبي منصور ابن صالحان (وكان نائباً عن بهاء الدولة ببغداد) بالزامهم ذلك نغاطبهم فقالوا السمع والطاعة : الا أبا عبد الله الضبي فإنه امتنع واحتج بممارسهم له من دار الخلافة . وغازط الشريف أبا الحسن فعله فأطلق لسانه بالوقعة فيه . وفارق الضبي داره بالكرخ وعبر الى الحريم معتصماً به . وسمع أبو محمد الا كفاني شهادة القوم وعزم القاضيان الآخران على مثل ذلك فالتدعوا الى دار الخلافة وأغلظ القول عليهم واعتيقوا الى آخر النهار ثم اذن لهم في الانصراف والعود من غد

وكان قوم من الشهود ذكوا التجار الذين شهدوا في الكتاب منهم ابن النشاط وأبو اسحق بن أحمد الطبري فطعن الضبي عليهم عند الخليفة فخرج التوقيع باسقاطهم وأمر بقراءته على المنبر في المسجد الجامع . وعرف الشهود ذلك ومضى أبو اسحق الطبري الى أبي الحسن محمد بن عمر مستصرخاً وكان خصيصاً . وبلغ أبا الحسن على بن عبد العزيز ما يجري من الخوض في الامر .

﴿ ذكر تدير لطيف توصل ^(٢٩٥) به ابن حاجب النعمان ﴾

﴿ الى خدمة دار الخلافة ﴾

استدعي القاضي أبا محمد ابن الا كفاني وأبا اسحق الطبري سرّاً وقال لهما : قد علمت ما أنتم عليه وان طويته وه عني ومتى روست الخليفة بي توصلت الى مرادكم فصار ابواسحق الى ابن عمر وأشار عليه بانفاذ على بن عبد العزيز لي دار الخلافة فراسل أبا منصور ابن صالحان في ذلك فكان جوابه :

انك عارف بما وردت به كتب بهاء الدولة من منع ابن حاجب النعمان عن دار الخلافة واخرجه الى حضرته فكيف يجوز ان تنفذه فيما هذه سبيله ؟ فعاد مراسلة ثانية وسهل الامر فأذن أبو منصور في ذلك من غير اختيار . وانحدر أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الى دار الخلافة ووصل الى حضرة القادر بالله رضى الله عنه وأعاد ما حمله من الرسالة وكانا قالاه لتخدم الحضرة الشريفة عنا بالدعاء وتقول : ان الذى جرى في هذه القصة مما يوحش بهاء الدولة ويشعره التغير له والمدول عنه فيما كان مستخدما فيه ، وأتبع ما يورده عنهما من نفسه بان قال : يا أمير المؤمنين ما الذى فعل ^(١) هؤلاء القضاة مما خرجوا به عن حكم الشريعة أو حدث من الشهود حتى أسقطوا الاسقاط الذى يقرأ على المنابر ؟ أو ليس ابن النشاط أحد الشهود الذين شهدوا على المخلوع بخلع نفسه وتسليمه الامر الى أمير المؤمنين ؟ ولو أردنا اليوم شهادة حاضرة بذلك لما وجدنا غيره فيها فان الشريف أبا أحمد الموسوي غائب بشيراز وأبا القاسم ابن أبي تمام قد مضى لسبيله وأبا محمد ابن المأمون من أهللك وأبا الفنائم محمد بن عمر ممن لا تقوم به بينة . ونحن الى الآن نركي هذا الشاهد ونعدله أولى من أن نقدح فيه ونخرجه ^(٢) وهذا أبو اسحق الطبري واحد القراء المتقدمين وأهل العلم المشهورين ولم يبق من يحضر الحرمين ويصلى فيها ^(٣) بالناس مثله وهو الى هذه الدولة منسوب وفي شعبها محسوب والباقيون منهم أقل من ان يعرفهم أمير المؤمنين ويسمهم فضلا عن ان يذكرهم على المنابر ويقع فيهم . وما الذى يؤمتنا من ان ينفذ الى الجامع من ينفذه فيعترض بما يحول بينه وبين ما يحاوله ويلحقنا من ذلك ما لا خفاء به ؟

(١) وفي الاصل : ونخرجه (٢) لعله : فيها

فلما سمع القادر بالله رضي الله عنه ما قاله تيين الصواب فيه فأضرب
عما عزم عليه وهم وردّه بجواب جميل سكن اليه القضاة والشهود وتوقيع فيه
علامته باجرائهم على رسومهم

وعاد أبو الحسن الى الشريف والوزير فأعلمهما بما فعل^(٣٩٧) وبزوال
ما كان الخوض واقفا فيه وأشار بان يعود برسالة ثانية محدودة تتضمن الشكر
والدعاء والاستئذان في حضور القضاة . فتقدّما اليه بذلك ومضى وعاد
بالاذن في حضور القضاة مرجع ثالثا والقضاة معه فجمع بينهم وبين القاضي
أبي عبد الله الضبي واستطال أبو عبد الله في القول عليهم فمنهم من أجاب
ومنهم من أمسك عنه . وانصرف القوم وتأخر أبو الحسن فاقام في الدار
وقرر أمر نفسه واستعطف الشريف أبا الحسن ابن عمر واستكف كل من
كان يقصده واستصاح قتم له الامر واستتب
وفيها عاد أبو جعفر الحجاج من الموصل

﴿ ذكر السبب في ذلك وما جرى الامر عليه ﴾

لما توفي أبو الدواد محمد بن المسيب طمع المقلد أخوه في الامارة فلم
تساعده المشيرة لان من عاداتها تقديم الكبير من أهل البيت وكان على^(١)
أسن منه فاجعوا عليه وولوه . وأيس المقلد من الامارة فعدل الي طلب
الموضع وبدأ باستمالة الديلم الذين كانوا مع أبي جعفر واستفسادهم عليه ونهى
برسالته بهاء الدولة خاطبا لضمان الموصل بالنفي الف درهم^(٣٩٨) في كل سنة
وبذل تقديم مال عنها واستصاح قلوب الخاشية .

ثم عدل الى على أخيه وأظهر له ان بهاء الدولة قد ولّاه الموصل وان
أبا جعفر يدافعه عنها وسأله النزول معه بالحلل عليها فان أبا جعفر اذا علم
اجتماع الكلّة خاف واندفع عنها . فلبّي على دعوة أخيه وأجابه الى سؤاله
قاضيا حقه فيه فلما نزلت الحلل على باب الموصل استأمن عدد من الديلم الذين
استفسروا من قبل وعلم أبو جعفر ان لا طاقة له بالقوم فاعتصم بقصر كان
استحدثه ملاصقا الى دار الامارة مع سبعين رجلا من خاصته وسألهم ان يفرجوا
له عن الطريق ليسلم الديلم اليهم فاجابوه الى ذلك

﴿ ذكر مكيدة عملها أبو جعفر سلم بها في انحداره ﴾

واعدم في خروجه يوما معلوما واستظهرم عليه وكانوا أجمعوا أمرهم
على ان يأخذوه يوم مسيره فاستدّ أبو جعفر من على بن المسيب وأنفذ
اليه كراعه ليسير من عنده ثم جمع سفنا حطّ فيها رحله وصناديقه وسلاحه
وأصحابه فجاء وانحدر قبل اليوم الموعود وما عرفوا خبره الا بعد انحداره
فتبعوه ودافهم عن نفسه حتى خلص ووصل الى ^(٣٩٩) مدينة السلام

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر بالموصل بعد انحدار أبي جعفر ﴾

لما خرج أبو جعفر من البلد تقدم المقلد الى أصحابه بالدخول وعمل على
ابن المسيب في الرحيل فحسن له أبو الفضل طاهر بن منصور وكان كاتبه
وزيره وجاعة من أصحابه ان يلتصق من المقلد مشاركته في البلد فتدّمس على
من ذلك حياء من أخيه فقالوا له : اذا كان البلد لاخيك كان هو الامير
وكنت أنت الصلوك . وما زالوا به حتى راسلوه واستقرت الحال بينهما
تذكرة من المقلد على اقامة خطبة لهما جميعا وتقديم علي بمحكم الامارة واتامة
عامل من قبلها لجباية الاموال وجرى الامر على ذلك مديدة

ثم زاد التشاجر والتجاذب بين أصحابهما وانتهى الى الافراط وانصلت الشكاوي من الفريقين وسيأتي ذكر ما جرت عليه الحال من بعد ان شاء الله

﴿ ذكر الحال في ذلك ﴾

كان أبو علي ^(١٠٠) " خدوم بهاء الدولة في أيام امارته فلما ولي الملك قدّمه وكاد ^(١٠٠) ينوّه به فنسكبه أبو الحسن السكوكي المعلم وبقي على المعطلة ثم استخدم في الخواص بمدينة السلام . فلما عاد بهاء الدولة الى واسط على الصورة التي ذكرت من اختلال الحال كاتب أبا منصور ابن صالحان الشريف أبا الحسن ان عمر وأبا علي هذا يذكر بما هو عليه من الاضافة واستدعى منهم . المتنسبات من ثياب وغيرها . فاجاب أبو منصور وأبو الحسن جميعاً بالوعد والتعليل وحصل أبو علي أكثر المتنس بعد ان طلب من أبي علي ابن فضالان اليهودي قرضاً يرُدّ عوضه عليه فلم يسعفه وانحدر الى حضرة بهاء الدولة بما صحبه . فوقع فعله موقعا جميلا ازداد به عنده قبولا وقرّر معه في أخذ اليهود ومصادرتهم تقريراً معلوماً وفي أمر أبي الحسن محمد بن عمر وأبي منصور ابن صالحان ما كان مستورا مكتوماً وأصعد على هذه القاعدة فلما حصل بغداد قبض على جماعة من اليهود وعسفهم في المطالبة والمعاقبة . وأما الشريف أبو الحسن ابن عمر وأبو منصور ابن صالحان فانه بدا لهما خبير ما أبطلت في أمرهما نفرج ابن عمر الي القصر وصار منها الى البطيحة واستقر أمر ابن صالحان وكاتب بهاء الدولة واستصلحه وانحدر اليه

ودبر أبو على الأمور ببغداد واستمال الجند وقرر مع الأتراك^(١١١) عن
أثمان أقالمتهم وروقا يطلق لهم مسابقة ثم نقله الى المشاهرة ونسبه الى القسط.
وسلك أيضا بالديلم هذه الطريقة فصار ذلك سنة مستمرة من بعد في
الاقساط وسقطت كلف الاقامات وكانت قد انتهت الى الافراط. ومشت
أمواره على السداد الى ان جرى من المقلد بن المسيب ما صار سببا للقبض عليه
﴿ ذكر ما جرى من المقلد بن المسيب في هذه السنة ﴾

كان المقلد يتولى حماية القصر وغربي الفرات متصرفا على أمر العباس بن
المرزبان فاستناب المقلد أبا الحسن ابن الملم أحد أصاغر المتصرفين ببغداد وكان
فيه تهوؤ واقدام فبسط وانتهى عنه الى ابن المرزبان ما غاظه وعول على القبض
عليه. ولم يأت الحزم من أنظاره في أخذه فاستوحش ابن الملم واستظهر
وجرت مناوشات أدت الى كشف القناع واستنجد ابن الملم صاحبه فوافي
من الموصل في عدته وعديده وحصل مع ابن المرزبان على أرض واحدة
وجرت بينهما حرب أجلت عن هزيمة ابن المرزبان وأخذه أسيرا وجسه
وأمر بقتله من بعد.

وملك المقلد القصر وأعماله^(١١٢) وكتب الى بهاء الدولة بأعذار مختلفة
وأقوال متفقة وسأل انماذ من يعقد عليه البلاد ببلغ من المال يؤديه عنها.
وكان بهاء الدولة مشغولا بما هو بصدده والضرورة تدعوه الى المناظرة
والمداراة فأنفذ اليه أبا الحسن على بن طاهر وجرت بينهما مناظرات
وموافقات كتب بها تذكرة عاد بها ابن طاهر استأمر في أبوها. ولما
انفصل ابن طاهر عنه زاد في بسط يده في الاعمال واستضاف ما فيها من
الاموال فضج المقطعون بالشكوى الى أبي على ابن اسمعيل فاستمد للخروج

اليه واستأجى محمد بن عباد وخاطب أبا موسى خواجه بن ساكيل على
اليروز فبرز وخيم بظاهر البلد

﴿ ذكر القيلة التي عملها المقلد ﴾

لما انتهى الخبر اليه يروز من برز من السندية أنفذ أصحابه ليلا فكبسوا
معسكر ابن ساكيل وسربوا الخيم فبادر ابن سياهجنگ الى زبزيه وعبر الي
داره واستنفر الديلم فالى ان اجتمعوا قطع أصحاب المقلد الجسر لثلاثين
عليه الجند . وركب أبو علي ابن اسمعيل وابن عبّاد والاولياء فالى ان أعيد
سد الجسر . نهي أصحاب المقلد عائدين وتبعهم أبو علي فلم يلحقهم .^(١٠٣)
وهم بالانعام الى السندية لمواقعة المقلد فاشاروا عليه بالعود فماد وقد تمّم
لما ثبت له

وكان الشريف أبو الحسن ابن عمر قد حصل بالبطيحة على ما تقدّم
ذكره فلما ورد أبو جعفر الحجاج توسط حاله مع بهاء الدولة وأصلحها وجداً
جميعاً في السمي على أبي علي وذلك قبل أن يحدث من أمر المقلد ما حدث .
وشدّ منهما ابن ماسرجس وكان هو الوزير يومئذ وبذل ابن عمر لبهاء الدولة
عشرة آلاف دينار عن تسليمه اليه وكان بهاء الدولة سريع القبول شديد الميل
الى هذه البذول وكل ما يُعقد معه محلول وكل ما يبنى لديه مهدوم
ومن شرط السياسة ان يفي الملك بقوله وعهده وان يصدق في وعيده
وووعده وانه متى أخلف استولت على المحن الخيبة وزالت عن المنيء الهيبة
ومن قارب بين التولية والعزل لا يعقل . فنعود الى تمام الحديث
نفاضوا في تدبير أمر أبي علي ولم يكن ببغداد من يكاتب بالقبض عليه
ويوثق به في الخروج بالسر اليه لان ابن سياهجنگ كان من خاصته

والقهر مائة معه وفي كفته وكل من وجوه الجند مائلا الى جنبته ويخافون ان
يخرجوا انسانا من ^(٢٠١) واسط. فربما شاع الخبر وظهر

﴿ ذكر المكيدة التي رتب في القبض على أبي علي ﴾

أحضروا أبا الحسن محمد بن الحسن العروضي وكان بواسط وواقفوه
على ان يكتب أبا علي ويشكو اليه حاله ويسأله استدعاءه اليه وضمه الى جملة
ودبروا الامر انه اذا عاد الجواب اليه بالاصماد أصعد وقرر وامعه القبض عليه .
وكتب أبو الحسن كتابا بهذا الذ كر فالي ان عاد الجواب اليه حدث من أمر
المقلد بهجوم أصحابه على مدينة السلام ما حدث وورد الخبر بذلك على
بهاء الدولة فانزعج واستدعى أبا جعفر الحجاج في الوقت ورسم له المبادرة
اليها وتلافي الحادث بها ومصالحة المقلد والقبض على أبي علي ابن اسمعيل .
ووجد أبو جعفر الفرصة فصار ووصل الى مدينة السلام في آخر ذي الحجة
وسأني ذكر ما جرى الامر عليه بمشيئة الله تعالى

وفيها قبض على الفاضل أبي نصر فاستقصى عليه في المطالبة . وهرب
أبو عبد الله العارض الى البطيحة وأقام الى ان أصلح حاله
﴿ ذكر السبب في ذلك ^(٢٠٢) أولا ﴾

﴿ وما جرت عليه الحال ثانيا ﴾

كان جرى بين أبي عبد الله العارض وبين أبي طاهر سبائى المشط ^(٢٠٣)
المعروف بالسعيد كلام تنازعا فيه وجنايات اللسان عظيمة وصراعاته أليمة
فأمر بهاء الدولة بالقبض على أبي طاهر لاجل ذلك واعتقاله . فاجتمع عدد

(١) وفي الاصل « سبائى المنطبيب » وسبائى يعنى صاحب الجيش كذا في

كثير من النلمان وصاروا الي باب الخيمة الخاص وجبهوا بهاء الدواة بما فيه
بعض الغلط وقالوا : ان لم تخرج عنه أخذناه . فدعت الضرورة الي اطلاقه
فأطلق ثم لم يرضوا بالافراج عن المشطب حتى اقترحوا ازالة ابي عبد الله
عن ولاية العرض وابعاد الفاضل ابي نصر ^(١) وخاف بهاء الدولة مخالفتهم
فاعتقل العارض والفاضل اعتقالا جميلا ثم اذن لهما في الاصعاد الي بغداد
بعد ان قرر أمر الفاضل هلي مبلغ من المال . فاما الفاضل فانه صحح المال
المقرر بعد اصعاده واقام في داره الي ان وافي ابو جعفر .

ونظر ابو الحسن العروضي في نيابة الوزارة - عن ابن ماسرجس نخافه
الفاضل وكاتب بهاء الدولة يسأله حسن التعطف والحراسة فعاد جوابه بالجميل
ورُسم له الانحذار فانحدر ولما وصل الي المعسكر قبض عليه وسلم الي ابن
ماسرجس فاستقصي ^(١٠٦) عليه في المطالبة لما اخذ عليه من نوبة البصرة
ونسبها اليه وكان بريئا منها .

واما أبو عبد الله العارض فانه خاف بعد اصعاده فاستشار نصحاءه في
أمره وقال : لست أحب الحرب فاجعل لنفسك حديثا ولا الاسترسال .
فأطرق غلبتها

﴿ ذكر رأى سديد اشير به على العارض فكان سببا لنجاته ﴾
قال له علي بن عيسى صاحب البريد : اذا كان هذا اعتقادك فكيف
تسمح بذهاب ما في دارك من الآلات ومن النلمان ؟ قال : نعم . قال :
فاعبر الي الجانب الشرق كأنك زائر والدتك ودع دارك وحاشيتك علي
ما هي وهم عليه وانا احضر في كل يوم والقي الناس فيها عنك واكتب كتب

النوبة الى بهاء الدولة واذا حضر من يجوز الاعتذار اليه وانا قاعد اعتذرت اليه بنومك أوصلاتك ومن وجب ان أقوم وأدخل الحجره كافي أستاذك وأخرج اليه بمثل العذرة وت واذ رأى الناس ذلك ظنوك حاضراً وأنت في الباطن مستظمر . فاستصوب ذلك وعمل به واندرج الامر على هذا ايأما تم كبست الدار لطالبه والقبض عليه فلم يوجد . ودبر أمره في ^(١٧٧) الخروج من البلد مستترا وحصل بالطيعة وأقام بها مدة وأصلح حاله مع بهاء الدولة وأصعد الى واسط . ونظر في دواوين الانشاء والبريد والحماية وفيها حجج بالناس أبو عبد الله ابن عبيد العلوى .

وحمل بدر بن حسنيه خمسة آلاف دينار مع وجوه القوافل الخراسانية لتصرف في خفارة الطريق عوضا عما كان يجيء من الحاج في كل سنة وجعل ذلك رسماً زاد فيه من بعد حتى بلغ تسعة آلاف دينار . وكان يحمل مع ذلك ما ينصرف في عمارة الطريق ويقسم في أولاد المهاجرين والانصار بالحرمين ويفرق على جماعة من الاشراف والفقراء والقراء وأهل البيوتات في مدينة السلام بما تكتمل به المبلغ عشرين الف دينار في كل سنة . فلما توفي انقطع ذلك حتى أثر في احوال اهله ووقف امر الحج

ونحن نذكر ههنا طرفاً من افعال بدر وآدابه يستدل به على حزم الرجل ودهائه . فنقول ان من شرط الولاية المستقيمة ان يكون صاحبها عالماً بالسياسة قائماً للجند عادلاً بين الرعية خيراً بجمع المال من حقوقه بصيراً بصرفه في وجوهه راغباً في فعل الخير ملتزماً بطيب الذكر ثابت الرأي في الخطوب رابط ^(١) الجأش في الحروب على ان انتفاع ذوى الولاية بالرأى ^(١٠٨)

السيد أكثر من انتفاعهم بالبأس الشديد فان ذا البأس يقاوم رجالا وعشيرة
وذو الرأي يقاوم أمة كثيرة

الرأى قبل شجاعة الشجمان * هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتماعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان^(١)

وقد كان بدر جامعا لهذه الخلال الحميدة والافعال الرشيدة فانه ساس
قومه وهم البرزيكان^(٢) شر طائفة في ظلمهم وعدوانهم وبغيهم وطغيانهم
سميا في الارض بالفساد وقطعا للسبل واستباحة الاموال وسفك الدماء
ولى عليهم وقد استولوا على تلك الاعمال يسومون أهلها سوء العذاب
ويذيقونهم ممرات البلاء والعقاب على طريقة من قال الله تعالى
فيه : « واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله
لا يحب الفساد ». فداوى داءهم وكف بلاءهم واستدنى من الاكراد من
كانوا ضدا لقومه فاستعان بهم عليهم فطهر الارض من ظلمهم غير مبق على
أصرة ولا ملتفت الى رحمة متشجرة فبدد شمامهم وفرق جهمهم .
{ ذكر مكيدة عملها بدر لقومه^(٣) }

قيل انه لما طالأت أسباب الفساد وكاد الحرث يبطل في تلك البلاد عمل
سماطا وأمر بان يقدم عليه من جميع الالوان المطبوخة باللحمان (وكانوا
أصحاب أغنام) وان لا يترك على السماط خبز بقة ثم أحضرهم فجلسوا
وأيدبهم لا تصل اليه توقعا للخبز فلما طال الامر بهم قال لهم : ما سكم
لا تأكلون . قالوا : ننتظر الخبز . قال : فاذا كنتم تعملون انه قوت لا بد منه
فالكتم قد أعلكتكم الزرع قبعوا لوجوهكم وتبسا لافعالكم ! وأقسم لان

(١) ورد البيتان في ديوان الذي طبع بران ١٨٦١ ص ٥٩٤ (٢) وفي الاصل : البرزيكان

تعرض أحد منكم لصاحب زرع ليقابلنه بسفك دمه . وأبرّ قسمه بقتل
العدد الكثير منهم وأخذ الباقين بالهية وساسهم بالغلظة ولم يفض لهم عن
الحياة اليسيرة حتى تهذبت الامور

﴿ ذكر سياسة بلينة من أفعاله ﴾

قيل انه اجتاز في بعض مرتجلاته برجل متحطب قد حط حمله عن
ظهره على طريق وان بعض الفرسان أخذ منه رغيفين كانا معه فلما حصل
بازائه قال : أيها الأمير اني رجل متحطب وقد كانت معي رغيفان أء دتہما
لاتفدى بهما فيقوياني على حمل الخطب الى البلد^(١) فايمة فاعود بشئني الى
العيال وقد اجتازني أحد الفرسان وغصني اياهما . فقال له : هل تعرف
الرجل ؟ قال : نعم بوجهه . فجاء به الى مضيق جبل وأقام عنده حتى اجتاز
عليه المسكر جميعه وجاء صاحبه فعرفه فامر بدر بحطه عن فرسه والزامه
حمل الخطب على ظهره الى البلد والدخول به الى السوق وبيعه وتسليم ثمنه الى
صاحبه جزاء على فعله . وكان الرجل موسرا فرام ان يفندي نفسه بمال
وزاد حتى بذل بوزن الخطب دراهم فلم يقبل منه وألزمه فل ما عزم به عليه
فقامت الهية في النفوس فلم يقدم بعدها أحد من أصحابه على أذية
وأما بصره بوجوه المال فانه عمّ وعدل فدرّت عليه ضروع الاعمال
وجمع من الذخائر والاموال من بلاد محدودة محصورة ما لا يكاد يجمع مثله
من ممالك واسعة . ولو لم يكن الا ما أخذه فخر الملك أبو غالب ابن خلف
من قلعتہ^(٢) لكان عظيما

(١) يعني دزیز فی معجم البلدان ٢ : ٥٧٢ : دزیز اسم قلعة مدنة ساہور خواست

دزیز ومنها أخذ فخر الملك أبو غالب أموال بدر بن حسنويه المشهورة

﴿ ذكر رأى سيد في تدبير الاعمال ﴾

كان من حسن تدبيره انه يحفظ الارتفاع من كل ثلم ثم يفرّد العشر منه ويجعله موقوفا على المصالح والصدقات . وأخذ عماله بتوفية أمواله ^(١١) أشد أخذ ويخلدhem الحبس على الخيانة فان علم ان عجز المال كان عن آفة وان العامل اتقى الجيب من خيانة أعطاه من مال الصدقة ما تبرأ به ذمته من الضمان ويستعين ببعضه على الزمان فلا يقدم أحد على تجاوز الطريقة المرضية في أداء الامانة وتجنب الخيانة . وأما بصيرته بصرف الاموال في وجوهها فقد تقدم ذكر ما كان يحمله في كل سنة بطريق مكة وكانت له صدقات كثيرة في بلده وأتقى أمواله في اخذ المصانع وعمل القناطر واستخراج الطرق في الجبال لوارد وصادر فتذلت بعد ان كانت مانعة ودنت المسافات بعد ان كانت شاسعة مع حزم كامل في الاتفاق

﴿ ذكر ما دبره في أمر النفقات على القناطر والطرق ﴾

كان اذا بدأ بعمل من هذه الاعمال أقام من قبله عنده سوقا جامعة لسائر ما يتباع في البلد ان وجب اليها جميع ما يحتاج اليه من الاصناف بارخص الأثمان فاذا قبضت الرجال سلفا من الورق صرفوه في تلك السوق على اختلاف أجناس ما يتاعونه باليمن الوافي فيجمع جميعه ^(١٢) فكان ما يخرج في أول الاسبوع من الخزائن يعود اليها في آخر الوقت اليسير الذي يتصل مع بعض الرجال ممن يقدر على نفسه في النفقة .

فبقيت له الآثار الحميدة والاحاديث الجميلة قال الله تعالى : وما عند الله خير وأبقى . وقال تعالى : ولآخرة خير لك من الأولى . وأما حسن تدبير الخطوب فله في ذلك أخبار مشهورة منها ما دبره عند وصول

رسول يمين الدولة أبي القاسم محمود بن سبكتكين رحمه الله الى الري
﴿ ذكر رأى سديد في اقامة هية ﴾

قيل ان رسولا لمحمود وصل الى الري عند استيلاء السيدة على الامر
مهديا بالمسير اليها وكانت لا تحمل ولا تعقد الا بمشاورة بدر فكتبت اليه
بما تجدد فاشار عليها بانفاذ الرسول اليه ليتولى هو جوابه . ثم رتب طوائف
الاكراد وأصناف العساكر وأمرهم ان يزلوا بجللهم بطول الطريق من
باب الري الى سابور خواست^(١) ويظهروا عند اجتياز الرسول بهم عددهم
وأسلحتهم ويأخذوا زينتهم ويسيروا به من حلة الى حلة ومن عسكر الى
عسكر حتى يوصلونه اليه فعملوا ذلك .

ورأى الرسول في طريقه من^(١٣) العساكر ما هاله فلما وصل اليه
رأى من حزمه ودهائمه وحسن تدبيره ورأيه ما ازدادت به هيئته في صدره .
وأجاب عن الرسالة بما أشار به الى الاستمرار على طريق المسالمة واجراء
الامر على ما كان عليه من قبل مع أصحاب خراسان فعاد الرسول الى الري
وكتب الاجوبة حسب ذلك وانصرف الى خراسان وأخبر بما شاهده
فكان ذلك طريقا الى الكف والموادعة .

وأما مكايده في الحروب وبصيرته بامورها فقد تقدم من ذكر الوقعة
التي جرت بينه وبين قراتكين الجهمشيارى على أخذ شرف الدولة ما يدل
على صرامته وله بعد ذلك مقامات مشهورة . فلما انقضت مدته وتناهت
سعادته لم ينفعه ماله ولا رجاله ولم تدفع عنه حزامته ولا احتياله قتل أقل
الجند وأذلهم ومغضى رخيصة

العَوَّلُ القَابُ الارِيبُ ولا * يدفع ريبَ المنيّةِ الحِيلُ
واذ قضينا من ذكر أخباره الشاذّة وطرامع التبرأ من عهده صحتها
فقد عدنا الى سياقة التاريخ^(١)

﴿ودخلت سنة سبع وثمانين وثلثمائة﴾

وفيها تغير أمر أبي علي ابن اسمعيل ووكل به في دار المملكة ثم أفرج^(١١٤)
عنه واستتر

﴿ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك﴾

لما ورد أبو جعفر الحجاج ساء ظن أبي علي ابن اسمعيل ثم اتصل به
من واسط ما حقق ظله فأقام في دار المملكة . لمتجئاً الى القهرمانة وتالطف
أبو جعفر له طمعا في ان يصير اليه فلم يفعل فانفذ من وكل به في موضعه .
وتردد بينه وبين القهرمانة قول كثير انتهى آخره الى ان كتبت خطأ بتسليمه
وانها تتمثل ما يرد اليها في معناه فصرف التوكيل حينئذ عنه . وأُنْضِد ابن
اسمعيل الى بارسطفان وبدرك ووضعهما على ان جما جمعا كثيرا من الغلمان
وصاروا الى تحت دار أبي جعفر وراسلوه وقالوا له : قد كانت أحوالنا مختلفة
وأموالنا متأخرة الى ان جاء هذا الرجل فتلافى أمرنا بحسن التدبير وقد
حاوات الآن بورودك القمض عليه وازالة هذا الترتيب ونحن لا نمكّن منه

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : في الحرم ادعى أهل
البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتا طريا بثيابه وسيفه وانه الزبير بن
الدوام فاخرجوه وكفنوه ودقنوه بالمربد وبنوا عليه وعمل له مسجد ونقلت اليه القناديل
والبسطة والقوام والحفظة قام بذلك الامير أبو المسك فالله أعلم من ذلك الميت

ونكاتب الملك بشرح الاحوال وان دعتنا حاجة الى الانحدار اليه انحدرنا.
وتردد في ذلك ما طال وأفضى آخره الى رد خط القهر مائة اليها والاتفاق
على خروجه ونظرة ومكاتبه الملك بما عليه الاولياء من ايثاره . فلما كان من
غد خرج أبو^(١٥) على من الدار وقصد أحد وجوه الاتراك واستتر عنده
ونظر أبو الحسن العروضي في النياية عن أبي العباس ابن ماسرجس
وتشاغل أبو جعفر بتقرير ما بينه وبين أبي حسان المقلد بن السيب

﴿ ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك ﴾

أثقف المقلد الى أبي جعفر في أمر الصالح وبذل له البذل على حكمه فيه.
فاستقر بعد مراجعات ومنازعات على ان يصحح المقلد عشرة آلاف دينار
وتحمل الى الخزانة بواسطة. ويقود معها خيلا ويرفع يده عن الاقطاعات
ويقنع بما يقرر له من رسوم الحماية عنها ويمكن العمال من المحلول ويشد
منهم في استيفاء الحقير السلطانية ويفرج عن الدلم المأسورين ويخطب لابي
جعفر بالموصل بعد بهاء الدولة ويحمل في كل سنة الف الف درهم غيائية
عنها وعلى ان يخلع على المقلد الخلع السلطانية من دار الخلافة ويكنى ويلقب
بحسام الدولة ويحمل له اللواء ويقدم له بهاء الدولة على الموصل والكوفة
والقصر والجامعين ويقدم زعيم العرب، ويقطعه بالف الف درهم غيائية من
المحلول . فاجيب الى ما التمسه وجلس القادر^(١٦) بالله رضوان الله عليه
لذلك على العادة .

ولم يف المقلد بجميع ما أشرطه على نفسه الا بحمل المال المعجل واصلاق
الدلم المأسورين ثم استولى على البلاد فقصد العكبات والمتصرفون
والامائل وخدموه وبذل قدره واستفحل أمره

وفيهما توفي الملاء بن الحسن بمسكر مكرم وورد أبو الطيب الفرخان
وبعده أبو علي ابن أستاذ هرمز شیراز

﴿ ذكر ماجرى عليه الامر بعد وفاة الملاء بن الحسن ﴾

قد تقدم ذكر خروج الملاء الى عسكر مكرم في آخر الغلمان المائدين
من ارجان مع أبي محمد ابن مكرم ومقامه بها مرتباً للامور ثم جاءه أمر الله
الذى لا يدفعه وورد المهمل الذى لا محيد للبشر عنه . فلما انتهى الخبر الى
صمصام الدولة أنفذ أبا الطيب الفرخان بعد ان استوزره لیسد مسدده فورد
ولم يكن منه ما ظن فيه فبان منه العجز والقصور وتقاعد به الديلم وملك
أصحاب بهاء الدولة السوس وجنديسابور . وعرف صمصام الدولة ماجرى
فاقتد صاحب أبا علي ابن أستاذ هرمز وأصحابه مالا فقرقه على الديلم وسار
بهم الى جنديسابور ودفع الاتراك عنها وجرت مع الاتراك وقائع كثيرة
كانت اليد الطويلة لأبي علي فيها حتى أزالهم عن بلاد^(١٧) خوزستان
وعادوا الى واسط . فخلت له البلاد ورتب فيها العمال وجمع منها الاموال^(١٨)
وتأمل حال الاقطاعات بها . جفرى بين سيامرد بن الجعفر وبين عامل لأبي
علي تنازع في حديق وارفعم النزاع فيه اليه فأرسل سيامرد في القول
بمجلسه فقاطعه

﴿ ذكر تدير يدل على قوة نفس وشهامة ﴾

أمر أبو علي ان يعمل عملاً بما في يد سيامرد ودادود ولده وأبي^(٢٠) على
ابن بلعباس فاشتمل العمل على مائة الف دينار وزيادة فاحضر الثلاثة
المدكورين وكتبهم للدوافقة ثم عدل بهم الى حجرة وقبض عليهم وقيدوا

(١) وفي الاصل الاتراك (٢) وفي الاصل : أبا .

وأخرجوا بعد أيام على النفي الى بلاد الديلم . وجعل اقطاعهم الخمسة رجل من الديلم الا صاغر وثلاثمائة رجل من الاكراد بعد ان أفرد منه شيئاً للخاص فتكنت هيئته في الصدور وتضاعفت قوته في الامور وتألف قلوب الديلم وراسل وجوه الاتراك الذين مع بهاء الدولة واستمالهم فاجابه بعضهم وصار اليه من جاتهم قراتكين الرجيح فلأعينه وقلبه بالاحسان .

واستمرت أحواله على الانتظام والتمكن من أعمال خوزستان من غير منازعة الى ان عاد أبو محمد ابن مكرم والاتراك من واسط . فلما عرف أبو علي ابن استاذ هرمز رجوعه استعد للحرب وجرت بينهم^(١١٨) مناوشات ووقائع . ولم يكن لللمان قدرة على ازالة الديلم من قصبات البلاد وأشرفوا على الانصراف ثانيا الى واسط حتى خرج أبو علي ابن اسمعيل من البطيحة وسير بهاء الدولة من القنطرة البيضاء وكان من الامر ما يأتي ذكره في موضعه

وفيهما كتب أبو جعفر الحاج بالمسير من بغداد لقصد أبي الحسن على ابن مزيد وسار ابن ماسرجس من واسط لذلك

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر مع أبي الحسن على بن مزيد ﴾

كان على بن مزيد قد استوحش من بهاء الدولة بسبب مال طواب به فكاشفه بالخطاب وانتسب الى طاعة صمصام الدولة وأقام الخطبة له وأطلق لسانه بكل ما يوجب السياسة الامساك عنه وانبسط بنو أسد في الغارة على نواحي واسط . فعاظ بهاء الدولة فعله وعرض من أمر المقلد ما استقل به عن غيره فلما استقرت الحال معه كتب بهاء الدولة الى أبي جعفر بالمسير الى ابن مزيد من بغداد وسير أبا العباس ابن ماسرجس من واسط فاجتمعا .

واندفع أبو الحسن على بن يزيد من بين أيديهما معصما بالآجام وتتبعاه
فراسلها واستطفاها وسأل اصلاح أمره مع بهاء الدولة وبذل على ذلك
بذلا . وكان الامر قد ضاق بهما ^(١١) في المقام وتمذّر عليهما وعلى العسكر
نقل المير لبعدهم عن السواد فكتبابهاء الدولة في أمره وسألاه الصنفح
عنه واقتراره على ما يتولى الخدمة فيه فاجاب الى ذلك وسار أبو جعفر وابن
ماسرجس الى الكوفة فاما أبو جعفر فانه عاد الى بغداد واما ابن ماسرجس
فانه أقام بالكوفة مستوحشا ثم صار الى المقلد ومضى من عنده الى البطيحة .
وفيها توفي فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة بالري

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر بعد وفاة نخر الدولة ﴾

لما اشتدت العلة به أصعد الى قلعة طبرك فبقي أياما يمل ثم مضى
لسبيله . وكانت الخزان جميعها مقفلة ومفاتيحها قد حصت عند ابي طالب
رسم ولده الملقب من بعده بمجد الدولة فلم يوجد ليلة وفاته ما يكفّن به لتصور
الايدي عما في الخزائن وتمدر النزول الى البلد لشدة الشغب حتى ابيع له
من قيم الجامع الذي تحت القلعة ثوب افّ به . وجاء من الشغل بالجند
ومطالبهم العنيفة ما لم يمكن معه حطه سريعا فأراح حتى لم يمكن القرب من
تابوته فشُدّ بالجبال وجُرّ على درجة القلعة حتى تكسّر وتقطع

وذكر انه خلّف من العين والورق والجواهر سوى الثياب والسلاح
والآلات ما يزيد على ^(١٢) عشرة الف الف درهم فكان نصيبه من
أمواله الثوب الذي كفّن فيه وعاقبته من أيامه اليوم الذي حطّ فيه . فما
أقله من نصيب مبخوس وأشأمه من يوم منحوس فما أغنى عنه ماله

وما كسب ثم ربه ألبم بما صار اليه من شقاوة أو عوقق أو سعادة أو سوح
ورتب أبو طاب رستم ولده في الامر وسنه اذ ذلك أربع سنين
فاخذت له البيعة على الجند وأطلقت له الاموال الكثيرة حتى قيل ان
الامر أعجلهم عن حط المال من القاعة على رؤوس الرجال فخطوه بالزبل
والبكر والحبال .

والوزيران يومئذ هما أبو العباس الضبي المتلقب بالكافي الاوحد
وأبو علي ابن حمولة المتلقب بأوحد الكفاة وبينهما أشد عداوة . فبسط أبو علي
ابن حمولة يده في اطلاق الاموال واستمالة الرجال فالت قلوب الجند اليه
ووقعت أهواؤهم عليه وامتنع أبو العباس الضبي عن مثل ذلك الا أنه معظم
لميزله المتأثرة وقدمه المتقدمة

فتجدد من ورود قابوس بن وشمكير الى جرجان واستيلائه عليها ما وقع
الخوض في تدبير خطبه ^(١)

﴿ ذكر عود قابوس الى جرجان وما جرى الامر معه عليه ﴾

كان فخر الدولة عند استقراره في الملك عزم على رد قابوس الى أعماله
قضاء ^(٢) لحقه ومقابلة على احسانه فصده ابن عباد عن رأيه وكثر ارتقاعها
في عينه فوق هذا القول في سماعه لشج مطاع كان في طبعه . فلما مات
كاتب أهل جرجان الى قابوس وهو بنيسابور يستدعوه فصار الي بلادهم
وملكها وورد الخبر الى الري بذلك فجرت في ذلك منازعات في الرأي
وكاتب بدر بن حسنويه بسببه

(١) أما الوزيران فليراجع ارشاد الايوب ١ : ٧٣ وترجمة قابوس فيه أيضا : ٦٤٣

﴿ ذكر جواب سديد لبدر خواف رأيه فيه ﴾

قال : ان الامير الذي ورث هذا الملك حدث السن ولا ينبغي ان يضعيم ماله وذخائره فيما لا تنفعه عواقبه ومصايره والصواب ان تترك الامر على حاله فان بك نجيبا على ما عهد من خلا أقي آبائه قدر على ارجاع ما أخذ منه وأن ضف عن ذلك لم تكونوا جعتم عليه (ذهاب) ماله وذهاب أعماله . فخالقوا رأي بدر وجردوا العساكر وأشاد أصحاب أبي علي ابن حمولة ونصحواؤه عليه بالخروج في هذا الوجه واستصحب الخزائن والاموال وقالوا : انك اذا حصلت بجرجان وملكتها كنت أميراً لا وزيراً وكانت الحاجة اليك داعية والآمال بك متعلقة وبعدت عن الحضرة التي أنت فيها مجاذب على المنزلة . وغبي^(٤٢٢) ان قاعدة غيره التي يبني عليها أمره هي تلك الحضرة والى من يزاحمه في الرتبة يترب به الفرصة في نقصها لسن هيئات قيامه عليها واذا بعد عنها اسرعت اليد الهادمة اليها . فعمل فيه قول هؤلاء النصحاء المجتمعين عليه وسار بالخزائن والاموال لامر تسوقه المقادير اليه وحصل بين عدوين أحدهما أمامه لا يعلم ما يكون منه معه وآخر وراءه يقصد مقاتله .

ووافي قابوس وتضافا في الحرب فما كانت الاحملة واحدة من أصحاب قابوس حتى انهزم أصحاب أبي علي ابن حمولة وغنم قابوس وأصحابه غنمة كثيرة وعاد الى جرجان . وثبتت قدمه بأحسن السيرة ورفع الرسوم الجارية والضرائب المأخوذة .

وعاد أبو علي الى الري مقلولا ووقع الشرع في تجريد العساكر ثانيا الى جرجان فقال أبو علي : قد خرجت نوبة وهذه نوبة أبي العباس الضبي .

وتردد في ذلك قول كثير ثم أجمع رأي السيدة ورأي بدر بن حسنويه على صرف أبي علي بن حمولة والقبض عليه .

﴿ ذكر ما جرى الامر عليه في القبض على ابن حمولة ﴾

حضر أبو عيسى سافري بن محمد كاتب بدر مظهرا تجديد العهد بالخدمة^(١٣٣) واجتمعت الجماعة في دار الامارة وخلوا في الحجرة الركنية لتقرير أمر من يخرج الى جرجان فاتفق ان ابن حمولة نهض لحاجة يقضيها فاتبعه بن عدل به الى موضع في الدار وقيد وانصرف أبو العباس الضبي الى داره وأبو عيسى الى دار علي بن كامة وكانت برسمه وهي طرف البلد . وشاع خبر القبض على ابن حمولة فثار الديلم وقصدوا دار أبي عيسى ليهجموا عليه فهدم حائطاً منها يلى الصخراء وخرج منه وركب وتبعه أصحابه ووقف على قرب من البلد حتى أخرج اليه ابن حمولة فسار به الى بلاد بدر وجبسه في بعض القلاع^(١١) وأنفذ اليه من الري بعد أيام من تولى قتله

وأقام الديلم على شغب ونهبوا دار أبي العباس وطالبوا بتسليمه وانتضت الحال عند تقادم الامر القبض عليه فتمل ذلك وحمل في عمارية وهو مقيد وقد أخرجت رجله منها ليشاهد القيد فيها بحضرة العسكر وأصعد الى قلعة طبرك . وكان الجند قد هموا بالقتك به وكف الله سبحانه وتعالى أيديهم عنه وألقى في قلوبهم هيبه منه فلما حصل في القلعة راسل أكابر الديلم واستألمهم وأصاحوا له قلوب أصاغرهم واجتمعوا بعد ثلاثة أيام وتشاوروا بينهم وقالوا : قد مضى ذلك الوزير الذي قد فعلنا هذا الفعل لاجله ولا يجوز ان تتعوض عن أبي العباس^(١٣٤) مع رياسته المأثورة وكفايته المشهورة بغيره .

(١) وفي ارشاد الاربيب ١ : ٧٣ هي قلعة استوناوند

فصاروا الى دار الامارة وخاطبوا السيدة على ذلك فاستقر الرأي على خروجه ونظره فخرج في اليوم الرابع من القلعة وتلقاه الناس على طبقاتهم بتقيل الارض واطهار السرور . وسيأتي ذكر ما جرى عليه أمره من بعد في موضعه .

وفيه قبض المقلد بن المسيب على أخيه بالموصل
﴿ ذكر القبض على علي بن المسيب والافراج عنه ﴾
﴿ وما جرى في ذلك من الخطوب في هذه ﴾
(السنة وما بعدها ليتسق الحديث)

قد تقدم ذكر ما تقرر بين عليّ والمقلد في أمر الموصل والمشاركة فيها وما وقع من الخلف بين أصحابهما . فلما عاد المقلد من سقي القرات الى الموصل عزم على الفتك بأصحاب أخيه ثم علم انه متى فعل ذلك بهم فعل على بأصحابه مثله فتوى رأيه في القبض على أخيه . وكان مع المقلد من الديلم والاكراد وغيرهم نحو ثلاثة آلاف رجل تطلق لهم الارزاق في كل شهر فعين عزم على ما عزم عليه جمعهم الى داره وأظهر بانه يريد السير الى دقوقا^(٢٢٥) وحافهم على الطاعة واستوثق منهم

﴿ ذكر الحيلة التي عملها المقلد في ذلك ﴾

كانت دار المقلد متصلة بدار علي ولم يكن مع علي الا نحو مائة رجل من خاصته فامر بالقبض الى الموضع الذي هو فيه في ليلة علم فيها انه سكران ودخل اليه ومعه عدة من خواصه فجعله على ظهر أحد الفراشين وحصله في خزائنه ووكل به جماعة من غلمانه الاتراك . واستدعى في الحال غلامين من البادية وسلم اليهما فرسين جوادين وأرسلهما الى صاحبه يقول لما : اني

قد قبضت على عليّ فخذيّ حذرَكَ واسرعى في الحال بولديكَ قرواش
وبدران الى تكريت فان أحمد بن حماد صديقي وهو يدفع عنكم ولا تخلفي
ما تخلفينه وراءك في الحلة قبل ان يعرف أخي الحسن الخبر فيبادر اليك
ويقبض على ولديكَ . فكّد الغلامان فرسيهما ركضاً وتقريباً ووصلا الى
تكريت في يومهما عند غروب الشمس وجلسا من تكريت في ركوة وانحدرا
الى موضع الحلة وكانت على أربعة فراسخ منها فانذرا المرأة وأدبا اليها الرسالة.
فركبت فرساً وأركبت ولديها فرسين وهما يومئذ صغيران وساروا في الليل
الى تكريت فدخلوها .^(١٢٦) وعرف الحسن بن الحسين حال القبض على
أخيه من غلام أسرع اليه من الموصل بالتبليغ فبادر الحسن الى حلة المقلد
ليقبض على ولديه وأهله وعنده انه يسبق اليهم فماتوه وبطل عليه ما قدره
من ذلك

وقام المقلد بالموصل يستدعي وجوه بني عقيل ويخلع عليهم ويقطعهم الى ان
اجتمع عنده زهاء ألفي فارس . وقصد الحسن حال العرب باولاد علي وحرمه
يستغيثون ويستنفرون ويقولون « ان المقلد قطع الرحم وعادي العشيرة وقبض
على أميرها وانحاز الى السلطان » فنفر منهم نحو عشرة آلاف رجل وراسل
المقلد وقال : انك قد احتجرت عنا بالموصل واقمت فان كان لك قدرة على
الخروج فاخرج . فاجابه بأنه يخرج ولا يتأخر وسار على اثر الرسول وأخرج
معه علياً أخاه في عمارية وهو محروس في نفسه مراعي في أحواله الا انه
مستظهر عليه بالتوكيل . وقرب من القوم حتى لم يبق بين الفريقين الا منزل
واحد بازاء الملت وجد في امر الحرب فحضره وجوه العرب واختلفت
آراؤهم فقوم دعوه الى الصالح وصلة الارحام وقوم حضوه على المضي

والاقدام . وكان في القوم غريب ورافع ابنا محمد بن مقن فتنازعا القول عند المقلد وظهر من رافع حرص على الحرب وخالف غريب^(١)
﴿ ذكر كلام سديد لغريب^(٢٧) ﴾

قال لرافع : ما قولك هذا بقول ناصح أمين ولا ناصر معين فان كنت في هذا الرأي عليه فقد أخبرت الامانة وأظهرت الحياة وان كنت معه فقد سعت في تفريق الكلمة وهلاك العشيرة واطماع السلطان . والمقلد ممسك لا يتنفس^(٢) فدخل عليه داخل وقال له : أيها الأمير هذه اختك رهيلة بنت المسيب (وكانت عند جعفر بن علي بن مقن) قريبة منك تريد لقاءك . فامتدت الاعين اليها فاذا هي في هودج على بعد فركب المقلد وسار حتى لحق بها وتحادتا طويلا ولا يعلم أحد ماجري بينهما الا انه حكى فيما بعد انها قالت له : يا مقلد قد ركبت مركبا وضيقا وقطعت رحلك وعققت ابن أهلك فراجع الاولى بك واخل عن الرجل واكفف هذه الفتنة ولا تكن سببا لهلاك العشيرة ومع هذا فاني أختك ونصيحتي لاحقة بك ومتي لم تقبل قولي فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب . فلان في يدها ووعداها باطلاق علي وعاد في وقته فأمر به فكيدته ورد عليه جميع ما كان أخذه منه وأضاف اليه مثله ورتب له مخيما جميلا ونقله اليه واستكتب له أبا الحسن ابن أبي الوزير وجعله عيناً عليه متصرفا على أمره بين يديه

فأصبح الناس مسرورين بما تجدد من الصلح وزال من الخلف واجتمع المقلد مع علي وتحالفا ومضى علي^(٢٨) عائداً الى حلقته والمقلد سائراً الى الانبار

(١) وأما غريب ففي ارشاد الارب ٢: ١٠٣ انه كان بعد الاربع مائة صاحب البلاد العليا تكريت ودجيل وما لاصقها. (٢) يريد لا يتنفس

لقصد ابي الحسن علي بن مزيد ومقاتلته . فقد كان تظاهر بمصيبة علي حين قبض عليه المقلد وطرق اعمال بقي الفرات واجتذب شيئاً منها

ولما انفصل علي بن المسيب اجتمع اليه العرب وحملوه على مباينة المقلد فامتنع عليهم وقال : ان كان قد أساء فانه قد أحسن من بعد فما زالوا حتى غابوه على رأيه وأصعد الى الموصل مباينا واعتصم من كان معه من أصحاب المقلد بها بالقلعة فنازلها وفتحها واستولى على ما كان فيها . فطار الخبر الى المقلد فكرر راجعاً واجتاز في طريقه على حلة الحسن وهو فيها فخرج اليه وشاهد من قوة عسكريه ما خاف على أخيه منه فقال له : دعني أصلح ما بينك وبين أخيك وأضمن لك العهد فيما تريد منه . ورفق به حتى استوقفه وسار في الوقت الى علي من غير ان يعود الى حلة فوصل اليه آخر النهار وقد جهد نفسه وفرسه وقال لعلني : ان الاعور قد أقبل بقضه وقضيضه وأنت غافل . ثم شاوره فأشار عليه ان يستميل كل من الموصل من أهالي الجند الذين هم في حلة المقلد ويضعهم على [توسط] ما كان بينهم واستمالهم فان قبلوا وفارقوا المقلد قاتله وان أمتنعوا وأقاموا معه صاخة ففعل ذلك .

وكان المقلد قد قرب من الموصل وبات وهو متيقظ قد رتب الطلائع فظفر يقوم قد وردوا بالمطافئ الى اصحابه فحملوهم اليه ^(١٢٩) ووقف على ما معهم من الكتب فاصبح وقد عبي عسكريه وزحف الى الموصل وأيس علي والحسن من فساد جند المقلد عليه فخرج اليه ولاطفه ^(١٣٠) ثم دخل البلد وعلى عن يمينه والحسن عن شماله . وناول العرب بعضهم بعضاً طلباً للفتنة فخرج الحسن حلاً وأرهب قوما وحسم الفتنة وحصل جميع الناس بالموصل على صلح

ثم خوف على من المقام فخرج هارباً في الليل وتبعه الحسن وترددت
الرسل بينهما وبين المقلد واستقر ان يكون دخول كل واحد منهما البلد عن
غية الآخر وحمرت الحال على ذلك الى بقية سنة ٣٨٩ . وسار المقلد الي
الانبار ممصيا لما كان عزم عليه من حرب على بن مزيد فدخل بلده . واندفع
على بن مزيد الى الرصافة ولجأ الى مذهب الدولة فقام بامرءه وتوسط ما بينه
وبين المقلد حتى أصلحه وانصرف المقلد الى دقوقة ففتحها . وعدل الى تدبير
أمر الحسن أخيه فان عليا مات في أول سنة ٣٩٠ وقام الحسن في الامارة
مقامه . فجمع المقلد بني خفاجة بجلهم وبيوتهم وأصعد بهم الى نواحي برقيع
يظهر طالب بني نمير ويطن الحيلة على أخيه . وعرف الحسن خبره فخاف
ومضي في السر هارباً على طريق سنجار الى العراق فأسرى خلفه طمعا في اللحاق
بفاته وعاد المقلد الى الموصل وأقام بها ثلاثة^(١) أيام وانحدر يقص آثاره
ففضى الحسن الى زاذان واعتصم بالعرب النفاضة وتم المقلد الى الانبار
وعادت خفاجة معه . فاتفق في أمره ما سيأتي ذكره في موضعه ان شاء الله
وفيها عاد الشريف أبو الحسن محمد بن عمر الى بغداد نائبا عن بهاء الدولة
وفيها استكتب ولد أبي الحسن ابن حاجب النعمان للامير ابي الفضل
ابن القادر بالله رضي الله عنهما وجلس الامير أبو الفضل وسنه يومئذ خمس
سنين فدخل اليه الناس وخدموه^(٢)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي سنة ٢٧٢ وولد أبو الفضل محمد بن القادر
بالله وهو الذي جعل ولي العهد واقب الغالب بالله . وقال ايضا : وفي سنة ٣٨٨ قبض
القادر بالله على كتابه ابي الحسن على بن عبدالعزيز وقد كناه بتة بالعلاء سعيد بن الحسن
ابن برمك ثم بعد شهرين ونصف عزله وأعاد ابا الحسن

﴿ودخات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة﴾

وفيها هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوناب من الاعتقال في دار الخلافة .

﴿شرح حاله وما انتهى اليه أمره بعد هربه﴾

هذا الرجل كان يقرب بالنسب الى الطائع لله وكان مقبياً في داره فلما قبض عليه وخلع من الامر هرب هذا وتنقل في البلاد وصار بالبطيحة وأقام عند مذهب الدولة فكاتبه القادر بالله رضوان الله عليه في أمره^(١) فأخرجه من بلده . ثم صار الى المدائن منتقلاً فانتهى الى القادر بالله خبره فأنفذ من اعترضه وأخذته مقبوضاً عليه وحبس في بعض المطامير . فامكنه فرصة في الهرب من موضعه فهرب ومضى الى كيلان وادعى انه هو الطائع لله وذكر لهم علامات عرفها بحكم أنسه بدار الخلافة فقبلوه وعظموه وزوجه محمد بن العباس أحد أمراءهم ابنته وشدة . منه وأقام له الدعوة في بلده وأطاعه أهل نواح آخر وأدوا اليه العشر الذي جرت عادتهم بأدائه الى من يتولى أمرهم في دينهم . وورد من هؤلاء الجيل الى بغداد قوم وصلوا الى حضرة القادر بالله رضى الله عنه فأوضحته لهم حقيقة الحال وكتب على أيديهم بازالة الشبه فلم يقدح ذلك فيه لاستقرار قدمه واعتضاده بحميه

وكان أهل جيلان يرجعون الى القاضي أبي القاسم بن كج^(٢) في أمور

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمته : يوسف بن أحمد بن كج القاضي الشهيد أبو القاسم الدينوري كان يضرب به المثل في حفظ مذهب الشافعي وجمع بين رئاسة الفقه والدنيا وارتحل الناس اليه من الافاق رغبة في علمه وجوده وله مصنفات كثيرة وكان بعض الناس يفضلونه على أبي حامد شيخ الشافعية ببغداد قتله البيارون

دينهم وفتاويهم في أحكامهم وله وجاهة عندهم فكتب من دار الخلافة
ورسم له كتابتهم بما ينزل الشبهة عن قلوبهم في أمر عبد الله بن جعفر
فكتب اليهم وصادف قوله قبولاً منهم وتقدموا الى عبد الله بالانصراف
عنهم فانصرف

وفيها اصعد أبو علي ابن اسمعيل من البطيحة الى حضرة بهاء الدولة
فانصرف الشريف أبو الحسن محمد بن عمر من بغداد مستوحشا وعاد الى
البطيحة (٤٣٢)

﴿ ذكر الحال في حصول أبي علي ابن اسمعيل ﴾

﴿ بواسط ناظرا وما جرى عليه أمر ﴾

(الشريف أبي الحسن ابن عمر معه)

قد تقدم ذكر ماجرى عليه أمره في استتاره ثم تنقل من موضع الى
موضع حتى حصل بالبطيحة وعرض له مرض حدث به منه استرخاء في
مفاصله وصار الى قرية ابراهيم يطلب صحة الهواء بها . وراى وروسل
وكان بهاء الدولة جميل الثبة فيه وانضاف الى ذلك قصور المواد عنه وخروج
البلاد عن يده واحتياجه الى من يدبر أمره واستقر النظر لأبي علي وأصعد
الى واسط . فلما حصل بها استوحش الشريف أبو الحسن ابن عمر وانصرف
من بغداد الى حلة مقلد ورتب أبا الحسن ابن اسحق كاتبه في ضياعه بسقى
الفرات وتم الى البطيحة . وشرع أبو علي ابن اسمعيل في تتبع أسباب

بالدينور ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠٥ . رحمه الله تعالى . وهو
صاحب وجه . قال له قتيبة : يا أستاذ الاسم لأبي حامد والعلم لك . قال . ذلك رفعت
بغداد وحطفتي الدينور

الشریف ابی الحسن وأخرج ثلاثة من المتصرفین لقبض أملاكه وممالاته وتحصيل أمواله وغلاته فنظروا فيما كان له ينفد دون ما كان له بقي القرات فان المقلد دفعهم عنها ومكن أبنا الحسن ابن اسحق كاتب ابن عمر منها فكان يتناول ارتقاءها^(٣٣) وبجمله اليه وهو بالبطيحة فلما انصلح ما بين الشریف ابی الحسن وبين ابی علي ضمن منه المتصرفین الثلاثة بماله بذله عنهم وأطلق يده فيهم وكان ذلك لؤما منه فما المؤتمر بالظلم بأظلم من الأمر ﴿ ذكر السبب في صلاح ما بين الشریف ابی الحسن ﴾

(محمد بن عمر وأبي علي ابن اسمعيل)

كان أبو الحسن ابن يحيى السابسي سمي في الصلاح بينهما وانحدر الى البطيحة وخلا بالشریف ابی الحسن ابن عمر وقال له : أيها الرجل مالك والتطرح والتشبث كلما تجدد ناظر ووزير مفرراً بنعمتك ونعمنا في .مادة من لا يصلح لموضعه ولا يصلح لموضعنا ؟ وهذا أبو علي غايل سعادته لأئمة فسأله ودعني أتوثق لسكل واحد .منكما من صاحبه . ولم يزل به حتى لانت عريكته للقبول .

واتفق ان مذهب الدولة تنكر على ابی علي ابن اسمعيل بسبب تمور كانت لابن الحداد صاحبه فاستقصى أبو علي في استقضاء ضريبتها بواسط فاطلق مذهب الدولة لسانه فيه .ومذهب الدولة يومئذ بحيث يحتاج اليه الملك ومن دونه فانحدر أبو علي اليه لاستلال سخيته واستصلاح نيته وتقدمه أبو الحسن ابن يحيى السابسي وقال للشریف ابی الحسن ابن عمر : قد ورد أبو^(٣٤) علي وأمكنك الفرصة في اصلاح الحال . وأشار عليه بتأليه وقضاء حقه فملكاً قليلاً ثم فعل ونزل في زبزه وصار الى ابی علي فلما صعد اليه

أكرمه وقام له وأجلسه الى المخدتين وحضر أبو نصر سابور مجلس الى جانب أبي علي عن يمينه وسلم كل واحد منهما على صاحبه وسأله عن خبره ثم قام الشريف

وانحدر أبو علي الى مذهب الدولة واجتمع معه واعتذر اليه وأخذ معه منه خمسة آلاف دينار على وجه القرض وخرج من عنده الى داره التي كان نزلها قبل الاصباع . وجاء أبو الحسن ابن يحيى الى الشريف وألزمه الدوداليه وقال له : تلك النوبة كانت للتأقي وهذه للصلح وتقرير القاعدة . ففضى اليه وتقرر بينهما على ان التزم الشريف عشرين الف دينار وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء . وكان الشريف أبو الحسن قد استوثق قبل ذلك من بهاء الدولة يمين كتبها له بهاء الدولة بخطه واستظهر بأخذه خط مذهب الدولة في آخرها يقول : ان الوفاء للشريف مقرون بالوفاء لي والغدر به معقود بالغدر بي ومتى عدل به عن العمود المأخوذة فلا عهد لبهاء الدولة في عنقي ولا طاعة علي .

والتفت أبو علي الى تقرير أمر أبي نصر سابور فواقفه على الاصباع وآمنه من بهاء الدولة ومن كل ما يتخوفه وقرر أمر أبي غالب محمد بن علي ابن خلف^(١٣٥) وغيره ممن كان قد بعد خوفا على خمسة آلاف دينار فحصل معه من هذه الوجوه ثلاثون الف دينار . وعاد الى واسط وفي صحبته الشريف أبو الحسن وأبو نصر سابور وجماعة . من كان بالبليحة من المتصرفين وسكنت الجماعة الى صدق وعد أبي علي وصحة عهده ولقب بالموفق

وأشار على بهاء الدولة بالمسير الى خوزستان . ومباشرة الخطب بنفسه وجد في تجريد المساكر نخافه أبو عبد الله العارض في هذا الرأي وقال :

ان الملوك لا تفرّ ولا تخاطر ولا تضمن لها العاقبة في أمثال ذلك

﴿ ذكر ما دبره أبو علي في نصرة رأيه ﴾

أرسل الى الشريف أبي الحسن وقال : اني صائر اليك في هذه المشية وكانت في شهر رمضان ثم صار اليه ومعه أبو العلاء الاسكافي خاله وأبو نصر سابور فافطروا عنده ثم خلوا وخامسهم السابسي فقال أبو علي لابي الحسن ابن عمر : قد علمت أيها الشريف ما عليه أمر هذا الملك من الاختلال وقصور المأدبة وخروج البلاد عن يده واننا من هذه الحروب والمطاوله على خطر ومتي لم يمدد أصحابنا (يعني أبا محمد ابن مكرم والعلمان الذين معه)^(١٣٦) بلال لم يثبتوا وان عادوا فقد سلموا الدولة واذا أمددناهم ضاق الامر بهذا الملك ولم يكن له بد من مد اليد الى مالك ومال ابن عمك هذا (وأشار الى أبي الحسن السابسي) ومال كل ذي ثروة ولم يدفع عنكم ولا عنا دافع وان ساعدتني على ما أشير به من مسير بهاء الدولة بنفسه كنا بين ان يأتي الله بنصر فقد بلغنا المراد أو يقضى الله بغير ذلك فقد أبلينا العذر وبذنا الاجتهاد . وفي غد تسندني الي الدار وتشاور فيما قلته فان ضربته فقد استرحنا من بعدنا عنك وعسى الله ان يأذن بالفرج وان ملت الى من يشير بخلاف هذا الرأي فالحال تقضى والله الى ما حسبت لك . فقال الشريف : كل هذا صحيح الا ان المشورة القاطعة على الملوك بمثل ذلك لا تؤمن عواقبها ولكن سأتلطف فيما تريده . فائقضى^(١) المجلس

واستدعي الشريف في صبيحة تلك الليلة الى حضرة بهاء الدولة وجمع وجوه الاولياء وشوورت الجماعة في خروج بهاء الدولة بنفسه فقال الشريف :

انما جعل الله الملوك أعلى منا يدا وأفضل تأييدا بما خصهم من الرأى الصائب والنظر الثاقب واذا كان الملك قد عزم على التوجه بنفسه فאלله تعالى يقرن ذلك بالخيرة والسعادة ويجمعه سببا لنيل الارادة . فقال ابو على ابن اسمعيل : أيها الملك فقد وافق الشريف رأى ولم يبق الا امضاء العزيمة وتقديمها . وتفرق الناس^(١٢٧) على ذلك

﴿ ذكر مسير بهاء الدولة من واسط الى القنطرة البيضاء ﴾

لما استقر الامر على المسير بدأ أبو على باخراج أبي الحسن محمد بن عمر وأبي نصر سابور وأبي نعيم الحسن بن الحسين الى بغداد على ان يكون الى أبي الحسن حفظ البلد والى أبي نصر ملاحظة الامور والى أبي نعيم جمع المال واقامة وجوه الاقساط . ثم جد في تسير بهاء الدولة وتحصيل ما يزجي به الامر من الآلات والظهور حتى استعان ببغال الطحانين وسار على اختلال في اهبطه واقلل من عدته حتى نزل الموضع المعروف بالقنطرة البيضاء وثبت أبو على ابن أستاذ هرمرز بازائه وجرت بين الفريقين وقائع كثيرة وضاق بهاء الدولة وبمسكره الميرة فاستمد من بدر بن حسنويه فامده بدر بما قام ببعض الأود وأشرف الامر على الخطر . ووجد أعداء أبي على بن اسمعيل مجالا في الطعن على رأيه بتعريض الملك وأوغر صدر بهاء الدولة عليه حتى كاد يبطش به فتجدد من خروج ابني بجختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتي ذكره وجاء من الهرج ما لم يكن في الحساب وانقلب الرأى الذي كان خطأ الى الصواب^(١٢٨)

ربما تجزع النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

فاجتمعت السكامة على بهاء الدولة ودخل أبو على ابن أستاذ هرمرز ومن معه من الديلم في طاعته وسيأتي شرح ذلك من بعد بمشيئة الله تعالى .

وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه للرسولين الواردين من أبي طالب رستم بن نغر الدولة وأبي النجم بدر بن حسنويه وكنى أبا النجم بدرا ولقبه نصرة الدولة وعهد لابي طالب على الري وأعمالها وعقد له لواء وحمل اليه الخلع السلطانية السكالة وعهد لبدر على أعماله بالجل وعقد له لواء وحمل اليه الخلع الجميلة وذلك بسؤال بهاء الدولة وكتابه . فاما مجد الدولة فانه لبس الخلع وتلقب وأما بدر فانه كان سأل ان يلقب بناصر الدولة فلما عدل به عنه الى نصرة الدولة توتف عن اللقب ثم أجيب فيما بعد سؤاله فلقب بناصر الدين والدولة فقبله وكتب وكتب به

وفيها حدثت بفارس أمور كانت سببا لا تتقاض ملك صمصام الدولة وقتله في آخرها

﴿ شرح الحال في الامور التي أدت الى قتل صمصام الدولة ﴾

قد تقدم ذكر ما كان العلاء بن الحسن اعتمده بعد تلك النسكة التي صار بها ^(٤٣٩) موترامن السعي في هلاك الدولة باطماع الجند واجباب الزيادات التي تضيق المادة عن القيام بها ثم مضى لسبيله وقد اضرت امور صمصام الدولة وطال تبسط الديلم عليه وتقصرت مواده عما يرضيهم به . فامتدت عيونهم الى اقطاع السيدة والرضيع والحواشي فبدأ الديلم الذين كانوا بفسا وطالبوا عاملها بما استحقوه وألزموه يد اليد الى الاقطاعات للمذكورين وارضاؤهم بها فأبى عليهم فثاروا وشغبوا وحملوه الى باب شيراز على غضب وشغب فلم يقدم أحد من أصحاب صمصام الدولة على الخروج اليهم وأقاموا ثلاثة أيام ثم قتلوا العامل وذكروا الحواشي بما أزعجهم فبعدوا عن مواضعهم خوفا منهم . وخرج صمصام الدولة بنفسه اليهم فلقوه بالغلظة ولقيهم بالرفق

واشتدوا عليه ولان لهم واجابهم الى ملتصاتهم وسكنوا وعادوا الى مواضعهم
بنفسا^(١) فاستولوا على اقطاعات الحواشي جميعها .

ومضت على ذلك مدة وزاد الامر على صمصام الدولة في انقطاع
المواد عنه واجتماع الديلم عنده ومطالبتهم له فضاق بهم ذرعا
﴿ ذكر رأى خطأ لم محمد عواقبه ﴾^(٢)

أشار على صمصام الدولة نصحاؤه بعرض الديلم في جميع الاعمال وامضاء
كل من كان صحيح النسب أصيلا واسقاط كل من كان متشبها بالقوم دخيلا
والاتساع بما ينحل من الاقطاعات عنهم بهذا السبب فعمل هذا القول فيه
وعزم على العمل به وتقدم الى مدبري أمره بذلك فقبل له : ان ديلم فسا
يتميزون بكثرة العدد وشدة البطش ولا يقدر على عرضهم الا أبو جعفر
أستاذ هرمز بن الحسن فان له معرفة بالانساب والاصول وهيبة في العيون
والقلوب . فاستقر الامر على استدعائه من كرمان واخراج أبي الفتح أحمد بن
محمد بن المؤمل ليقوم مقامه بها ففعل ذلك وعاد أبو جعفر فاخرج الى فسا
فلما حصل بها وأظهر مارسم له وبدأ بالعرض ومسير^(٣) الصفاء من الاوباش
فما استتم العرض حتي سقط بها ستمائة وخمسين رجلا وفعل أبو الفتح ابن
المؤمل مثل ذلك فاسقط نحو أربعمائة رجل . وحصل هؤلاء المسقوطون
وهم أرباب أحوال وأولو قوة وبأس متشردين متلدين يطلبون موضعا
يقصدونه ومنشرا^(٣) يصمدونه .

واتفق ان ابني بخنيار وهما أبو القاسم اسبام وأبو نصر شهفروز قد
خدعا الموكلين بهما في القلعة فساعدوهما وأفرجوا عنها فجعا الى شوسهما من

(١) وفي الاصل : نفسا (٢) لعله : وميز (٣) لعله : ونفزا .

لقيف الاكراد^(١) من قوى به جانبهما واتصل خبرهما بمن^(٢) أسقط من الديلم فصاروا اليهما فوجا بعد فوج . فلما استحكم أمرهما سارا لاختد البلاد وصار أبو القاسم اسبام الى ارجان فلما دفع أصحاب صمصام الدولة عنها وتردد أبو نصر شهفروز في الاعمال مستمدا للاهوال ومستميلا للرجال . وتخير صمصام الدولة في أمره ولم يكن بحضرته من ينهض بالتدبير ليقضى الله أمرا سبق في التقدير .

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز مقبلا فسا على ما تقدم ذكره فلما تجدد من ابني بختيار ما تجدد اجتمع اليه نسوة من نساء أكابر الديلم المقيمين بخوزستان عند أبي علي ولده وكن يجرين مجرى الرجال في قوة الحزم واصالة الرأي والمشاركة في التدبير

﴿ ذكر رأى سديد أشرن به على أبي جعفر فلم يقبله ﴾

قلن له : أنت وولدك^(٣) اليوم صاحبا هذه الدولة ومقدماءها وقد لاحت لنا أمور نحن مشفقون منها ومعك مال وسلاح وانما يراد مثل ذلك للمداينة عن النفس والجاه . فالصواب ان تفرق ما معك على هؤلاء الديلم^(٤) الذين هم عندك وتأخذهم وتمضي الى شيراز وتسير صمصام الدولة الى الاهواز وتخلصه من الخطر الذي قد أشرف عليه فانك اذا فعلت ذلك أحييت الدولة وقضيت حق النعمة وتقربت الرجال الي قلوب رجالنا المقيمين هناك . ومتى لم تقبل هذه المشورة وثب هؤلاء الديلم عليك ونهبوك وحملوك الي ابني بختيار فلا المال يبقى ولا النفس تسلم . فشج أستاذ هرمز بما معه وغلب

(١) وفي الاصل : ثم (٢) وفي الاصل : ووالدك . والمراد به هو ابنه أبو علي

الحسن عبيد الحيوش

عليه حب المال فغطى على بصيرته حتى صار ما أخبر به حقا فنهب داره واصطلبه ونجا بنفسه واستتر في البلد فدل عليه وأخذ^(١) وحمل الى ابن بختيار ثم احتال لنفسه فخلاص من يده

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد ﴾

﴿ خروج ابني بختيار الى ان قتل ﴾

لما أظله من أبي نصر ابن بختيار ما لا قوام له به أشار عليه خواصه ونصحاؤه بصعود القلعة التي على باب شيراز وقالوا له : انك اذا حصلت فيها تحصنت بها وكان لك من الميرة والمادة ما يكفيك الشهر والشهرين ولم تخل من أن ينحاز اليك من الديلم من يقوى به أمرك . فغزم على ذلك وحاول الصعود^(٢) اليها فلم يفتح له المقيم فيها فازداد تحيرا في أمره فقال له الجنود وكانوا ثلثمائة رجل : نحن عدة وفينا قوة ومنعة وينبغي أن تقعد أنت ووالدتك في عمارية لنسير بك الى الاهواز ونلحقك بابي علي ابن أستاذ هرمرز وعسكرك المقيمين معه ومن اعترضنا في طريقنا دافعنا برؤسنا عنك وبذلنا مهجتنا دونك . فقال الرضيع : هذا أمر فيه غرر والوجه ان نسندعي الاكراد وتوثق منهم ونسير معهم . فقال الى هذا الرأي وراسل الاكراد واستدعاهم وتوثق منهم وخرج معهم بخزائنه وجميع ذخائره فلما إمدوا عن البلد عطفوا عليه ونهبوا جميع ما صاحبه وكادوا يأخذونه فهرب وصار الى الدودمان على مرحلتين من شيراز . وعرف أبو نصر ابن بختيار خبر انفصاله فبادر الى شيراز ونزل بدولتأباد وطمع طاهر الدودمانى رئيس القرية في صمصام الدولة واستظهر عليه الى أن وافى أصحاب ابن بختيار فاخذوه وقتلوه وذلك

في ذي الحجة سنة ٣٨٨ وكانت مدة عمره خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر .
وما أقلها من مدة وأسوأها من عاقبة أمر فلقد كانت حلاوة دولته
يسيرة ومراة مصائبه في ملكه ونفسه كثيرة فما وفي شهده بصابه ^(١١١)
ولاعوافيه باوصابه ولم يكن له في أيامه يوم زاهر ولا من ملكه نصيب وافر
وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستعسك منها بجبل غرور

وقبض على والدته وعلى الرضيع وقوم من الحواشي . وجاءت امرأة
من الدودمان تدعى فاطمة فغسلت جثته وكفنتها ودفنتها وأحضرت رأسه في
طست بين يدي أبي نصر ابن بختيار فلما رآه قال « شيرا اليه » هذه سنة [سنة] سنها
أبوك » وأمر برفعه .

وأما والدته فانها سلمت الى لشكرستان كور فطالبها وعذبها فلم تعطه
درهما واحدا فقتلها وبني عليها دكة . وأما الرضيع فانه قتل بعد ذلك وبعد
ان صودر واستصفي ماله

﴿ ودخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ﴾

وفيها دخل أبو علي ابن أستاذ هرمز والديلم في طاعة بهاء الدولة واجتمعت
الكلمة عليه وملك شيراز وكرمان فاستتبته أموره واستقامت أحواله
واستقرت دولته واهتزت سعادته

﴿ شرح ما يجري عليه الحال في ذلك ^(١١٥) ﴾

قد تقدم ذكر نزول بهاء الدولة بالقنطرة البيضاء وتكرر الوقائع بين الفريقين
وأقام بهاء الدولة شهرين وأكثر يطلب متاجزة الديلم وهم يقصدون مدافعة
ومحاجزته وطال الامر بينهم . وكان أبو علي ابن اسمعيل الملقب بالموفق
يياشر الحرب ويتولى التدبير وكان معه مناح صاحب محمد بن عباد مع مائة

فارس من السادنجان فرتبهم في الطلائع وأمرهم ان يقتصوا أمر كل من يخرج من السوس أو يدخلها فيأخذوه . وضاق الامر بالدليم من هذا الحصار وببهاء الدولة من تعذر الميرة وتطاول الايام وأشرف على العود حتى انه لو تأخر ما تقدم من أمر ابني بختيار وقتل صمصام الدولة لانهمز بهاء الدولة ذكر حيلة رتبها أبو على ابن أستاذ هرمن برأيه فكشفها ﴿
﴿أبو على ابن اسمعيل بالمعيتة ودهائه﴾

وكان بهاء الدولة وكّل رجاله الفرس لاخذ من يوجد في الجواد فظفروا برجل معه زنبيل دستنبوا فخلوه الى المعسكر وسئل عن أمره فقال : أنا عابر سبيل أتميش بحمل هذا المشعوم من موضع الى موضع . ^(٤٤٦) فهدد وخوف حتى أقر بأنه رسول القرخان الى الصاحب أبي على ابن أستاذ هرمن بلطف معه « أناسائرون من طريق عند قرب وصولنا فتصمد للقاء القوم » فلما وقف بهاء الدولة على ذلك قلق قلقا شديدا وقال : كل من يطعن على رأي [أبي] على ابن اسمعيل ويعاديه وان قصدنا من هذا الجانب فقد حصلنا في أيدي القوم أسارى وأعوزنا الحرب وضاق بنا المذهب فتابع بهاء الدولة الرسل الى أبي على ابن اسمعيل وكان في الحرب يستدعيه فحين حضر أعاهه الحال وأعطاه اللطف فلما قرأه قال : هذا محال . وخرج من بين يديه وأحضر الرجل المأخوذ وقال له : اصدقني . وعاصه بالجميل فلم يزد على القول الاول فامر بشده وعمد اليه بدبوس فضربه بيده ضربا مفرطا فلما برّح به الضرب قال : خلوني أصدقكم أنا رجل من أهل السوس استدعاني أبو على ابن أستاذ هرمن وسلم اليّ هذا اللطف وقال لي : امض وتعرض للوقوع في أيدي أصحاب بهاء الدولة فاذا وقعت وسئلت عن أمرك

فقل « انى رسول الفرخان الى الصاحب ومي هذا اللطف » وأحمر على قولك وأصبر للمكروه ان أعصابك فانى أحسن اليك . فناد أبو علي ابن اسمعيل الى حضرة بهاء الدولة وأخبره بالصورة ولها نصوبة^(٧) فسكن قليلا وقال للحواري : ان اقول الاول هو الصحيح وان الضرب والمكروه أحوجا الرجل الى هذا القول اثنائى

﴿ ذكر حزم اعتمده أبو علي ابن اسمعيل في تلك الحال ﴾
 رأى ان الاخذ بالحزم أصوب على كل حال وانفذ ابن مكرم والفتكين الخادمي مع عدد من الاتراك الى دستر وأمرهما بالنزول على الوادي لمنع حتى ان حضر من يحاول العبور دفعاه فسارا الى حيث امرهما وتبما به وأقما أياما ووافي خرشيد بن باكليجار^(٨) [و] الكوريكي في عدة كثيرة من الديلم والرجالة فتقدم ابن مكرم والفتكين الى أصحابهما بقطع الخيم والتحمل لان عدتهم كانت قليلة وساروا حتى ظابوا عن مطرح النظر ثم كمن الفتكين الخادمي والغلمان في بعض المسكن الى أن عبر الديلم والرجالة وحصلوا معهم على أرض واحدة فحمل الفتكين وصاح الغلمان وارتفع الغبار وظن القوم [أنهم] في عدد كثير فنواقعوا في الوادي منهمذين وقتل خرشيد والكوريكي وجماعة من أصحابهما . وكان ذلك في اليوم الذي اصلى ما بين الديلم والسوس وبين بهاء الدولة ووقع التحالف ووصل من غمد وقد اختلط الفريقان وأما^(٩) ما جري عليه الامر في دخول الديلم في طاعة بهاء الدولة فان أبا علي ابن اسمعيل كان قد اعتمد ما يعتمد من الرأي الاصيل وشرع في استمالة قوم من المسكر الى طاعة بهاء الدولة . وترددت بينه وبين

شهرستان مراسلات بوساطة بهستون بن ذرير وقرر الامر في اجتذابه واماله ثم اتفق ان المعروف بتناح الكردي المرتب في الطلائع ظفر برکاني ورد من شیراز فاخذه وأحضره عند أبي علي ابن اسمعيل فسأله عن حاله فاخبره بالخطب الحادث بشيراز وأخرج كتابا كان معه من بني زیار الى شهرستان يشرح ما جرت عليه الحال في قتل صمصام الدولة فلما وقف أبو علي ابن اسمعيل على الكتاب طالع بهاء الدولة مضمونه ثم أعاده على الركابي ليتيم الى حيث بعث ثم قال أبو علي لبهستون : انه لم يبق لشهرستان بعد اليوم عذر فان كان على العهد فليقدم الدخول في الطاعة . فمضى بهستون الى شهرستان وقرر معه ان يتحيز في غد ذلك اليوم مع ثلثمائة رجل من الجبل الى بهاء الدولة وتقارنا على هذا الوعد . فاحس فناخسره بن ابی جعفر بما عزم عليه شهرستان فقصده وخلابه .

﴿ ذكر كلام سديد لفناخسره بن ابی جعفر ﴾^(١٩٩)

قال لشهرستان : قد بلغتني ما أنت عازم عليه وحالي عند بهاء الدولة الحال التي لا تخفي ونيته في النية التي تخالف وتحتي ومتى عجلت في الانحياز اليه هلكك وهلك الديلم بأسرهم ويلزمك على كل حال صلاح امرهم فانظرنى ثلاثة أيام لا سبر جرح هذه القصة بمراسلة بهاء الدولة فان رجوت لها برأ واندمالا اتفقت معك في امضاء العزيمة واجتماع الكلمة وان تكن الاخرى أخذت لنفسى وتوجهت أنا وأهلي الى بلدى ثم افعل ما بدا لك فاجابه شهرستان الى ذلك وبكر أبو علي ابن اسمعيل على رسمه الى الحرب متوقفا من شهرستان انجاز الوعد فرسله بالعدر المتجدد فضايق أبو علي بذلك ذرعا واعتقد انه كان سخريه ودفا فقال له بهستون : ان مصداق هذا القول يبين عند غسق الليل فان جاء رسول

فناخسره فقد صدق شهرستان ووفاء وان تأخر فقد كذب وغدر والموعد قريب .
 فلما جن الليل ورد رسول فناخسره برسالة يعتذر فيها من سابق الافعال ويطلب
 الامان على استئناف الخدمة في مستقبل الحال فأجيب بما يسكن اليه ووثق به .
 ووصل في أثناء ذلك كتاب ابني بمختيار الى أبي علي ابن أستاذ هرمن
 يذكر ان فيه سكونهما اليه وتمويلهما عليه ويسطان أمه كما يفعله مبتدئ .
 بملك يروم أحكام قواعد وأركانه^(٥٠) واستمالة اعضاده ويأمره باخذ البيعة
 لهم على الديلم قبله والمقام على الحرب التي هو بصدددها . فاشفق أبو علي بما
 سلف له من الدخول اليهما ولم يثق بوفائهما بعد قتل أخريهما وحقيق بمن
 قتل للملوك شقيقاً ان يكون على نفسه شقيقاً . وبقي متلداً في أمره متردداً
 في فكره يحيل لل رأي في صدره فرأى ان الدخول في طاعة بهاء الدولة
 أصوب والتعيز اليه أدنى من السلامة وأقرب

(ذكر مآذره أبو علي ابن أستاذ هرمن في صلاح حاله مع بهاء الدولة)
 جمع وجوه الديلم وشاورهم فيما ورد عليه من كتاب ابني بمختيار فاجمعوا
 رأيهم على الاعتزاء الى طاعتها والثبات في حرب بهاء الدولة على ما هم عليه
 فلم يوافقهم على رأيهم وقال : ان وراثته هذا الملك قد انتهت الى بهاء الدولة
 ولم يبق من يجوز له منازعة بهاء الدولة فيه وان نحن عدلنا عنه الى من داره
 من نائية ونيته عنا جافية أضمتنا الحزم والصواب الدخول في طاعة بهاء الدولة
 بعد التوثق منه . فامتنعوا وقالوا : كيف نسلم تنوسنا للأتراك وبنينا وبينهم
 ما تعلم من الطوائل ؟ فقال لهم : اذا كان هذا رأيكم فاني أسلم^(٥١) ما معي
 من المال والعدة اليكم وأنصرف بنفسى عنكم وأتم لشانكم أصر . وتقوض
 المجلس ثم وضع أكرامهم على ما يقولونه ويفعلونه

وكان قد أنفذ الى أبي علي ابن اسمعيل من يلتمس منه شرا باعتيقاً للعلة التي به فقال أبو علي ابن اسمعيل لبهاء الدولة : انه ما غلب منا شرا با ولكنه أراد ان يفتح لنا في مراسلته باباً . فاتخذ بهاء الدولة رسولا يقول : انه قد كنت أنت والديلم معذورين قبل اليوم في محاربتني حين كانت المنازعة في الملك بيني وبين أخي فاما الآن فقد حصل تاري ونارك في أخي عند من سفك دمه واستحل محرمة فلا عذر لاسكم في القعود عني في المطالبة بالنار واستخلاص الملك وغسل العار . فكان من جواب أبي علي ابن استاذهر من [بعد] السمع والطاعة لقوله ان الديلم مستوحشون والاجتهاد في رياضتهم واقع وسأل في انماذ أبي احمد الطيب لمعرفة قديمة كانت بينهما فأنفذ اليه

﴿ ذكر كلام سديد لأبي علي ابن استاذهر من ﴾

لما حضر الدليلب عنده قال له : قد علمت اصطناع صمصام الدولة اياي واحسانه الي وما وسعني الا الوفاء في خدمته وبذل النفس في مقابلة نعمته وقد مضى لسبيله وصارت طاعة هذا الملك واجبة علي ونصيحته لازمة لي وهؤلاء الديلم قد استمرت بهم الوحشة والنفور واستحكمت بينهم وبين الاتراك الترات والدحول وبلغهم ان الاقطاعات عنهم مأخوذة والى الاتراك مسلمة ومتى لم يظهر ما يزول به استعمارهم وتسكن اليه قلوبهم وبادرهم لم يصعب جنهم فضي الطيب الي بهاء الدولة بالرسالة وعاد بالجواب الجميل الذي تسكن الي مثله وتردد من الخطاب ما انتهى آخره الى حضور جماعة من وجوه الديلم الي بهاء الدولة لاستماع لفظ يمين بالغة في التجاوز عن كل لساء سائلة وأخذ أمان وعهد بزوال كل غل وحقد . فلما صابت نوس هؤلاء بالتوثق كاتبوا أصحابهم المقيمين بالسوس بشرح الحال .

وركب بهاء الدولة في ثاني اليوم الى باب السوس يتوقع دخول السكينة في السلم
نخرج الديلم فقاتلوا قتالا شديدا لم يعهد، ثلثه معهم فيما قدم فضايق صدره ووطن
ان ذلك عن فساد عرض أو لا من انقض فتال له الديلم : طب نفسا فالآن ظهر
تسليمهم الامر اليك فمن عادتهم ان يقاتلوا عند التسليم أشد قتال لئلا يقدر انهم
سلموا عن عجز او ضعف . وكان الامر على ذلك ^(١٥٣) لأنهم استوثقوا في
اليوم الثالث بنسخة يمين نفذوها الى بهاء الدولة خلفها هو ووجوه الاثراك .

والتمس الديلم لابي على ابن اسمعيل ان يحلف لهم فامتنع وقال : هذه يمين
يدخل فيه الملوك وجندهم فاما الحواشي فهم بمنزل عنها . فلم يمتنعوا بذلك فآلزمه
بهاء الدولة الحلف خلف . وجلس بهاء الدولة للعزاء بأخيه ثم ركب بالسواد
فلقاه الناس وخدموه وصار اليه ابو على ابن أسناذهر من واختلط العسكران
ومن قبل ذلك يوم اويومين قتل الديلم أبا الفتح ابن الفرج تقيب ثقبائهم
﴿ ذكر السبب في ذلك وما كان من مكيدة ﴾

(أبي على ابن استاذهر من في امره)

كان هذا الرجل مقدما في العسكر فاستدعى ابو على ابن اسمعيل أخاه
سهلان من بغداد وجعله وسيطا معه ليستميله فلما استقر معه الدخول في طاعة
بهاء الدولة قال لهم ابو على ابن استاذهر من : هذا ابو الفتح رجل شرير
وهو خبير بأموركم واسبابكم وأصولكم وأنسابكم فان اجتمع مع ابي على
أظهر له من أسراركم ما لم يطلع عليه ودله من امورك على ما لا يهتدى ^(١٥٤)
اليه . فقالوا : سندبر امره . ثم اجتمعوا رأيهم على قتله فقتلوه

ولما اختلط العسكران سار بهاء الدولة الى السوس ومعه ابو على ابن

سميل وحوله الديلم والاثراك

﴿ ذكر رأي طريف رآه ابو على ابن اسمعيل لا يدل عليه موجه ﴾
 لما قرب بهاء الدولة من مضربه عدل ابو على الى خيمته المختصة به
 ولم يشم معه حتى ينزل على ما جرى به رسمه . ونزل بهاء الدولة وطلب
 الديلم ابا على فلم يجدوه وقالوا : من يكلمنا . وانهى الخبر الى بهاء الدولة
 فأرسل الى ابى على يستدعيه فاحتج بعارض عرض له ولم يحضر فخرج بهاء
 الدولة بنفسه اليهم وكلهم حتى انصرفوا

وأظهر ابو على ابن اسمعيل الاستفتاء وانام على امر واحد فيه حتى وقعت
 الاجابة اليه وكتب له منشور بميشة التمسها فأذن له في العود الى بغداد والمقام
 في داره وشاع هذا الخبر بين العسكر فركب وجوه الاتراك الى مضرب بهاء الدولة
 فأخرج اليهم الحجاب ليسألهم عن حاجتهم فطلبوا لقاء الملك فأخرج اليهم
 اباعبدالله العارض ليستعلم منهم رادهم فما زادوه على القول الاول فأوصلهم^(٤٥٥)

﴿ ذكر ماجرى بين الاتراك وبين بهاء الدولة من الخطاب ﴾
 لما دخلوا الى حضرته وقفوا وقالوا : يا أيها الملك قد خدمناك حتى
 بلغت منك ولم تبق لك علينا حجة ولا بك الى مقامنا حاجة وما فينا الا من
 فقدت نفقته ونقصت عدته ونسأل الاذن لنا في العود الى منازلنا لنصلح حالنا
 ومتى احتيج الينا من بعد رجعنا . فأنكر هذا القول منهم وسألهم عن سببه
 فراجعوه وراجعهم حتى قالوا : هذا وزيرك الموفق الذي عادت الدولة اليك
 على يده واستقامت احوالنا بيمن نقيته قد صرفته وما لنا من يشهد بمقاماتنا
 المحمودة عندك سواه ولا نجد في الوساطة بيننا وبينك من يجرى مجراه
 وليس من السياسة صرف مثله ولا قبول قول من يشير عليك بعبده . قال
 بهاء الدولة : ومن يريد ذلك . قالوا : الذي كتب له المنشور عنك وهو

خطبه عندك (إشارة لي أبي عبدالله العارض) قال : معاذ الله أن أتيل فيه
قولا ولكمه ليح فوافقته وسأل فأجبتة والرأي ما رأيته من التمسك
فكبروا الوسطاء معه في تطيب قلبه فانصرفوا عن حضرة^(٤٦) بهاء الدولة
إلى مخيم أبي علي ابن اسمعيل وقد عرف خبرهم فاجتمعوا حتى أوصلهم
فلما دخلوا عليه عاتبهم علي ما كان من خطبهم في معناه وقال : ليس من حقي
عليكم انت تعترضوا علي بما لا أهواه . فقالوا : دع عنك هذا القول فان
حراسة دولة صاحبنا التي بها ثباتنا وفيها حياتنا أولى من قضاء حقك في
موافقتك على غرضك . وما زالوا به حتي ركب الي مضرب بها الدولة
فلقي منه ما أحبه وعاد الي عادته في تدبير الامور وتنفيذها
وأذن للجماعة من الأتراك في العود الي مدينة السلام وتوجه [مع]
بهاء الدولة الي الاهواز

﴿ ذكر ما دبره أبو علي ابن اسمعيل بالاهواز ﴾

أول ما بدا بالنظر فيه امر الاقطاعات وتقريرها بين الديلم والأتراك وعول
في ذلك علي أبي علي الرخجي الملقب من بعد بمؤيد الدولة واستمرت المناصفة
تحت ديلم دستة عن الدخول في هذا الحكم وكادت القاعدة تنتقض والاستقامة
تضطرب والشريين الفريقين يعود جذعا . فقام الرخجي في التوسط بينهم
مقاما محمودا علي ان تكون أبواب المال في قصبات البلاد مقررة علي من هي
بيده وتكون المناصفة فيما عداها من الضياع^(٤٧) والسواد فتراضوا بذلك
وأفردت له خيمة كان يحضر فيها ومعه فناخره بن أبي جعفر وانفتكين
الخادمي ومن ينبعهما من وجوه الطائفتين فتولى تقرير المناصفات واخراج
الاعتدادات واشتراك طائفة مع أخرى وكتب الاتفاقات فلم تمضي ايام

قلائل حتى انتجز الامر على المراد

وكان الفرخان قد فارق الاهواز ومضى الى ايندج مستوحشا وأتقذ أبو محمد ابن
مكرم اليه بما وثق به، من الامان فأمنه وعاد به فلما ورد الفرخان خلع عليه أبو علي
ابن اسمعيل واستخلفه مدة بين يديه ثم سيره أمامه الى بلاد سابور والسواحل
وأخرج شهربستان بن اللشكري في عدة كثيرة من العسكر مقدمة

الى أرجان فصار اليها ودفع ابن بختيار عنها فلحق باخيه المقيم بشيراز

﴿ ذكر رأى أشار به أبو علي ابن اسمعيل علي بهاء الدولة ﴾

أشار عليه بأن يستدعي الامير أبا منصور ولده ويرتبه بالاهواز ويضم
اليه أبا جعفر الحجاج وان يسير بنفسه الى فارس واذا فتحها استدعى الامير
ابا منصور واقامه فيها وانكفأ الى الاهواز فجعلها للامير ابي شجاع^(١٥٨)

وقصد البصرة فاذا ارتجمها جعلها للامير ابي طاهر وعاد الى بغداد فاستوطنها
ودبر امر الموصل منها . فلم يعجب بهاء الدولة هذا الراي وكان ابو علي قبل
ان يفاوض بهاء الدولة في ذلك فافوض ابا الخطاب حمزة بن ابراهيم فيه
(وأبو الخطاب يومئذ يشوب عنه بحضرة بهاء الدولة) فقال له ابو الخطاب :

أنا أعرف بأخلاق الملك وأغراضه والصواب لك ان تدعه بالاهواز وتسير
أنت والعسكر الى فارس فاذا فتحها أقمت بها ورتبت للنظر في الامر وبحضرة
بهاء الدولة من تأمنه وترتضيه فانك اذا بعدت عنه حصلت من تلك البلاد
في مملكة واسعة وتصرفت على اختيارك من غير معارضة ما نفع . فانه متى
سار . معك كنت بين ان تستبد برايك او تخالفه فتوغر صدره عليك ولا
تأمن ما يكون من بوادره اليك وبين ان تصبر على معارضته لك فتجرع
الغيظ منه . بالاحتمال او تظهر من الاستعفاء ما يؤدي الى فساد الحال . فلم يقبل

أبو علي منه واستبد برأيه وعمل أبو الخطاب بالاحوط لنفسه وانحرف عن أبي علي ومال الى مطابقة بهاء الدولة فيما ينفق عليه
قد استمررنا على النهج في ذكر ما وجدناه في التاريخ ونحن نرى ان
أبا علي أصاب في رأيه ولا نرى حزما فيما أشار به أبو الخطاب عليه من البعد
عن حضرة ملك سريع^(١) القلب في الاحوال كثير القبول للاقوال اذا
بني معه أمر نقض واذا عقد معه عهد نكث فاذا كان الباني مع حضوره
يخاف انتقاض بساته فكيف يثق ببساته اذا غاب عن فئاته ؟ وهل مجال
الاعداء في الطعن على الوزراء وهم مقيمون في منصب عزهم كجالحم اذا خلت
الحضرة منهم يعدم ؟ كلا ان لسان الغيبة يطول عند الغيبة مع البعد عن بساط
المراقبة والهيمية وكل مجر في الخلاء يسر^(٢) . فما أخطأ أبو علي فيما رآه وما عليه
ان خانته مقدور فالقدر حتم والمرء معدور

غلام وغى تقصمها فابلى * نخان بلاءه الزمن الخوئون

وكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ماجنت الظنون

وأطرف من ذلك مشورة أبي الخطاب عليه باستخلاف من يأمنه
بالحضرة ليحفظ عنه وأين الامين الذي يرعى العهد اذا لابس الخيل والعقد ؟
أليس أبو الخطاب وكان نائبه وصنيعته جحد احسانه وطلب مصلحة نفسه
فتبرأ منه وخانه ؟ وكذلك كل ذي ثقة اذا استحل الدنيا [صار] ظنينا وكل
ذي مقة اذا حسد^(٣) صار عدوا مبيتا . ورب أخ قد شاق في الحسد أخاه بل
بما ولد عقى في طلب الرتبة أباه ومثل ذلك موجود^(٤) شهده وراء . وانما

(١) تفسير المثل عند الميداني (طبع بيروت ١٣١٢) ٦ : ١٠٦

(٢) وفي الاصل : حسد الدنيا

كان خطأ أبي علي في افراط اعجابه وكثرة ادلاله وشكاسة أخلاقه ومنافسته لولى نعمته فالملوك لا يشاكسون وأولياء النعمة لا ^(١) ينافسون . ومع ذلك فلعل أجل كتاب والصواب مع الشقاوة خطأ والخطأ مع السعادة صواب والناس من يلقى خيرا قائلون له * ما يشتهى ولا من المخطيء الهبيل ونعود الى سياقة الحديث

ولما استقر ما بين الديلم من المناصفات عول على أبي جعفر الحجاج في المقام بالاهواز وسار بهاء الدولة وأبو علي الى المرفق الى رامهرمز وتقدم أبو علي مع العسكر وصار اليه أبو جعفر أستاذ هرمز في بعض الطريق هارباً من ابن بختيار ﴿ ذكر خلاص أئى جعفر أستاذ هرمز ﴾

قد تقدم ذكر حصوله في قبضة ابن بختيار فقرر أمره على الف الف درهم وأدى أكثرها ثم حصل عند لشكرستان كورموكلابه مطالباً بالبقية فاحتال صاحب له طبرى في الحرب به الى دار أحد الجند ثم أحضر قوماً من الأكراد وأخرجهم اليهم فساروا به وألقوه بأبي علي ابن اسمعيل ^(٢٦١) وطوى أبو علي المنازل حتى نزل بباب شيراز ﴿ ذكر فتح شيراز ﴾

لما نزل أبو علي بظاهر البلد برز ابن بختيار في جنده ورجاله وعسكر بازائه ووقعت الحرب بينهما فتضعض ابن بختيار في اليوم الاول وصادف عساكر بهاء الدولة وغدر به كثير من الغلمان ودخلوا البلد ونهبوا بعضه ونادوا بشعار بهاء الدولة . وكان أبو احمد الموسوي بشيراز على ما تقدم ذكره في مسيره من واسط اليها وظن أبو احمد ان أمره قد تم فاستعجل وركب الى المسجد الجامع وكان يوم الجمعة فاقام الخطبة لبهاء الدولة . ثم تاب ابن بختيار وعسكره نخاف أبو احمد واحتال

لنفسه وقعد في سلة وحمل مغطى حتى أخرج الى مسكر أبي علي ابن اسمعيل وعادت الحرب في اليوم الثالث بين الفريقين فلم يمض من النهار بعضه حتى استامن الديلم الى أبي علي وهرب ابن بختيار ناجياً بنفسه وتبعه أخوه في الهرب فاما أحدهما وهو ابو نصر فانه لحق ببلاد الديلم وأما الآخر فانه مضى الى بدر بن حسنويه ثم تنقل من عنده الى الطيحة وملك ابو علي البلد وكتب الى بهاء الدولة بالفتح وأقام المسير فسار الى شيراز واستقر في الدار بها^(١٦٢)

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر بعد هذا الفتح ﴾

لما حصل بهاء الدولة بفارس أمر بنهب قرية الدودمان وحرقها وقتل كل من وجد بها من أهلها حتى استأصل شاقهم . وكشف عن رمة صمصام الدولة وجددت أكفانها وجملت الى التربة بشيراز فدفت بها وأحسن الى فاطمة الدودمانية خاصة وبرها ووصلها . وذلك ثمرة فعلها الجميل فان المعروف شجرة مباركة أصلها زكي وعودها رطيب وورقها نضير وما خاب من غرسها وسقاها ولا ندم من حفظها ورعاها

فاجتمع ديلم فارس جميعهم بشيراز وجرى الخوض في أمر الاقطاعات وارتجاع ما يرجع منها وإقرار ما يقرر وترددت في ذلك مناظرات ﴿ ذكر تقرير الاقطاعات وتوفير في المصارفات ﴾

تقرر ان تحمل أصول التقارير مصارفة ثلاثمائة درهم بدينار وان ينظر^(١٦٣) مالكل رجل من الايجاب الاصيل فيعطى به من الاقطاع الذي في يده ما يكون ارتقاعه بقدره على هذا الصرف ويرتجع الباقي وان يبطل كل ما كان وقع به في آخر أيام صمصام الدولة . وجرى الامر على ذلك في معابله الاواسط^(١)

والاصغر ناما اكابر الديلم فان ابا علي ابن اسمعيل أعطاهم حتى ملأ عيونهم . وعرفوا من ديبه في العجب والكبر فوضعوا له خدودهم وخدموه خدمة لا يستحقها الملك فضلا عن الوزراء فكانوا يقبلون الارض اذا بصروا به والى ان يصلوا اليه عدة سراة ويمشون بين يديه اذا ركب كما تمشي أصاغر الديلم . وزاد الامر به فيما أعطاهم من الاموال وأعطوه من الطاعة والانقياد وكل زيادة تجاوزت حد الاستحقاق فهي نقصان وكل عطية سلبت نفع الارتفاق فهي حرمان وعول على أبي غالب محمد بن علي بن خلف في النيابة عنه وقدمه واصطنعه وفرق العساكر في النواحي وأخرج أبا جعفر أستاذ هرمن الى كرمان والبا عليها وقبض على الفتكين الخادمي

﴿ ذكر السبب في القبض على الفتكين ﴾^(١)

كان أبو علي ابن اسمعيل يرعى لملح ما أسداه اليه من جيل في استتاره ببغداد فقدمه ونوه بذكره وثقل ذلك على الفتكين وأضمر به استيحا شامنه . واتفق ان أبا علي في بعض مواقفه بباب السوس قال لالفتكين : يا حاجب الحجاب قد عزمت على^(٢) أن أمضي في قطعة من الجيش الى وراء السوس وأدخل أطراف البلد فان الديلم اذا عرفوا خبرنا اضطربوا وانصرف قوم منهم الينا فقتلوا شت تبعيتهم فاذا بدت ذلك الفرصة وأمكنتك الحملة فاصنع ما أنت صانع . وقرر ذلك معه وترك أبو علي علامته بجالها ودار من وراء الديلم ومعه نجب من الغلمان وغيرهم ودخل شوارع السوس فانفصل من العسكر الصمصامي شهرستان في خمسمائة رجل وطلبهم واقتلوا قتالا شديدا واضطرب مصاف الديلم ولاحت الفرصة لالفتكين في الحملة فتوقف عنها غيظا من أبي علي الموفق لانه كره

ان يتم امر على يده فنقم أبو على هذا الفعل عليه وأمره في نفسه .
 وحصل على باب شيراز بازاء ابن بختيار فظهر من الفتكين من التقاعد قريب مما
 تقدم فلما تم أمر الفتح وورد بهاء الدولة واستقرت الامور عمل في ابعاده فذهب
 للخروج الى بعض الكور وأمره بالتأهب وحمل اليه عشرين الف درهم نفقة .
 فأحضرها ^(٤٦٥) النقيب والفتكين شارب نمل فتكلم ببيع أعيده على الموفق
 فاغتاظ منه وقال لبهاء الدولة : هذا الغلام كالعاصي علينا والصواب القبض عليه
 واقامة الهيبة في نفوس الغلمان به . فأذن له في ذلك فقبض عليه وحمله الى القلعة
 ﴿ ذكر حيلة لطيفة كانت سبباً لسلامة الفتكين ﴾

اجتمع الغلمان ليخطبوا في أمره فانتدب أحد وجوههم لأبي على وقال
 له : نحن عبيدك وأمرنا نافذ في صغيرنا وكبيرنا وما نطالبك بالافراج عنه
 وقد أنكرت ما أنكرت منه ولكننا نسالك ان تهب لنا دمه وتعطينا يدك
 على حراسة نفسه . فقال : أما هذا فنعم . وأخذوا يده على ذلك وتوثقوا
 منه فلما عرض لأبي على السير في طلب ابن بختيار حين عاد من بلاد الديلم
 الى كرمان اجتمع اليه خواصه ونصحاؤه وقالوا : ليس من الرأي ان تخرج
 في مثل هذا الوجه وتترك وراءك مثل هذا العدو . وأشاروا الى الفتكين
 فقال : ما كنت لأبذل قولي في امر تم ارجع عنه

﴿ ذكر أغلاط لأبي على ابن اسمعيل ^(٤٦٦) كانت سبباً لفساد حاله ﴾

أدل أبو على بعد فتح شيراز على بهاء الدولة ادلالاً أفرط فيه وتجبر
 تجبراً لا توجه السياسة ولا تقتضيه واطرح ما يلزم في خدمة الملوك من
 التقرب اليهم والتوفير عليهم وسلك خلاف هذه الطريقة وخرج من حد
 المتابعة والموافقة الى المناقفة والمضايقة من غلطاته ان أحد النباه قال لبهاء الدولة

في مجلس أنمه على سيدل الدعابة . زينك الله يامولانا في عين الموفق وبلغه
 ذاك فطالبه بتسليمه اليه ودفع عنه فلم يتدفع وأقام على الاستغناء حتى
 سلم اليه فبالغ في عقوبته . ومنها انه وقع بين غلمان داره وبين غلمان الخيول
 الخاصة ما يتعص من أمثالهم بين أمثالهم عند اللامب بالصوالجة فغلق بابيه ومنع
 المسكر من لقائه ولم يقبل مشورة أحد من خواصه وراسل بهاء الدولة فقال
 للرسول : يا هذا ان المخاطبة لي على غلمان داري قبيح وان التعصب علي
 لاجل منازعة جرت بينه وبين غلمانه أقبح وتسليمهم اليه ليشفي صدره منهم
 أقبح وأقبح فارجع اليه بالمعاتبة اللطيفة وعرفه ما عليه في هذه المراسلة
 الطريفة فمضت معه خطوب حتى أمسك . ومنها ان بهاء الدولة كان يجلس
 في الجوسق الذي في دار الامارة بشيراز وهو مشرف على الميدان ويجتاز
 أبو علي فيه ^(٤٦٧) راكبا وبين يديه أكابر الديلم مشاة فلا يرى ان يترجل
 وبهاء الدولة يراه وينفطر غيظا منه . ومنها انه أنفذ اليه بعض خواصه في ليلة
 نيروز يلتمس منه ثلاثة آلاف درهم فقال للرسول : لاي حاجة يريد بها للخبز أو
 للحم أم للشعير؟ فقال له الرسول : أيها الوزير لا يحسن ان يكون جواب الرسالة غير
 حمل الدراهم . فقال له : ماههنا مال . وخاف الرسول ان تجري منافرة يكون
 هو سببا فحمل الدراهم من ماله وعرف بهاء الدولة ذلك من بعد

فانظر الى عجب الزمان وتقلب الاعيان : هذا أبو علي هو الرجل الذي
 تكلف واستدان وحمل الى بهاء الدولة من بغداد ما امتنع من حمله ابن عمر
 وابن صالحان فقربت من قلبه منزله وعلت لديه درجته ورتبته ثم ينتهي الامر
 به الى ان يطلب منه بهاء الدولة في ليلة نيروز هذا القدر النزر مع اتساع حاله
 وتبذره على الديلم بمطائه ونواله فيمنعه . هل ذلك الا لمحدث قد يفتى على

كل بصيرة وبصير؟ فستان بين ابتداء السعادة وانهايتها لقد أحسنت أيامه في اقبالها وأساءت في انفصالها والخبر المأثور مشهور اذا أقبلت الدنيا على قوم كستهم محاسن غيرهم واذا ولت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم وكان أبو غالب ابن خلف في خلال هذه المضايقات يحول الى بهاء الدولة الدنانير الكثيرة في الاوقات^(٦٨) المتفرقة سرّاً فتمهدت له بذلك حال راعاها وكانت أكبر وسائله عنده وتأكدت الوحشة بين بهاء الدولة وأبي علي وجرى أمره على ما يأتي من بعد ذكره بمشيئة الله تعالى وفي هذه السنة قبض بكران بن بلفوارس على الحسين بن محمد بن مما نقيب نقباء الديلم ببغداد ثم أفرج عنه

﴿ ذكر الحال في القبض عليه ﴾

كان بكران مستتاباً من قبل بهاء الدولة ببغداد على أمور الديلم فاستوحش من ابن مما وسمى بينهما سماعة بالفساد فقبض عليه بغير أمر من بهاء الدولة واعتقله في داره ووكل به كوشيار بن المرزبان مع جماعة من الديلم وضيق عليه وقلد أبا الحسين ابن راشد نقابة النقباء وأنزله في دار ابن مما وقيل انه تم بالفك به . فتوسط أبو الفتح منصور بن جعفر أمره وضمن عنه عشرين ألف دينار وأخذه الى داره وأقام خطوطاً وكفالات بالبلغ . وعرف الشريف أبو الحسن ابن عمر ما أقدم عليه بكران فأنكره واطاق لسانه في بكران وفي ابن راشد بكل عظمة وكتب الى بهاء الدولة والى ابي علي ابن اسمعيل بذلك^(٦٩)

﴿ ذكر سياسة قامت بها الهيبة في الافراج عنه ﴾

لما وصلت الكتب الى ابي علي ابن اسمعيل امتعض الامتعاض الشديد وكتب الى بكران بما أغلظ القول فيه والى الشريف أبي الحسن بانزع

ابن مما من يده وارتجاع الكفالات المأخوذة بالمال منه وكتب الى احمد
الفراس بملزمة بكران الى ان يفرج عن الرجل . فامتثلت الجماعة مرسومه
وأفرج عن ابن مما وردت عليه الكفالات وانحدر الى الاهواز وجددها
بالخدمة وعاد . وفوراً . واستدعى بكران وأتقذ شيرزبل أخوه الى بغداد
ليقوم مقامه وقبض على كوشيار وحل اقطاعه ووفيت السياسة حقها في ذلك
وفيها توجه الامير ابو منصور ابن بهاء الدولة الى الاهواز

وفيها استولى الامير ابو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعد ان
واقع عبدالملك بن نوح بن منصور ومن في جلته من توزون وفاثق وابن سمجور
بظاهر مرو وهزمهم وأقام الدعوة لأمير المؤمنين القادر بالله رضي الله عنه
على منابر تلك البلاد وكان آل [سامان] مسترين على اقامتها للطائع لله .

وورد كتاب أبي القاسم^(٤٧٠) محمود الى القادر بالله رضي الله عنه
يذكر الفتح على ما جرت به العادة في أمثاله

انقضت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وبانقضاء أخبارها ختمنا هذا
الكتاب ومن الله تعالى نرجو أحسن التوفيق والهداية للصواب
وبه سبحانه نمود من شر القصد وخيبة المنقلب وآفة
الاعجاب وهو حسبنا ونعم الوكيل

آخر ما صنفه الوزير أبو شجاع رضي الله عنه وارضاه والحمد لله كثيرا

الجزء الثامن

من تاريخ ابي الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي الكاتب

—†††—

وهو يحتوي على حوادث خمس سنين أولها

سنة ٣٨٩ وآخرها سنة ٣٩٣ هجرية

◆◆◆◆◆

الحقما بذيل الوزير ابى شجاع لكونه كالتكملة

الحج والبر

وقد اُعتني بتصحيحه المرحوم هـ : ف . امروز

وبامده د. س. مرجلیوٹ

[illegible]

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح الحال في قبض أبي شجاع بكران بن بلقوارس على

أبي القاسم الحسين بن مما تقيب النقباء

استوحش أبو شجاع بكران من أبي القاسم ابن مما وسعى بينهما سعاة بالفساد فقبض عليه بغير أمر بهاء الدولة والموفق واعتقله وقيده ووكّل به أبا العباس كوشيار بن المرزبان وجماعة من الديلم وضيق عليه ومنع كل أحد من الوصول إليه . وقلد أبا الحسين محمد بن راشد نقابة النقباء وأنزله في دار أبي القاسم بسوق السلاح وتبع أسبابه وأصحابه وهم على ما قيل بالفتك به وطالبه بما يصححه ويقرره على نفسه وتوسط أمره أبو الفتح منصور ابن جعفر^(١) وضمن عنه عشرين ألف دينار وأخذه إلى داره . وعرف أبو الحسن محمد بن عمر ما جرى فأمسك أمساك لا راض ولا منكر فلما قيل له أن أبا الحسين بن راشد يتقلد موضعه قامت القيامة عليه غيظاً منه وتذكر الما كان عامله به وأطلق لسانه في أبي شجاع بكران وابن راشد بكل قول وكتب إلى الموفق مثله وجاءه ابن راشد فحجبه واجتهد في استعطاف رأيه فلم يجد إلى ذلك سبيلاً . ونفذت الكتب إلى الموفق بالصورة فامتعض

الامتعاظ الشديد منها وكاتب أبا شجاع بكران بما أغلظ له فيه والشريف
أبا الحسن بانزعاج أبي القاسم بن مما من يده وارتجاع الكفالات التي أخذها
منه بالمال الذي قرره عليه . وكتب الى أبي العباس أحمد الفراهي باعتناق
هذا الامر والمضي الى أبي شجاع بكران وملازمته الى ان يفرج عنه ويرد
عليه خطوط الكفالتين به . وفعلت الجماعة ما رسم لها وافرغ عن أبي القاسم
في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ربيع الاول وردت عليه الكفالات
بالمال المذكور ثم انحدر من بعد الى الاهواز وجدده عهد الخدمة بهاء الدولة
والموفق . وأثناء الموفق أبا الحرب شيرزيل بن أبي الفوارس الى بغداد
للقيام مقام أبي شجاع وبكران أخيه فكان وروده يوم الخميس لسبع بقين من
شهر ربيع الآخر ورد أبا القاسم ابن مما فكان وروده يوم الجمعة لسبع بقين
من جمادى الاولى وقبض على أبي العباس كوشيار وأقطع أقطاعه وكان من
أكبر الاسباب فيما جري على أبي القاسم

وفي يوم الاحد لعشر بقين من شهر ربيع الاول برز الامير أبو منصور
بويه بن بهاء الدولة الى المعسكر بالاتانين متوجها الى الاهواز وسار في
يوم الجمعة بعده .

ووجدت^(٢) في بعض التقاويم انه انقضى في يوم الاحد المذكور كوكب
كبير ضجوة النهار

وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر ربيع الآخر أحرق العامة
دار الحمولي فمضت بأسرها ولم يبق فيها جدار قائم واحترق ما كان فيها من
حسابات الدواوين

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو نصر سابور قد حاول وضع العشر على ما يعمل من الثياب
الابرسميات والقطنيات بمدينة السلام فثار أهل الغائبين وباب الشام من
ذلك وقصدوا المسجد الجامع بالمدينة يوم الجمعة العاشر من الشهر ومنعوا
الخطبة والصلاة وضجوا واستغاثوا وبأكروا الاسواق على مثل هذه الصورة
فلما كان في يوم الثلاثاء صاروا الى دار أبي نصر سابور بدرب الدينج
فمنهم أحداث الملوك منها وخرجوا من درب الدينج الى دجلة وطلبوا
من جري رسنه بالسكون في دار الحمولى من الكتاب والمتصرفين فهربوا
من بين أيديهم وطوحوها النار في الدار وأهمل اطفالها فأتت على جميعها
وورد ابو حرب شيرزىل ناظرا في البلد على ما قدمنا ذكره فقبض على
جماعة من القامة اتهموا بما جرى من الحريق وصلب أربعة انصار على باب
دار الحمولى وذلك في يوم الخميس الذي دخل فيه . واستقر الامر على اخذ
العشر من قيم الثياب الابرسميات خاصة ونودى بذلك بالجانب الغربي في
يوم الاحد الرابع من جمادى الاولى وبالجانب الشرقى في يوم الاثنين
وثبت هذا الرسم ورتب في جبايته ناظرون ومتولون وأفرد له ديوان في
دار البركة ووضعت الختم على جميع ما يقطع من المناسج ويباع ويختم .
واستمرت الحال على ذلك الى آخر ايام عميد الجيوش ابنى على ثم اسقطه وازال
رسنه على ما سنده كره ^(١) في موضعه

وفي يوم الجمعة لست بقين منه توفي ابو القاسم ابن حباة المحدث وصلى
عليه ابو حامد الاسفراينى بمسجد الشرقية ^(١)

(١) وفى تاريخ الاسلام : ابن حباة هو عبيد الله بن محمد بن اسحق بن سليمان

وفي يوم الخميس للنصف من جمادى الاولى خلع على الشريف أبي الحسين محمد بن علي بن الحسن المربني من دار الخلافة ولقب نقيب النقباء
وفي يوم الاثنين الثاني من جمادى الآخرة توفي أبو الحسين المتطبب تلميذ سنان^(١)

وفي رجب قلد أبو العلاء الحسين بن محمد الاسكافي الخزائن والاستعمال فيه وفيه انحدر أبو شجاع بكران الى واسط
وفي يوم الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من شعبان توفي أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي بالكوفة
وفي يوم السبت الرابع من شهر رمضان توفي أبو محمد حسان بن عمر الحريري الشاهد

وفي ليلة الجمعة مستهل شوال قتل أبو عبد الله محمد بن علي بن هدهد الحاجب الناظر في المعونة

التوثي البراز روى عنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن هز امرد الصريغيني كتاب الجعديات وأبو حامد هو الامام أحمد بن أبي طاهر محمد المتوفى سنة ٤٠٦ هـ وفي ترجمته في تاريخ الاسلام : قال أبو حيان التوحيدى في رسالة ما يمثله العلماء . سمعت الشيخ أبا حامد يقول : لاتعلق كثيراً مما تسمع منى في مجالس الجدل فان الكلام مجرى فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالته فلسنا نتكلم فيها لوجه الله خالصا ولو أردنا ذلك لكان خطونا الى الصمت اسرع من تطاولنا في الكلام وان كنا في كثير من هذا نبوء بغضب الله تعالى فانا مع ذلك لظمع فى سعة رحمة الله .

(١) هو ابن كشكرايا وقال فيه بن ابى اصبيحة ١ : ٢٣٨ انه كان فى خدمة سيف الدولة ولما بنى عضد الدولة البيمارستان ببغداد استخذه وزاد حاله . وله قصة مع جعبرئيل بن بختيشوع وردت فى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطى ص ١٤٩

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

جرت بين ابن هدهد وبين أبي الحسن ابن رهاذ الاحول نبوة
لأمر سأل فيه ورده عنه وتزايد ما بينهما الى ان بذل ابو الحسن فيه بذلا
كثيرا فقبض أبو نصر سابور عليه وسلمه اليه واعتقل ابو الحسن في داره
فلما كان في ليلة يوم الجمعة كبسه الميارون وقتلوه واتهم ابن رهاذ بأنه
وضعهم على ذلك فقبض عليهم وهم الشريف ابو الحسن محمد بن عمر بأن
يقيده به فسأله أبو القاسم ابن مفا في بابه وأخذه الى داره وكتب الى الموفق
بما جري ووقف الأمر على ما يدوم من جوابه ثم أفرج عنه

وفي يوم الثلاثاء لخمس خلون منه قلد أبو الحسن علي ابن أبي علي
المعونة بجاني مدينة السلام وخلع عليه . وفي هذا الشهر ^(٥) قصد أبو الحسن
علي بن مزيد أبا القواس قلعج بدير الماقول فلم يزم من بين يديه وهب البلد
وفي يوم الاحد لليلتين خلتا من ذي القعدة ضرت الدراهم التي
سميت « الفتحية »

وفي يوم الاثنين العاشر منه ورد قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار
ابن أحمد وأبو الحسين علي بن ميكال حاجين وتلقاهما القضاة والفقهاء والشهود
ووجوه الناس وأبو القاسم ابن مفا وأصحاب الشريف أبي الحسن محمد بن
عمر وأبي نصر سابور وروعي بالانزال والملاطفات
وفي ذي الحجة قتل أصحاب أبي الفتح محمد بن عتاز زهمان بن هندي
وأولاده دلف ومقداد وهندي

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

حدثني أبو المعر ابراهيم بن الحسين البسامي قل : كان زهمان مستوليا

على خاتنين وما يجاورهما فلما قتل المعلم عليا ابنه ضعف أمره ولان غمزه .
وعاد أبو الفتح محمد بن عساز من حرب بني عقيل بالموصل مع أبي جعفر
الحجاج فقلد حماية الدسكرة وجرت بينه وبينه مجاذبات ومنازعات والايام
تقوي أبا الفتح وتضعف زهمان وكان منه في قصده ونهيه مع أبي علي
ابن اسماعيل علي ما قدمنا ذكره .

وانتهت الحال بينهما الى الصلح والموادعة والاختلاط والالفة وأرخي
أبو الفتح من عنائه واعطاه من نفسه كل ما تأكد به أنه فصار اليه هو
وأولاده وتمكن منهم فقبض عليهم ونقلهم الى قلعة البردان فاعتقلهم فيها
وتفرق اصحابه وملك عليهم نواحيهم . ومضت على ذلك مدة فثار أولاد
زهمان وكسروا قيودهم وحاولوا الفتك بالموكلين بهم والاستيلاء على القلعة
فصاح^(١) الموكلون واجتمع اليهم من عاونهم فقتلوا الثلاثة المذكورين من
أولاد زهمان بحضرته واخذوه فجعلوه في بيت وسدوا بابه وكانوا (يدخلون)
من كوة فيه قرصة من شعير وقليل ماء فبقي أياما ومات

وقد جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وتعليق
التياب واظهار الزينة في يوم الغدير واشعال النار في ليلته ونحر جبل في
صبيحته . فارادت الطائفة الاخرى من السنة أن تعمل لأنفسها وفي محالها
واسواقها ما يكون بازاء ذلك فادعت ان اليوم الثامن من يوم الغدير كان
اليوم الذي حصل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه في الغار
وعملت مثل ما عمله الشيعة في يوم الغدير^(١) وجعلت بازاء يوم عاشوراء يوما

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٤٢٢ وفي ثامن عشر ذي الحجة عملت
الشيعة يوم الغدير وعملت بمدتهم اهل السنة الذي يسمونه يوم الغار وهذا هذيان وفشار

بعده بثمانية ايام نسبته الى مقتل مصعب بن الزبير وزارت قبره بمسكن كما
زار قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما بالحائر . وكان ابتداء ما عمل من يوم
القدر^(١) في يوم الجمعة لاربع بقين من ذي الحجة

وحج بالناس في هذه السنة ابو الحارث محمد بن محمد بن عمر . وحج
فيها الوزير ابو منصور محمد بن الحسن بن صالحان والشريف المرتضي ابو القاسم
علي بن الحسين الموسوي^(٢) والرضي ابو الحسن اخوه والوزير ابو علي
الحسن بن ابي الريان حمد بن محمد

وفي هذه السنة حصل عمدة الدولة ابو اسحق ابراهيم ابن معز الدولة
بالموصل واردا من مصر وكثر الارجاف له وبه واقام مسددة ثم سار الى
الري وقصد ابرقويه وتلك الاعمال وعاد بعد ذلك الى مصر فكانت وفاته
بها وفيها وافى برد شديد مع غيم مطبق وريح مغرب متصلة فهلك من
^(٣)النخل في سواد مدينة السلام ألوف كثيرة وسلم ماسلم ضعيفا فلم يرجع
الى جلاله وجملة الابد سنين

وفيها استولى الامير ابو القاسم محمود بن سبكتكين على اعمال خراسان
بعد ان واقع عبدالملك بن نوح بن منصور وتوزون وفائق^(٤) وابن سيمجور^(٥)

(١) الصواب هو : القار (٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريبه : ١٧٣ واخوه
الرضي هو محمد . (٣) هو عميد الدولة ابو الحسن الامير فتى السلطان نوح بن نصر
الساماني توفي ببخارا في هذه السنة وقد ولي امرة هراة مدة عقد بها مجلس الاملاء
وولي بمدن خراسان نيفا واربعين سنة . كذا في تاريخ الاسلام (٤) وهو ابو القاسم
علي ابن محمد بن ابراهيم وله اخ يسمى ابو علي محمد المظفر توفي سنة ٣٨٧ وفي ترجمة الحاكم
النيسابوري ابن البيس في تاريخ الاسلام انه صنف لابي علي هذا كتابا في ايام النبي
صلى الله عليه وسلم وازواجه واحاديثه وسماه الاكليل ليراجع كشف الظنون ١١٠٩

بظاهر صرو وهزمهم وأقام الدعوة لأمير المؤمنين القادر بالله أطلال الله بقاءه
وقد كان القائمون بالامر من بني سامان مستعزين على اقامتها للطائع لله
وورد من الامير أبي القاسم محمود بهذا الذكر كتاب نسخته بعد التصدير
الذي جرت العادة به في مكاتبه الخلفاء :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« أما بعد فالحمد لله العلي مكانه الرفيع سلطانه الواحد الاحد الفرد
الصمد العزيز القهار القوى الجبار الذي يكمل باعلاء الحق ورفعه واخزائه
الباطل وقمعه الحائق بشيع البغي والعدوان مكره اللاحق بفرق الطغيان
قهره وقهره الحاكم لا وليائه بالعلو والاقتدار الحاتم على أعدائه بالشبور
والتبار المتفرد بجلاله ان يمانع المتعالي بكبريائه ان يدافع يميل المفسر بانائه
استدراجا ولا يميل ويملئ الخدوع بحلمه احتجاجا ولا يففل بيده الخلق والامر
ومن عنده الفتخ والنصر فنبارك الله رب العالمين رب السموات والارضين .
والحمد لله الذي اصطفى محمداً عليه السلام واختار له دين الاسلام وفضله
على من تقدمه من الرسل وانا ربنا به مناهج الآيات والسبل وأرسله الى الخلق
بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً فهدى الى القرآن والتوحيد
ودل على الامر الرشيد وأهاب بالبرية الى مستقيم الدين وانا فبهم^(٨) على
العلم اليقين فصلوات الله عليهم اثم صلاة نماء وأكملها بهاء صلاة ترتقي اليه
جل جلاله في أعلى الدرجات وتنجي روحه في السموات وعلى آله أجمعين

« والحمد لله الذي أنشأ سيدنا وولانا أمير المؤمنين الامام القادر بالله
أطلال الله بقاءه من ذلك السنخ الزكي وانمرق النقي أحسن منشأ وبوأه
من خلافته في ارضه اكرم ميوأ وجعل دولاه عالية والاقتدار لارادته

مؤاتية فلا يخالف رأيه عدو الا حان حينه وسخت عينه ولا يجب^(١) دعوته ولي الا كان قدحه في القداح فائزاً وسميه للنجاح. حائزاً بذلك جرت عادة الله وسننه وان نجد لسنة الله تحويلاً . وقد علم مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه حال المساضين من السامانية فما كانوا فيه من نفاذ الامر وجمال الذكر وانتظام الاحوال واتساق الاعمال بما كانوا يظهرونه من طاعة امير المؤمنين ومبايعةهم ويتحلونه من موالاتهم ومشايعتهم ولما مضى صالح سلفهم وبقي خلف خلفهم خلعوا ربة الطاعة وشقوا مخالفة لمولانا^(٢) أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عصاه الجماعة^(٣) واخلوامنا برخراسان عن ذكره واسمه وخالفوا في افاضة القول^(٤) وحسم عادية الجور والخلل على امره ورسمه وعم البلاد والعباد فسادهم وبلاؤهم ونهك الرعايا ظلمهم واعتداؤهم . ولم استعجز مع ما جمع الله لي في طاعة مولانا امير المؤمنين أطال الله بقاءه من عدة وعدة وشكة وشوكة وقوة اقران وامكان وكثرة انصار واعوان الا ادعوم الى حسن الطاعة ولا ابذل في اقامة الدعوة لمولانا امير المؤمنين^(٥) أطال الله بقاءه تمام الوسع والاستطاعة . فدعوت منصور ابن نوح اليها وبعثته بجدي واجتهادى عليها ولم يصنع الى اعذار وتذكير ولم يلتفت الى انذار وتبصير ونهض من بخارا بخيله ورجله وحشده وحفله يجمع على اهل الضلالة من اشياعه ويحشر من في البلاد من اتباعه . فكان من شؤم رأيه وسوء انحائه ان اضطلمه جنده فكحلوه وبايعوا اخاه عبد الملك وملكوه وجريت على عادتي مع هذا الاخير اوفداليه مرة بعد اخرى

(١) وفي الاصل يخالف (٢) وفي الاصل : مولانا (٣) جاء في حاشية : عسا يظنك منك (كذا) (٤) لعله : العدل

وثانية عقب أولى من يدعوهُ الى الرشاد ويبصرهُ من التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءهُ سبيل الرشاد فلم يَزِدْهُ ذلك الا ما زاد أخاه استمضاء واستغواء وتهوُّراً في الضلال واستشراء . فلما أيست من فيه الى واضح الجدد ورجوعه الى الاحسن والاعود ورأيتهُ متتاباً في عماتهِ ومتكسفاً في مهاوي غوايته نهضت اليه بن معي من أولياء مولانا أمير المؤمنين أدام الله علوه وانصار الدين في جيوش يشرق بها القضاء ويشفق من وقعها القضاء ترحف في الحديد زحفاً وتخذ الارض جرفاً ونسفا الى ان وردت مرو يوم الثلاثاء لثلاث بقين من جمادي الاولى وهو البلد الميمون الذي به ابتداء اشاعة الدولة العباسية وزالت البسدة الاموية على أحسن تهيئة وأكمل عتاد وأجل هيئة ووليت أمر الميمنة عبد مولانا أمير المؤمنين أخِي نصر بن ناصر الدولة والدين في عشرة آلاف رجل وثلاثين فيلاً وجعلت في الميسرة من الموالي الناصرية اثني عشر ألف فارس وأربعين فيلاً ووقفت في القلب بقلب لا يتقلب وطاعة مولانا أمير المؤمنين^(١٠) شعارهُ عن أضداده وعزم لا ينتقض ودعوة أمير المؤمنين عتاده في اصداًره وإيراده وممي عشرون ألف فارس من سائف ورامح ودراع وتارس وسبعون فيلاً وبرز عبد الملك بن نوح وعن يمينه ويساره بكتوزون أحد غواته وفائق رأس طمانه وعتاته وابن سيمجور وغيرهم من مساعديه على ضالته مستعدين للكيِّفاح مستلَّمين في شكك السلاح وتلاقت الصعوف بالصفوف واصطالت السيوف بالسيوف وتوقدت الحرب واحتدت واضطربت نيرانها واشتدت واختلط الضرب بالطنن وكبا القرن بالقرن ولم يري الا تهوى الصوارم على حجب الجاجم وأوداق النبال في أحداق السكّاة والابطال . وأهبط الله

ريح الظفر لاوليائه وكشفوا مقاب الاعداء وحملوا^(١) فيهم الخوف وارووا من دمائهم السيوف وانجلى المعركة عن القى قتيل من شجعانهم وابطالهم والى وخسمائة أسير من مشهوري ذادة رجالهم وصناديدهم واقتي الاولياء أثار القل من عباديدهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ويفتمنون الى ان لقت الشمس عينها وأبرزت ظلمة الليل جنينها وعاد الاولياء الى معسكرهم فى وفور من السلامة وتمام من النعمة وقد ملأوا أيديهم من الغنيمة والفنائس الجملة ثم ما نضب منهم أحد ولم ينتقص لهم عدد . وكتابى هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة وجعل منابرها تذكر اسمه . تباهية وكلمة الحق به عالية والاهواء فى موالاته متهادية . وبعد فلم أجد رسماً فى حل وعقد وبرانم ونقض الى ان يرد من على أمره ورسمه ما أبني الامر ببنائه واحتدى الى حدائه بارادة الله سبحانه وتعالى فالحمد لله^(١١) العزيز المان العظيم السلطان الذي لا يضيع لحسن عملا ولا يغفل عن مسمى وان أرخى له أجلا ولا يمجزه متغلب بقوته وحوله ولا يمتنع عن سطوته وصوله ولا يرُد بأسه عن القوم المجرمين راد ولا يصد نعمته عن الظالمين صاد حمداً يمتري الزيد من احسانه ويقضى الصنع الجديد من امتنانه واياه أسأل أن يهني مولانا أمير المؤمنين الامام القادر بالله خير هذا الفتح الجليل خطره الواضح على وجه الزمان غرره وان يواصل له الفتوح قراً وبمداً وغوراً ونجداً وبراً وبحراً وسهلاً ووعراً وان يوفقني للقيام بشرائط خدمته والمناضلة عن يرضته انه على ما يشاء قدير وبه جدير . فان رأي سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ان ينم بالوقوف عليه

وتصريف عبده بين امره ونهيه فعل ان شاء الله تعالى

﴿ سنة تسمين وثلاثمائة ﴾

اولها يوم الاربعاء والثالث عشر من كانون الاول سنة احدى عشرة
وثلاثمائة والاف للاسكندر وروز اسمان من ماه آذر سنة ثمان وستين
وثلاثمائة ليزد جرد

في يوم الاثنين السادس من المحرم توفي ابو الحسين علي بن المؤمل بن
ميان كاتب ديوان السواد

وفي يوم الجمعة لعشر خلون منه توفي ابو بكر احمد بن علي السمسار
المعروف بابي شيخ البراز

وفي يوم الخميس لسبع بقين منه توفي القاضي ابو بكر احمد بن محمد بن
ابن موسى الهاشمي

وفي هذا الشهر احترق ارسلان البستي وذلك انه كان نائما في خرگاه
له وبه نقرس مزمن قد منعه الحركة والقدرة على النهضة وفرأشوه وغلماناه
بعيدون منه فسقطت شرارة من شمعة كانت في الخرگاه على فراشه فاحرقته
واتتبه ولافضل^(١٢) فيه للقيام من موضعه والنجاة بنفسه فصاح صياحا حجز
الليل ونوم النملات عن سماعه وعملت النار في الفراش والخرگاه فما عرف
الخبير الا بعد احتراقه وهلاكه

وفيه خرج الموفق ابو علي الى جبل جيلويه في طلب ابن نصر ابن
بختيار واتبعه الي ابرقويه وعاد في صفر وفي هذه الخرجة لقب بمدة الملك
مضافا الي الموفق واذن له في ضرب الطبل اوقات المصاوات الخمس ولقب

ابو المعمر ولده بربيب النعمة

وفي صفر ورد الكتاب من شيراز بتلقيب المشطب ابني طاهر سباشي
بالسعيد والاشراك بينه وبين المناصح ابني الهيجاء تختكين الجرجاني في
مراعاة امور الاتراك في مدينة السلام
وفي يوم [الخميس] السابع منه توفي ابو منصور محمد بن احمد بن
الحواري بالاهواز

وفي يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الاول توفي ابو الحسن محمد بن
عمر بن يحيى العلوي^(١) ودفن في حجرة من داره بدرج منصور مدة ثم نقل
الى المشهد بالسكوفة وحضر جنازته ابو نصر سابور بن اردشير وابو حرب
شيرذيل بن ابني القوارس والمناصح ابو الهيجاء تختكين الجرجاني وسائر
طبقات الناس

ذكر ماجري عليه الامر في تركته وضيعته

لما توفي انفذ ابو نصر سابور فحظر على ما في داره وخزائنه ووكل
باصطبلاته وطلب كتابه وجها بذته فلم يجد احدا منهم لان ابا الحسن علي بن
الحسن بن اسحق هرب وهرب الجهيد معه واستتر الباقون من اصحابه .
واحضر ابا عبد الله البطحاني العلوي وطالبه بما عنده من وصيته وماله فامتنع
من تسليم ذلك واخذ فيه الى الاعتلال والانكار واعتقله اعتقالا جهيلا . وتنفذت

(١) هو الشريف الجليل بن أبي علي عمر بن أبي الحسين يحيى بن الحسين
النفيب بن أحمد المحدث بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمة وذو العبرة بن زيد
القهيدي بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وله قصصة مع الوزير
المطهر بن عبد الله وردت في عمدة الطالب بمجيء ١٣١٨ ص ٢٤٨ .

الكتب الى بهاء الدولة والموفق بما تجدد وكتب أبو الحسن محمد بن الحسن ابن يحيى الملو^(١) وقد كان عاد من الاهواز الى واسط بعد الفتح في أمر الورثة والتركة فماد الجواب اليه بالاصماد الي بغداد والقيام بها مقام أبي الحسن محمد بن عمر . وتقرر أمر التركة على خمسين الف دينار تحمل الى الخزانة فحدثني أبو القاسم ابن المطلب قال : تقرر الامر بفارس على خمسين الف دينار صالحاً عن التركة وان يكون النصف من الاملاك للخاص والنصف للورثة . ثم أفرد قسط السلطان فحصل له به الثلثان لانه أخذ عيون الضياع وجمع موجود التركة فلم يف بالتقرير حتى تم بأمان أملاك بيعت من جملة ما حصل للورثة من الضياع علي أبي علي عمر بن محمد بن عمر وأبي عبدالله الحسين بن الحسن بن يحيى وأبي محمد علي وابن محمد بن الحسن بن يحيى وأبي علي عمر بن محمد بن الحسن بن يحيى . وأصعد أبو الحسن بن يحيى الى بغداد فكان دخوله اياها في يوم الاربعاء الثاني من جمادي الاولى ومعه أبو علي عمر بن محمد بن عمر وأبو الحسن ابن اسحق الكاتب وكان انحدروا الى واسط فلقوه في الطريق وعاد في صحبته وأطلق أبو عبد الله البطحاني وسلم اليه وراعي أبو الحسن القسط السلطاني من المعمرات وتولي (أبو) الحسن ابن اسحق النظر فيه وارتفع في هذه السنة وهي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة الخراجية على ما ذكره أبو القاسم بن المطلب مع حق الورثة

(١) أظنه محمداً كمال الشرف بن أبي القاسم الحسن الاديب بن أبي جعفر محمد بن علي الزاهد بن محمد الاصغر الاقساسي بن أبي الحسن يحيى بن الحسين ذي الدمة بن زيد الشهيد ولاء الشريف المرتضى نقابة الكوفة وأمانة الحج فجع بالناس مزاراً. كذا في عمدة الطالب ص ٢٣٥

وسوى حقوق بيت المال بالفي كرويف حنطة وشميرآ وأصنافاً وتسعة
عشر الف دينار وكسر

وفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر ربيع الاول قبل القاسي أبو محمد
ابن الاكفاني شهادة أبي القاسم^(١) ابن المنذر وأبي الحسين بن الحراني
وفي يوم الجمعة لليتين بقيتا منه قبل شهادة أبي العلاء الواسطي
وفي ليلة يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر وُلد الامير أبو
القوارس ابن بهاء الدولة بشيراز والطالع كوكب من العقرب
وفي يوم الخميس لخمس بقين منه توفي أبو عمر أحمد بن موسى العلاف
الشاهد بالجانب الشرق

وفي يوم الجمعة الثامن عشر من جمادى الاولى خلع على الموفق أبي على
بفارس بالقباء والفرجيه والسيف والمنطقة والدستى المذهب وحمل على دابة
بمركب ذهب وقيد بين يديه دابة بمركب مذهب وبغلة بجناغ فمور ومركب
بقبل مذهب وثلاثة أفراس بجلال ديباج وأعطى دواة محلاة بالذهب وحمل
معه ترس من ذهب وسائر السلاح وخلع على أبي نصر كاتبه وثلاثة من
حجابه ودواتيه واستاذ داره وخرج لقتال أبي نصر ابن بختيار ومعه المسافر
بعد ان استتاب أبا غالب محمد بن خاف بشيراز على مراعاة الامور وأبالفضل
الاسكافي بحضرة بهاء الدولة

﴿ شرح الحال في عود ابن بختيار وماجري عليه أمر الموفق ﴾

﴿ في قصده اياه وظفره به وأمر عسكر ﴾

(ابن بختيار بعد قتله)

لما انهزم أبو نصر بن بختيار من باب شيراز صار الي الاكرادوا تنقل

الى أطراف بلاد الديلم . وكاتب الديلم بفارس وكرمان لما استقرت به الدار هناك وكتبوه واستدعوه واستجروه فصار الى ابرقويه واجتمعت معه طائفة كبيرة من ديلم وآراك وزط وأكراد وتردد^(١٨) في نواحي فارس وتنقل في أطرافها وظهر أمره وشاع خبره وواصل مكاتبة الديلم ومراسلتهم واجتذبتهم واستمالتهم . وخرج الموفق أبو علي في طلبه الى جبل جيلويه وانتهى في اتباعه الى ابرقويه وكان يهرب ويرaug ويدافع ولا يوافق ومضى الى السيرجان . فحدثني أبو عبد الله القسوي قال : لما قصد ابن بختيار السيرجان لم يقبله الديلم الذين بها وكرهوا حصوله عندهم ومقامه بينهم . وكان أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن بجيرفت فبأبى بختيار المقام بهذا المكان وسار الى خانين والفرخان وهما ناحيتان بين فارس وكرمان وفيهما خلق كثير من حملة السلاح وفي أكنافهما حلل الزط الذين هم أشد الرجال الفارسيين شوكة وأكثرهم غدة واستمال منهم طائفة كثيرة وأقبل الديلم وغيرهم اليه ارسلوا من نواحي كورة درابجرد ومن سائر الاصفاع . وعمل أستاذ هرمز على قصده قبل استفحال أمره فجمع عساكر كرممان وتوجه لطلبه وسبقه ابن بختيار الى دشتير والتقيافي ووضع يرف زيرل من ظاهرها واستأمن الى ابن بختيار كثير من الديلم الذين كانوا مع أستاذ هرمز فانهزم أستاذ هرمز في خواصه وأقاربه من القومية وصار الى السيرجان . ومضى ابن بختيار الى جيرفت ورتب العمال وجبي الاموال وأنفذ الى شق بم من استنوى له الجند الذين فيها وحمام الى طاعته وملك أكثر كرممان واستولى عليها وانتشر أصحابه فيها بطرقون أعمالها ويستخرجون ارتفاعها واستأذ هرمز بالسيرجان ينفذ سرايا الى النواحي ويكبس أصحاب ابن بختيار^(١٩) ويسلك سبيل

الغيلة والمكيدة في طلبهم والايقاع بهم . ثم ورد عليه كتاب الموفق بانه سائر
ورسم له قصد بردشير وسبق ابن بختيار اليها ففعل ذلك وحصل بباب
بردشير وصعد من كان بها من ديلم ابن بختيار الى قلعتها ومنعوا نفوسهم فيها
وتوجه الموفق الي كرمان على طريق درابجرد . فلما وصل الى فـاء عسكر
بظاهرها وعرف أبو عبد الله الحسين بن محمد بن يوسف وهو عامل كورة
درابجرد خروجه من شيراز فبادر لاستقباله وخدمته فوافق وصوله
الي معسكره أن كان نائما فما انتبه الا بصهيل الخيل وضجيج الاتباع
والحشم فشاهد من كثرة حواشيه وضمفقه وسعة كراعته ورجله ما عظم في نفسه
وحمله حسده عليه ان قبض عليه وعلى أصحابه وأخذته معه محمولا على جمل
بعد ان احتوي على جميع ماله . فكان اذا نزل في المنزل أحضره وطلبه
وضربه وعذبه حتى تقدم في بعض الايام بان يعلق بأحدى يديه في بعض أعمدة
الخيم وان يحمل على الجمل معلقا وهو مع هذه المعاملة لا يستجيب الى التزام
درهم ولا يدعن بقليل ولا كثير وكان أكثر ما انتهى به الموفق اليه لغيظه
من تقاعده ونماته . فذكر أبو عبد الله انه عرف من بعض أصحابه (يعني
الموفق) انه قال : ما رأيت أشد نقسا من هذا الرجل فقد عذب اليوم بكل
نوع من العذاب وحل الساعة عن الشد والتعاقب وهو جالس يسرح لحيته
بيده وما عنده فكرر في كل ما لحقه

وعرف ابن بختيار مسير الموفق فاستخلف الحسين بن مستر قرابة ملك
ديلمان بجيرفت في جماعة من رجاله وسار طالبا لبردشير وعاملا^(١٧) على
التحصن بها الى ان تلحق به أصحابه بهم وزماسير وقد كان كاتبهم واستدعاهم

وهم جرة قوية . فلما توسط الطريق اليها بلغه حصول أستاذهم من بها وصعود أصحابه الى القلعة فعدل الى طريقهم وزماسير وكاتب من بهما من عسكره بالمصير الى دار زين وتم هو اليها فترها . منتظراً لوصولهم اليه ورحل الموفق من فسا وطوى المنازل حتى أطل على جيرفت واستأن إلى من بها من الديلم لاسم لم يجدوا مهرباً ولا منصرفاً وكانوا نحو أربع مائة رجل . فاستوقف عندهم أبا الفتح ابن المؤمل وأبا الفضل محمد ابن القاسم بن سودمند العارض وقال لهم : قد أثقتما عندكم ليعرضاكم ويقررا أموركم ووصاهما بان يقتلهم جميعاً الى بستان في دار الامارة على ان يعرضوا فيه من غد ذلك اليوم ثم جمعا الرجال الكوج واستدعيا واحداً واحداً على سبيل العرض وقتلاه وكان هذا الفعل منهما ليلاً . ثم خافا ان ينقضى الليل ويدرك الصباح قبل الفراغ فرموا بقيتهم في بئر كرد كانت في البستان وطرح التراب فوقهم . وعرف الموفق من جيرفت خبر ابن بختيار وأخذه طريقهم وزماسير تخلف أثقاله وسواده واتبه فيمن خف ركابه وثبتت دوابه وخاطر بنفسه وبالمملكة في هذا الفعل منه

فحدثني أبو منصور مردوست بن بكران وكان معه واليه خزانة السلاح السلطانية التي في صحبته وهو داخل في ثقته وخاصته قال : قلت أجسامنا ودوابنا من مواصلة السير واغذاذه وترك الراحة في ليل أو نهار ووصلنا الى جيرفت وما نعرف لابن بختيار خبراً . وقعد الموفق وجمع^(٨) الوجوه من الديلم والأتراك واستشارهم فكل أشار بالتوقف والتثبت وتجنب المخاطرة بالاقدام والهجوم فامتنع من قبول ذلك فاقام على أمره في الاسراء وراء ابن بختيار واستدعى منجماً كان صحبه من شيراز فقال له : أليس حكمت

بانني آخذ ابن بختيار وأظفر به في يوم الاثنين الآتي . قال : نعم . قال : أين ذاك ونحن على هذه الصورة والرجل مستعجم الخبر وإنما بقي من الايام خمسة أيام ؟ فقال : أنا مقيم على قولي في حكيمى ومتى لم تظفر في اليوم الذى ذكرته فدمي لك خلال وان ظفرت فأى شئ تطينى ؟ قال (أبو منصور) فتضاحكنا به وهزئنا منه وسار فكان الظفر في اليوم الذى نص عليه

وحدثني أبو نصر السني كاتب الموفق قال : لما عظم أمر ابن بختيار وملك كرمان واجتمع عليه الديلم قلق بهاء الدولة بذلك وطالب الموفق بالخروج لقصده وحربه وكان مخاطبا له على الاستغناء وقال له : لو أجتك الى الاستغناء لما حسن بك ان تقبله في مثل هذا الوقت وقد علمت انني لم أخرج من واسط الا برأيك ولا وصلت الى ما وصلت اليه من هذه الممالك الا برأيك واجتهادك واذا قدمت بي في هذه الضغطة فقد اسلمتني وضيعت ما قدمته في خدمتي . ولكن تمضي في هذا الوجه وتدفع عنى هذا العدو وتحمل للاستغناء والمطاب عليه وقتا آخر فيما بعد . فلم يمكنه في جواب هذا القول الا الطاعة والقبول وخلع عليه وسار والديلم والأتراك يخرجون معه ارسالا بغير مطالبة ولا تجريد حتى انه كان يرد قوما منهم فيسألونه ويضرعون اليه في استصحابهم

ولما حصل بفسا وجد بها جوامرد أبا ذرعان معقلا عند^(١١) أبي موسى خواجه بن سياهجك وهو اذ ذاك والى فسا وقد كان جوامرد عند افراج الموفق عنه بشيراز حصل في جملة خمارتكين البهائي وفارقه وهرب الى ابن بختيار عند ورودده وحصل معه واختص به . ثم أنقذه الى الغلمان بفسا ليتعبرهم له وأنقذ زوندين بن بلفضل هر كاج الى الديلم ووندرين ممن كان

بنفسا وهو وجه متقدم وأصبحهم مارقا وخواتيم
فحدثني الحسين أبو عبد الله ابن الحسن قال : أتقذ ابن بختيار وندرين
ابن بلفضل الي الديلم بنفسا لاسمالتهم وافسادهم وموافقهم على الانحياز اليه
والنداء بشماره فوصل واستتر في دار حبنة بن الاسهلار ولاج وكان
يحضر عنده طوائف الديلم سرا ويستجيبون له الي ما يدعوم اليه ويتسلمون
الرقاع والخواتيم منه

وكان أبو الفضل أحمد بن محمد الفسوى في الوقت متصرفا على باب
دخول دار (كذا) خواجه بن سياهجك لانه كان والى الكورة .
فحدثني غير واحد ان أبا الفضل كان يمشق خادمة في دار حنة الذي قدمنا
ذكره وتواصله وتزوره في أكثر الاوقات فتأخرت عنه لان حنة وكلها
بخدمة المستتر عنده فراسلها أبو الفضل يعاتبها ويستبطن عاداتها في زيارته .
فحضرتة فاخبرته بمذرها وكان عارفا بالديلم فاستوصفها الرجل فوصفته
وعرفه وسألها ان تتلطف في ادخاله الدار ليلا وخبئه ليشاهد من يجتمع به .
فعلت ذلك وحضر الدار سرا وشاهد وندرين وخرج من فوره الي
وندرش بن خواجه بن سياهجك فقال له : عندي نصيحة تتعلق بالدولة
وفيها لوالدك زيادة جاه ومنزلة فان أحسن الي وقربي وجعلني من خواجائية
الديلم وخلق على وقدمني أخبرته بها فحمله وندرش الي خواجه (٢٠) أبيه
حتى توثق منه فيما اشترطه لنفسه ثم حدثه حديث وندرين وكان الوقت
ليلا فاشفق أبو موسى خواجه بن سياهجك من تزايد الامر وظهور
الفساد وأتقذ وندرش وسياهجك ابنيه وجماعة من خواصه الي دار حنة
حتى كبسوها وقبضوا على وندرين وحملوه اليه فقتله . ووفى لابي الفضل

بما كان وعده وكان هذا ابتداء أمر أبي الفضل وتقدمه حتى انتهت به الحال الي ما سنورده في موضعه

وعرف أبو موسى خبر جوامرد أبي ذرعاني فقبض عليه واستأذن الموفق في أمره فرسم له اعتقاله قال أبو نصر : فلما حصل الموفق بنفسا أحضر جوامرد ليلا وقال له : قد علمت انني مننت عليك بنفسك أولا بشيراز وأنايا عند ما ظهر من افسادك في هذه الدفعة والآن فان كان فيك خير وعندك مقابلة لهذه الصنيعة^(١) فعلت بك المنزلة العالية الرقيقة . قال له : يا^(٢) أمراتي به وجدتني عند ايثارت ورضاك فيه . قال : أفرج عنك سراً وتمضي الي ان يختار وتظهر له انك جئت هاربا وتتوصل الي أخذه أسيرا فاذا أطأت عليك أو الفتك به ان لم تتمكن من أخذه وتصير الي لالحقك . منازل الاكابر من نظرائك . قال : أفعل . ووافقوه وعاهده وشرط عليه ان يقلده حجة حجاب الامير أبي منصور وخلاه ليلا واشيع من غدد بأنه هرب من الاعتقال وصار جوامرد الي ابن يختار وعاد خدمته

وسار الموفق مجداً منذ آحتي أطل على جيرفت واستأمن اليه من بها من أصحاب ابن يختار ودخلها ونزل بظاهرها واجتمع اليه أبو سعد فناخره ابن باجعفر وأبو الخير شهرستان بن ذكبي وأبو موسى خواجهم بن سياهجك وغيرهم من الوجوه وقالوا له : قد أسرفت أيها الموفق في هذا السير الذي سرت به وحملت نفسك^(٣) فيه على ما لا تؤمن عاقبته وأنت في ذلك بين حالين اما أن تهجم هجوما ينعكس علينا فقد أهلكت نفسك ونموذ بالله يديك وأهلكتنا واما ان تغفر بهذا الرجل فقد زال به ما كانت

الحاجة داعية اليك والينا فيه ومتى أمن هذا الملك كان أمنه سببا للتدبير علينا
وامتداد عينه الى نعمنا وأحوالنا وتركك الامر على مجلته ووقوفك فيه عند
ما بلغت اولى وأصلح . فقال لهم : قد صدقتم في قولكم ونصحتم في رأيكم
ولكني قد حملت هذا من قصد هذه البلاد على ما خالفت فيه كل أحد من
نصحاؤه وأصحاب رأيه ولزمني بذلك وبحكم ما لبسته من نعمته ان أوفيه الحق في
مناصحته وأبذل له الوسع في طلب عدوه ولا بد ان تساعدوني وتحملوا على
تقوسكم في انجاز هذا النجاز معي فقالوا له : لم نقل ما قلناه نخالف عليك أو نقعد
عنك وإنما أوردنا ما وقع لنا انه خدمة لك واذا لم ترد ذلك فنحن طوعك
وقال أبو نصر : وبينما هو في ذلك حضر من عرفه ان ابن بختيار
بدر فاذا وهي على ثمانية فراسخ من جيفت فاختر ثلثمائة رجل من الوجوه
وذوى القوة والعدة من الديلم والآراك وأخذهم الجوازات والبقال والدواب
عليها الرجل الخفيف والسلاح الكثير ومن لا بد منه من الركابة والاتباع
وترك السواد والاثقال والحواشي والحشم بحيرت وسار . فلما وصل الى
درفاذ لم يجد بها ابن بختيار وقيل انه كان بها وضي الى سروستان كرمان
فمضى على طيته ووافي سروستان وقد سار ابن بختيار الى دالزين فاضطر
الى اتباعه وخبره على صحته كالمستعجم عليه . وكان في ذلك وقد تقدم بضبط
الطرق وأخذ كل وارد وصادر اذا حضر رجل رستاقى ^(١) معه كتابان
^(٢) لابن بختيار بخط ابن جمهور وزيره أحدهما الى أهل سروستان بان
يمدوا الانزال والميرة فانه على الانكفاء اليهم عند وصول عسكره . من ثم
للتوجه الى بردشير والآخرة الى جانبويه بن حكمويه أحد الدعاة بجهال

جيرفت يقول فيه : بلغنا حصول ابن اسماعيل بالسيرجان وانه على المسير الى جيرفت وينبغي ان تأخذ عليه المضيق الفلاني (لطريق بين جبلين لا بد من سلوكة الى جيرفت ويمكن فيه الاعتراض على المسار بالعدة القليلة ومنعها الاجتياز)

قال أبو نصر : و سأل الموفق الرسول عن ابن بختيار وأين هو ^(١) . قال : تركته بدارزين ينتظر وصول عسكره من جم و نرماسير . فسر بما تحقق من خبره وسار من ليلته فيما بين العشاء والعمّة . فلما قطعنا فرسخين رأينا نارا تلوح فظننا ان ابن بختيار قد عرف خبرنا وسار لتلقينا وحرّبا وانزعجنا واضطربنا وبادر أبو دلف لشكرستان بن ذكي وقرر معه لتعرف الحال فعادوا بعد ايماناد وذكروا انها نار صيادين وتناقل الموفق في سيره الى ان قدر ان يكون وصوله الى دارزين عند الصبح فلما قربنا تسرع عسكرنا وبادر ابن بختيار فركب وجمع أصحابه وحمل على أحمد الديلم رماه بزوين أثبته في جبهته ورمي مرداويج بن بكاليجار بفرس فرسه وصاح واشتمل وترجع أصحابنا منه وتلاحقوا وصفوا مصافهم واجتمع أصحاب ابن بختيار ووقفوا يقاتلون ووصل الموفق (قال أبو نصر) فوقف على ظهر دابته ومعه صاحب أبو محمد ابن مكرم وأبو منصور مردوست وأما غلمان داره . فقال أبو محمد : انزل أيها الموفق واركب الفرس الفلاني (لفرس كان من عدده) . فقال : ان نزلت لم آمن ان تضف قلوب ^(٢) أصحابنا ويظنوا ان فعلى ذلك عن استظهار للهرب . (قال) وتركنا وسار في غلمان داره حتي خرج على ابن بختيار من ورائه وحمل وصاح غلامه صياح الاتراك فقدر ابن

بختيار ان الغلمان كثيرون وارتفع الغبار وحمل أصحابنا من ازاء القوم
فكانت الهزيمة . وركب ابن بختيار فرسا كان من عدده وسار طالبا للنجاة
بنفسه ومعه جوامرد أبو ذرعاني فاراد أن يعبر نهرا بين يديه واعتقله جوامرد
وضربه بلسان كان في يده فسقط عن فرسه ونزل ليرفعه على الفرس ويحمله
الى الموفق فتكاثر عليه طلاب النهب وأخذوا فرسه وفرس جوامرد
وسلاحه فترك جوامرد ابن بختيار ومضى طالبا للموفق فلما لحقه قال : أنا
فلان وقد قتلت ابن بختيار . فاستهان بقوله ولم يصدقه وصار يقتص أثر ابن
بختيار وعنده انه قدامه وأخذ مع جوامرد محمد بن أميرويه المجري ليعرف
حقيقة ما ذكره . وقد كان بعض الديلم عرف ابن بختيار فنزل اليه وشاله
وأركبه دابة كانت تحته ليحمله الى الموفق لانه قال له : احملني اليه . وفيما
الديلم في ذلك اعترضه غلام تركي من غلمان قلعج فقال له : تريد ان
تبقى على من حاربنا ولو ماكونا لما أبقوا علينا . وعنده ان ابن بختيار أحد
الديلم فقال له : يا بني هذا ابن بختيار وأريد ان أحمله الى الموفق . فقال له :
تحمله أنت ويكون الاثر والجمالة التي جعلت لمن يحضره لك . قال : لا
ولكن تشارك في ذلك . وتراضيا وعرف قوم من الساسة والاتباع ما هما
فيه فقالوا : بل نحن أحق بحمله . ووقعت المنازعة فيه وقوعا انتهى الى قتله
وحز رأسه وان أخذه التركي وركب فرسه وحرك ولقيه محمد بن أميرويه
وجوامرد أبو ذرعاني فغاداه معه . فذكر أبو نصر ان ابن أميرويه بادر^(٢٤)
الى الموفق وقد حصل على فرسخ من دارين وأعلمه الصورة فانكفأ حيث
عائدا وجاس على سطح دار وأحضر رأس ابن بختيار فطرح بين يديه
وصعد وجوه الديلم وهنوه بالظفر ودعوا له وفي وجوههم الوجوم وفي قلوبهم

العم الا زمان بن زرياذ فانه لما رأى الرأس رفسه رجله وقال للموفق: الحمد لله الذى بلغك غرضك وأجرى قتله وأخذ الثأر منه على يدك وحقق رؤياى التي كنت ذكرتها لك . قال أبونصر : وقد كان زمان قال للموفق في بعض الايام بشيراز : رأيت البارحة في المنام صمصام الدولة وهو يقول لى : امض الى الموفق فقل له حتى يأخذ بثأرى من ابن بختيار . ثم نزل الموفق من السطح الى خيمة لطيفة ضربت له وكتب الى بهاء الدولة بالفتح كتابا بخط يده نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

« علقت هذه الاحرف غدوة يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة من الموضع المعروف بدارزين على خمسة فراسخ من بين يدي رأس ابن بختيار وقد استولي القتل على أكثر من خمسمائة رجل من الديلم وأما الرجالة والزط فلم يقع عليهم احصاء بلغ الله تعالى مولانا شاهانشاه في جميع أموره وسائر أعداء دولته نهاية آماله وآمال خدعه وكتابي ينفذ بالشرح ليوقف عليه ويعظم الشكر لله عز اسمه على ما وفق له من هذا الفتح المبارك منه . وقد استوهب البشارة جماعة من الاولياء المقيمين معي وذكرت ذلك لثلاث بوهب شيء منها لغيرها ان شاء الله تعالى

قال أبو نصر : وأمرني باحضار هميان من جملة همايين كانت على أوساط غلمانة الأتراك^(٢٥) وفتح وصب دنانير كانت فيه وقال : نادوا من جاء بديلمى فله كذا وبراجل كوجى أوزطى فله نصف ذلك . فكان يؤتى بالديلمى والراجل فيقتلان على بعد من موضعه ومرأى من عينه حتى قتل عددا كثيرا . وحضره نيكور بن الداعي وولد للفاراضى وسألاه في

قريب لهما قد كان أخذ وحمل ليقتل ولم يزالا يخضعان ويقبلان الارض وهو يقول لهما : قد عرفتم احساني اليكم وما جعل لكم من الذنوب عند الملك بالتوفر عليكم وهو لا . القوم طلبوا الملك وساعدوا الاعداء ولا يجوز الابقاء عليهم والصفح عنهم . فبينما الخطاب يجري بينهما وبينه اذ دخل ثقيب لهما فقال : قد قتل الرجل . فنهضا من مجلسه وتعدا للعزاء به وصار اليهما معزيا وسألت أبا نصر عن المنجم الذي ذكر أبو منصور مر دوسست من حكمه ما ذكره فقال : نعم . هذا رجل يكنى بابي عبدالله ويعرف ببرنجشير وكان يخدم صمصام الدولة فلما قتل صار في جملة رزماني بن زريزاذ بالصمصامية وكان رزمان يحضر كثيرا بين يدي الموفق ويؤا كله ويشاربه ويناديه ويؤانسه فجري في بعض الليالي عند حصولنا بفسا ذكر للنجوم والاحكام فقال : معي منجم يدعي من علم ذلك طرفا فان رُسم احضاره أحضرته . فقال له الموفق : هاته . فاستدعاه فلما رآه قبلته عينه وقلبه وسقاه وقال له : ما عندك فيما قصصناه . قال : الظفر ^(١) لك يامولانا وأنت تملك وتقتل ابن بختيار في اليوم الغلافي . قال له الموفق : ان كنت تقول هذا زرقا لتجعله فألا محمودا قبلناه وان كان عن علم وعلى حكمكم من أين استدلت عليه ؟ قال : ما هو زرق ولكن ^(٢) قول على أصل ومعنى . ولد ابن بختيار وعليه قطع في اليوم الذي ذكرته لبلوغ درجة قسمة طالعه فيه تريبع المربيع . فقال له الموفق : ان صبح حكمك خلعت عليك وأحسنك اليك واستخدمتك واختصصتك وان بطل فبأي شيء تحكم على نفسك ؟ قال : بما حكمت . (قال) ولما حصلنا بحيرفت عاودت هذا المنجم الخطاب

وقلت له : أنت مقيم على ذلك الحكم ؟ قال : نعم . وكان قد جاءنا خبير ابن بختيار بانه بدر فاذا قُلت له : الرجل على منزل منا ونحن سائرون اليه الليلة وقد بقي الى اليوم الذي نصصت عليه خمسة أيام . فقال . أما ما حكمت به فانا مقيم عليه . ولست أعلم ما بقي بينكم وبين ابن بختيار . وكانت الواقعة وقتل ابن بختيار في اليوم الذي ذكره

قال أبو عبد الله الفسوى . ودفن جسد ابن بختيار في قبة بدارزين دفن فيها أبو طاهر سليمان بن محمد بن الياس لما قتله زرياذ عند غوده من خراسان لقتال كوركيز بن جستار^(١) ومضي من كان مع ابن بختيار من الاتراك الى خيصوص وراسلوا الاتراك الذين مع الموفق حتى خاطبوه في إيمانهم وقبولهم . وأجابهم فورردوا واختلطوا بالمسكر

قال أبو نصر : وسار الموفق طالبا لبردشير وأبو جعفر أستاذ هرمرز مقيم فيها على حصار من في القلعة من أصحاب ابن بختيار فلما وردها وعرف القوم هلاك ابن بختيار راسلوا الديلم الذين مع الموفق وسألوهم أخذ الامان لهم ليفتحوا القلعة ويدخلوا في الطاعة فخاطبوه على ذلك فقال : لا أمان لهم عندي الا على ان ينصرفوا بمرقعات ويخلوا عن أموالهم وأحوالهم . فاستجابوا له الى هذا الشرط فكان الرجل ينزل هو وولده بمرقعات وكرايز^(٢) ويركبون الطريق ووقع الاحتواء على ما في القلعة من المال والثياب والرحل والدواب

قال أبو نصر : وأحضر الي المسكر ببردشير من لحمة الطلب وأسیر من أصحاب ابن بختيار وفيهم بلفضل بن بويه فتقدم الموفق بان ضربت له

(١) وهذا في سنة ٣٩٠ كما تقدم ذكره ٢ :

خيمة مفردة ثم اتدعي أبادلف لشكرستان بن ذكى وأبا الفضل ابن سودمند العارض والوقت عتمة فقال لهما: امضيا الى بلفضل ووبخاه على مفارقتها هذه الدولة وخدمته ابن بختيار وبالفعله في القول والتعنيف . وخرجا من بين يديه وبين أيديهما القراشون بالشموع وكانت الخيمة التي فيها أبو الفضل (كذا) ابن بويه قريبة من خيمته فنفض وقال لوندرش ابن خواجسه بن سياهجنك وكان عنده : قم بنا لنسمع ما تقوله رسلنا لبلفضل وما يحجبهم به . وقال لي : تعرف الطريق الذي يؤدي بنا الى خيمته على الاصطبل : قلت ؟ نعم . قال : كن دليلنا . ومنع القراشين من اتباعه ومضى في الظلمة وهو متكى على يد وندرش وأنا بين يديه حتى حصانا من وراء الخيمة ووقفنا وهو قاعد بيني وبين وندرش فسمع أبادلف لشكرستان يماثبه ويوبخه فقال له : يا أبادلف دع هذا القول عنك فوالله ما بقي أحد من أكاره عسكركم وأصاغرهم الا وقد كاتب ابن بختيار واستدعاه وأطاعه ووالاه حتى لو قلت انه ما تأخر عنه الا كتاب الملك والموفق خاصة لكنك صادق . وعاد الموفق الى خيمته وعاد أبو داف لشكرستان وأبو الفضل ابن سودمند بعده ودخلا اليه فقال لشكرستان : يامولانا قد اعتذر فيما كان منه وسأل اقاته العثرة فيه . فقال له الموفق : وما الذي قاله ^(٢٨) لكما وحدثك به ؟ فورني لشكرستان ثم صدقه وقال : ما في عسكرك الا من هو منهم وما يمكنك ان تأخذ الجماعة بما فعلوه ولا ان تظاهروا بما استعملوه وطى هذا الحديث أولى في السياسة . وحمل بلفضل بن بويه والديلم المأسورون الى شيراز عند عود الموفق فاما بلفضل وقرمه فانهم اعتقلوا الى ان قبض على الموفق ثم أفرج عنهم وأما الباقيون فان وجوه الديلم سألوا الموفق فيهم فغلى سبيلهم

ورجع الى ذكر ما فعله الموفق بعد ذلك ببردشير . قال أبو نصر . ثم جمع الديلم الكرمانية من سائر النواحي وقال لهم : من أراد المقام في هذه الدولة على ان يستأنف تقرير ديوانه ويوجب له ما يجوز ايجابه لثله فليقم على هذا الشرط وعلى انه لا ضيمة ولا اقطاع وانما هو عطاء وتسبيب ومن أراد الانصراف فالطريق بين يديه . فاستقر الامر معهم على ان يرضوا وتحل الاقطاعات التي في أيديهم وتستقبل التقارير ^(٢٩) معهم كما تستقبل بالعجم الذين يردون من بلاد الديلم . وجلس لذلك ووجوه الديلم عن يمينه ووجوه الاتراك عن يساره والعراض والكتائب والجرائد بين يديه فكان يحضر الديلمي الذي له بكرمان السنون الكثيرة وفي يده الاقطاعات الكثيرة وأقل المقرر له خمسمائة الف درهم فيقبل الارض ويقف ويسأل عن اسمه وامم أييه وعن بلده ثم يقرر له التقرير القريب الى ان حل الاقطاعات كلها ورد أصول التقارير الى بعضها وصرف الحشو وارتبط الصفو

ولما فرغ من ذلك صرف أبا جعفر استاذ هرmez عن كرمان وأخذ حاله الظاهرة لانه ينقم عليه ^(٣٠) قبضه على أبي محمد القاسم بن مهدي فروخ لما كان مقبلا معه بغير اذنه ولا أمره . وقلد أبا موسى خواجه بن سياهبجك الحرب وخلع عليه وحمله على فرس بركب ذهب وعول على أبي محمد القسم في أمر الخراج وخلع عليه وأخذ خطه بتصحيح ثلاثة آلاف الف درهم من النواحي في مدة قريبة قررها معه

واتفق ان ورد عليه كتاب من أبي الفضل الاسكافي يخبره فيه ما غاظه من ذكر الحواشي له عند ورود كتابه بالفتح بالطن عليه والقدح فيه فسا

ملك نفسه عند وقوفه على ذلك وتداخله من الامتعاض ما أقلقه وأزعجه . واستدعى أبا منصور مردوست وأنقذه الى شيراز وقاد معه خيلا وبغالاً وحمله رسالة الى بهاء الدولة يقول فيها : قد خدمت الملك أولاً وأخيراً ووفيته حق الصنيعة وحكم النصيحة ووجب ان ينجز لي ما وعدنيه من الاعفاء بعد الفتح فاني لا أصلح لخدمة ولا عمل بعد اليوم . وأظهر الانكفاء بعد انقاده أبا منصور مردوست فاجتمع اليه وجوه الديلم الذين يسكن اليهم ويعول عليهم وعرفوه غلط الرأي في عوده قبل ان يرتب الامور ويمهدها ويسددها ويهذبها وأشاروا عليه بالتوقف والتوفر على اصلاح الاعمال من جميع الاموال واذا تكامل له ما يريد بعد مدة حمل الى بهاء الدولة ما يرضيه به . وكان بين أن يقيم بموضعه ان طاب له انقام فيه أو يسير الى أصبهان ويأخذها وينتقل منها الى الجبل أو الى العراق وحذر روه من الاجتماع مع بهاء الدولة والكون عنده وأعلموه انه غير مأمون عليه مع خلو ذرعه وأنه الاعداء . فلم يقبل^(٣٠) منهم ما صدقوه فيه ونصحوه به وحمله فرط الادلال على ان عاد الى شيراز وكان دخوله اياها في يوم الاربعاء الثاني عشر من شعبان

فحدثني غير واحد ان بهاء الدولة خرج لاستقباله فلما لقيه وخدمه ورجعا داخلين الى الباد فارة الموفق في وسط الطريق وعدل الى داره والمبكر بأسره معه في موكبه وبقي الملك في غلمان خيله وخدمه وخاصته وان ذلك شق على بهاء الدولة وبلغ كل مبلغ منه وتحدث به الناس وأكثروا الخوض فيه وامتنع بهاء الدولة بعد هذا الاستقبال من استقبال أحد من وزرائه

﴿ ونعود الى ذكر الحوادث على سياقة الشهور ﴾
 وفي يوم الاثنين الرابع من رجب توفي أبو الحسن أحمد بن علي بن
 شجاع الشاهد

وفي يوم الاثنين الحادي عشر منه توفي أبو حفص عمر بن ابراهيم
 الكتاني المقرئ^(١)

وفي يوم الجمعة ايمان بقين منه توفي الابرار أبو سعد ابن بهاء الدولة ببغداد
 وفي يوم السبت لسبع بقين منه خرج أبو الحسن علي بن الحسن
 البغدادي وأبو طاهر نعم السكبير الى بادوريا دافسين لاصحاب قراد بن
 اللاد يد عنها

﴿ ذكر السبب في ذاك ﴾

﴿ وما جرت عليه الحال فيه ﴾

كان لابي طاهر نعم انقطاع جليل ببادوريا وانضاف اليه از يقلد ولايتها
 ونازع قراد ن اللديد فيها وأبو الحسن رشا الخلدی اذ ذاك كاتبه والمدبر
 لا وره وفيه استقصاء في المعاملة وغلظة ولجاج ومنافرة . فاستعمل
 الاستقصاء مع أبي طاهر نعم والمنافرة والغلظة مع أبي نصر سابور بن اردشير^(٢)
 في أمور اعترض فيها وأوامر امتنع منها وثقل على المقطعين والاكرة
 ورد ما كان يؤخذ من مال الخفارة والحماية ورقة قيمة الدينار به مائة وخمسون
 درهما الى العین مصارفة عشرين درهما بدينار عتيق فتضاغن التقرير وزاد
 التثميل . وعملت لابي نصر سابور الاعمال في بادوريا وأطعم في مال يحصل

(١) هو عمر بن ابراهيم بن أحمد بن كثير وفي تاريخ الاسلام انه قرأ على ابن
 مجاهد وحمل عنه كتاب السبعة . وليراجع فيه الانساب للسمياني ص ٤٧٥ س ٤

له منها اما على الحرب أو على الصلح وأدت الحال الى خروج بنما واليا
للحرب وأبي الحسن البغدادي نظراً في استخراج الرسوم العربية وأقاما
مدة على ذلك . ووافي قراد ورشا في جمع جمعهما ونزلا بالسندية وبغما
وأبو الحسن البغدادي بالفارسية وبينهما أربعة فراسخ وتطرق أصحاب قراد
فقتلوا ثلاثة غلمان من الأتراك يقال لاحدهما بايتسكين البياروخي وللآخر
المهاروني وللثالث المجدر وصلبوا المهاروني ببسند على شاطئ نهر عيسى .
نفرج أبو نصر سابور وأبو حرب شيرزبل بن بلقوارس بالمسكر الى
الفارسية وقرب قراد وأصحابه منها وتسرع سياهجك ابن خواجه بن
سياهجك في نفر من الديلم لمناوشة قوم من العرب فاستجروه حتي فارق
المسكر وحصل عند القرية المعروفة بالسكلوذانية على رمية سهم من الفارسية
ثم خرج من ورائه جماعة منهم قد كانوا تكمنوا في ذرة قائمة هناك فاخذوه
أسيراً واضطرب الناس بذلك وكاتب أبو نصر سابور قلعج وكان ببغداد
بالخروج فخرج في عدة من الغلمان والاكراد الذين برسمه وسارت الجماعة
الى السندية وخيموا في الجانب الشرقي بازائها ومضى قراد الى حديقة الانبار
وهي على أربعة فراسخ منها . فما مضت أيام يسيرة حتى غضب قلعج من شيء
سأله فتوقف أبو نصر سابور^(٣٢) عنه وخلع خيمه وخلع الغلمان خيمهم معه
وعادوا واضطرب أبو نصر سابور وأبو حرب شيرزبل والديلم الى العود
بعودهم وذلك في شهر رمضان . فاذا ذكر وقد ورد على كتاب أبي الحسن
رشا يسألني توسط أمره واستئذان أبي نصر سابور في ورود صاحب له
فصرت اليه وأمراته الكتاب فتباعد في الجواب وقال : اكتب اليه وقل
له « والله لا قررت معك امرا الا بعد ان اشفي منك صدرا » وخرجت

من حضرته وتوقفت في كتب الجواب ورد الرسول فلم تمض ساعة حتى قلع قلعج والغلماز ورحلوا فاستدعاني أبو نصر وقال : ما الذي أجبت به رشا . قلت : ما قلته . فقال : وقد مضى رسوله . قلت : لا . قال : ارجع الكتاب واكتب اليه « بان وطأة الاولياء ثقلت على النواحي ولم أحب اضرارها بتناول مقامى فيها واذا كنت قد ندمت على ما مضى واستأنفت الطاعة والخدمة فانفذ صاحبك » . وركب عائداً الى بغداد وكتبت الجواب قائماً على رجلى لان الامر أعجل عن التايب والتائب وخفنا أن يعرف العرب خبرنا فيكسبوا معسكرنا وياخذوا من تأخر منا أو يعارضونا في طريقنا فيبلغوا أغراضهم منا مع تفرقنا ودخولنا كما يدخل المهزموں . ووصل كتابي الى أبي الحسن رشا فانفذ أنا الفضل ابن الصابوني الموصلي واستقر الامر مع المنصرف القبيح والطمع المتجدد على اطلاق سياهمجك في الوقت وحده واندرجت القصة على زاييد الفضيحة وتضاعف الاخلاقه . وقد كانت الكتب نفذت الى الموفق بذكر ما فعل وعاد جوابه ينكره ويمنع من التعرض لبني عقيل أو هياجهم^(١)

وفي يوم الاحد لست^(٢) بقين منه توق أبو الحسن على بن محمد ابن عبيد الزجاج الشاهد وكان مولده في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائتين

وفي يوم الخميس لليلتين بقيتا منه نوفي أبو القاسم عبيد الله بن عثمان ابن حنيقا المحدث^(٣)

(١) في الاصل : هاجهم (٢) قال أبو الفرج ابن الجوزى في المنتظم : كذا ذكره الخطيب بالنون وهو يعنى (ابن حنيقا) جد القاضي أبي يعلى ابن الفراء لا

وفي يوم الثلاثاء الرابع من شعبان توفي القاضي ابو الحسن محمد بن عبيد الله بن احمد بن معروف

وفي يوم الخميس السادس منه توفي ابو عبد الله الحسين بن محمد بن الفراء الفقيه الشاهد بالجلباب الشرقي^(١)

وفي يوم الخميس اعشر بقين منه قبض على الموفق ابي علي بن اسماعيل بشيراز

وقال ابو علي البرداني : قال لنا القاضي أبو يعلى : الناس يقولون « حنيفا » بالتون وهو غلط انما هو (حليفا) باللام (١) وفي تاريخ الاسلام انه كان على مذهب أبي حنيفة وانه والد القاضي أبي يعلى شيخ الحنابلة : وأبو يعلى هو محمد بن الحسين ولد سنة ٣٨٠ وفيه قال الخطيب . له تصانيف على مذهب أحمد ودرس وأفتى سنين كثيرة وولى القضاء بمحريم دار الخلافة . وذكره ابنه أبو الحسين (محمد بن محمد) في كتاب الطبقات له وقال : كان سنه اذ مات أبوه عشرين سنين وكان وصيه يسكن بدار القز فنقله من باب الطاق الى شارع دار القز وفيه مسجد يصلى فيه شيخ يقرئ القرآن ويلقن المبادات من مختصر الخرقى فلحق الوالد ما جرى عادته فاستزاده فقال : ان أردت ان زيادة فملك بالشيخ أبي عبد الله (الحسن) بن حامد فانه شيخ الطائفة ومسجده بباب الشعير فضى الوالد اليه وصحبه الى أن توفي ابن حامد سنة ٤٠٣ . وتفقه عليه ولما خرج ابن حامد الى الحج سنة ٤٠٢ سأل محمد بن علي بن علي من يدرس والى من يجلس فقال : الى هذا الفتى . وأثار الى الوالد وقد كان لابن حامد أصحاب كثير وتفرس في أبي يعلى ما أظهره الله عليه . وتوفي سنة ٤٥٨ كذا في تاريخ الاسلام .

وفيه أيضا ان الحسن بن حامد بن علي بن مروان الوراق هو شيخ الحنابلة ذكره أيضا ابن القرا في طبقات الحنابلة وكان يكثر الحج قال الخطيب . توفي في طريق مكة سنة ٤٠٣ . وقال صاحب تاريخ الاسلام : لعله هلك جوعا وعطشا فان في هذا العام كانت وقعة القرعاء بطريق مكة وذلك ان بني خفاجة قاتلهم الله أخذوا الركب في القرعاء فقتل انه هلك خمسة عشر انسان من الوفد فانا لله وانا اليه راجعون وأما وقعة القرعاء قال أيضا : جاء الخبر بان فلينة الخفاجى سبق الحاج في ولقصة بنى

﴿ شرح الحال في ذلك ﴾

﴿ وفيما تقرر عليه أمر النظر بعده ﴾

لما عاد الى شيراز على ما قدمنا ذكره أقام على الاستعفاء وأعاد القول فيه وكرره وكانت في قلب بهاء الدولة منه أمور قد ملأته وأوغرته وأحالت رأيه فيه وغيرته وزال عنه ما كان يراعيه ويراقبه ويحتمله لاجله وبسببه . وخافه الحواشي ومن كان بحضرة الملك لانه ذكرهم وأطلق لسانه فيهم فاغروه به فحدثني أبو نصر بشر بن ابراهيم السني قال : لما ورد الموفق قداما من كرمان أقام على الاستعفاء وواصل مراسلة بهاء الدولة فيه والالحاح في مسأله اياه فحضر عنده أبو سعد فناخسره بن باجفر وأبودلف لشكرستان ابن ذكي وكانا يختصان به في الليلة التي قبض عليه من غدها وقال له وأبو الملاء الاسكافي حاضر : أيها الموفق أي شيء آخر ما انت عليه من ركوب الهوي ومخالفة الرأي في هذا الاستعفاء وما الذي تريده انبلغك اما بالملك أو بنفوسنا فان كان قد غاظك من أبي على ابن استاذهر من ^(٣٤) أو أبي عبد الله الحسين بن احمد فعل او تريد بهما آفئفن نضع عليهما من يفتك بهما ونعود الملك الى اخذهما وتسليمهما اليك او كان في نفسك غير ذلك فاصدقنا عنه واطمنا عليه لتبع هواك فيه . فقال لهما : اما ابو على ابن استاذهر من فيني وبينه عهد منذ كوننا بالاهواز وما ارجع عنه واما ان يكون في نفسي ما اطويه عنكما فهاذ الله ولكنني قد خدمت هذا الملك وبلغت له

سنة من بني خلفا فغور الماء وشرح في الابار الحنظل وقعد ينظر الركب فلما وردوا البقرة حبسهم ومنهم العبور وطال بهم خمسين الف دينار فاحتوى على الجمال هلك الخلق .

أغراضه وما أريد الجندية بعد ما مضي . فقالا (وقال أبو الهلاء الاسكافي) له : لا تفعل ودع ما قدركته من هذه الطريق وأقمت عليه من هذا اللجاج فإنه يؤدي الى ما تقدم عليه حين يتعذر الاستدراك ومتى قدرت انك تعني وتقيم في منزلك وينظر بمدك ناظرا وقد بلغت من الدولة ما بلغت وتقدمت بك المنزلة الى ما تقدمت اليه فقد قدرت محالا والصواب ان تدعنا لنمضي الى الملك ونعرفه عدولك عن رأيك ومقامك على خدمته والنظر في أموره . فأبى ثم قالوا له : فاذا كنت على ما أنت عليه فأخرج ركبك في غد وأرجع فكرك ونحضر عندك ويستقر بيننا في غير هذا المجلس ما يكون العمل به فلم يقبل وركب من غد الى دار المملكة ومعه المسكر فلما دخل وجلس في البيت الصلي (كذا) نظر فيما جرت عادته بالنظر فيه وأوصل جماعة القواد اليه وخالطهم وقضي حوائجهم . ثم قال لابي الفضل ابن سود منذ العارض والقباء : اخرجوا الى الناس وأنظروا في أمورهم وتسلموا رعاهم بمطالبهم وترددت المراسلات بينه وبين بهاء الدولة في حديث الاعفاء وبهاء الدولة يدفعه عن ذلك وهو مقيم عليه ومقيم على المطالبة به . ثم رأينا في الدار أمورا متغيرة ووجوها متسكرة فقال ^(٣٥) له صاحب أبو محمد ابن مكرم : قد أحسست بما أنا مشفق منه والرأي أن تقوم وتخرج فان أحدا لا يقدم على منك واذا حصلت في دارك دبرت أمرك بما تراه صوابا لنفسك . فقال له . قد خفت أيها صاحب وخرت فقم وانصرف . فراجعته القول قليلا ثم انصرف وركب وتبين الموفق من بعد أمره .

(قال أبو نصر) فقال لي : امض وخذ لنفسك . فقلت : بل أقيم وأكون معك . فزبرني وقال : أخرج كما يقال لك . فخرجت ولم يبق عنده

الا أبو غالب بن خلف وأبو الفضل الاسكافي : فحدثت ابن الحسين السباطي القرائش خرج وقال لابي غالب : يا أستاذ اخرج . وقال لابي الفضل مثل ذلك وأغلق باب البيت وزرّفه ووكل القرائش به وأخذ أبو غالب وأبو الفضل واعتقلا ووكل بهما . وشاع الخبر بين الديلم الحاضرين في الدار فتسللوا واحداً واحداً وتمرقوا فريهاً قريباً ولم يجر من أحد منهم قول في ذلك . وأنفذ الى دار الموفق من نقل جميع ما كان فيها من المال والثياب والرحل والسلاح والخدم والعلمان والى اصطبلاته فحول ما فيها من السكراع والجمال

(قال أبو نصر) وترشح الامين أبو عبد الله للنظر وأمر ونهي في ذلك اليوم . فلما كان آخره استدعي صاحب أبو علي الحسن بن أستاذ هرمز (وقد كان بعد فتح الاهواز اعتزل الامور وأقام في منزله واقتصر على حضور الدار في الاوقات التي يجلس فيها بهاء الدولة الجلس العام) : واستخلف له أبو الفضل بن ماوزند فوقفت الامور ولم تسكن له ولا لابي الفضل دربة بالتمشية والتنفيذ وخلي أبو العباس الوكيل وقد كان قبض عليه وتقرر أمره وأعيد الى ما كان ناظراً فيه

(قال أبو نصر) وكان أبو الخطاب يكره أبا غالب ابن خلف ولا يريد (٣٦) فقال له أبو منصور مردوست : أراك تسكتب الوزير أبا العباس ابن ماسرجس وغيره في الورد ليرد اليهم النظر في الامور وقد عولت ابن صاحب أبي علي على من ليس يحلي ولا ير فيما يراد منه وهذه أسباب تدعو الى الوقوف والحاجة الى رد الموفق وما كان يشي الامر ويخفف فيه الا أبو غالب فلو أطلقته واستخدمته لترخي على يده مالا يترخي على يد غيره

وكفينا دخول من لا يؤمن بديننا . فقبل منه وأطلقه وجعله خليفة للصاحب
أبي على ونظر وكفى وكان بهاء الدولة يرعى له ما كان يخدمه به في أيام الموفق
والحواشي يحتمونه لا نبساطه في عطائهم وقضاء حوائجهم . ومضت مديدة
فأعجب أبا الخطاب تخفيفه عنه واستمال الجند وتوفر عليهم وأعطاه الكفاية
والسعادة ما كان له في ضمنهما وتمسك بابي الخطاب وتمسك أبو الخطاب
به وتفرد بالامور وتقلدها وزارة ورئاسة . وخرج الصاحب أبو على
من الوسط

وفي ليلة الجمعة لليلتين بقيتا منه توفي أبو الحسين محمد بن عبد الله بن
أخي ميمى المحدث

وفي يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان ورد الكتاب الي أبي
نصر سابور بذكر القبض على الموفق وان يقبض على ولده وأهله وأصحابه
وأسيابه فاستعمل الجليل وأنذر ولده وأقاربه حتي انصرفوا عن دورهم
وأخذوا انفسهم ثم أتخذ الى منازلهم فكانت خالية منهم وأجاب عن الكتاب
بأن الخبر سبق الى القوم قبل ورود ماورد عليه به واقتصر على ان أدخل
يده في ضياعه بطريق خراسان مديدة . ثم كتب من فارس بالافراج لولده
أبي المعمر وأقر أبو نصر^(٣٧) سابور وأبو القاسم الحسين بن محمد بن مما وأبو
نعيم المحسن بن الحسن على ما كانوا يتولونه

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا منه توفي أبو الحسين ابن أبي الزيال الشاهد
وفي روز أبان من ماه شهرير الواقع في هذا الشهر أخرج الصاحب
أبو محمد بن مكرم الي عمان متقلدا لها

وفي روز مهر من ماه شهرير الواقع فيه أخرج أبو جعفر أستاذ هرمنز

ابن الحسن الى كرمان

وفي ليلة يوم الاثنين الثالث عشر من شوال احترق سوق الزرّادين
بباب الشعير

وفي يوم الخميس لسبع بقين منه قلد القاضي ابو عبد الله الحسين بن هرون
الضبي مدينة المذور رحمة الله عليه مضافة الى الكرخ والكوفة وسقى
الفرات وقلد القاضي ابو محمد عبد الله بن محمد الاكفاني الرصافه واعمالها
عوضاً عن المدينة التي كان يلبها وقلد القاضي ابو الحسن الخرزى طريقي دجلة
وخراسان مضافاً الى عمله بالحضرة وقرئت عهودهم على ذلك

وفي هذا الشهر ورد الخبر بأن المقلد بن المسيب ملك دقوقاً وخانيجار
واقر بها ابا محمد جبرائيل الملقب بدبوس الدولة نائباً عنه

وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة ورد الكتاب من فارس بتقليد
ابي علي ابن سهل الدورقي ديوان السواد واستخلافه عليه ابا منصور عبد الله
ابن الاصطخري الكاتب فيه

وفي يوم الاحد الرابع منه توفي ابو محمد القاسم بن الحسين الموسوي العلوي
وفي يوم الاثنين الخامس منه تكلم الديلم في امر النقد وفساده
وكانت المعاملات يومئذ بالورق وقصدوا دار ابي نصر سابور^(٣٨) بدرب
الديزج على سبيل الشغب

وفي هذا الشهر ورد الخبر بان بفرا خاقان^(١) قصد بخارا واستولى عليها

(١) كذا في الأصل والراجح انه أخوه ايلك الخان

قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي سنة ٣٨٣ أقبل الخان بفراخان الذي يكتب عنه
« مولى رسول الله صلى الله عليه » وله ممالك الترك والى قرب الصين ليأخذ بخارا

ودفع ولد أبي القاسم نوح بن منصور عنها
وحدثني أبو الحسين ابن زيرك قال : حدثني أبو الحسين ابن اليسع
التميمي الفارسي وكان من أعيان التجار قال : كنت ببخارا حسين وردت
عساكر الخانية فصمد خطباء السامانية الى منابر الجوامع واستنقروا الناس

فحارب به منصور بن نوح الساماني فانهزم ابن نوح وأخذ الخان بخارا واستنجد نوح بنائه
أبي علي ابن سيمجور صاحب خراسان فخذله وعصى فرض الخان ببخارا وراح قنات
في الطريق وكان دينا وولي بلاد الترك بعده ايلك خان ورد ابن نوح الى مملكته
وقال أيضا ان في سنة ٣٠٣ هـ مات ايلك الخان صاحب ماوراء النهر الذي أخذها من آل
سامان بعد ٣٩٠ وكان ملكا شجاعا صار ما ظالم لا شديدا الوطاة وكان قد وقع بينه وبين
أخيه الخان الكبير طغان ملك الترك فورث مملكته أخوه طغان فمالأ السلطان محمود
ابن سبكتكين ووالاه وهداه وتودذله . وجاشت من جانب الصين جيوش لقصد طغان
و بلاد الاسلام من ديار الترك وماوراء النهر يزيدون على مائة الف خركاه لم بعد الاسلام
مثلها في صعيد واحد فجمع طغان جمعا لم يسمع بمثله ونصره الله تعالى .

وقال في ترجمة ايلك الخان انه تجهز في جيش من قبل أخيه طغان ملك بلاد الترك
فاستولى على بخارا وسمرقند وأزال الدولة السامانية وتوطد ملكه وكان قد قصد بلخ
ليأخذها فمجز عن حرب ابن سبكتكين ووقع بينه وبين أخيه فلما مات في هذه السنة
استولى أخوه طغان على ما وراء النهر واتسعت مملكته فقصدته ملك الصين في مائة الف
خركاه فجمع طغان وحشد وتزلزل المسلمون واشتد الخطب ونفر للجهاد خلق من المطوعة
حتى اجتمع لظغان نحو من مائة الف مقاتل وكثر الالتهال والتضرع الى الله تعالى والنفي
الجمعان والتنظيم البخران وصبر الفريقان وداهت الحرب أياما على ملاحم لم تدر من فتق
العروق وضرب الخلق واصطدام الخيول أصوب أنواء أو صب دماء ولم يروق أو وقع
سيوف وظلمة ليل أم تقع سيل فياها ملحمة من ملاحم الاسلام لم يهد مثلها في هذه
الاعوام وفي كل ذلك يتولى الله الاسلام بنصره حتى وثق المؤمنون بالنايدين وتلاقوا ليوم
على فيصل الحرب واثبتوا ولذ لهم الموت حتى قال أبو نصر محمد بن عبد الجبار في تاريخه
فغادروا من جماهير الكفار قريبا من مائة الف عنان صرعى على وجه البسيطة عن
نفوس موقودة ورؤوس منبوذة وأبد عن السواعد مجذوة تدعو جفلاء للسباع والطيور

وقالوا عن السامانية قد عرفتم حسن سيرتنا فيكم وجليل صحبتنا لكم وقد
أطلقنا هذا المدو وتمين عليكم نصرنا والمجاهدة دوننا فاستخيروا الله تعالى
في مساعدتنا ومضافرتنا . وأكثر أهل بخارا حملة سلاح وأهل ما وراء النهر
كذلك فلما سمع الموام ذلك قصدوا الفقهاء عندهم واستفتوهم في القتال فنموهم
منه وقالوا : لو كان الخانية ينازعون في الدين لوجب قتالهم فاما والمنازعة
في الدنيا فلا فسحة لمسلم في التفرير بنفسه والتعرض لاراقة دمه وسيرة القوم
جميلة وأديانهم صحيحة واعتزال الفتنة أولى . فكان ذاك من أقوى الاسباب
في تملك الخانية وهرب السامانية وانقراض ملكهم ودخل الخانية بخارا
فاحسنوا السيرة ورفقوا بالرعية

وفيه ورد أبو الحسن محمد بن أحمد بن علان العارض من فارس
لتجريد الغلمان الى هناك واجتمع الشريف أبو الحسن ابن يحيى والناصح
أبو الهيجاء والسعيد أبو طاهر وأبو الحسن ابن علان في دار أبي نصر سابور
فاحضروا الغلمان وخابطوهم على الخروج فطالبوا بما تأخر لهم من الاقساط
والاقامات وبذل لهم سابور اطلاق القسطنطين يخرج دون من يقيم حتى اذا
أعطى المجردين ننظر في أمر المقيمين وترجع القول ووقف الاستقرار
وفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة توفي أبو الفرج المعافي بن

وأفاه الله على المجاهدين مائة ألف غلام كالبدور وجواري كالخمر وخيل ملات القضاء
وضاقت منها الغبراء فعم السورور وزينت المدائن والثغور ولم ينشب طغان بعدان رجوع من
هذه الوقعة اليمونة ان توفاه الله سعيداً شهيداً وتلك بعده أخوه وزوج فيه السلطان محمود
ابنه بكرامة هذا الملك وعمل عرسه عليها بيلغ وزينت بلخ .

ليراجع تاريخ يميني لعبد الجبار العتيبي طبع دهل ص ٣٨٠ - ٣٧٧

زكريا المعروف بابن طرارا بالنهر وان وكان رجلا يعرف علوما كثيرة^(١)
وفي هذا يوم الجمعة لليلة بقيت منه توفي أبو عبد الله الحسين بن يحيى بن
الخدقوفا الهاشمي عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر
وفي اليوم الثالث من المحسة المسترقة خرج بهاء الدولة الى كوار ومنار
منها الى فسا

وحج بالناس في هذه السنة أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر
وفي هذه السنة ورد طاهر بن خلف المعروف بشير ياربك كرمان منافرا
خلف أبيه ثم تغلب عليها وملكها وانضوى اليه كثير من عساكرها وانتهى
أمره الى الهزيمة والعود الى سجستان

﴿ شرح ذلك على ما حدثني به أبو عبد الله الفسوي ﴾
وقد سقناه سيافة لم نذكر فيها أيام مناجري وشهوره لاشكال ذلك علنا
الا أن المدة على غالب ظني فيما بين سنة تسعين وثلاثمائة
وصدر من سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

لما قلد الموفق أبو علي أما موسى خواجه بن سياهجنك أعمال كرمان
وصرف من صرف من الديلم على السبيل التي تقدمنا ذكرها صار أبو موسى
الى جيرفت فتبع أموال الديلم المبعدين واستنار ودائعهم وطالب حرمهم
وأسيابهم وصادرم وقبض على جماعة الباقيين وقتلهم وطردهم وصلب^(٢)
فهم من وجوه الكتاب لانكاره عليهما تصرفهما مع ابن بختيار وأظهر

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : قال فيه أبو حيان التوحيدي : رأيت المعافين
زكريا قد نام مستدبر الشمس في جامع الرصافة في يوم شات وبه من أثر الضر والقر
والبؤس أمر عظيم مع غزارة علمه .

الاستقصاء والغلبة . واتفق ان ناظر طاهر بن خلف خلفا أباه ونازعه الامر
وجرت بينهما حروب أدت طاهرا الى الحرب وقصد كرمان ملتجئا الى بهاء
الدولة . فلما دخل المفازة التي بين سجستان وبينها ضل الطريق فيها ولحقه
ولحق من معه جهد شديد ثم خلص على أسوا حال . ولقيه الديلم القتل
والمنفيون من أصحاب ابن بختيار فاطمعه ^(١) في أخذ كرمان والتغلب عليها
وأعلموه ان من وراءهم من الديلم على نفور من بهاء الدولة وكراهية له لما
علمهم الموفق به وأنهم وياهم يحتمون على طاعته ويخلصون في مظاهرتة .
فصبا الى ذلك وحدث نفسه به وعقد عزمه عليه ولم يكن له قدرة على اظهاره
مع الشدة التي لاقاها في طريقه ونزل زمراسير وكتب الى أبي الفتح عبد
العزيز بن أحمد المامل بها وبهم بأنه ورد منحاذا الى بهاء الدولة وداخلها في
جملته . فلتأه أبو الفتح بالجمليل وحمل اليه ما يحمل الى مثله من الانزال
وواصله بذلك مدة من الايام وكان يزيد له ولئن معه في كل يوم اثني عشر
الف درهم وكتب بجنه الى أبي موسى خواجه بن سياهجك وأبي محمد
القاسم بن مهدي فروخ

ثم بدت من طاهر بوادي القماد ولاحت شواهد سوء الاعتقاد وبلغ ذلك
أبا محمد القاسم وهو ببردشير فانزعج منه وكان يقاربه أكراد قتال يعرفون
بالمالكية فاستدعاهم وأوجه معهم الى دارزين وخرج اليهم بما يريد من قصد
طاهر والايقاع به فقالوا له : هذا رجل قد اجتمع اليه الديلم ^(١)
وكثرت عدته وتوited شوكتة وما نستطيع لقاءه ومقاومته ولكننا نسلك
سبيل الحيلة عليه وبمضي . فاجاءة على وجه الاستئمان اليه فاذا حصلوا عنده

طلبوا غرته في بعض متصدياته فانه كثير الصيد مشغوف بالركوب اليه في كل وقت فتكون قد بلغت الغرض ولم تتركب الخطر

فكتب أبو محمد الى أبي موسى خواجه بن سياهجك بما يجري بينه وبين هؤلاء الاكراد واستشاره فيه فاجابه : بانى أعرف بهذه الامور وأملك لها وأولى بها منك وينبغى ان تخلي بيني وبينها وتدعني وما أدبره منها وتتشاغل بشأنك وتتوفر على ما يتملق بك . فاغتاظ من هذا الجواب وصرف الاكراد وأقام بموضعه من دارزين وصار أبو موسى خواجه من جيفت اليه على ان يجتمعا ويقصدا طاهراً بنر ماسير . فلما حصل على مرحلة من دارزين جمع ابن خلف عساكره فاستشارهم فيما يفعل فقلوا له : أحوالنا ضعيفة وعدونا قليلة ولا فضل فينا للحرب الا بعد الاستظهار بالدواب والاسلحة . واستقر الرأي بينه وبينهم على ان يتوجهوا الى الجروم ويعتصموا بأهلها وهم قوم عصاة متغلبون وفيهم بأس وقوة فصاروا اليها ورجع أبو موسى وأبو محمد الى جيفت واستعاد الاكراد المالكية فلم يعودوا . وجما من معهم من الجبل وأطلقا لهم المال ووافقاهم على النهوض لقصد الجروم وقصد ابن خلف وفي ماضى ما مضى من الايام ثبت ابن خلف وحصل لنفسه وللدليم الذين معه عدة وسلاحا وكراماً . وتوجه أبو موسى وأبو محمد للقائه فلقياه في القرية المعروفة بنهر خره هرمرز على مرحلة من جيفت لانه قد كان سار اليها وصفا مصافهما^(٤٢) وكان من عادة ابن خلف في حروبه ان يتفرد في سرية من غلمانه بعد ان يطعمهم ويسقيهم ويتردد على مصافه فيسوي أصحابه ويرتبهم ويتأمل مصاف من بازائه فان وجد فيه خلاخل على موضعه فرأى في بعض ترده ضمناً في جانب من مصاف أبي موسى فحذل عليه

وكسر المصاف منه وقتل جماعة وأسرا أبا موسى وقد أصابته ضربة في رأسه وأبا محمد القاسم وثلاثين رجلاً من القواد منهم وندرين بن الحسين بن مستر وشوزيل بن كوس (كذا) وشميرزيل بن علي ومن يجري مجراهم وكف عن القتل واستباح السواد وغنم هو وأصحابه منه ما تأملت أحوالهم به وتم إلى جبرفت ودخلها واستولى على منظم أعمال كرمان وملوكها وطلبه الديلم وقصدوه وتكاثروا عنده وأرادوه . وصار الفل من جيش بهاء الدولة إلى السيرجان واجتمعوا فيها وكانوا عدداً كثيراً وكاتبوا بهاء الدولة بالصورة فأنزعج منها وقد كان قبض الموثق قبل هذا الحادث بعيدة . وعمل ابن خلف على قصد السيرجان فخرج عنها من فيها طالين شيراز فلما حصلوا بقطرة ورد عليهم كتاب بهاء الدولة بالتوقف في موضعهم وأعلمهم تجريده أبا جعفر أستاذ هرمز بن الحسن اليهم لتدبير أمرهم وقصد عدوهم فتوقفوا ولحق بهم أبو جعفر فأخذهم وعدل إلى هراة اصطخر . فدخل يده في أقطاعات الديلم بفارس وتناول ارتفاعها واستخرج أموالها وأطلق لمن معه ما أرضاهم به واستدعي من بهاء الدولة المدد فانفذ إليه مرد جاوك التركي مع طائفة كبيرة من الأتراك وثلاثمائة رجل من الديلم الخوزستانية ووعد^(١٣) بأن يتبعه بعسكر آخر ورسم له قصد ابن خلف ومناجزته . فسار في نواحي كورة اصطخر ومد يده إلى كل موجود في الأقطاعات المحلولة وصار إلى السيرجان وأقام بها خمسة أيام على انتظار حانويه بن حلمويه (كذا) للزطي وكان قد استدعاه فوافاه في عدة وافرة من أصحابه ورحل إلى ناخنة وهي على عشرين فرسخاً من السيرجان ونزل بها . ورتب في السيرجان ركابية وقوما من المعجزين ليبلدروا إليه بخبر للمسكر الذي يتوقع خروجه من شيراز فورد اليهم

أحدهم وأعلمه بانفصال القوم من شيراز وقربهم من السيرجان وأنهم على اغذاذ السير وطى المنازل

وكان بنو خواجه بن سياهجىك وأقارب القواد المأسورين يهتجمون في كل يوم على بهاء الدولة ويطالبونه بتجريد العساكر مع صاحب جيش كبير لاستمقاذهم واستخلاصهم ويقولون ان ابا جعفر أستاذ هرمز شيخ كبير لم يبق فيه حركة ولا نهضة فجرد المظفر أبا العلاء عبيد الله بن الفضل وضم اليه وجوه الديلم والأتراك من شهرستان بن الشكرى وأمثاله وارسلاتسكين السكور كبرى وخير كين (كذا) الطيبي ومن جري مجراهما

قال ابو عبد الله : فحدثني من كان حاضراً مجلس أستاذ هرمز يوم جاءه الخبر بانفصال أبنى بالمسكر من شيراز وعنده جماعة من الديلم يأكلون على مائدته انه لما عرف ذلك اضطرب وخفف الاكل ونهض وقد تقدم بضرب البوق للرحيل فاجتمع اليه مردجاوك ووجوه الاولياء وقالوا له : نقرر بنا وبدولة سلطاننا وتحمل نفسك وتحملنا على هذا الخطر الذى يوجب الحزم وتجنبه والتوقف على الانتظار^(١) الذى هو أولى ما أخذنا به . (قال المحدث لابي عبد الله) وأبو جعفر يسمع أقوالهم ويقول أضربوا البوقات وحملوا . فلما تردد الخطاب منهم قتل اصغاه ابنى جعفر الى ذلك قال له مردجاوك : اذا كنت قد أثقت على أمرك فامض لشانك فاننى لا اتبعك . فقال له أبو جعفر حينئذ : اذا وصلنا اسبسلار ابو العلاء غداً وفتح كان الاسبسلار وكنت انت مردجاوك وصرت انا استاذ هرمز ورجعنا على اعقابنا الى باب السلطان بالذل والخيبة وتصورنا بصورة من لم يكن عنده خير حتى جاء مجوسى فعمل وأغنى . هذا لفظ أستاذ هرمز فكان هذا القول

حرك مردجاوك وهزه وبمئه على متابته فقال له : الامر لك . وسارا حتى نزلا بخشار وقد كان طاهر بن خلف أحسن معاملة أبي موسى خواجة بن سياهجك ودعا أبا محمد القسم الى وزارته والنظر في أموره فعمله ودافعه وواصل أبا جعفر استاذ هرمز بالرسل والملطفات وعرفه أخبار طاهر ومجاري أموره ومتصرفات تدبيره ومتقررات عزائمه

فلما حصل أبو جعفر بخشار وبينها وبين جيرفت عشرون فرسخاً وبينهم (١) مثل ذلك وابن خلف بجيرفت وافاده كتاب أبي محمد يذكر فيه ما عمل عليه ابن خلف بجيرفت من قصدهم ويشير عليه بسبقه الى دارزين واعتراضه في طريقه ودارزين هذه في سهل يحيط به شعاب وجبال فانفذ أبو جعفر قطعة من جيشه وامرهم بان يكمنوا لابن خلف وأصحابه في المواضع التي لا يحسون بهم فيها ثم يخرجوا عليهم منها عند تفرقهم في السير فيوقعوا بهم ففوضوا وفعلوا ذلك وبلغوا فيه المبلغ الذي ادركوا^(٢) بعض غرضهم به واسروا جماعة من رجاله وقواده ثم عادوا الى أبي جعفر وقدر حل من خشار الى سروستان كرمان وهي على اثني عشر فرسخاً من هم

وسار ابن خلف الى هم وتوجه أبو جعفر للقاءه وقد رتب المصاف وجعل سيره زحفاً على تأهب واستعداد حتى اذا حصل بدارزين وافاه من عرفه خروج ابن خلف لتلقيه وقاتله . فاج الناس وخافوا واضطرب الجند وثاروا واجتمعوا على أبي جعفر وقالوا له : غررتنا وغررت بنا وأشرنا عليك بالصواب نخالفتنا ولم تقبل منا وحملك العجب بنفسك والخوف على اسمك لا ريتك على التوجه في هذا الوجه قبل وصول المدد اليك وتحصيلنا في

هذا الموضع على مثل هذه الصورة

وبادر الفرسان من الأتراك والأكراد ليعرفوا الخبر فصادفوا ابن خلف قد خرج من بهم كالطليعة في عدة يسيرة ليشاهد عسكر استاذ مرمز ويحجز عدته فواقعوه وعاد الى بهم وعادوا الى دارزين . واصبح ابو جعفر والعسكر مُشَقَّب عليه وهو متحير في أيديهم فينما هو يلاطفهم ويداريهم احضره الاكراد رجلا ذكروا انه جاسوس لابن خلف فقال له : انت جاسوس ابن خلف . قال : لا ولكني رسول دير رشت بن ماهويه لصاحب لابن جعفر بهم وهذا كتابه اليك يخبرك فيه بانصراف ابن خلف الى سجستان

فلما سمع قوله ووقف على الكتاب اظهره عند العسكر فسكنوا وزالوا عما كانوا عليه من الهزيمة وسار بعد ان قدم جماعة من المعروفية الى باب بهم ليمنعوا الناس من دخولها ويمدلو بهم الى قرية تعرف بقرية^(٤٦) القاضي على فرسخين منها في سمت زماسير ونزل بقرية القاضي واستأمن اليه كثير من الديلم الكرمانية الذين انضموا الى ابن خلف وكان الموفق قد طردهم فقبلهم ورد عليهم افطاءهم

ولما حصل بهذه الناحية اجتمع اليه وجوه العسكر والخوا عليه في افتاء اثر ابن خلف وانتزع الماسورين من يده فملهم ودفعهم من يوم الى يوم الى ان عقدوا هزيمة اقترحوا فيها النهوض بهم في طلبه فاستدعى الوجوه وقال لهم : قد ايدنا الله تعالى ونصرنا وبلغنا في الظفر غاية ما املنا وقد رنا وليس يجب ان نقابل ذلك بالبني وطلب الغاية التي ربما أدت الى الزدامة وقد مضى المدو هارباً من بين ايدينا وان اتبعناه الى رأس المفازة ولزنا في القتال

والمكافأة ورأى المفازة امامه والعسكر وراءه لم تأمن أن يحمل نفسه على
الاشد ويقا تل قتال المستقل وربما نصر ورجعنا على أعقابنا مفلولين فنكون
قد أضعنا الحزم وحصلنا على الندم بعد القوت . فكان هذا القول طريقاً الى
سكون القوم ورجوعهم عما كانوا عليه من المطالبة بالمسير . وعاد ابن خاف
الى سجستان ومعه أبو موسى خواجه بن سياهجك وأبو محمد القسم بن
مهدر فروخ والقواد المأسورون وانتقل أستاذ هرمن الى بيم وأقام بها أياماً
والكتب واردة عليه بان المظفر أبا العلاء مجد في المسير الى مستقره

وحصل أبو العلاء بقرية الجوز وأنفذ حاجيين من حجابيه برسالة الى أبي
جعفر والعسكر يعلمهم فيها قربه منهم وهم اذ ذاك بقرية القضي ويشير عليهم
بالانعام الى بيم ليقع^(٤٧) الاجتماع بها . وكان غرضه في هذه الرسالة يعرف
ماعدن القوم وأن يروز الامر فيما كان وقف عليه من صرف أبي جعفر ورده
الى شيراز مع الاولياء الشيرازيين والمقم بكرمان ناظراً فيها

وكان قد صحب أبا العلاء عبد الله بن عبد العزيز برسم خلافة الوزارة
فلما وردت هذه الرسالة على أبي جعفر تبين المرد فيها واستدعى وجوه الديلم
سرا وقرر معهم ما ينجيهم به عنها . وحضر لرسولان في الحفل وأعادا القول
فقام الوجوه وقالوا : هذه البلاد لنا ونحن فتحناها بعد تغلب السجزية عليها
وهذا الرجل (وأومأوا الى أبي جعفر أستاذ هرمن) اسبسلارنا ومن جاءنا
فتكناه وفعلنا به وصنعنا ويجب أن تعيدنا هذا الجواب وتنصحا لهذا المحوسى
حتى ينصرف ولا يفسد أمراً قد صلح ويحل نظاماً قد ترتب . وكادوا يثبون
بالرسولين حتى خالصهما أبو جعفر وصرفهما وعادا الى أبي العلاء وعرفاه
ما جرى فكتب الى بهاء الدولة به وعلم أنه لافائدة في مقامه فماد مع العسكر

الى شيراز . وصار أبو محمد عبد الله بن عبد العزيز الى ابي جعفر وأقام أبو جعفر والياً وأبو محمد ، وقعاً عن مجلس الوزارة ثم أئقذ أبو اسحق ابراهيم ابن احمد بدلا من أبي محمد

وكان الوزير أبو غالب محمد بن علي لانحرافه عن أبي علي ابن أستاذ هرمز و ابي جعفر والده قال لبهاء الدولة : ان بكرمان اقطاعات محلولة وأموالا موجودة وقد استولى عليها أبو جعفر وأقاربه وتوزعوها وتقسموها . وأشار بالاختيار من ينفذ للنظر في ذلك ويقرر الامر في الاقطاعات وافراد مايفرد للخاص واجتذاب ما يلوح من الاموال فعول على أبي ^(١٨) الفضل محمد بن القسم بن سودمند العارض في الخروج وتولى هذه الحال وخرج على طريق الكورة . فلما حصل في جيرفت حمل أبو جعفر الديلم على الهنجة فمقدوا هنجمة قتلوا فيها على بن احمد بن يحيى وكان أحد الكتاب الكفاة الدهاة واليه الاشراف على ابي اسحق ابراهيم بن احمد ونهبوا دور الخواشي وبلغ أبا الفضل ذلك فقبض على أبي القسم الطويل الحاجب صاحب أستاذ هرمز وضر به الف عصا وراسل أستاذ هرمز بالانكفاء الى شيراز وانه متى لم يفعل قبض عليه فخرج وصار الى حضرة بهاء الدولة . وتوسط أبو الفضل الاعمال وأقام بها ستة أشهر وأقام الهيبة ورتب الامور وأسقط جماعة من الديلم وطردهم وقرر للباقيين أقساطا وسلم لها الي أكثرهم ضياعا وأفرد للخاص ما كان له ارتفاع وافر وقبض على الاصفهيد بن ذكي وكنجر بن العلوى وكانا خرجا في صحبته من شيراز

قال أبو عبد الله : فحدثني بعض الخواشي المختصين ان أقوى الدواعي كان في اخراج أبي الفضل ابن سودمند الي كرمان ما كان في نفس بهاء

الدولة على الاصفهيد بن ذكي لانه كان واجبه في سنة الصلح مع الديلم بالاهواز بالقول القبيح وامتنع من البيعة له الا بعد المراوضة الطويلة والتعب الكثير وانه دبر ما أراد من القبض عليه وشفاء صدره منه باخراج أبي الفضل واخراجه معه حتى تم له بيعته ماحوله فيه . وعاد أبو الفضل الى شيراز على طريق الروذان ومعه خمسمائة الف درهم وشيء كثير من السلاح والثياب

(١٩) ذكر ماجرى عليه

أمر طاهر بن خلف بعد عوده

لما انصرف من بم دخل المفازة وصار الى سجستان ومعه ابو موسى خواجه بن سياهنگ وأبو محمد القسم بن مهدي فروخ والديلم المأسورون وحصل على باب البلد فخرج اليه خلف أبوه وقتله وجرت بينهما وقائع كثيرة في ايام متتابعة ووقف الامر في المناجزة . وراسل الديلم المأسورون طاهر ابن خلف وكانوا من الاعيان المذكورين والشجعان المشهورين وبذلوا له فتح البلد وأخذوا اطلاقهم واعطاهم من السلاح ما يرضيهم وشرطوا عليه تخليتهم اذا بلغ مراده بهم ليرجعوا الى منازلهم . فقبل البذل منهم والتزم الشرط لهم وافرغ عنهم وسلم اليهم سلاحاً اختاروه وقتلوا قتلاً شديداً وابلوا بلاء كثيراً ونصرهم الله تعالى واجرى الفتح على ايديهم وملك طاهر وصعد ابوه الى قلعة له تعرف بقلعة الحبل على خمسة فراسخ من البلد وتحصن بها وفي طاهر للديلم بما وافقهم عليه واعطاهم وخلع عليهم وحلمهم وزودهم وخلي لهم عن سبيلهم . وبقي ابو موسى وابو محمد في يده فاما

أبو موسى فانه قرّر عليه صلحاً صح له بمضه وكان اولاده على حمل باتيه
وتوفيته فماجلتة المنية وترامى به جرح الضربة التي اصابته في رأسه الى الوفاة
لانها وقعت في موضع ضربة قديمة واستقام امر طاهر واقام ابو محمد
القسم عنده . وشرع خلف في ان يفسد على ابنه ويصرف الديلم عنه فلم
يتم له ذلك لانهم^(٥٠) كانوا مائلين اليه وحاول الفساد للرعية ايضاً فسكانت
رغبتهم في ابنه افضل منها فيه لسوء معاملة الشيخ لهم وقبح سيرته بهم وان
اظهر من التمليس ما كان يظهره حتى اذا اعتاد الفساد على هذه الوجهه
عدل الى اعمال الحيلة وراسل ابنه وقال له : قد اخذنا من المقاطعة باكثر
حظ وانسينا فيها الى ابعاد وتاملت امري فلم اجدي ولداً باقياً غيرك
ولا خلفاً مأمولاً سواك ووجدتني قد كبرت وتقضى عمري الا القليل وقد
رأيت ان اسلم الامر والبلد والقلمة وما لي فيها اليك وأزيل الوحشة العارضة
بيني وبينك واتوفر على امر الله تعالى في المدة الباقية لي معك واتصر
على البلغة من العيش في كنفك ومن يدك فاني لست آمن ان يقضى الله تعالى
عليّ قضاءً فيستولي على هذه القلمة من فيها ويخرج مالي ونعمتي وما جمعت
طول تدبري الى غير ولدي ومن بقاءه بقاء ذكرى . ولم يزل يرسله ويطعمه
حتى استغفره وخدعه وتقرر بينهما ان يركب ابنه الى اسفل القلمة وينزل خلف
ويجتمع على قنطرة كانت الخندق من دونها ويشاهد كل واحد منهما صاحبه
ويوصي خلف اليه ويعرفه ما له ومواضعه . وركب طاهر وحده وجاء الى
تحت القلمة ونزل خلف على مثل هذه الصورة والتقي على القنطرة وقبل طاهر
يديه وعانقه ابوه وضم رأسه الى صدره وكان تحت القنطرة في حافات
الخندق دغل كثير من بردى وحشيش يستتر فيه المستتر به وقد كمن له

خلف مائة رجل في ايديهم سيوف فلما ضمه خلف الي صدره بكى بكاء أجش فيه حتى علا صوته وخرج القوم^(١) فامسكوا طاهرا وأصعدوا به الى القلعة وقتله خلف وغسله بيده ودفنه . وتأدى الخبر الي أصحاب طاهر فاستسلموا لخلف وسلموا البلد اليه وعاد الي موضعه منه

وتوصل أبو محمد القسم الي أن أحضر جازات وأكراداً وجعلها علي قرب منه ثم خرج وركبها وهرب وصار الي شيراز فقلد العرض ووزر بعد ذلك علي ما ذكره في موضعه

وكان أعداء خلف يراقبونه لاجل طاهر ابنه وما ظهر من نجابته ورجلته وشجاعته ونجدته . فلما هلك طمع فيه وجرد اليه يمين الدولة أبو القسم محمود عسكريا واستولي علي بلده وقلعته وأخذته الي خراسان فجعله بالجوزجان مخلي فيها كمتقل ومطلقا كمحبوس وأجري عليه ما احتاج اليه لاقامته وثقاته ثم توفي بعد مدة وحصلت سجستان مع خراسان الي هذه الغاية^(٢)

سنة احدى وتسعين وثلثمائة

اولها يوم الاحد واول يوم من كانون الاول سنة اثنتي عشرة وثلثمائة والى لاسكندر وروز رام من ماه آذر سنة تسع وستين وثلثمائة ليزدجرد

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وتوفي خلف شهيداً في الحبس ببلاد الهند رحمه الله في قبضة محمود بن سبكتكين وكان عمود في سنة ٩٣٠ قد حاصره ونازله واستنزله بالأمان من قلعته ووجهه الي الجوزجان في هيئة ووفور هيئة ثم بلغ السلطان عنه بعد اربع سنين من ذلك انه بكتاب ايلك خان الذي استولى على بخارا فضيق عليه السلطان بعض الشيء الي ان مات في رجب سنة ٣٩٩ وورثه ولده ابو حفص

في يوم الاربعاء الحادى عشر من المحرم حضر الاتراك دار ابى نصر
سابور بن اردشير بدرب الديزج وتردد بينه وبينهم خطاب في امر التجريد
ادى الى توثيهم به على ابى الحسن ابن علان العارض وهرب ابو نصر
ووقع الفتنة بين النلمان والعامه

شرح الحالة في ذلك

قد ذكرنا ورود ابى الحسن ابن علان لاجراخ النلمان الى فارس وكان
ابو نصر سابور قد حصل من المال ما سلمه الى ابى الحسن واعده عنده
لينصرف^(٥٣) في ثقتهم وما يتقرر عليه امورهم
فلما كان في يوم الاربعاء المذكور حضر ابو الحسن دار ابى نصر
وحضر النلمان فجدد الخطاب معهم في الخروج وجد بهم فيه فامتنعوا منه
الابعدان توفوا استحقاقهم وتردد في ذلك ما انتهى الى بذل ابى نصر
للخارجين اطلاق الثلث مما وجب لهم بالخضرة والثلث بالاهواز والثلث
الباقى بشيراز وان يكون الاطلاق الماجل لمن يخرج خاصة فاعضبهم ذلك
ووثبوا بابى الحسن وهجموا على ابى نصر وهرب من بين ايديهم . وبادر
الملويون والعامه فدفعوهم عن الدار ورموهم بالآجر من السطوح وخرج الاتراك
منفيطين محفظين وثار الفتنة بينهم وبين اهل الكرخ واجتمعوا من غد
وصاروا الى قتال العامة من القلايين وباب الشعير وعظم الامر وانضوى
الى الاتراك اهل السنة من سائر المواضع وصار اهل الكرخ الى ابى الحسن
ابن يحيى الملوي وشكوا اليه حالهم وما قد اطلهم فقال لهم : لا قدرة لي على
هؤلاء القوم ولا طاقة لي بهم

وانفذ ابو القسم ابن مما جماعة من الديلم فأجلسهم على القنطرة لمنع القتال من تلك الجهة وعبر ابو الحسن ابن يحيى في اليوم الثالث الى دار المملكة ومعه وجوه العلويين والفقهاء الذين بالقطيعة واجتمعوا مع وجوه الاتراك واعلموهم انهم لا يعلمون لابي نصر سابور خبراً ولا عندهم محاماة عنه وسألوهم كف الاصاغر عن الفتنة والابقاء على المستورين من الرعية وانفذوا بالمعروفية وصرقوهم . وطالب الاتراك ابا الحسن ابن علان باطلاق ما حصل من المال في يده في الاقساط والتمس الديلم ما يجب لهم فيه فسلم وذلك فرق وبطل^(٥٣) التجريد

وتصور ابو نصر سابور وهو في الاستتار وقوع التوازر عليه واتفاق الجماعة من ابي الحسن ابن يحيى وأبي يعقوب أخيه وأبي القسم ابن مما على التجمع منه والعداوة له فخرج عن بغداد الى القصر ومنها الى سورا ثم الى البطيحة وكتب الى بهاء الدولة بما أوغربه صدره عليهم ونسب فيه جميع ماجرى من الفساد وأخذ المال ووقف أمر التجريد واثارة الفتنة اليهم

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا منه توفي مر ماري بن طوي الجائليق^(١) وفي روز خرداد من ماه ذى الواقع في هذا الشهر عاد بهاء الدولة من فسا الى شيراز

(١) هو من أهل الموصل من اولاد الروساء والكتاب وترى في الدواوين وكتب لبنت أحمد امرأة ناصر الدولة ولما اضطربت امور بني حمدان لقبض أولادها على أبيهم بغير إذنها وسائر الأخوة ووقع بينهم القتال اثر الترهيب . كذا في ترجمته في كتاب المجدل لماري بن سليمان طبع في رومية الكبرى سنة ١٨٩٩ المسيحية ١ : ١٠٤ وفيه انه مات سنة ٣٩٠ وان مدة جثثته اربع عشرة سنة قمرية

ولما فارق أبو نصر سابور . موضعه ونظره خاف أبو الحسن علي ابن
أبي علي لانه كان صاحبه ومختصاً به فاختفى شخصه وبعد عن البلد . وزادت
الفتنة وتسخط أهل الذعارة فقتل أبو الفوارس بهستون ابن ذرير الشرطة
ونزل دار ابي الحسن محمد بن عمر التي على دجلة وقبض على جماعة من
العيارين وقتلهم وكبس درهم ومنازلهم واستعمل السطوة وأقام الهيبة
فاستقام الامر به . وحدث من الاتراك معارضة له في بعض ما فعله
فاستغنى وعاد الى داره بالجانب الشرقى واقام ابو القسم ابن العاجز على
النظر

وفي ليلة الاربعاء اسبع بقين من صغر قتل حسام الدولة ابو حسان
المقلد بن المسيب العقيلي بالانبار غيلة

ذكر الحال في ذلك

قد ذكرنا ما كان من غلمان الاتراك في خروجهم من داره واخذهم
دوابه وهر بهم . منه وانه تبعهم وظفر بهم وقتل وقطع أحد عشر غلاماً منهم
وأعاد الباقين الى خدمته وهم على خوف منه واشفاق من عظم هيئته وسوء
معاملته . ^(١) فقل ان أحدهم راعى الفرصة منه وذبحه في الليلة المذكورة
وهو سكران وهرب وقد قيل ان احد فراشيه فعل ذلك به الا ان السلام
أثبت ^(١)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فيقال قتله لانه سعه بوصى رجلا من الحاج
أن يسلم على رسول الله صلعم ويقول : قل له « لولا صاحبك لزلتلك » قال الرجل :
فخرجت وأتيت المدينة ولم أقل ذلك لإجلالاً فتمت فرأيت النبي صلعم في منامى فقال
لى : يا فلان لم تؤدى الرسالة ؟ فقلت : يا رسول الله أجللتك . فرفع رأسه الى رجل

وقد كان المقلد راسل جماعة كثيرة من وجوه الاولياء ببغداد واستمالهم ووعدهم واطعمهم وحدث نفسه بدخول الحضرة والا-تيلاء على المطلكة واصل في ذلك أصولا كاد غرضه بها يتم فاتفق من امر الله تعالى جل وعز ما لا يقالب فيه

﴿ ذكر ما جرى عليه الامر ﴾

« بعد قتله على ما حدثني به ابو الفتح عيسى بن ابراهيم »

قال لما قتل المقلد لم يكن قرواش حاضراً بالانبار وهو الاكبر من أولاده وكانت خزائمه بها وعساكره بسقى الفرات . وخاف ابوالحسن عبد الله بن ابراهيم بن شهرويه بادرة الجند ونهيم فراسل أبا منصور قراد بن اللديد وكان قريباً منه بالسندية واستدعاه اليه وقال له: انا اجعل قرواش ولدك وأزوجه ببعض بناتك وافرر . به مقاسمتك على ما خلفه ابره في خزائمه وتكون عوناً له على الحسن عمه فانه ربما طمع في الاستيلاء على الامر بعد المقلد فانفذ الرسل الى قرواش يحثه على المبادرة واللاحاق . وصار قراد الى الانبار ونزل في دار الامارة بها وحرس الخرائن وحسم الاطماع وحضر قرواش بعد ايام واجتماعا وتقاسما على المال وتحالفا وتعاقدا على

نائم فقال : خذ هذا موسى واذبحه به (بني مقدا) . فوافيت الى العراق فسمعت ان الامير مقلد ذبح على فراشه ووجد موسى عند رأسه فذكرت للناس الرؤيا فشاعت فاحضرن ابنه قرواش فحدثته فقال لي : تعرف موسى ؟ قلت : نعم . فاحضر طبقا مملوا موسى فاحرجته منهم فقال : صدقت هذا وجدته عند رأسه وهو مذبوح رثاه الشريف الرضي

التعاضد وقد كان قراد قبيل ورود^(١) قرواش أطلق للجند شيئا من ماله
ونجح عوضه بعد ذلك . فاعرف الحسن بن المسيب ماجري واستبداد
قرواش بقراد علم أن الامر والعرض قد فاته واستمتع عليه من الامر^(٢)
ما كان يقدره فشكا الي عسكر ابن أبي طاهر وأبي المضاد كلاب بن الكلب
وجاعة من المسيبين المال وقال : يا قوم يرث قراد بن اللديد مال بني المسيب
وهم أحياء ؟ فقال له عسكر : هذا من عملك ولخوف ابن أخيك منك .
فقال : ومن أي شيء خاف وما الذي يريده ؟ قال : لو سكن منك الي
خلوص النية وصلة الرحم وحفظه فيما خلفه أبوه له لما ادخل بينك وبينه
غريبا ولكنك أولى به دكان أولى بالمحاماة عنك . فقال له الحسن : أنا على
ذاك ومهما سمعوني من توثقة عليه بذلته لكم

وكتب عسكر ابن أبي طاهر الي قرواش بما جرى وترددت الرسل
بينه وبينه فيه حتى استقر الامر على أن يسير الحسن الي الانبار مظهر آفاذا
وقعت العين على العين قبضا على قراد وارتجما منه ما أخذه ولم يدخل أبو
الحسين ابن شهرويه في القصة ولا عرفها . وانحدر الحسن وقرب من الانبار
وبرز قرواش وقراد للقاءه وبينما الفريقان متصافان متواققان اذ جاء بعض
العرب فأسر الي قراد شيئا فولي هاربا بطلب طرق البرية وتبعه قرواش
والحسن وأصحابها وجدوا في طلبه فقائم واجتاز بجلته فلم يدخلها ومضي
على وجهه . وتلاقى الحسن وقرواش وتماقيا وبكى بكل واحد منهما وقال
الحسن لقرواش فعلا جميلا استماله به وبذل له أن يكون بحيث يؤثره وبجبه
واتفقا على ارتجاع ما أخذه قراد من الخزان وأنفذا الي زوجته بنت محمد

ابن مقن وأخت غريب ورافع وطالبها بما في بيوتها، من ذلك فامتعت عليهما
وخاطبتهما خطاباً فيه بعض الغلظة وأجاباهما بمثله وأدخلا الي البيوت من أخرج
المال والاعدال للذين حصلوا بقسم قراد^(٥٦) من مال المقلد وأخذاهما
وانكفأ الي الانبار وأقاما أياما . وحمل قرواش الي الحسن عمه ثيابا وفرشاً
وسلاحاً وغير ذلك وسار الي الكوفة وواقع بني خفاجة بناحية زبارا^(٥٧)
وظفر بهم ومضوا بعد هذه الوقعة الي الشام وكانوا هناك الي أن استدعى
أبو جعفر الحجاج أبا علي الحسن بن نعل فورده ووردوا على ما نذكره من
بعد في موضعه

وفي ليلة يوم الاربعاء مستهل ربيع الاول توفي أبو الحسن علي بن محمد
الاسكافي

وفي يوم الخميس لليلتين خلتا منه توفي أبو بكر ابن حمدان البزاز
وفي يوم الاحد الخامس منه جلس الخليفة القادر بالله أطل الله بقاءه
للحاج الخراسانية وأعلمهم انه قد جعل الأمير أبا الفضل ابنه ولي عهده ولقبه
الغالب بالله وقرئت عليهم الكتب المنشأة بذلك

شرح الحال في ذلك

جاس على السدة العالية بذياب سود متقلداً سيفاً بمجائل في البيت
المعروف بيت الرصاص وبين يديه نهر يجري الماء فيه الي دجلة ودخل
اليه الاشراف والقضاة والشهود والفقهاء وأهل خراسان العلماء ومن من الحج
وقرى في المجلس على رؤوس الأكتاف كتاباً بتقليد أبا الفضل ولده العهد
بعده وتلقبه الغالب بالله تعالي ولا غالب الا الله وحده لا شريك له وكان

له من السن في هذا الوقت ثمانى سنين وأربعة أشهر وأيام . وكتب الى البلاد بأن يخطب له بعده على نسخة قررت بحضرته وكانت بعد اتمام الدعاء له :

« اللهم وبلغه الامل في ولده أبي الفضل الغالب بالله تعالى ولي عهده في المسلمين ^(٥٧) . اللهم وال من والاه من العباد وعاد من عاداه في الاقطار والبلاد وانصر من نصره بالحق والسداد واخذل من خذله بالغي والعناد . اللهم ثبت دولته وشعاره وابذ الي من نابذ الحق وأنصاره »

ذكر السبب في تقليده العهد على هذه السن

قد ذكرنا فيما قدمناه من اخبار خراسان حال الوائقي ^(١) ووقوعه الى هرون بن ايلك بنر اخاقان واستيلاءه عليه وتقدم منزله عنده . وكان أبو الفضل التميمي الفقيه قصد بلاد الخانية واجتمع مع هذا الوائقي فاتفقا على ان افتعلا كتاباً عن الخليفة اطال الله بقاءه بتقليد الوائقي العهد بعده واظهرا ذلك عند بنر اخاقان وان ابا الفضل ورد فيه . وصادف هذا الامر رأياً جميلاً من بنر اخاقان في الوائقي ومنزلة لطيفة له عنده فقواء واكده وتقدم بأن يخطب له في بلاده بعد الخليفة أطال الله بقاءه . وشاع الحديث في أعمال خراسان ووردت به الكتب الى الخليفة أطال الله بقاءه فانكره واكبره وغازله ماتم منه نازعجه . واوجب الرأي عنده أن رتب الأمير أبا الفضل ولده في ولاية عهده وكتب الى سائر الاعمال والاطراف

(١) قال الصفدى في الوافي بالوفيات : هو عبد الله بن عثمان بن عبد الرحيم بن

ابراهيم بن الوائقي وكان يلقب بالصاعد بالحق

بذلك والى امرء خرسان والخانية بتكذيب الوثائق وتفسيقه وبعده عن استحقاق ما ادعاه لنفسه . فحدثني القاضي ابو القسم علي بن الحسن التنوخي^(١) قال كان هذا الرجل وهو عبد الله بن عثمان من ولد الوثائق بالله يشهد بنصيبين عند الحكم فيها وعند صدقة بن علي بن المؤمل خليفة القاضي ابني علي التنوخي والذي على القضاء^(٥٨) بها واليه مع الشهادة الخطابة في المسجد الجامع . وكان يفسد على صدقة ويحاول أن يقوم مقامه في خلافة والذي واجتمع صدقة واهل نصيبين على ان كتبوا محضراً بتفسيقه وشهدوا بذلك عند صدقة شهادة سمعها وقبلها وانفذ الحكم بها وكتب الى والذي بالصورة وانفذ اليه المحضر والسجل عليه فقبل ذلك والذي وامضى الحكم به واتخذ واشخص الوثائق الى بغداد . فلما ورد خاطبه خطاباً قبيحاً ووقع به مكروهاً واعتقله في حبس الشرطة حتى خاطبه في امره ابو الفرج عبد الواحد بن محمد البيهقي^(٢) الشاعر للبلدية التي كانت بينه وبين الوثائق فاطلقه . ونزل غرفة في الفرضة بازاء دار المملكة وذلك في ايام عضد الدولة (قال القاضي ابو القاسم) وكان يواصله ابو العباس احمد بن عيسى المالكي لصداقة بينهما وبلدية فحدث ابو العباس قال : حضرت عنده ليلة في غرفته وقلت له « الصواب ان تستعطف القاضي ابا علي التنوخي وتوسط بينك وبينه ابا الفرج البيهقي وتصلح امرك معه » . (قال) وانا اخاطبه واكرر

(١) وردت ترجمته في أرشاد الأريب ٥ : ٣٠١ وترجمة والده ابني علي الذي

صنف كتاب الفرج بعد الشدة وكتاب نشوار الحاضرة وردت فيه ايضاً ٦ : ٣٥١

(٢) توفي سنة ٣٩٨ وهو الخزومي الخطيبي كذا في الانساب للسماعاني ص ١٧٩

هذا الرأي عليه وهو معرض عنى فقلت له : أسمعت ما أشرت عليك به ؟ فقال لى : يا أبا العباس أنت جاهل أنا مفكر كيف أظنى شمع هذا الملك الذى نحن إزاء داره واخذ ملكه وأنت تقول لى « استصلح التوخي » قال أبو العباس : فلما سمعت قوله قلت « سلاما » وقت من فوري منصورا عنه وخائفا من أذية تتطرق عليّ به وقطعته . قال القاضى أبو القسم : فلما ظهر من حديثه فيما وراء النهر بخراسان ما ظهر وقلد الخليفة أطل الله بقاءه أبا الفضل ولده ولاية عهده وطعن على الوثائق فانكر أمره بلنه^(١) حال المحضر الذى كان أنفذ الى والدى من نصيين بتفسيقه من جهة بعض ما أخبر به بحديثه^(٢) فاستدعيت الى الدار العزيزة استدعاء حثيثا لم تجر عادة به فضيت ودخلت على أبي الحسن ابن حاجب النعمان فقال لى : ما الذى جرى منك فان الطلب لك ما ينقطع . قلت : ما أعلم انه حدث ما يقتضى ذلك . وكتب بخبرى نخرج الجواب بأنه : بلغنا حال محضر أنفذ الى والده من نصيين بتفسيق الوثائق وأنه اسجل به فتطالبه باحضاره واحضار السجل عليه . فاقرأنى ذلك وقلت : السمع والطاعة . وانصرفت وأنا خائف من أن يكون هذا المطلوب قد ضاع فيما ضاع لنا وتشاغلنا بالتفتيش عنه فوجدته وحامته من غد وسلمته فلما حمل الى حضرة الخليفة أطل الله بقاءه رده وقال للرئيس : سله هل حفظ على والده اقراره بما اسجل به . فساأني عن ذلك فقلت : نعم قد كان أقر عندي به . ورسم احضار القضاة والشهود والفقهاء ففعل ذلك وحضر القوم ومنهم القاضى أبو محمد ابن الاكفانى والقاضى أبو الحسن الحرزى

وأبو حامد الأسفرايني والشهود بأسرهم وعمل كتاب على سجل والدى
بأنفادى ماسمعه من حكمه به واشهدت الجماعة المذكورة على نفسى فيه وكان
ذلك فى جملة ما أنفذ الى خراسان وجرح الوثائق به

وحكى القاضي أبو القسم : ان هذا الوثائق دخل بغداد بعد ماجرى له
بخراسان ونزل دارا وراء داره بباب البصرة . ثم انتقل عنها لما عرف خبره
وشاع أمره وأنه رآه فى بعض الايام بالكرخ وهو لا يعرفه (قال) فرأيت
رجلا عليه قباء^(٦٠) واذا رى^(٦١) وعمامة شاهجانية وهو يمشى منحنيا ويداه
مقودتان من ورائه كفعل الخراسانية . وكان ممي أبو العباس المالكي فلما
رآه سلم عليه وقبل كتفه فنهرد وزبره بلفظ الفارسية الخراسانية فقال له
المالكي : انما سلمت عليك وعندي انك صديقنا الذي يعرفنا ونعرفه فاذا
أنكرت ذلك فآله معك . والتفت الي وقال : تعرف هذا الرجل ؟ قلت :
لا . قال : هذا الوثائق الذي ادعى ولاية العهد بخراسان

ذكر ماجرى عليه أمر الوثائق بعد ذلك

على ما عرفته من القاضي أبى جعفر السمناني (٢)

لم يسمع بفراخقان فيه قول قائل ولا أحاله عن العناية به والمصيبة له
محيل . فلما توفى وملك احمد بن على قراخان كاتبه الخليفة أطل الله بقاءه

(١) قال المقدسى ص ٣٢٤ س ١٨ : ومن وذارا ثياب الودارية وهى ثياب على
لون المصمت وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان .

(٢) فى تاريخ الاسلام هو محمد بن احمد بن محمد بن احمد قاضى الموصل شيخ
الحنفية سكن بغداد قال فيه الخطيب : يمتد مذاهب الاشعرى وقد ذكره ابن حزم
فقال : هو أكبر أصحاب الباقلانى ومقدم الاشعرية فى وقتنا توفى سنة ٤٤٤ .

بإيماده فلم يكن عنده الموضع الذي كان له عند بنى راحقان فانفذه الى موضع يعرف بأسفا كند وجعله كالحبوس فيه بعد ان أقام له ما يحتاج اليه وأقام هناك مدة ثم صار الى بغداد كاتماً نفسه ونزل بباب البصرة وانتهى الى الخليفة أطل الله بقاءه خبره فتقدم بطلبه وانتقل الى التوثة ولقيه جماعة من الفقهاء فأعطاهم وبرهم ووصلهم . ثم انحدر الى البصرة ومضى منها الى فارس وكرمان وعاود بلاد الترك فلم يتم له ما حاوله من قبل ونفذت كتب الخليفة أطل الله بقاءه بتتبعه وأخذ فهرب من هناك وصار الى خوارزم وأقام بها ثم فارقها وقصد الامير عيين الدولة أبا القاسم محموداً وأخذ وأصعد به الى بعض القلاع فكان فيها محبوساً محروساً موسماً عليه الى أن مات

وفي شهر ربيع الاول توفي أبو شجاع بكران بن بلقوارس^(٦١)

واسط

وفي يوم الاربعاء ليلة بقيت منه قبل القاضي أبو عبد الله الضبي شهادة أبي الحسن علي بن الحسن بن العلاف الواسطي

وفي سحرة يوم الجمعة ليلة خلت من شهر ربيع الاول توفي أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح^(٦٢) وصلي عليه القاضي أبو عبد الله الضبي وقد كان أبو القاسم جلس وحدث وصار اليه أبو بكر

(٦١) قال صاحب تاريخ الاسلام انه كان يرمى بشيء من مذهب الفلاسفة

وترجمته موجودة في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ص ٢٤٤

محمد بن موسى الخوارزمي^(١) وخلق كثير فسمعوا منه وكتبوا عنه وكان رجلاً فاضلاً يعرف علوماً كثيرة من علوم الدين والمنطق والفلسفة وفي هذا اليوم توفي أبو النصر كعب بن عمرو البلخي المحدث وفي يوم الخميس السابع منه قلد القاضي أبو حازم محمد بن الحسن الواسطي القضاء بوابسط وأعمالها وقرية عهده في الموكب بدار الخلافة وفي يوم الخميس لسبع بقين منه توفي أبو حفص عمر بن وهب المقرئ وكان شيخاً صالحاً وفي ليلة السبت لسبع بقين منه قتل أبو الحسن علي بن طاهر الكاتب شرح الحال في ذلك .

قد كانت مغى إلى مصر هارباً من أبي الحسن محمد بن عمر فأقام بها مدة وعاد في هذا الوقت مع العجاج وتحدث الناس بأنه ورد بموافقة من صاحب مصر وللشروع له في الفساد على الدولة العباسية . فلما كان في الليلة المذكورة كبسه العيارون في داره بدرب المقيمر من سوبقة غالب وعملوه بالسيوف ليقتلوه فقامت جاريته من دونه للمدافعة عنه فضربوا يدها ضربة أبانتها وضربوه عدة ضربات فاضت منها نفسه وأخذوا جميع ما وجدوه من ماله ورحله وانصرفوا وحضر أبو الحسن محمد بن أحمد بن علان من غد فتولى تجهيزه ودفنه في داره

(١) وقال فيه : هو شيخ أهل الرأي ومفتيهم انتهت إليه الرياسة في مذهب أبي حنيفة بالعراق وأنه كان يقال : ديننا دين العجائز ولسنا من الكلام في شيء . وكان له إمام حنبلي يعطى به وقد دعى إلى ولاية الحكم مراراً فامتنع توفي سنة ٤٠٣

وفي يوم الاحد لست بقين منه خرج أبو القسم الحسين بن محمد بن
مما الى شيراز بمرقة

(٦٢) ذكر السبب في ذلك
وما جرى عليه أمره في خروجه
الى حين رجوعه

لما انحدر أبو نصر سابور من بغداد مستترا على ما قدمنا ذكره وأخذ
المال المجموع للتجريد وأطلق في الاقساط كتب أبو نصر الى بهاء الدولة
واحال في جميع ماجري على أبي الحسن ابن يحيى وأبي يعقوب أخيه وأبي
القاسم ابن مما . وكان ينوب عن أبي القسم بفارس أبو الحسين ابن عبد الملك
ابن علي النقيب وبين أبي القسم وبين أبي الخطاب والامين أبي عبد الله
مودعة قديمة وهما اذ ذاك المتقدمان والمدبران وعلى عناية بأبي القسم ومعاملة
عنه . فخرجا الى أبي الحسين (ابن) عبد الملك بما يكتب به ابو نصر سابور فيه
وبما قد كتب به ابو نصر من الاستدعاء الى فارس ورسالة مكاتبة ابن
القسم بذلك وبأن يسبقه الى الورود والحضور . فخرج متعجلا بمرقة
ووصل في يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الاولى قبل ابي نصر سابور
ونزل على الامين ابي عبد الله فتكفل بأمره وخاطب بهاء الدولة فيه ونضح
هو عين نفسه فيما كان قرف به وعاونته الجماعة عداوة لابن نصر سابور
وعناية به واستقامت حاله ورسم له المقام الى أن يحضر ابو نصر ويصلح
ماينه وبينه ويمود الى بغداد في جملة . فاقام ووصل ابو نصر وابو جعفر
الحجاج فقرر لهما النظر في اعمال المراق واصلاح أمر ابي القاسم معهما على

دخل من رأي أبي نصر وباطنه فيه واخرج امامهما لتوطئة ما يجب توطئته قبل موردهما

وفي هذا الوقت ورد الخبير بتقليد الصاحب ابي علي الحسن بن استاذ هرمن أعمال الاهواز وانه اخرج اليها ولقب بعميد الجيوش

ذكر ما جرى في ذلك

حدثني أبو الحسين فهد بن عبيد الله كاتب عميد الجيوش ^(٦٣) قال : لما دخل الصاحب أبو علي في طاعة بهاء الدولة بالسوس وسلم الامر اليه اعتزل الامور وسار في صحبته الى فارس واقام على بابها . فلما مضت له سنة وكسر استأذن في المضي الى خراسان فمنع من ذلك وروسل بما سكت منه به ووعد الوعد الجميل فيه . وقبض على الموفق ابي علي ابن اسماعيل وكان نافرأ منه فردت اليه الامور بعده ومشاهها بحسب طاقته ووسعه وأفرج عن أبي غالب ابن خلف وجعل خليفته فتولى العمل وكان متديراً به واستغنى الصاحب ابو علي وأقام في داره . ثم راسل بهاء الدولة بعد مدة بخطب اليه تقليده أعمال خوزستان ويعلمه أنه خير بها وبما فيه استقامة أمرها وقد كانت اختلت بمقام أبي جعفر الحجاج فيها ونظر ابي القاسم ابن عروة في عمالتها واستعماله المجازفة التي كانت عادته جارية بها فاجيب الى ذلك وقلد وخطب على قبول الخلع واللقب واستغنى من الخلع وقبل اللقب بعميد الجيش وسار الى الاهواز في روزد ييمهر من ماء اسفندارمذ الواقع في شهر ربيع الاول وقد كان ابو جعفر فارقه وتوجد الى راسط . واقام عميد الجيوش على أحسن سيرة وأقوم طريقة فاصالح الفاسد وضم

المنشر وتألف الرعية ورفع المصادرة وساس الجنود افضل سياسة وجمع في
أقرب مدة مالا حمله الى بهاء الدولة وأكد موضعه عنده به
وفي يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الاولى قبل القاضي أبو عبد الله الضبي
شهادة أبي القاسم عمر بن إبراهيم بن الحسن بن اسحق البزاز
وفي يوم الأربعاء الخامس منه توفي أبو عبد الله محمد بن اسحق
ابن المنجم المغني العواد بشيراز ولم يخلف^(٦٤) بعده من يقاربه فضلا
عن يشاكله

وفي يوم السبت الثامن منه خرج أبو الحسن ابن علان المعارض عائداً
الى فارس وبطل ما ورد فيه من أمر التجريد
وفي يوم الاحد التاسع منه استعجب أبو القاسم علي بن احمد الامين
أبا^(٦٥) عبد الله للخليفة أطل الله بقاءه
وفي يوم الخميس الثالث عشر منه ورد أبو جعفر الحجاج بن هرمز
فيه واسطاً منصرفاً عن الاهواز ثم خرج منها سائراً الى شيراز
﴿ ذكر ما يجري عليه أمره في ذلك ﴾

لما عرف أبو جعفر حال عميد الجيوش في تقلده الاهواز سار الى بصري
يوم الاحد الثاني من الشهر وأنفذ أبا الحسن رستم بن احمد كاتبه برسالة الى
بهاء الدولة يتألم فيها من صرفه عن بلد بعد بلد وكسر جاهه في أمر بعد أمر
ويعدد ما عومل به بالموصل وبغداد ويسأل الاذن له في اللحاق ببلد الديلم .
فلما أعاد أبو الحسن على بهاء الدولة من ذلك ما أعاده ثقل عليه نفوره
واستيحاشه وردده وأنفذ معه أبو سعيد زاد انقروخ بن آزاد مردي بجواب

يسكنه فيه ويبرفه تأكد حاله عنده ولطف منزلته في (...) ويرسم له التوجه الى شيراز ليقرر معه أمر بغداد ويرده اليها مع أبي نصر سابور فسار ليلة يوم الاثنين لاربع بقين من شعبان ووصل وقد حصل ابو نصر سابور هناك وورد ابو نصر الي حضرة بهاء الدولة بخلا به وأورد عليه في جماعة من عدينة السلام من أبي الحسن ابن يحيى العلوي وأبي يعقوب أخيه وأبي القاسم ابن مما كل ما أوغربه صدره وضمنهم بمائتي الف دينار فاذن له في القبض عليهم واستخراج المال منهم وقرر عليه ما يحمله الي خزائنه منه ^(٦٦) وخلع عليه وعلى أبي جعفر الججاج ولقبه القسم ذا الثلاثين وذلك في روزآبان من ماه مهر الواقع في آخر شوال وسارا فكان وصولهما الي واسط يوم الاربعاء سلخ ذي الحجة ونحن نذكر ما جرى عليه أمرهما بعد ذلك في أخبار سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

وفي يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخرة توفي القاضي أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد النخري ^(٦٧) وأقر ابنه أبو القاسم على عمله وقوى عهده بذلك في يوم الاثنين لليلة بقيت منه ثم تم تعقب الرأي في بابه وصرف بعد مدينة قرية

وفي يوم السبت السادس منه قتل المعروف بارسلان الذي كان يتصرف في الوقوف قتله الدامة بالآجر وقد غوا رأسه

وفي يوم الخميس الثامن عشر منه قتل بنو سيار أحمد بطون بني شيخان أبا الفوارس بهستون بن ذرير

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام: هو شيخ أهل الظاهر قدم من شيراز في حجة السلطان عضد الدولة وأخذ عنه فقهاء بغداد

شرح الحال في ذلك

كان بهستون صديقاً لابي الفتح محمد بن عناز وممثلاً له ومسارعا الى معونته في كل أمر ينوبه : فاتفق أن سار اليه من الجبل من يقصده ويطلبه فاستصرخ بجند الحضرة وسألهم الانجاد والمماضدة وخرج بهستون في جملة من خرج ومعه جماعة من أهله وأصحابه . فلما عاد نزل بالخالدية وهي أقطانه وأغارت الخيل من بني سيار على بقر بهذه الناحية وطردت بعضها وعبرت بها الى شرقي دبالى وسلكت طريق براز الروز . فركب بهستون في الوقت ومعه أخواه الفاراضي والاعرابي وثلاثة نفر من انديلم وطلبوا الخيل الفائرة فأدركها بهستون سابقاً ولحق به أخواه وأصحابه وعرفه القوم فأخرجوا له الطرد ومضوا^(٦٦) فحمله من كان معه على اتباعهم والايقاع بهم فسار ولحقهم وجرت بينه وبينهم مطاردة فطعنه أحدهم طعنة فاعنت منها نفسه في موضعه وطعن الفاراضي أخوه طعنة أخرى في إحدى عينيّه فذهبتا جديماً عند علاجها . وجعل أبو الفوارس الي الخالدية على ترس وجعل على بقل وأدخل الى داره فيغداد فأقيمت عليه المناحات وعملت له المواثيم العظام وحضر جنازته والصلاة عليها سائر الوجوه والا كابر

وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين منه توفي أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحجاج الشاعر في طريق النيل وهو غائد منها وورد تابوته الي بغداد في يوم الخميس بعده

ذكر حاله وطرف من امره

هذا الرجل من اولاد العمال وكان أول أمره مرتسماً بالكتابة وكتب

بين يدي أبي اسحق إبراهيم بن هلال الصابي تجدي مدة في أيام حدائمه
ثم تأتي له من المعيشة بالشعر ما عدل اليه وعول عليه وكان أكسب له مما
كان متشاعلاً به . وتفر دفين من السخف لم يسبقه اليه سابق وكان مع
تعاطيه هذه الطريقة مطبوعاً في غيرها وقد اختار الرضى أبو الحسن الموسوي
من شعره السليم قطعة كبيرة في غاية الحسن والجودة والصنعة والركة ولم يزل
أمره يتزايد وحاله تتضاعف حتى حصل الأموال وعقد الاملاك وصار
محذور الجانب متقى اللسان مخشى التسكر مقضي الحاجة مقبول الشفاعة .
وحمل اليه صاحب مصر عن مديح مدحه به الف دينار مغربية على سبيل
الصلة وشعره مدون مطلوب في البلاد . ووجدت له رقعة الى أبي اسحق
جدي قد صدرها بأبيات فاستحسن مذهبها فيها ^(٦٧) ونسخها لذلك وهي

فداك الله بي وبكل حي من الدنيا ذني أو شريف
يحل لك التناقل عن أناس تولوا ظلم خادمك الضعيف
ولست بكافر فيحل مالي ولا الحجاج جدي من ثقيف
فر بدرهمي ضرباً والا جعلت سبال قوفا في الكنيف

قوفا هو أبو الحسن محمد بن الهمامي

هو ذا يبلغ هؤلاء السفلى مني مرادهم اضرار بي أطال الله بقاء سيدنا
ويدفعون عن اراحة عاتي عناداً وقصداً ووالله لو كان مكان هذه الدريهمات
ارتفاع بادوريا ^(١) ما داهنتهم ولا ذاجيتهم ولا احتملتهم . وقد سار ماضي
من القول واتصل بهم وقوفا متعلق الحشاشة بالقدرة بين أوداجه وحلقومه
(١) وبادوريا من جلة العمالات ليراجع ما قال فيها أحمد بن محمد بن القرات :

هو ذراء ص ٧٦ وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ١ : ٤٦٠

وهو يوصي بأذي ويعهد الى ابن العلاف في مكروهي . فان أخذ سيدنا
بيدي وتولى مطالبهم ببعض التلذذ وأرهقهم حتى لا يجدوا منه محيصاً طمعت
فيها والا استشعرت الاياس ولبعت الاشهب واشترت بشمنه ورقاً وجبراً
وزيتاً للسراج وأحييت ليلي بهجاء القروذ فان القائل يقول :

مالي مرضتُ ولم يعدني عائدُ منكم ويمرض كلبكم فأعودُ

سعي شاعر الكلب - وأسعى أنا بسبب قوفا شاعر القرد . واليوم
الثالث من ضمان ابن العلاف الدرهم لسيدنا وعرفني من رآه عند قوفا يستأمره
فأظنه . نعمه من الاطلاق وأعوذ بالله من أن أكون أنا في طمع هذين النذلين
وأبو جوال^(١) بالسواء . حسبي بهذا تحريصاً على صفع القوم وتحريكاً في
مناجزتهم . وأنا منذ الغداة قرين الزيزب في - شرعة دار صاعد حتى نزل
محمد الدواتي وعرفت خبر الخوارد راكناً فانصرفت والله تعالى يودعني فيه
السلامة . وقد أنفذت الاشهب^(٦٨) بهذه الرقعة وتقدمت اليه ان لم ير
وجهاً لتحريك أمره في تسببه ان يشد نفسه مع البغال ويعتلف الى ان يفرج
الله تعالى ثم يعود الى اصطبله ثم لم يكن فيه نهوض للحضور فان تأخر
هذا الباب طرحته على الماء حتى ينحدر الى المشرقة وربطته مع الزيزب
ان شاء الله تعالى

وله الى أبي اسحق من جملة ما أئتم له فيه كثيرة أبيات وجدتها في
نهاية الرقة والطبع فذكرتها وهي :

يا من وقفتُ عليه هوأي سرّاً وجهراً

(١) جاء في الحاشية : أبو جوال ملاح كان لأبي اسحق في زيزبه

الله يعلم أني مذغتُ لم أعط صبراً
ولا عصيت لداعي ال اسي ولا الوجد أمراً
ولا اطرحت بثأني عليك نظماً ونثراً
ولا رأيتُ بعيني في الارض بعدك بدراً
قدمت قبلك حتى تكون أطول عمراً
هذا لغيبة عشر وكيف لو غبت شهراً
ومما يغني فيه وان كان كثيراً:

يا من مواعيد رضاه ظنون
سألت عن حالي ياسيدي
ما آن ان تخرج مما نخون
كل عدوك مثلي يكون
ومنه:

ومدلل أما القضيبي فقد
يمشي وقد فعل الصبي بقوامه
شكلاً وأما ردفه فكثير
متلون بيدي ويخفي شخصه
فعل الصبا بالنصن وهورطيب
أرني مقاتله فتخطي أسهمي
كالبدري يطلع مرة ويغيب
نفسى فداؤك ان نفسى لم تزل
غرضي ويرمي مقتلي فيصيب
مالي ومالك لا أراك تزورني
يحلو فداؤك عندها ويطيب
الا ودونك حاسد ورقيب
ومنه:

أيا مولاي طاب لك اجتنائي
وصرت اذا دعوتك من قريب
وقلبي باجتنابك لا يطيب
وأصدق ما أبشك ان قلبي
تصيح الى الدعاء ولا تجيب
بمهدك لا عدمتك مستريب

(٦٩) ومنه :

قل لمن رفتهُ منك وند ومدامُ
والذي حل قتلِي وهو محظور حرامُ
أيها النائم غمزاً^(١) عينه ليس تنامُ
كل نار عند ناري فيك برد وسلام

ومنه :

باحث بسري في الهوى أدمعي ودلت الواشي على موضعي
يا معشر العشاق ان كنتمُ مثلي وفي حالي فوتوا معي
ومن سخفه قوله في بعض قصائده :

رأيت ايراً مفلساً سجداً يرفل في حلتي دم وخرا
فقلت من أين؟ قال : من شرح أفلتُ منه كما ترى وأرا
ومنه في قصيدة :

جلس الاير سُرمها في خراها ذات يوم على سبيل اللجاج
قصدت النواة في ذلك حتى أخذت لي التوقيع بغير فراج
وهو كثير وفيما أوردناه من النموذج كل فن كفاية
وفي يوم الخميس العشر من رجب توفي أبو الحسين أحمد بن الحسين
ابن احمد بن الناصر العلوي

وفي يوم الخميس لثمان بقين من شعبان قلد القاضي أبو محمد ابن
الاكفاني ما كان الى أبي الحسن الخرزني من الجانب الشرقي فتكامل له جميعه

(١) وفي الاصل : غمز

وفي يوم السبت الثاني من شهر رمضان توفي أبو الحسن علي بن نصر
الشاهد بالجانب الشرقي

وفي يوم الاثنين الحادي عشر منه قبل القاضي أبو عبد الله الضبي شهادة
أبي الحسن علي بن أحمد بن صبيح

وفي يوم السبت السادس عشر منه توفي القاضي أبو الحسن محمد بن
محمد بن جعفر الانباري صهر ابن - يار القاضي وكتبه

وفي يوم الاثنين العاشر من شوال قبل القاضي أبو عبد الله الضبي شهادة
(٧٠) أبي القسم ابن علان وأبي علي ابن العلاف وأبي عبد الله ابن طالب

وفي يوم الخميس الثالث عشر منه قبض أصحاب قراد بن اللديد على
أبي الحسن ابن الحسن محمد بن يحيى النهرسابسي بياطينا وحمّله الى حلة
قراد ثم أفرج عنه وعاد الى بغداد

شرح الحال في ذلك

كان الديلم قد طالبوا أبا الحسن ابن يحيى باطلاق أفساطهم لأن
المعاملات التي كانت المأدة منها انتقلت الى نظره بعد هرب أبي نصر سابور
فمنهم واعتصم بالكرخ والعلويين والعيارين . . . (١) وجرت بين الفريقين
حروب لأجل ذلك . واتفق ان دخل الديلم طاق الحراني فأحرق العامة
ما وراءهم وأمامهم واحترق منهم جماعة وعظمت الفتنة واستحكمت الوحشة .
فخرج أبو الحسن الى باقطينا وهي من العمريات التي يدبر أمرها وعرف
أصحاب قراد خبره فطمعوا فيه وصاروا اليه وأخذوه وحمّله الى صاحبهم وعمل

قراد على مطالبته بالمال والسوم عليه فيه . فركب قراوش وغريب اليه ولم يفارقه الا بعد استخلاصه وانزاعه من يده وسيره الى المحول فوصل اليها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شوال . وقد كان أبو القسم ابن مما عاذ من شيراز فتوطأ^(١) ما بينه وبين البيلم حتى صلح واستقام وأعطاهم مارضوا به ودخل داره يوم الاثنين لثامن من ذي القعدة

وفي الـ اعة الثالثة من يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة ولد الامير أبو جعفر عبد الله ابن القادر بالله أطل الله بقاءه والطالع القرب على كدح والشمس في الميزان على كالم

وفي يوم الاثنين الرابع عشر منه قبض^(٧١) معتمد الدولة أبو المنيع على أبي الحسن ابن العروضي

وفي يوم الاحد لعشر بقين منه توفيت زبيدة بنت معز الدولة باصبهان وفي يوم الاحد السادس منه تقلد يوانيس الجائليق^(٧٢)

وحج بالناس في هذه السنة أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العاوي^(٧٣)

(١) وفي الاصل : فتوط

(٢) هو من كرخ جدان مات سنة ٤٠٢ للهجرة وكانت مدته مدة عشر سنين

قبرية كذا في ترجمته في كتاب المعجل لما رى بن سليمان ١ : ١١٠

(٣) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٩٤ : وحج بالناس أبو الحارث

محمد بن محمد العلوي فاعترض الركب الا صيفر المنتفق ونازلهم وعول على نهبهم فقالوا : من يكلم ويقرر له ما يأخذ . فتقدموا أبا الحسن ابن الرقا وأبا عبد الله بن الدججي وكان من أحسن الناس قراءة فدخلا اليه وقرأ بين يديه وقال : كيف عيشكما يبعداد ؟ قالوا : نعم العيش تصلنا الخلع والصلوات . فقال : هل وهبوا لكم الف الف دينار في

سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

أولها يوم الخميس والعشرون من تشرين الثاني سنة ثلاث عشرة
وثلاثمائة والف للاسكندر وروز اسفندار من ماه آذر سنة سبعين وثلاثمائة
ليزدجرد

قد ذكرنا ورود أبي جعفر الحجاج وأبي نصر سابور الي واسط عاندين
من شيراز ووعدنا بذلك ما جرى عليه أمرهما بعد ذلك . ولما ورد الخبر
بزولهما واسطاً انحدر أبو القسم الحسين بن محمد بن ماما اليهما متلقياً لهما ومعتداً
بما فعله في اصلاح الجند وتوطئة الأمر . واستمال أبا جعفر بما حصله اليه
ولاطفه به وعقد بين أخيه أبي علي وبين أبي شاكر احمد بن عيسى كاتب
أبي جعفر عقداً على بنت أبي شاكر استظهر لنفسه فيه وأعطى أبا عبد الله
أستاذ هرمز داره وملاك أمره بما حصله في كفته به وعلم ان رأي أبي
نصر سابور لا يخلص له فاعتضد بهذه الجهة وأظهر مداخلتها ومخالفتها .
وكان أبو الحسن ابن اسحق قد فارق أبا الحسن ابن يحيى على وحشة ومضى
ليقصد شيراز فرده أبو نصر سابور من طريقه وعول عليه عند حصوله
بواسط في خلافته وأتقذه الي بغداد أمامه ورد معه أبا القسم ابن ماما وقرر
معهما النبط على أبي يعقوب العلوي النقيب ^(٧٢) وأصحاب أبي الحسن ابن

مرة ؟ قالوا : ولا نف دينار . فقال : قد وهبت لكما الحاج وأموالهم . فدعوا له
وانصرفوا ففرح الناس . ولما قرأوا بعرفات قال أهل مصر والشام : ما سمعنا عنكم
بتبذير مثل هذا يكون عندكم شيخان مثل هذين فتبجحوا بهما معكم ما ! فن هانكا
فبأي شيء تتجملون ؟ وأخذ أبو الحسن ابن بويه هذين مع أبي عبد الله ابن البهلول
فكانوا يصلون به بالنوبة التراويح وهما احداث .

يحيى عند تفوذ كتابه اليهما بذلك وأصعدا . والمحدث أبو الحسن ابن يحيى
لخدمة أبي جعفر وأبي نصر والاجتماع معهما وقد كانت نفسه نافرة منهما
لتقريره سوء الاعتقاد فيه منهما ولما وصل نزل داره بالزبدية وكان أبو نصر
سابور نازلا في دار أبي عبد الله ابن يحيى أخيه المجاورة لها وكتب على الطائر
بالقبض على أبي يعقوب في يوم عين لأبي القسم ابن ميم وأبى الحسن ابن
اسحق عليه وأمرهما بالمبادرة اليه بذكر ذلك ليقبض هو على أبي الحسن
وأصحابه بواسط . فخرج أبو القسم الى أبي يعقوب بالسر وراسله بالانذار
لمعاودة كانت بينهما ولأنه لم يأمن أبا نصر متى استقامت حاله ومشى أمره
واطرده ما يريده . واستظهر أبو يعقوب وكبست (داره) فلم يوجد فيها
وشاع الخبر وكتب أصحاب الشريف أبي الحسن اليه بالصورة على الطيور .
وأخر أبو نصر أمضاء ما يريد ان يمضيه في أبي الحسن الى ان يعرف
حصول أبي يعقوب لأن أكثر غيظه كان عليه وأحسن أبو الحسن فهرب ليلا
ومضى على بغلة متعسفا الى الزبدية وأصبح أبو نصر وقد أفلت أبو الحسن .
وورد عليه الكتاب بأفلات أبي يعقوب فقامت قيامته وتخير في أمره وندم
على تفریطه وراسل أبا جعفر واستشاره فيما يفعله فقال له : لو عملت بالحزم
لبدأت بمن عندك وكان بين يديك من غاب عنك ولكنتك استبددت
برأيك . وشرع أبو نصر في تتبع احوال أبي الحسن وتحصيل غلاته والاحتياط
على معاملته ومعاملاته وختم على الدور والجانات واعتقد تفتيشها وأخذ
ما يجده لأبى الحسن واخوته ووكلائه واسبابه فيها ثم عدل عن ذلك الى (٧٣)
تأنيسه ووافق أبا جعفر على مراسلته وتردد في ذلك ما انتهى الى اجابة

أبى الحسن الى العود على ان يوثق له أبو جعفر من نفسه ويحلف له على التكفل بحراسته ومنع كل أحد عنه . فأذكر وقد ورد أبو احمد الحسين بن علي ابن أخت أبي القسم ابن حكار رسولا عن أبي الحسن من الزيدية الى أبي جعفر ليحلفه له فقال لي أبو جعفر : اجتمع معه على عمل نسخة لليمين . فقال أبو احمد : قد عملها الشريف وأصحابها وها هي ذه . وأخرجها من كمه وأخذها أبو جعفر من يده وأعطائها ورسم لي قراءتها عليه فقرأتها وكان يفهم العربية ولكنه يجهدا . وخرج أبو احمد من حضرته على أن يجتمع أبو جعفر مع أبي نصر ويتفقه عليها ثم استدعاني أبو جعفر وأعطاني النسخة وقال لي : امض الى أبي نصر سابور فأعرضها عليه وقل له : ما الذي تراه في هذا الأمر فإني ان حلفت^(١) لهذا الرجل وأعطيته عهدي لم أمكنك منه وحلت بينك وبينه . فضيت الى أبي نصر سابور ووقفته على النسخة وأوردت عليه الرسالة فقال : أنا أروح العشية اليه وتفاوض مايجب ان يعمل عليه . فعدت الى أبي جعفر بهذا الجواب وركب اليه أبو نصر آخر النهار واجتمعا وخلوا ثم استدعيا ابا احمد وحلف له ابو جعفر وعاد . واصعد ابو الحسن ابن يحيى وبات في داره ليلة ثم خرج ورجع الى الزيدية فيقال انه اخذ دفيئا كان له في الدار وانحدر به حتى استظهر في أمره وعاد بعد يومين وانحل أمر أبي نصر سابور واستطال عليه أبو الحسن ابن يحيى ثم اصعد^(٧٤) ابو جعفر وابو نصر الى بغداد فكان وصولهما اليها آخر نهار يوم الخميس الثاني من جمادي الأولى . وصدرت الكتب الى بهاء الدولة بما جرى عليه الأمر فقاظه سوء تدبير أبي نصر وفساده وطعن عليه من كان بحضرته من خواصه وقد

كان ابو الحسن بن يحيى كاتب بهاء الدولة من الزيدية واستعطفه واذكره بما قدمه في خدمته واسلفه وبذل له في أبي نصر سابور بذلا يقوم بتصحيحه من جهته وذكر ما عليه الجند والرعية من بغضه والنفور من معاملته وكتب الى ابي جعفر بالقبض عليه والى ابي الحسن بن يحيى بتسلمه واستقر الامر بين ابي جعفر وابي الحسن بن يحيى وابي القاسم بن ماما على ذلك . فترأخى ابو الحسن و ابو القاسم في القبض عليه لغرض اعتماده في بئسه والخلاص منه وعرف ابو نصر الصورة فاستظهر لنفسه وعلم^(١) قوته فكبس عليه دار بني المأمون بقصر عيسى ولم يوجد فيها واراد ابو الحسن بما اغفله واهمله من اخذه الاحتجاج على بهاء الدولة بهر به فيما كان بذله فيه و ابو القاسم ابن ماما الاستراحة من حصوله^(٢) وماعسى ان يحمل عليه من ركوب الفسخ معه . ومضى ابو نصر الى البطيحة ونظر في الأمر ببغداد بعده ابو الحسن علي بن الحسن البغدادي ثم ابو الفتح القناني ثم ابر الحسين عبيد الله بن محمد بن قطر ميز وخو طب بالوزير فتقبل ذلك وصار اضحكة عند ابي جعفر والناس به وكان العمل كله أخذ الاموال من المصادرات والتسلق على التجار بالتأويلات

لاجرم ان البلد حرب وانتقل أكثر اهله^(٣) عنه فمنهم من مضى الى البطيحة ومنهم من اعتصب بباب الازج ومنهم من بعد الى عكبرا والانبار . ولقد حدثني جماعة من الناس انهم شاهدوا صينية السكرخ فيما بين طرف الحدائين والبرزازين والفواخت والمصافر تمشي في ارضها انتصاف النهار وفي الوقت الذي جرت العادة بازدهام الناس فيه بهذا المكان . فلما ورد ابو نصر و ابو جعفر الى واسط كتبوا واعادا أبا الحسن علي بن ابي علي

(١) اهله : واعمل (٢) اهله : حضوره

الى النظر في الممونة

وفي يوم السبت العاشر من المحرم توفى ابو القسم اسماعيل بن سعيد
ابن سويد الشاهد

وفي يوم الاربعاء الثامن عشر^(١) منه انحدار ابو الحسن ابن يحيى الى واسط
لأنحدار المقدم ذكره

وفي هذا الوقت توفى ابو الطيب الفرخان بن شيراز بمجوس
السيف وخرج الوزير ابو غالب محمد بن على بن خلف من شيراز لطلب
مواله وتحصيلها

شرح حال أبي الطيب منذ ابتداء أمره وإلى حين وفاته

وما جرى في طلب أمواله وذخائره على ما عرفه

أبو عبد الله الحسين بن الحسن القسوى

كان الفرخان بن شيراز من اهل بعض القرى بكران وتصرف اول
امره في الداريجية وما شاكلها من الاعمال القريبة وتدرج الى ان ولي
كتابة الديوان بسيراف وانتقل عنها الى عمالتها وبقي على ذلك زماناً طويلاً
ثم قلده عمان فعبث اليها وحدثت حاله فيها وجمع الأموال التي لم يسمع لمثلها
بمثلها^(٢) وبني بناً بنسب الدار المعروفة به وكانت من الدور التي تضرب
الأمثال بها وحصل فيها من اصناف الفرش والاثاث والرحل الشيء الكثير
الجليل ورتب بها من الحفظة والجراس وحلة السلاح خلقاً كثيراً لأننا بنسب
على ساحل البحر وليس بها من الناس كثير أحد. وتحدث في البلاد بما جمعه

(١) لعله : الثامن والعشرين

في هذه الدار من الأموال فرمتها العيون وتعلقت بها الاطماع وهم بقصدها وطلبها الخوارج واصحاب الأطراف وكان في يد أبي العباس ابن واصل^(١) عبادان والبحر وفي يد لشكرستان بن ذكي البصرة وفي يد السيفية والزط السواحل وقصب البلاد التي تجاورها . وكانت أكثر مادة صمصام الدولة بفارس من الفرخان لأنه كان يده بالأموال والحمل في كل وقت فسمى قوم في إفساد أمره عنده وقالوا له : انه على المصيان ومنع جانبه وقطع ماجرت عادته بحمله والامداد به . فكتبه صمصام الدولة بالورود الى بابه مختبراً بذلك ما عنده وقد كان الخبر انتهى الى الفرخان بما تكلم به فيه فصار اليه بهدايا واموال حسن موقعها منه فخلع عليه واستحجبه ورده الى موضعه وجرى على رسمه في الخدمة والتزام شرائط الطاعة . وتوفي العلاء بن الحسن بمسكر مكرم فلم يكن في مملكة صمصام الدولة اوجه من الفرخان ولا اوسع حالا واعظم هبة في نفوس الجند منه فاستقرت الوزارة له على ان يتوجه الى الاهواز ويدبر أمورها وأمور الألباء الذين بها ويستخلف له بشيراز ابو اسحق ابراهيم بن احمد ومنصور بن بكر . فأقام ابو اسحق بحضرة

(١) قال فيه صاحب تاريخ الاسلام : أبو الغنائم ابن واصل كان يخدم في الكرخ وكانوا يقولون انه يملك ويهزؤون به ويقول بعضهم : ان صرت ملكاً فاستخدمني ويقول الاخر اخلع علي . قال أمره الى أن ملك سیراف ثم البصرة ثم قصد الاهواز وحارب السلطان بهاء الدولة وهزمه ثم تملك البطيحة وأخرج عنها مذهب الدولة على ابن نصر الى بغداد فزح مذهب الدولة بخزائنه فأخذت في الطريق واضطر الى ان ركب بقرة واستولى ابن واصل على داره وأمواله . ثم ان غفر الملك أبا غالب قصد ابن واصل فعجز عن حربه واستجار بحسان الخفاجي ثم قصد بدر بن حسنويه قتل بواسط في صفر سنة ٣٩٧ .

صمصام الدولة وصار منصور الى فسا لتقرير اعمالها ولم^(٧) يطان مقامه بها حتى استعيد وأتخذ الى شق الروذان ثم لم يثبت هناك وانصرف من غير اذن الى الباب فأبكر صمصام الدولة فعله وامر باحضاره وضربه فضرب وانصرف عن شركة ابي اسحق وتفرد ابو اسحق بالنظر . وورد الفرخان الالهواز فلم يمش الأمور بين يديه على ما كان يقرر من ذلك وأتخذ ابو علي الحسن بن استاذهمز وجرى امره على ما تقدم ذكره في موضعه . ووصل بهاء الدولة الى فارس والفرخان في جملة من صحبه من الناس فتكلم عنده على حاله وعظمها وامواله وكثرتها فقبض عليه والزم صلحاً وسلم الى ابي العلاء عبيد الله بن الفضل ثم الى صاحب ابي محمد ابن مكرم وافرغ عنه بعد أدائه اياه وخروجه منه . وأتخذ الى جويم السيف لقتال الزط والسيفه وصار الى فسا واستصحف اكثر الديلم الذين بها وجرد اليه مردجاوك في طائفة كثيرة من الغلمان المراقية واقام بجويم مدة واستخرج أموالا من النواحي القريبة وامتنع عليه من اعتصم بقلعة او أوى الى الجبال الحصينة . وقضى نجبه في انشاء ذلك ووقع الاحتياط على ما صحبه من مال وتجميل وحمل بأسره الى شيراز وكان بهاء الدولة يمتد في ثروته ويساره أمراً عظيماً

فلما توفي كثر القول عليه فيما تركه من الحال وخلفه من الودائع واودعه داره من الذخائر فندب الوزير ابا غالب للتوجه الى نائيند وسيراف واستقضاء ذلك اجمع واثارته وتحصيله ورسم له قصد الدار بنفسه وهي من سيراف على خمسة عشر فرسخاً وان يبالغ في الكشف والفحص عنه ولا

تفنع الا بأن يتولى كل^(٧٨) امر تولى المشاهدة والمباشرة . وكان للفرخان بقة يعرف ببابان مجوسي ومحيط علمه بكل ما يملكه الفرخان فوق الارض وتحتها فقبض عليه الوزير ابو غالب واستدله على الاموال التي للفرخان فدله على اموال عظم الناس قدرها وجواهر تلك حالها وحصلها الوزير ثم عاقبه بعد ذلك عقوبة شديدة حتى ذبح نفسه في الحمام . وعاد الوزير ابو غالب الى شيراز فتحدث اعداؤه بما اخذه من مال الفرخان ودفائسه وودائمه وواصلوا الخوض فيه وادعوا عليه انه قتل بابان ليتستر بموته ما اخذه منه وعلى يده موادت هذه الأقاويل وما اتصل بهاء الدولة منها الى القبض على الوزير ابي غالب وسند كر ذلك في وقته وموضعه

وفي يوم الاثنين العاشر من صفر قبل القاضي ابو عبدالله الضبي شهادة ابي القسم علي بن محمد بن الحسين الوراق

وفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا منه توفي ابو الفتح عثمان بن جني النحوي^(١) وكان احد النجويين المتقدمين وله تصنيفات وقد فسر شعر ابي الطيب التنبجي تفسيراً استقصاه واستوفاه وأورد فيه من النحو واللغة طرفاً كبيراً ولقب ذلك بالفسر وهو من اهل الموصل وخدم عضد الدولة وصمصام الدولة وشرفها وبهاءها^(٢) طرفاً كبيراً في دورهم برسم الأدياء النحويين

(١) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ١٥ وقال صاحب تاريخ الاسلام ان عدد أوراق ترجمته هذه هي ثلاث عشر ورقة وقال أيضاً ان لأبي الفتح كتاباً ساء البشرى والظفر شرح فيه بيتاً واحداً من شعر الأمير عضد الدولة وقدمه له وهو :
أهلاً وسهلاً بذى البشرى ونوبها وباشتال سرايانا على الظفر
وأوسع الكلام في شرحه واشتقاق ألفاظه . (٢) لدله سقط : فحصل

وفي شهر ربيع الأول قتل ابو الحسين محمد بن الحسن المروزي
بالانبار

وفي يوم الاثنين السابع من شهر ربيع الآخر ثار العامة بالنصارى
ونهبوا البيعة بقطيعة الرقيق واحرقوها فسقطت على جماعة من المسلمين رجالا
وصديانا ونساء وكان الأمر عظيماً

^(٧٩) وفي ليلة يوم الخميس لست بقين منه كبس ابن مطاع واصحابه
حسون بن الخرماء وأخاه العلويين بفم الأُسناية وقتلوهما وكانت هذه
الطائفة قد اسرفت في التبسط والتسلط وركوب المنكرات واتيان
المحظورات

وفي يوم الاثنين الخامس من جمادى الأولى وهو اليوم الثالث
والعشرون من آذار وافي برد شديد جمد الماء منه

وفي يوم الجمعة التاسع منه خطب لبهاء الدولة ببغداد بزيادة قوام الدث
صفي أمير المؤمنين وقد كان الخليفة أطال الله بقاءه لقبه بذلك وكتبه
به الى شيراز

وفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا منه استتر ابو نصر سابور الاستر الذي
ذكرناه في سياقة خبره

وفي هذا الشهر بلغت كارة الدقيق الخشكار ثلثة دنانير مطيعة ثم
زادت في جمادى الآخرة فبلغت خمسة دنانير ولحق الناس من ذلك
شدة ومجاعة

وفي جمادى الآخرة خرج ابو طاهر بغما المكير الى جسر النهران
هارباً من ابي جعفر الحجاج بن هرمز فيه

ذكر السبب في ذلك

وما جرى عليه الامر فيه

تأدى الى أبي جعفر شروع ينما في قلب الدولة وإفساد الغلمان وتردد مكاتبات ومراسلات بينه وبين مذهب الدولة في ذلك ووعدده إياه بحمل مال . فاستمال أبا الهيجاء الجماعي واجتذبه الى نفسه وهم مكاشفة ينما وأخذته وقد كان ينما وثب الغلمان عليه ووضعهم على مطالبته والخرق به . وأحسن ينما باعتقاد أبي جعفر فيه وتديره عليه فجمد عن لقاءه والاجتماع معه ثم خاف بادرته وكان ^(٨٠) أبو جعفر مهيأ متقى فخرج الى جسر النهر وان ليفعل ما يفعله على الضمانينة والامان وعبر دياالي لاشفاقته . من اسراء أبي جعفر خلقه وتبعه جماعة من وجوه الغلمان ثم فارقه ورجعوا عنه . وتأخر المال الذي وعده مذهب الدولة بانفاذه اليه ووعدده هو الغلمان به فبطل أمره بذلك ومضى وعبر من الصافية الى الجانب الغربي ولحق بأبي الحسن علي بن مزيد وأقام عنده وأقطع أبو جعفر إقطاعه وما كان في يده ببادوريا لأبي الهيجاء الجماعي

وفيه فاض ماء الفرات على سكر قبين وغرق سواد الانبار وبادوريا وبلغ الى المحول وقلع حيطان البساتين واسود في الصرارة

وفي يوم الاحد لست بتعين منه صلب أبو حرب كاتب بكران على باب حمام بسوق يحيى وجد فيه مع مزينة جارية بكران على حال ريبة

وفي يوم السبت مستهل رجب أخرج أبو جعفر الحاج أبا الحسن علي ابن كوجري في جماعة من الديلم والاكراد الى المدائن لدفع أصحاب بني عقيل عنها

شرح ماجرى عليه الأمر في ذلك

وما اتصل به من خروج أبي اسحق ابراهيم أخى أبي جعفر وهزيمته

سار أبو الحسن علي بن كوجري الى المدائن فنزلها وانصرف دعييج صاحب قرواش وأصحابه عنها وقبض ببغداد على أصحاب بني عقيل ومعايلهم وأخرج العمال الى بادوريا ونهر الملك . وتقدت الكتب الى مرح بن المسيب وقرواش بن المقلد وقراد بن اللديد وهم بنواحي الموصل بما جرى فالى ان يجمعوا العرب وينفذوهم ما جمع دعييج الى نفسه جمعاً كثيراً وقصد^(٨١) أبا الحسن بن كوجري وحصره بالمدائن وكتب أبو الحسن الى أبي جعفر يستمده ويستنجده فجرد المنجب أبا المظفر بارسطغان لأنه كان والي البلد وخرج في عدة من الغلمان فاندفع دعييج من بين يديه وكتب الى أبي الحسن علي بن مزيد يلتمس منه المعونة على أمره . وقد كان أبو الحسن استوحش من أبي جعفر وخافه فأنجده بأبى الفناثم محمد أخيه واجتمع دعييج وجمعه وأبو الفناثم بن مزيد ومن معه وزلوا ساباط . وكتب المنجب أبو المظفر بارسطغان وأبو الحسن علي بن كوجري الى أبي جعفر بتكاثر القوم وقوة شوكتهم واستنهض الغلمان للخروج فتقاعدوا وثاقلوا وتأخر المدد عن المنجب أبي المظفر وعلي بن كوجري فانكفأ الى باقطينا^(٨٢) وندب أبو جعفر أبا اسحق أخاه للخروج وأنهض معه الديلم وساروا جميعاً مع المنجب أبي المظفر وعلي بن كوجري وتوجهوا طالين للعرب . وكتب أبو الفناثم ابن مزيد ودعييج الى أبي الحسن علي بن مزيد بذلك فصار اليهما واجتمع معهما

ووقت الوقعة باكرمي يوم الاربعاء الثامن من شهر رمضان فانهزم أبو اسحق واستبيح العسكر وأسر كثير من الذيلم والاتراك وقتل أبو منصور ابن حليس وشابا بن اوزدا وجماعة وعاد الفل الى بغداد على أسوأ حال وغاز ذلك أبا جعفر وأزعجه . وورد أبو علي الحسن بن ثمال الخفاجي بعقبه في يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر رمضان في عدة قريبة من أصحابه فلم يشعر به حتى نزل صرصر

ذكر الحال في وروده

كان أبو جعفر لا اعتقاده ما يمتقده في بني عقيل وما عاملوه به قديماً لا يحلم الا بهم ولا يفكر^(٨٢) الا في قصدهم وحرهم وأخذ الابهة لشفاء صدره . منهم واجتذاب من يحمله خصماً لهم . وكاتب أبا علي بن ثمال وحرص على ان يستدنيه وكان يعد في الظن ان ينزل الشام ويرد الى العراق . فأذكر وقد حضر عندي أبو القاسم ابن كبشة وهو رجل كثير الدهمة حامل نفسه على الاخطار العظيمة وممن خدم عضد الدولة في الترسل والتجسس المدة الطويلة وقال لي : أراكم تسكاتبون الحسن بن ثمال وتستدعونه وهو بمدكم ويعملكم ولو أنفذني صاحب الجيش بعض كتبه اليه لما فارقه حتى آخذه وأجيشكم به . فذكرت ذلك أيضاً لصاحب الجيش فقال : ابن كبشة كثير الكذب والفضول واسكن اكتب على يده واتقذه وأرحنا منه . فكنت له كتاباً واستطلقت له ثقة من الناظر في الامور ومضى وليس عند صاحب الجيش أني جعفر انه يفلح ولا يرجع فلم تمض مديدة قريبة حتى ورد وقال : هذا أبو علي بن ثمال قد نزل صرصر . فسر أبا جعفر

ذاك وكان عقيب ما لحق أبا اسحق أخاه من ابن مزيد وبني عقيل وأتخذ
اليه من تلقاه وأنزله في الدار التي كانت للمعروفي وحمل اليه الاقامات
وأطلق لأصحابه النفقات

وورد على أبي جعفر خبر عميد الجيوش أبي علي في تقلده العراق وما
هو عليه من المسير اليه فزادت هذه الحال في غيظه وشاعت بين الناس فتبسط
عليه الازراك وأساءوا معاملته واجتمعوا في بعض الايام على بابه ورموا
روشنه بالآجر والنشاب فضجر وضاق صدره بأمره وخرج الى جسر
النهر وان في يوم الاحد لأربع بقين من شهر رمضان ومعه أبو اسحق أخوه
والظهير بن جستان وخسر شاه^(٨٣) وخسر فيروز أخواه وأبو الحسن علي ابن
كوجري وأبو علي ابن نمال وأبو الحسين ابن قطرميز ومن تبعه من الدليم
البلاروخية وغيرهم . وراسل النجيب أبا الفتح محمد بن عتاز وسأله المسير معه
الى أبي الحسن علي بن مزيد وبني عقيل فدافعه وعلاه ثم أجابه وساعده وسار
اليه واجتمع معه وعبرت الجملة دجلة وكان انفصال أبي جعفر عن جسر
النهر وان يوم الاحد لعشر خلون من شوال وعبوره في يوم السبت مستهل
ذي القعدة وتوقفه الى ان لحق به أبو الفتح . وورد الى دعيج أبو بشر بن
شهرويه مدداً من الموصل في عدة كثيرة من بني عقيل واجتمع أبو الحسن
بن مزيد معهم في خيله ورجله ووقعت الواقعة بينهم في يوم الخميس لثلاث
عشرة ليلة خلت من ذي القعدة فقتل أبو بشر بن شهرويه وأسر دعيج وأنهم
أبو الحسن بن مزيد وتفرقت جموعهم ونهب سوادهم وكرأهم وذلك في
الموضع المعروف ببزيقيا

فحدثني الحاجب ابو طاهر الحسين بن علي الظهيري قال : لما انهزم ابن
مزيد وبنو عقيل من الوقعة بزريقا تم صاحب الجيش أبو جعفر الى القصر
ونزل بباشمسا ورتب في البلد من منع من نهبه والتعرض لأهله وسار من
غد طالباً للئيل ومئة تصاً أثر ابن مزيد فكان قد مضى الى موضع يعرف بشق
المزى بحلله وأهله . فنزل ابا الحسن علي بن كوجري بالئيل ومعه أثقاله
ودعيج والرجالة الديلم وسار ومعه ابو الفتح بن عناز وابو علي ابن ثمال فلما
قاربوا ابن مزيد وشاهدوا حلله وقفوا لاختأهبة الحرب وضرب المضارب
وبرز ابن مزيد للقتال . وقد كان راسل أبا الهوا اسود بن سواده الشيباني
وهو في عدة كثيرة من بني شيبان مع ابي^(٨٤) الفتح ابن عناز ووعدده
وخدعه ووافقه على ان ينهزم اذا وقعت العين على العين ويفل ابا جعفر ففعل
وانصرف وتبعه قوم من الاكراد وبقي ابو جعفر في ثلاثين رجلا من أهله
وأقاربه لانه كان تقدم بالئيل أن يحمل بعض الديلم الرجالة على البغال والجمال
فأغفل ذاك وابو الفتح ابن عناز في مائتي فارس من الشاذنجانية ومائتي فارس
من الجاوانية كانوا صحبوا أبا جعفر

واتفق ان مضى حسان بن ثمال اخو ابي علي مع اكثر بني خفاجة في
طريق غير الطريق التي سلكها أصحابنا فبقي ابو علي في عدة قليلة ولما تبين
ابو جعفر ما هو فيه وشاهد قلة ما بقي معه وحمل ابو الحسن ابن مزيد عليه
وكثره بخيله ورجله وعبيد الحلة وامائها وملك عليه خيمه تحير في أمره .
وأحسن من ابي الفتح ابن عناز بعمل على الحرب والانصراف فقال للظهيري ابي
القسم واهله : احفظوا لي ابا الفتح ولازموه ولا تفارقوه لئلا يخذلنا ويتركنا
لا انتي أعول على النصرة به ولكنك متى رجعت فلنا وكسرنا واطمع عدونا .

فلازمه الظهير وهجم او جعفر لما ضاق به الامر على البيوت وعلا على تل كان في وسطها وعرف أبو الحسن ابن مزيد ذلك وقد كان ملك مضارب أبي جعفر ونزل وصلى في احدها شكراً لله تعالى على الظفر فركب وقصده وحمل حملة نكس فيها نفرًا من غلمان دار أبي جعفر وداسهم بجوافر خياله حتى سطح رؤوسهم ووجوههم وخلطها بأجسادهم واستظهر كل الاستظهار. وثبت أبو جعفر وحمل حملات متتابعة وطرح النار في بعض البيوت وحمل في أثر ذلك فانهزم ابن مزيد وملكت حلله وبيوته وأمواله وذلك في يوم السبت ثمان بقين من^(٨٥) ذي القعدة

قال الحانج أبو طاهر: ونهب أصحابنا ذلك فأخذوا من العين والورق والحلي والصياغات والثياب الشيء الذي تجاوز الحصر وأرسل أبو جعفر إلى أبي علي ابن ثمال: بأنك أحق النساء والحرم فاحرسن وامنع العجم منهن. فتشاغل أبو علي بجمعهم إلى بيوت افردها لهم ولم يتعرض لشيء من النهب على وجه ولا سبب. واستغنى الشاذنجان والجاوان ومن حضر من بني خفاجة بما حصل من الغنائم وامتلات أيدي الجميع وحقائبهم بالمال والجلال من الأثاث وانكفأ أبو جعفر إلى النيل

وقد كان أبو الحسن علي ابن كوجرى لما رأى بني شيبان عائدين ومظهرين للهزيمة وسمع عنهم أنهم قالوا « قد كسر صاحب الجيش » خاف وجمع الديلم الرجال وحمل الأثقال وصار إلى الجبل وضرب رقبة دعيج وصلبه بالمداخن وعرف من بعد حقيقة الامر واستحيا ودخل إلى بغداد كالمستوحش من أبي جعفر ثم كاتبه وعذره فرجع إليه. وصار أبو جعفر بعد ذلك إلى الكوفة ومعه أبو علي ابن ثمال ورجع أبو الفتح ابن عغاز إلى طريق خراسان

قال الحاجب أبو طاهر : ولما حصل صاحب الجيش ابو جعفر بالكوفة
 نزل في دار ابي الحسن محمد بن عمر ثم لم يبعد ان وردت الاخبار بانحدار
 قرواش ورافع بن الحسين وقراد بن اللديد وغريب ورافع ابي محمد بن مقن
 في جرة بنى عقيل ومن استجاشوا به من طوائف الاكراد ونزولهم الانبار
 عاملين على قصد الكوفة ولقاء ابي جعفر وأبى علي بن تمال وعرف بنو
 خفاجة ذلك ففارقوا أبا علي وتوجهوا منصرفين . فقال أبو علي لابي جعفر :
 يا صاحب الجيش انفذ معي من يردهم ^(٨٦) . فأنفذ معه الظهير أبا القسم
 وخرجا حتى انتهيا الى قريب من القادسية والقوم متفرقون قد أخذ كل
 قوم منهم طريقاً ومنهم من يريد البصرة ومنهم من يريد البرية فقال
 ابو علي للظهير لما شاهدهم : تقدم بضرب البوقات . ففعل ذلك فلما
 سمعوا الصوت وكل انسان منهم قد أخذ وجهته لووارؤوس خيلهم واجتمعوا
 الى أبي علي وقالوا له : ما الذي تريده منا . فقال لهم : يا قوم تخلوني وتخلون
 هذه البلاد وقد نزلناها وأخذناها بالسيف وصارت لنا طعماً ومعايش .
 فقالوا : نريد المال والعوض عن اسلام النفوس للرمح والسيوف . ولم
 يزل هو والظهير بهم حتى رجعوا على ان يفسح لهم في نهب النواحي عوضاً
 عن العطاء والاحسان واستعملوا من ذلك ما جرت عادتهم به وعظمت المعرة منهم
 وبرز صاحب الجيش الى الموضع المعروف بالسبيع من ظاهري الكوفة
 وأراد ان يجمل انتظاره لبني عقيل ولقاءه لهم فيه فقال له ابو علي بن تمال :
 يا صاحب الجيش قد أسأنا معاملة أهل البلد وثقلنا الوطأة عليهم وهم كارهون
 لنا وشاكون منا ومتى كانوا في ظهورنا عند وقوع الحرب لم نأمن ثورتهم
 من ورائنا ومعاونتهم لأعدائنا علينا والصواب أن نجعل بيننا وبينهم بديلاً .

فساروا ونزلوا في القرية المعروفة بالصابونية على فرسخين من الكوفة ومع
أبي علي بن نعل نحو سبعمائة فرس ومع صاحب الجيش أبي جعفر نحو
العدة من الديلم . ولما خرج صاحب الجيش الى هذا الموضع لم يتبعه من
الديلم الا دون ثمانية رجل وتأخر الباقي عنه وطالبوه بالمال واطلاقه لهم
وقد كان عميد الجوش وأبو القسم ابن مما راسلام وأفسداهم^(٨٧) فرد أبو
جعفر الظهير ابا القسم اليهم حتى أخرج اكثر المتأخرين لأنهم استحيوا منه
وتذموا من الامتناع عليه . وورد بنو عقيل في سبعة آلاف رجل بالعدد
والمنجانيقات والاساحة والقزاعندات وطلعت رايهم وضربت بوقاتهم
ودباب . وما كبهم وزحفوا كما ترحف السلطانية . وقد كان ابو علي بن نعل
تصد المشد بالفري على ساكنه السلام وزار وصلى وتمرغ على القبر وسأل
الله تعالى الموت والنصر وقال لاصحابه : هذا مقام الموت والذل بالقتل
والخور ومقام الحياة والعز بالثبات والظفر . فوعده المساعدة وبذل نفوسهم
في المدافعة . ورتب صاحب الجيش مضافه بين يدي بيوت الحلة وجعل
الظهير أبا القسم في ميمته وخسر شاه في ميسرته ووقف هو في القلب وبرز
النسوان في الهوادج على الجمال وبين أيديهن الرجال بالدرك والسيوف
وتقدم أبو علي في الفرسان وصار بيننا وبينه مداً بعيداً ووقع التطارد فلم يكن
الا كلا ولا حتى واقتنا الخيل المغنومة بجنوبة والرجال المأسورون يقادون
والعرب من نى خفاجة وفي أيديهم الرماح المتدفقة^(٨٨) . وأرسل أبو علي ابن
نعل الى صاحب الجيش بأن « سر وتقدم الينا » . فقال له : ما هذا مكان
التقدم لثلي ولا يجوز ان أفارق مضافي واصحر للخيال في هذا البر .

فراجعهم دفعات وهو يحميه بهذا الجواب حتى قال له أبو علي في آخر قوله :
فأتخذ الى جماعة من المعجم ليشاهدتهم القوم فتصنف نفوسهم ويدلوا انك
وراءنا . فأتخذ اليه الظهير أبا القسم في عدة من فرسان الديلم وأترك كانوا
بالكوفة وخرجوا مع صاحب الجيش فمسا وصلوا الى موضع المعركة حتى
انهزم بنو عقيل وأسر منهم نحو ألف رجل وحملوا الى البيوت بعد ان
أخذت ثيابهم ودوابهم^(٨٨) وأسلحتهم . وكف أبو علي عن القتل ومنع
منه فلم يقتل الا أبو علي ابن القلي كاتب رافع بن محمد . وقد كان نساء
بنى خفاجة وعييدهم واماؤهم عند تلاقي الجمع ركبوا الخيل والجمال وصاروا
الى معسكر بنى عقيل وبينه وبين موضع الحرب بعد وكبسوه ونهبوه
وولى بنو عقيل لا يلوي اول منهم على آخر وغنم بنو خفاجة أموالهم
وسلاحهم وكرامهم وسوادهم

فحدثني أبو علي الحسن بن نعل انه اتبع بنى عقيل في عرض البرية مع
فوارس من اصحابه الى المشهد بالحائر على ساكنة السلام وهم منقطعون فلما
تجاوزوه بات وزار وعاد الى حلقته من غد . فذكرت ذلك للحاجب أبي طاهر
فقال : قد كان . ولما فقد أبو جعفر قلقاً شديداً به وظن ان حادثاً حدث
في بابه فقال له اصحابه : لو لحقه لاحق لمادت بنو عقيل . حتى اذا كانت
صبيحة تلك الليلة وافى ومعه اثنا عشر فارساً . وحكى انه اتبع المنهزمين حتى
تجاوزوا المشهد بالحائر وباتوا هناك وانه لو كان في عدة قرية لكشف نفسه
وأخذ أموالهم ورؤسائهم . وعاد أبو جعفر وابو علي الى الكوفة فأقاما بها
وسند كبر ماجرى عليه أمرهما من بعد في موضعه باذن الله تعالى^(١)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : توفي الحاج بالامواز في ربيع الاول

وفي شعبان قبض على الموفق أبي علي ابن اسماعيل وأعيد إلى القلعة

شرح الحال في هربه من القلعة عند اعتقاله أولاً فيها ونحصوله عند

الديواني (١) وعوده إلى شيراز بعد التوثقة التي أعطيها وما جرى

عليه أمره إلى أن قبض عليه ثانياً ورد إلى القلعة

وكل ذلك على ما (٨٩) حدثني به أبو نصر

بشر بن إبراهيم السني كاتب الموفق

قال أبو نصر : لما حصل الموفق في القلعة أولاً ردّ الأمر في التوكل به وحفظه إلى أبي العباس أحمد بن الحسين الفراهي وكانت فيه غلظة وفظاظة وقد عرف من رأي بهاء الدولة ووسطائه فيه ما يدعو إلى التضيق عليه وإساءة المعاملة له فاعتقله في حجرة لطيفة وتركه في وسط الشتاء وشدة البرد بقميص واحد وكساء طبري حتى اشفى على التلف . ولما فعل هذا الفعل به اختار الموت على ما يقاسيه وحمل نفسه على الأشد في طلب الخلاص منه واستمال الموكلين المقيمين معه من قبل أبي العباس الفراهي ووعدهم وأرغبهم ورأساني على أيديهم واستدعى مني طعاماً أمد به وثياباً ونفقة وكان يأتيه من جهتي ما يريد شيئا شئنا . وكان يتقدم الموكلين فراهي يختص بأحمد الفراهي ويتميز بفضل الثقة عنده ونفسه ساكنة إلى موضعه فطاوع الموفق وساعده وتردد في رفاقه واجوبتها بيني وبينه واستقرت الموافقة معي على أن احضر جماعة من أصحاب الديواني وأقيمهم ليلاً تحت القلعة ويتدلى الموفق والفراهي

سنة ٤٠٠ فذكر أبو الفرج ابن الجوزي أنه توفي عن مائة سنة وخمس سنين وحاصل الأمر أنه أسن معمر (١) وفي الأصل : ابن الديواني

في ثقب ينقباه في بيت مايتصل بالحجرة التي هو فيها ففعلت ذلك وأحضرت
الفرسان بعد ان حصلت عند الموفق على يدي الفراش مبرداً يرد به قيده
وزيلاً وحبلًا ينزل فيها وبرد القيد وثقب الثقب ونزل الموفق والفراش
بعده ليلة النوروز الواقع في شهر ربيع الآخر يوم الاثنين لليلتين بقيتا منه
وقد أعددت له ما يركبه فركبه وسرنا فلم يصبح إلا يسيلاد سابور وخرج
الديواني^(١) فاستقبله^(٢) وخدمه

قال أبو نصر : فلما نزل وسكن جاشه قلت له : قد خلاصت وملكت
أمرك الا ان بهاء الدولة خصمك والبلاد له والناس في طاعته واعتقاده فيك
الاعتقاد الذي تعرفه والصواب ان تأخذ لنفسك وتسبق خبرك الى حيث
تأمن فيه من طلب يلحقك . وقال له الديواني قريباً من هذه المقالة ووعده
ان يسير به حتى يوصله الى أعمال بدر بن حسنويه وأعمال البطيحة فلم يقبل
وقال : بل أراسل الملك واستصلح رأييه . وراجعناه وبيننا له وجه الرأي فيما
أشرنا به فأقام على المخالفة وألزماني ان اعود الى شيراز واجتمع مع أبي الخطاب
واستعلم رأييه له فيما يدبر به أمره وكتب كتاباً الى بهاء الدولة : « بأني لم
أفارق اعتقالك خروجاً عن طاعتك ولا عدولاً عن استعطافك من تحت
قبضتك ولكنني عوملت معاملة طلبت بها نفسي لحملني الاشفاق من

(١) قال الاصطخرى في كتابه مسالك الممالك : إن من زموم بلاد فارس زم
الحسين بن صالح ويعرف بزم الديوان : وان لكل زم مدناً وقرى مجتمعة قد ضمن
خراج كل ناحية منها رئيس من الاكراد : وأما زم الديوان فنقله عمرو بن الليث
الى ساسان بن غزوان من الاكراد فهو في أهل بيته الى يومنا هذا . وصنف
الاصطخرى كتابه في حدود ٣٤٠

تلقيها^(١) على ما طلبت به خلاصها وها أنا مقسم على ما يرد به أمرك وما أريد إلا رعاية خدمتي في استبقاء مهجتي « الى غير ذلك من القول الجاري في هذه الطريقة

قال أبو نصر : وكلفني من هذا العود والرسالة ما حمانى فيه على الفرار والمخاطرة ثم لم أجد بداً من القبول والطاعة ورجعت الى شيراز وقصدت دار أبي الخطاب ليلا فقال لي : ما الخبر فان القيامة قد قامت على الملك بهرب الموفق وتصور له انه سينم عليه به فساد عظيم . فاعلمته ماجئت فيه فقال : ليس يجوز ان أتولى إيصال الكتاب وإيراد ما تحمله في معناه على الملك وهو يعلم ما بيني وبينكم ولا يمكن امض الى المظفر أبي العلاء عبيد الله بن الفضل واسأله ان يكلم خبرك في ورودك وان يوصل الكتاب كما انه وصل مع بعض الركابية ويستتر الامر^(٢) ويمرف ما عند الملك فيه . فصرت اليه ووافقته على ما وافقني عليه أبو الخطاب فلشدة حرص المظفر على اعلام بهاء الدولة الخبر وازالة قلقه به ما باكر الدار وعرض الكتاب ولم يكنم ورودى بل ذكره فسكنت نفس الملك الى هذه الجملة فقال : فسا الذي يريد . قال : التوثقة على يدي الشريف الطاهر أبي أحمد الموسوي . فأجاب اليها ووعد بها . وراساني أبو الخطاب بأن أقصر فيها ولا استوفيتها ووعدت بذلك ثم لم افعله وعملت لليمين نسخة استقصيت القول فيها وحضرت الدار بها وحضر الشريف الطاهر ابو أحمد والمظفر ابو العلاء فخرج الي الأمين ابو عبد الله وقال لي : الملك يقول « ما الذى تقترحه من التوثقة » فأخرجت النسخة من كمي وسلمتها اليه وقلت : هذه نسخة اصحبنيها الموفق ورسم لي الرغبة

الى الكرم الفاضل في ان تحرر بخط . ولانا الامين وان تشرف بتلفظ
الحضرة العلية بها بحضر من الشريف الطاهر . فقال : أقوم واعرضها .
ودخل وعرضها فلما رأى الملك طولها وتأكد الاستيفاء فيها قال لأبي
الخطاب : أليس رسمنا لك رسالة ابي نصر بالاختصار والتخفيف ؟ قال :
قد فعلت ووعدتم لم يفعل . فتقدم الى الامين بتحريرها فحررها حرفاً حرفاً
وأحضرت المجلس وحضر الشريف الطاهر ابو أحمد والمظفر ابو العلاء
وابو الخطاب والاثير ابو المسلك وغير الامين ابو عبد الله وبدأ الملك بقراءتها
فلما مضى شطرها قطعها بأن قال قولاً استفهم به شيئاً منها ثم عاد لاستئتماها^(١)
فقبلت الارض ورفع رأسه وقال : مالك ؟ قلت : الخادم الغائب يسأل الانعام
بان يكون قراءة هذا الشريف بغير عارض يقطعه . فاعتاظ غيظاً بان في
وجبه ثم^(٢) أعاد قراءتها من اولها الى آخرها فلما فرغ منها قبلت الارض
فقال : أي شيء تريد ايضاً ؟ قلت : الشريف بالتوقيع الدالي فيها . فاستدعى
دواة وكتب « حلفت بهذه اليمين والتمت الوفاء بها على ما اقترحه من
ذلك » واخذتها وخرج الشريف الطاهر ابو احمد والمظفر ابو العلاء
وخرجت الى الموقف ليرد معنا

وقد كان بهاء الدولة جرد مع ابي الفضل ابن سودمند عسكراً الى سابور
لطلب الديواني ودخل الديواني الماهور واقام ابو الفضل على حصاره . فلما
وصلنا أقام المظفر ابو العلاء عند العسكر ودخلت انا والشريف ابو احمد
وصرنا الى الموقف ومعهم خيل وبنال وثياب ورحل انفذ ذلك المؤيد ابو الفتح
اذ كوتكين والمظفر ابو العلاء اليه على سبيل الخدمة له به واجتمعنا معه

وعرف من الشريف الطاهر جملة الامر ومنى شرحه وسار وسارنا وسار المظفر
ابو العلاء الى شيراز وكان وصولنا في روز آبان من ماه ارد بهشت الواقع في
جمادى الآخرة . وظهر الموفق لبس الصوف وخرج الينا ابو الخطاب والامين
ابو عبدالله متلقين فلما اراد الانصراف قال لأبي الخطاب : أريد الخلوة معك
فقال له : لا يمكنني ذلك مع كون الامين معي ولكن انفذ الي أبا نصر
الكاتب الليلة . ودخل الموفق البلد ونزل داراً أعدت له فيه

ذكر ما جرى عليه أمره بعد دخوله

قال ابو نصر : وصرت الى أبي الخطاب وقلت له : يقول لك الموفق
بأني شيء ترى ان أدبر امري ؟ قال قل له : قد كنت أشرت عليك بأمر
خالفتها فلم تحمد عقي خلافتها وانا اعرف باخلاق بهاء الدولة منك^(١٣)
والصواب الآن ان تنفذ جميع ما حصل عندك من الدواب والبغال التي قادها
الإولياء اليك وترسل الملك وتقول له « من كان مثلي على الحال التي انا
معتقدها من اعتزال الامور والرغبة عن العمل فلا حاجة به الى دواب وبغال
وقد قدمت ما قاده الاولياء الي الى الاصطبل لانه أولى به ومتى اودت مركباً
أركبه استدعيت منه ما أريده في وقت الحاجة اليه وان من شروط ما اعزمته
أيضاً ان أقبل الاجتماع مع الناس ولنفرد بنفسي والدعاء للملك واسأل ان
يختار أحد ثقات السريين ويرتب على بابي لرد من يقصدني ومنع من يحاول
الدخول الي » فانه اذا رأى مثل هذا الفعل وسمع عنك مثل هذا القول
سكن وأنس وأمكنك وأمكننا ان نتطف لك من بعد في اخراجك الى منزلك
ببغداد او الايتذات لك في قصد بعض المشاهد وتلك حينئذ نفسك

فصرفها على اختيارك

قال أبو نصر : فلما سمعت من أبي الخطاب هذه المشورة علمت أنها صادرة عن النية الصحيحة وعدت الى الموفق فأخبرته بما كان فكان من جوابه : أبو الخطاب يريد أن يرذني الى الحبس رداً جليلاً . ولم يقبل هذا الرأي ولا دخل له قلباً ولا خالط فكراً وأقام الدواب بين يديه على المراءود والكرداخورات يسمنها ويضمرها وفتح بابها وقعد في ثلاثة مخاد بين اثنتين منها سيف والى جانبه ترس وزوينات وعليه قيص صوف وكان يدخل اليه أبو طالب زيد بن علي صاحب الصاحب أبي محمدان مكرم وأبو العباس احمد ابن علي الوكيل فيحدثهما ويحدثانه ويبسطهما ويبسطانه ويميدان عليه مايتسوقان عنده به ويميدان عنه مايتسوقان به عليه

وورد الوزير أبو غالب قادمًا^(١٤) من سيراف وقد كان خرج اليها بعد وفاة الفرخان بن شيراز لتحصيل أمواله وأثارة ودائمه وترددت المراسلات بينه وبين الموفق بالجميل الذي كنت أسدي وألحم فيه وأخذت اسكل واحد منهما عهداً على صاحبه ومضى على ذلك زمان . فاعاد أبو العباس الوكيل وأبو طالب زيد بن علي الوزير أبي غالب عن الموفق ما أوحشاه به وكان مخالفاً لما أوردته عليه عنه وشك في قولهما وقولي وأراد امتحان صدقهما أو صدقي فاستدعى أستاذ الاستاذين أبا الحسن علمكار وكان الموفق شديد الثقة به والوزير أبو غالب على مثل هذا الرأي فيه فقال أريد أن أخرج اليك بسر أشرط عليك أولاً كتماناً ثم استمال الفتوة والنصيحة فيه . فقال ما هو ؟ قال ان أبا نصر الكاتب يجئني ويورد عليّ عن الموفق الجميل الذي يسكن الى مثله يجئني بعده أبو طالب وأبو العباس فيحدثاني عنه ما ينقض ذلك بقتضيه و

النفور منه وأريد ان تمتحن ما في نفسه وتطاوله . مطاولة يستخرج بها ما عنده
وتصدقني عما تقف عليه لأعمل بحسبه . فوعده أبو الحسن وصار الى الموفق
وأقام عنده طويلا وجاراه من الحديث ضروباً . ثم أورد في عرض
ذلك ذكر الوزير أبي غالب فخرج اليه بالشكر له وسوء الرأي فيه وعاد
أبو الحسن الى الوزير أبي غالب فقال له : قد صدقتك أبو طالب وأبو
العباس ونصحاك . فانتقبض الوزير أبو غالب حينئذ منه وعلم انه على
خطر متى ناب أمره

قال أبو نصر : ومضت مديدة أخرى وأبو الفضل بن سود منذ مقيم
مع العسكر على حرب الديواني ومضايقته لأنه طواب بعد خروج الموفق
من عنده بقصد الباب ووطء البساط فلم يفعل وعول على ان أمر الموفق
يستقيم فيمنع منه ويرد العسكر عنه . فوضعت ^(١٠) موضوعات وكتبت
ماطقات على انها من الموفق الى الاولياء الذين بازاء الديواني وروسوا
بالشغب واطهار العود الى شيراز وحملت الماطقات الى بها الدولة وقيل له
ان العسكر الماهل الديواني قد هتجم وعمل على الانكفاء الى الباب وهذا
أمر قد قرره الموفق ورتبه وفيه من الخطر عليك وعلى دولتك ما لا خفاء
به وان ورد هؤلاء القوم أخرجوا الموفق وكاشفوا بالخلاف . فانتاظر
بها الدولة وشك شكاً شديداً فظن ما قيل وعمل حتماً فتقدم عند ذلك بالقبض
على الموفق وردّه الى القلعة . فانفذ اليه ابو طالب الصغير في وقت العشاء
من روز امر داذ من ماه تير الواقع في يوم الاحد السابع من شعبان حتى
أخذه وحمله الى القلعة

(ذكر ما جرى عليه أمره عند رده الى القلعة)

وكل به أبو نصر منصور بن طاس الركابسلار فاحصن معاملته ووسع عليه مقعده وملبسه وأكلاه وشربه وتحمل عنه جميع ثوبه وكلفه وكان يدخل اليه ويقول له : أنا خادمك ونفسي ومالي مبدولان لك ومضت على ذلك أيام ثم جاءه وخلا به وقال : أيها الموفق قد عرفت مخالفتي للسلطان في كل ما أعاملك به وأخدمك به ونفسي معرضة بك معه وإن وثقت إلي من نفسك بأنه لا تسلمني وإن تكون أنا فظ لها دوني كنت على جلتي في خدمتك وتولي أمرك وإن كنت تحاول أمراً آخر فأخرج إلي بترك لا تكون بين أن أساعدك عليه أو أن استعني استغناء لطيفاً أتخلص به . فقال الموفق له لك علي عهد الله أنني لا أفارق موضعي ^(١٦) ولا أخرج منه إلا بأمر سلطاني وما فارقت في الدفعة الأولى إلا لسوء معاملة أحمد القراش لي وطلبه نفسي . فشكره أبو نصر ووثق بهذا الوعد منه وكان يتردد بينه وبين أبي الخطاب في رسائل يتحملها من كل واحد منهما إلى صاحبه ومضت مدة على هذه الحال . ورتب في القلعة الشكري بن حسان لما نكح (كذا) فراسل الموفق يقول له أنت على هذه الصورة ورأي السلطان فيك فاسد وأعدائك بين يديه كثيرون والامر الآن في يدي وأنا آخذك وأخرجك معي إلى الري فإذا حصلت بها . ملكك امرك وبانت هناك معاشع من ذكرك وتحصل في نفوس الديلم لك أكثر مما بلغت هاهنا . فقال له : قد عاهدت أبا نصر الركابسلار على ألا أغدر به ولا أفارق موضعي وأسلمه . فعاد مراسلته وقال له دع هذا القول عنك واقبل رأيي فإن النفس لا ترضى

عنها وترك الفرصة إذا عرضت عجز . فلم يقبل
قال أبو نصر : ثم ان أبا الخطاب أراد امتحان ماعند الموفق . فقال
لأبي نصر المجري : أريد أن تذمني اذا خلوت أنت والموفق . وتستكتمه
ماخرجت به اليك في أمري وتنظر مايقوله لك فتعرفه . فجاءه أبو نصر
وقال له في بعض مايجاربه إياه : لك أيها الموفق علي حقوق احسان أوليتيه
ومن حكم ذلك ان أصدقك . أراك تقول من أبي الخطاب على من هو سبب
فساد أمرك وتغير الملك عليك وسوء رأيه فيك فلو عدلت عنه لكان أولى
وأصلح لك ومتى اردت ان أوصل لك رقعة الى الملك سرأفعلت . فصادف
هذا القول منه شكاً في أبي الخطاب وشبهة له وحمله الاسترسال واطراح
التحفظ على ان اطلق لسانه ^(١٧) فيه بكل ما كان مكنوناً في صدره وسأله
ان يوصل له رقعة الى الملك فبذل له ذلك . وكتب بخطه اليه كل مااستوفى
اليمين على نفسه به في انه الخادم المخلص الذي لم يتغير عن مناصبته ولا هم
بخيانه وانه وانه . . . وذكر ابن الخطاب بما طعن عليه فيه وقال اني
لم اهرب لما هربت إلا برأيه وموافقتة وعلمه ومعرفته

قال أبو نصر السني : وكان الامر كذلك واخذ أبو نصر الركب اسرار الرقعة
وجاء بها إلى أبي الخطاب فلما وقف عليها كتبها ولم يعد قولاً في معناها
أدت الحال الى ما سيرد ذكره في موضعه من قتله ^(١٨)

وفي شعبان توفي أبو عبد الله ابن أيوب الشيرازي الكاتب

وفي شهر رمضان عظمت الفتنة ببغداد بعد خروج أبي جعفر الحجاج

(١) قتله بهاء الدولة في سنة ٣٩٤ كذا في تاريخ الاسلام عن أبي الفرج

ابن الجوزي

عنها وزاد امر العلويين العيارين وقتلوا النفوس وواصلوا العملات^(١) واخذوا الاموال واشرف الناس منهم على خطة صعبة

وفيه ورد الامين ابو عبد الله الحسين بن احمد الى واسط برسائل الى ابي جعفر الحجاج في معنى امر عميد الجيوش ابي علي وخروجه الى العراق فلما عرف حصول ابي جعفر بسقي الفرات وتشاغله بحرب ابي الحسن ابن مزيد ونى عقيل توقف

وفي ليلة الاربعاء ثمان بقين منه طلع كوكب الذؤابة وفي هذا الشهر تواترت الاخبار بتحويل بهاء الدولة على عميد الجيوش في امور العراق ثم سار من الالهواز في يوم الجمعة الثاني من شوال

شرح الحال في ذلك

لما استقام بعميد الجيوش ما استقام من امور الالهواز واعادها الى حال السكون^(١٨) والعمارة وساس الجند والرعية فيها السياسة الشديدة واضطربت امور بغداد وانحل نظامها وعظمت اسباب الفساد والفتن فيها كوتب بقصد العراق واصلاح احوالها وازالة ما عرض من انتشارها واختلالها وأنفذ الامين ابو عبد الله الى ابي جعفر الحجاج لتطيب قلبه واستدعائه الى فارس . وورد عميد الجيوش واسطاً بعد ان أقام ابا جعفر استأذنه من بالاهواز والده ناظراً في الحرب ورتب ابا عبد الله الحسين بن علي بن عبدان في مراعاة الامور والاعمال . فانتشر الناس به لما بلغهم من حسن سياسته وزوال المجازفة والظلم عن معاملته وكتب الى الفقهاء وأمائل

التجار بمدينة السلام كتباً يمدح فيها بالجميل ويحوي آثار ما تقدم من المصادرات
فتضاعفت المحبة له وتزايدت المسرة به . وكاتب ابا القسم الحسين بن محمد
ابن مما عا تالفه وأمره بحفظ البلد وضبطه الى حين وصوله وانفذ اليه تذكرة
باسماء جماعة ورسم له قتلهم واخذهم وكان منهم مرثوما ابن قتي (كذا)
النصراني التاجر لانه ذكر عنده بالسماية والغمز واقتصر ابو القسم على اخذ
المعروف بابن دجيم وقتله في وسط الكرخ وكان احد الملاعين السعاة
وانذر الباقين لانهم خدموه من قبل

وسار عميد الجيوش من واسط فلقاه ابو الفوارس قليج سابقاً الى
خدمته ثم تلاه الاولياء على طبقاتهم والناس على ضروبهم فبسط لهم وجهه
ووفى كلامهم حقاً ورأوا من لين جانبه وقرب حجابيه وسهولة اخلاقه
وعذوبة الفاظه مع عظم هيئته ما لم يعمدوا مثله وعرف الاشرار والدعار
موته وما يأخذه به نفسه فذهبوا كل مذهب وهربوا (٩٩) كل مهرب .
ونزل النجمي فزينت له الاسواق ونصبت القباب وأظهر من الثياب
والفروش الفاخرة والاولياء والصابغات الكثيرة ما كان مخبواً للخوف
ودخل يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة وقد أقيم له في الاسواق
الجواري والعلمان في ايديهم المداخن بالبخور وخالقت وجوه الخيل ونثرت عليه
الدراهم في عدة مواضع ودعى له من ذات الصدور وعدل من طاق الحراني
الى دجلة ونزل في زبزه وعبر الى دار المملكة وخدم الاميرين ابا الشجاع
وابا طاهر وعاد فصعد الى الدار بباب الشمير وهي التي كانت لابن الحسن
محمد ابن عمر

وطلب العيارين من العلويين والعباسيين وكان اذا وقعوا تقدم بان
يقرن العلوي بالعباسي ويفرقان نهراً يشهد من الناس واخذ جماعة من الحواشي
الأتراك والمتعلقين بهم والمشتهرين بالنصرف والتشخص معهم ففرقهم أيضاً
وهذأت بذلك الفتن المستعومة وتجددت الاستقامة المنسية وأمن البلد والسبل
وخاف الغائب والحاضر

وكان ممن قتل المعروف باي على الكرامى العلوى وقد هتك الحرم
وارتكب المظالم ونجس الى ابي الحسن محمد بن الحسن بن يحيى وظن انه
يعصمه وينع منه فركب ابو الحسن على بن ابي على الحاجب الى داره حتى
قبض عليه من بين يديه وهو يستغيث به فلا يجيبه وحمله الى دار عميد
الجوش وقتله . وقد كان المعروف بابن مسافر العيار حصل في دار
الامين ابي عبد الله فأواه وستره ولم يزل ابو الحسن على بن ابي على يراصده
حتى عرف انه يجلس في دهايزه ثم كبس الدهليز والامين ابو عبد الله
غائب فاخذه^(١٠٠) وضرب عنقه . وامتعض الامين ابو عبد الله من
ذلك فلم ينفعه امتناضه وشكا الى عميد الجوش فلم يكن منه الا الاعتذار
القريب منه . وتبعت هذه الطوائف في النواحي والبلاد فلم يبق لهم
ملجأ ولا معقل ومضت الى الاطراف البعيدة وكفى الله شرها وازال عن
الناس ضررها

وحدثني ابو الحسن على بن عيسى صاحب البريد قال : كان ابن ابي
العباس العلوى ممن سلك الطريق الذميمة وارتكب المراكب الفجيعة فلما
ورد عميد الجوش هرب الى مياقارقين وبلغه بخر حصوله فيها ومقامه فيها

فبذل مائة دينار لمن يفتك به ويقتله ووسط ذلك بعض من اسر اليه وعول فيه عليه وانتهى الامر الى تعديل الدنانير عند بعض التجار في ذلك البلد وتقدم عميد الجيوش بأخذ سقجة بها وانفاذها وبينما هو في ذلك عرض عليه كتاب بوفاة ابن ابي العباس هذا فضحك وقال لي : قد بلغنا ايها الاستاذ المراد وربحنا الغريم ونحن نصرف الآن هذه الدنانير في الاراحة من مفسد آخر . وسلك مثل هذه الطريقة مع اهل الشر من الكتاب والمتصرفين وغرق منهم جماعة في أوقات متفرقة ومن جلتهم طاهر الناظر كان في دار البطيخ وله صهر من الأتراك يعرف بالاعسر من وجوههم ومفسديهم وأبو علي ابن الموصلية عامل الكار . فأذكر وقد جاءني ابن الموصلية هذا ليلاً وكان هارباً مستتراً وقال لي : قد خدمتك الخدمة الطويلة وأوجبت عليك الحقوق الكثيرة وفي مثل هذه الحال أريد ثمة ذلك ورعايته . فقلت : ما الذي تريده لا يبذل جهدي فيه . قال : عرفت حالى في وقوع الطاب لى ومتى ظفرتى فقلت أو بقيت على جملتي في التوقي والتخفي لم يكن لي مادة أمشي بها أمسى واستر من ورائي وأريد أن تخاطب صاحب القسم بن مما في بابي وتذكره بخدمة وحرمي^(١) وتسأله خطاب عميد الجيوش في اظهاري وايماني . قلت : أفعل ولا اترك ممكنا في ذلك . فشكرني وانصرف وبكرت أبا القسم فقلت : جاءني البارحة أبو علي ابن الموصلية ورأيت على صورة يرحم في مثلها الاعداء فضلا عن الخدم والاولياء وله عليك حقوق وانما اعددها لمثل

هذا الوقت ومتى لم^(١) تخلصه وتلطف في أمره هلك في وقوعه واستتاره .
فقال لي : لو كنت غائبا عن هذه الامور لمذرتك فلما وأنت حاضرها فلا
عذر لك . فراجعته وقال لي : أنت تلقى عميد الجيش دائما وهو يميل اليك
ويتوفر عليك بخاطبه وتحمل رسالة عنى بما تورده عليه . فسررت بذلك
وظننت انني سأبلغ الغرض به ودخلت الى عميد الجيوش في آخر نهار
وهو خال بخاطبه في أمر ابن الموصلية ورقفته وسألته كتب الامان له
فقال افعل وتبسم ثم قال لي لست عندي في منزلة من أعده ثم أخلفه
وأقرر معه ما يقتضيه وأنا أصدقك عما في نفسي ليس لهؤلاء الاشرار
عندي امان ولا أرى استبقاءهم على كل حال فان أردت ان تتجزز الامان
على هذا الشرط فاما امنك بعد ان يكون على بينة من رأيي واعتقادي .
فقبلت الارض بين يديه وشكرته على صدقه فيما صدقني عنه ورجعت الى
أبي القسم ففرقه بما جرى فقال : قد كنت أعلمه وانما احيت ان تشركني
فيه وتسمعه بغير اسناد مني وربما أهمله . وعاد الى ابن الموصلية من بعد في
مثل الوقت الذي قصدني أولا فيه فشرحت له الحال على «حقيقتها» وقلت له
ما توجب الديانة ولا المروءة ان اغرك . وفارقتي وهو عاتب مستزيد على
ما حدثت به من بعد ومضى الى أبي عمرو بن المسيحي وابي اسحق صاحب
أبي القسم بن مما فسألها مثل ما كان سألني^(١٠٢) وعاودا خطاب أبي القسم
وتجزأ له الامان فسامعت مديدة حتى أخذ أبو الحسين بن راشد .
وكان لعمري من اهل الشر الا ان التأول عليه كان بمكاتبته أبا جعفر الحجاج

عند حصوله بالزمانية ولأن أبا القسم بن مما أغرى به للعداوة السابقة بينه وبينه . وأخذ أيضاً أبو الحسن محمد بن جابر وأبو القسم علي بن عبد الرحمن ابن عروة ليفعل بهما مثل ما فعل بمن قدما ذكره . فتلطف مؤيد الملك أبو علي الحسين بن الحسن في خلاصتهما واستنقاذهما وكان ذلك فيما بعد سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة الا اننا اوردناه في هذا الموضع لاتصال بعض الحديث ببعض . وتقدم عميد الجيوش عند مورده بسمل أبي القسم بن العاجز وقد كان قبض عليه وانفذ اليه الى واسط فسلم وضربت رقبته بمد السمل وطيف برأسه في جانبي مدينة السلام وطرحت جثته في دجلة وذلك في يوم الاحد ثمان بقين من ذى الحجة

(ذكر ماعمله عميد الجيوش وأجرى أمور الاعمال والدواوين عليه)

فوز الي مؤيد الملك أبي علي أمور الاعمال وتقليد العمال وتحصيل الاموال وكان ورد معه نائباً عنه وله في الكتابة والكتابة القدم المتقدمة وفي العفة والامانة الطريقة المعروفة فاستقام بنظره ما كان مضطرباً وانحرس بحفظه ما كان متشذباً واستمر على الخلافة له في مقامه وسفره . وجعل أمر الديلم الى أبي القسم الحسين بن محمد بن مما وأبو نصر سعيد بن عيسى على الديوان وأمر الاتراك الى أبي محمد عبد الله بن عبد العزيز وأبو غالب سنان ابن عبد الملك يتولى الديوان وأمر أبا علي الحسن بن سهل الدورقي على ديوان السواد وأبو منصور^(١٠٣) الاصطخري خليفته عليه وأبا الحسن محمد ابن الحسين بن سابلويه على ديوان الزمام وأبا الحسن سعيد بن نصر على ديوان الخاصة وأبا منصور ردا سادار (كذا) بن المرزبان على الاشراف

في ديوان الجيشين وقلداً بانعيم المحسن بن الحسن واسطا وضرب ضرباً فارق قيمة الدينار الصحابي به على خمسة وعشرين درهماً وباقي القمود على حسب ذلك واستعرض الجرائد وميز الناس واسقط كثيراً من الحشوة ورد جميع الاقساط لسائر الطوائف الى سبعة آلاف دينار في كل خمسة وثلاثين يوماً وامتنع من تسليم ما ينحل من الاقطاعات الا بالافساط واقطع جماعة على هذه القاعدة فلو تبادت به المدة على خلو الذرع والطمأنينة لسقطت الاقساط بالواحدة لكنه منى من أبي جعفر الحجاج بن أفسد نظام أمره وأبطل عليه جميع ترتيبه وتديره وسيأتي ذكر ذلك في أوقاته ومواضعه . وما رأيت رجلاً أعف ولا أظلف نفساً من عميد الجيوش ولقد رفع المصادرات وأزال المجازفات رفعاً وازالة اقتدى به جميع ولادة الدولة على بلاده فيها وصار له الاسم الكبير والذكر الجليل بها^(١)

(١) وفي تاريخ الاسلام انه توفي سنة ٤٠١ عن احدى وخمسين سنة وكان أبوه من حجاب الملك عضد الدولة فحمل أباه على برسم خدمة ابنه صمصام الدولة . وفي تديره أمور العراق قيل انه أعطى غلاماً له دنائير وقال : خذها على يدك وسر من النجمي الى الحاصر الاعلى فان اعترض بك معترض فدعه ياخذها واعرف الموضع . فجاء نصف الليل فقال : قد مشيت البلد كله فلم يلقني أحد . ودخل عمرة الرخبي وقال : مات نصراني مصري ولا وارث له . فقال : يترك هذا المال فان حضر وارث والا أخذ . فقال الرخبي : فيحمل الى خزنة مولانا الى ان نتيقن الحال . فقال : لا يجوز ذلك . ثم جاء أخو الميت فاخذ التركة

﴿ ونعود الى ذكر الحوادث في الشهور الداخلة في هذه السياقة ﴾

وفي يوم الاربعاء السابع من شوال توفي أبو محمد عبد الله بن أبي احمد
يحيى الجهرمي القاضي

وفي هذا الشهر توفي أبو بكر محمد بن محمد بن جعفر الدقاق الشافعي
المعارض المعروف بخباط

وفيه توفي أبو الفتح القنائي الكاتب

وفي يوم الاثنين لاربعم بقين منه قتل أبو عبد الله بن الحيري أبا الحسين
ابن شهرويه وأبا عبد الله المستخرج وابنه في داره بالموصل

﴿ ^(١٠٤) ذكر الحال في ذلك ﴾

حدثني أبو الحسين بن الخشاب البيهقي الموصلي قال : كان ابن الحيري
بييع الخنزف بالموصل ثم ضمن كوازكه وتنقل من حال الى حال حتي نظر
في جميع أبواب المال وتجاوز ذلك الى ان كتب لأبي عامر الحسن بن
المسيب . وكان ارتفاع البلد مشتركاً بين الحسن وبين معتمد الدولة ابي المنيع
قرواش وكاتبه أبو الحسين بن شهرويه وكان ابن الحيري يستطيل على
أن الحسين بالاسلام وبان صاحبه الامير ويتبسط عليه في المعاملة والمناظرة .
فأقام ابو الحسين أبا عبد الله المستخرج فيما يتعلق بمعتمد الدولة من البلد
والارتفاع ورمى ابن الحيري منه بمن هو أشد قحة وثقل عليه أمره فعمل
على الفتك به وبابن شهرويه وشرع في ترتيب اسباب ذلك . وكان معه
جماعة من الرجال الذين يحملون السلاح ويسلكون سبيل الميابة فوافق

قوما منهم علي ان يلازموا داره (وكانت في بني هائدة) ليلا ونهاراً
ويترقبوا حضور ابن شهرويه وابي عبد الله المستخرج فاذا حضرا أوقعوا
بهما ووضعوا عليهما . وتقدم اليهم بان يظهروا في منازلهم وعند رفقاتهم
انهم مقيمون في الحلة وكان الحسن بن المسيب في حلة بظاهر الموصل
ومعتمد الدولة مخيم بالحصباء يريد الانحدار الى سقي الفرات وهو غليل قد
بلغت العلة منه وأظهر ابن الحيري العلة وشكره^(١) وتأخر في منزله . فركب
اليه أبو الحسين بن شهرويه وأبو عبد الله لبيادته على عادة كانت لابن
الحسين في مغالطته ومناقضته فلما صاروا قريباً من داره فارقهما أبو
ياسر النصراني وكان متهما فقال له أبو الحسين : لم لا تساعد علي
عيادة هذا الصديق ؟ فقال له مازحاً : يجوز أن يسلم منا من يعرف
خبرنا . وتمم أبو الحسين وأبو عبد الله ونزلا ودخلا الى الدار ومنها الى
حجرة عليهما باب حديد وثيق وتأخر عنهما ابن أبي عبد الله المستخرج في
الدار الاولى ونزل الرجال من الغرفة التي كانوا فيها ووضعوا عليهما وقتلوا
أبا الحسين وأبا عبد الله وأفلت ابن أبي عبد الله وصعد الى السطح ورمى
نفسه الى دار قوم حاكة فاتبعه أصحاب ابن الحيري واخذوه وقتلوه وأخرج
الثلاثة من الدار وطرحوا علي الطريق . وحل ابن الحيري رجله وخرج من
رداب قد عمله تحت الأرض في داره الي درب يعرف بفندق عمروة على
بعد من بني هائدة واستتر وأخفى شخصه وقد كان استظهر بإخلاء داره
وتحويل ما كان فيها من ماله وثيابه . وبلغ الخبر معتمد الدولة فركب في
الحال على ما به وماج الناس بين يديه وطلب ابن الحيري فلم يجده . وأظهر

(١) العلة : وشد رجله

الحسن بن المسيب الانكار لما فعاه صاحبه وراسل معتمد الدولة يمهده بالتماسه
والاخذ بالحق منه. وكان كمال الدولة ابوسفنان غريب قد نزل في ليلة ذلك اليوم
على ابن الحيري كالضيف له فلما جرى ماجرى بادره ارباباً على وجهه الى البرية
وانحدر معتمد الدولة الى العراق. وظهر ابن الحيري وخرج الى حلة الحسن
وأقام عنده فيما فعله وقبض على شيوخ أهل الموصل وصادرمهم واعتل
الحسن علة قضي فيها وقام مرشح أخوه في امارة بنى عقيل بعده وانتقل
اليه النصف من معاملة الموصل وتوسط بينه وبين ابن الحيري حتى أذم له
(١٠٦) وعاهده واستكتبه وكانت بينه وبين أبي الحسن ابن ابى الوزير عداوة
لانه سعى به الى مرشح حتى قبض عليه ونكبه. فاجتمع ابو الحسن وابو
القسم سليمان بن فهد وأبو القسم ابن مسرة الشاعر على ابن الحيري وأغروا
مرحاً به أوغروا صدره عليه وافسدوا رأيه فيه فقبض عليه ووجدوا له تذكرة
تشتمل على نيف وخمسين الف دينار فاثاروا ذلك وحصلوه ثم سملوه فمات
ودفن ونبش به أهل البلد من بعد وأحرقوه لسوء معاملته لهم وما قدمه
من القبيح اليهم

وحدثني أبو الحسن ابن الخشاب عن ابن الحيري بحديث استطرفته
فاوردته قال: اراد أن يقتل الحسن بن المسيب بسم يطعمه اياه ويهرب الى
الشام فسأله أن يحضر في دعوته فحضر فقدم اليه بطيخاً مسموماً فقال له
الحسن: تقدم يا ابا عبد الله وكل. فأظهر له السوم وقال لابي الفتح ابنه:
أجلس وكل مع الامير. فجلس وأكل ومات وتراخت مدة الحسن فماش
قليلاً ومات. وتجددت بين ابى الحسن ابن ابى الوزير وابى القسم بن مسرة

وحشة فوقع فيه ابو الحسن عند مرج بن المسيب وكثر عنده حاله وماله
وأغراه بنكبته ومصادرته فقبض عليه وقرر أمره على جملة أخذها منه
وخاف عاقبة ما عامله به فقال لمرح : هذا شاعر وقد أسأت اليه وان
أقلت من يدك هجاءك ومزق عرضك . فقتله وشق بطنه وملاه حصي
ورمى به في دجلة فانفق ابن وجدته امرأة كانت تذل على الشاطئ
فأخرج ودفن بالموصل

وفي ليلة يوم الاثنين الثالث من ذي القعدة انتقض ^(١٠٧) كوكب
في برج الحمل والطالع آخر الثور أضاء كضوء القمر ليلة التمام ومضى
الضياء وبقي جرمه يتموج نحو ذراعين في ذراع برأى العين وتشقق
بعد ساعة

وفي آخر يوم الاحد التاسع من ذي القعدة كبس العيارون دار
ابى عبد الله المالكي للفتك به وكان ينظر في الموارث وبعض معاملات
ابواب المال وفيه جرف في المعاملة فلم يجدوه ووجدوا ابا طالب بن عبد
الملك أخا أبي غالب سنان وكان صهر ابى عبد الله على ابنته فقتلوه . وقتل
العيارون في هذا اليوم ايضاً حماد بن السكر الشهر وني وكان وجهاً من وجوه
الرياسية وأهل الرفق والعصبة

وفي يوم الثلاثاء الحادي عشر منه تكامل دخول الحاج
الخراسانية الى بغداد وعبروا بأسرهم الى الجانب الغربي ثم وقفوا عن
النوجه لخلو البلد من ناظر وفساد الطرق ومقام ابى جعفر الحاج
بالكوفة والتشاور العرب من بني خفاجة وفي عتيل في البلاد وعادوا

الى بلادهم في يوم الخميس لعشر بقين منه وبطل الحج من المشرق في هذه السنة

وفي يوم الاثنين الثاني من ذي الحجة ورد ابو القسم على بن عبد الرحمن بن عروة مطلقاً من اسر بني عقيل

ذكر الحال في أسره واما لاته

كان قد خرج مع أبي اسحق ابراهيم اخي ابي جعفر الحاج ناظرآ في الاعمال وتمشية أمور السكر فلما وقعت الوقعة بينه وبين ابي الحسن بن مزيد ودعيج وبني عقيل يباكر ما وانهمز اسره احد العرب وبقي في يده مدة . وابتاعه ^(٨٠١) ابو الحسن رشا بن عبد الله الخالدي منه بمال قرره عليه وضمن أبو بكر الخوارزمي المال لرشا وأطلق

وفي يوم الاحد الثامن منه قتل ابن بندار المستخرج والحسين بن بركه غلام ابن كامل وقبض على ابي طالب الصياد الهاشمي وابن زيد العلوي وغرقا

وفي يوم الاثنين التاسع منه ولد الاميران أبو علي الحسن وأبو الحسين ابنا بهاء الدولة توأمين وعاش أبو الحسين ثلاث سنين وشهورا ومضى لسبيله وبقي الامير ابو علي وملك الامر بالحضرة ولقب بشرف الدولة واخباره تأتي في موضعها باذن الله تعالى

وفي يوم الاحد ثنائي بقين منه ورد الامين أبو عبد الله بغداد عائداً عن أبي جعفر الحاج بن هرم بن قبه ومعه أبو شاكر احمد بن عيسى

كاتبه وقد كان الامين توقف بواسطة لما وردها على ما قدمنا ذكره . فلما وصل عميد الجيوش أبو علي وأصعد أصعد معه وعدل من التعمانية الى أبي جعفر فلقه بالكوفة

وفي يوم الاثنين لسبع بقين منه خرج صاحب أبو القسم بن مما الى أبي الفتح محمد بن عاز فدهاه الى طاعة عميد الجيوش وخدمته وقاده الى الدخول في جلته ووعدته عنه بما طابت نفسه به وعاد من عنده وقد أصلحه ونسج ما بين عميد الجيوش وبينه

وفي يوم الثلاثاء لست بقين منه توفي أبو يعقوب محمد بن الحسن ابن يحيى العلوي الحسيني النقيب

وفي هذه السنة هرب أبو العباس الضبي من الري وصار الى بروجرد لاجيا الى بدر بن حسويه

(شرح الحال في ذلك وفيما جرى عليه أمر الوزارة بالري بعده

على ما أخبرني به القاضي ^(١٠٩) أبو العباس

احمد بن محمد البارودي)

قد ذكرنا من قبل صلاح أمر أبي العباس مع الجند بالري ونزوله من القلعة في اليوم الرابع من القبض عليه وحمله اليها وعوده الى النظر والتدبير ولما كان ذلك أقام مدة سنة والاستقامة جارية والامور مترخية والحال بينه وبين بدر بن حسويه عامرة والمصيبة له مسئة واقفة . وكانت في أبي العباس شدة تغلب على طبعه وشح يفسد عليه كثيراً من أمره . فاتفق أن توفي الاصفهني الاكبر ابن أخي السيدة والدة عهد الدولة وفاة أنهم أبو

العباس بأنه در عليه وسمه وطابت السيدة منه ما قدره مائتا دينار لاقامة
 رسم العزاية فقال في جوابها : لو اشتغلت بما يعطاه الجند المطالبون لكان
 أولى من تشاغلها بعمل المواتيم للموتى الماضين . فاغتاضت وقالت :
 صدق وكيف يقيم مأتمه من قتله . ويلقه قولها فأسر الاستيحاش منها وعلم
 ما وراءه من تغير رأيها فراسل أبا لقسم بن الكيج القاضى بالدينور واستدعي
 منه مطالعة بدر بن حسنويه بأمره وأستئذانه في خروجه الى بلاده
 وتجديد التوثقة عليه له فخطب ابن الكيج بدرّاً على ذلك فقال : الرأي له
 أن يقيم بموضعه ولا يفسد حاله يديه ويتلطف في اصلاح السيدة . فلم
 يقبل أبو العباس هذا الرأي منه لانه خاف السيدة وعاد بدر بن حسنويه
 فقال : أما ما عندى من المشورة والنصيحة فقد قلتها وأما ما يراه لنفسه من
 غير ذلك فله عندى فيه كل ما يحبه ويؤثره . وأقام أبو^(١١٠) العباس بعد
 السنة الاولى سنة أخرى حتى حرز أموره وأنجز علاقته وأحرز أمواله .
 وكان يعتمد الثقة بابى على الحسين بن القاسم المعارض الملقب بالخطير فقاوضه
 أمره وما قرر عليه عزمه . وكان أبو على ذا حيلة ومكيدة وكراهية له
 وعداوة فقال له : الصواب فيما رأيته فان أحداً لا يقوم مقامك فيما تقوم فيه
 وإذا فارقت مقامك تلقاك بدر بن حسنويه بساوة وقام بمعوتك ونصرتك
 وتشيد امرك وخاف السيدة والجند منه فزلوا على حكمك وعدت
 جديد الجاه قوي الامر . قال القاضى أبو العباس : فحدثني أبو الحسن
 النندارى وكان كاتب ابي العباس الضبي على مكاتباته وسره قال : جارانى
 السكافى أبو العباس ما أشار به عليه الخطير أبو على فقلت : قد ضحك وما

نصح لك ومتى زالت قدمك عن موضعك تغيرت الامور وحالت
عن تقديرك . فقال ما كان أبو علي ايشير بغير الصواب مع احساني اليه
وتوفري عليه . فلما كانت ليلة خروجه ترك داره بما فيها من فرشه وآلاته
ورحله واثقاله وغلمايه وكانوا سبعين غلاما وخرج ومعه أبو القاسم ابنة وأبو
الحسن البنداري كاتبه وغلام تركي من غلمايه ونقر من حواشيه بمن
احتاج اليهم لخدمته . ونزل على فرسخ من البلد . وأصبح الناس وقد
شاع الخبر فاجوا واجتمع الجند والتدب الجند الخطير أبا علي لخطابهم
وقال . قد هرب هذا الرجل بعد أن فرغ الخرائن وأخذ الاموال ومزق
الاعمال وحل النظام والمواد اليوم قاصرة والاضافة ظاهرة والاستحقاقات
كثيرة فان قنعتم بما كان فخر الدولة يطلقه لكم^(١١١) فمت به وبذلت
الاجتهاد فيه وفي تحصيله وتفرقة عليكم وان اردتم غير ذلك فانظروا
لنفوسكم واختاروا من يتولى أموركم . فلما سمعوا من هذا القول ما سمعوا
وعرفوا من صحته ما عرفوه قالوا له . قد رضينا بتديرك وفتننا بما بذلته لنا من
نفسك ولك علينا السمع والطاعة والانقياد والمساعدة . فتولى الامر واخذ
ما كان في دار الكافي ابي العباس وكان كثيراً وتبع أمواله وأموال
أصحابه وأقطع أملاكه واقطاعه وذكره في السكتب باحمد بن ابراهيم المخل وعلى
المنابر بالطن والتمدح والوقية والجرح وبالغ في كل ما اعتمد مساءته به
والغرض منه فيه ومشت الامور بين يديه

ووصل أبو العباس الضبي الى بزورد فلم يستقبله بدر بن حسنويه
ولا احد من أصحابه لكنه أنفذ اليه من يقيم له اقامة فكان يأخذ من

ذلك يسيراً وينفق من عنده كثيراً حتى أخذ نحواً من خمسة آلاف درهم سوداً ثم سأل اعفائه مما يقام له من جهة بدر بن حسنويه فأعفى . ووافاه أصحابه من البلاد لاحقين وانكسر جاهه وانتشر أمره ندوم الندم الشديد على فعله . قال القاضي أبو العباس . وكنت اذ ذلك ببروجرد فاستشارني أبو الحسن البنداري عنه في امره فقلت : يريد أن يطيب نفساً عما أقطع من أملاكه واقطاعاته وينزل عنه لمن جعل له فيلاطف السيدة ومجد الدولة ووجوه القواد بما يستميلهم فيه ويقاوم عن أبي على الخطير به فانه اذا فصل ذلك أطاعه القوم وبلغوا له مراده . فقال أبو الحسن . يحتاج لهذا الى نحو مائتي الف دينار ونحن فارقنا ^(١١٢) مكاننا وأفسدنا أمرنا من أجل مائتي دينار وامتناعنا من اطلاقها

ومضت للخطير مدة سبعة عشرة شهراً ثم قبض عليه فبادر أبو سعد محمد بن اسمعيل بن الفضل من ههذان الى الري مدلاً بوصلة بينه وبين السيدة وبما له من الحال الكيرة والضياع الكثيرة والمادة الواسعة والمكتنة التامة . وكره بدر بن حسنويه أن يتم له أمر لسوء رأيه فيه وأنه كان ينقم عليه قبيحاً عاملاً به فأنفذ أبا عيسى شاذى بن محمد ومعه أبو العباس الضبي الى الري في ثثة آلاف رجل ليعيده الى نظره ويرده في الوزارة الى أمره . وكتب في ذلك بما اكتمده وأشار بالعمل عليه وترك خلافه فيه فلما نزلوا بظاهر البلد ووصلت الكتب من بدر بن حسنويه (وقد تردد في معناها ما تقدم من قبل) راسلت السيدة ومجد الدولة ووجوه القواد أنا العباس بان : « أدخل فان الامر ممهد لك والرضا واقع

بك» وانفذت اليه ثقات كانوا له في القوم بان «الباطن فيك غير الظاهر لك
وقد رتب الامر على القدر بك والقبض عليك». فخاف ورجع
وتقلد أبو سعد بن الفضل الوزارة وتوسع في نظره بماله واستغلال
أملكه وهادي مجد الدولة والسيدة بما ملأ عيونهما به واعطاهما وأعطى
الاكابر ما استخلص نياتهم فيه. وكان شديد العجرفة عسوفاً في المعاملة
متهجماً على الجند بالمخاطبة الوحشة فكرهوه واجتمعوا وقصدوه فهربوا إلى
بروجرد بعد ان استصلح بدر بن حسنويه وعاد الخطير أبو علي إلى الوزارة
وسام بدوا ان يخاطبه بالوزير فامتنع من ذلك وامتنع أبو علي من خطابه
بسيدنا وانتهى ما بينهما إلى الشر والمباينة والمكاشفة بالقيح والعداوة^(١١٣)
وكتب الخطير إلى أصحاب الاطراف يبعثهم على بدر بن حسنويه ويفريهم به ويهون
عليهم أمره وواصل هلالا ابنه وأفسده عليه وحمله على مباينته ومقاطعته فكان
ذلك من أقوى الاسباب فيما خرج اليه معه. وسند كر شرح هذه الجملة
وما انتهت اليه الحال بين الخطير وبين بدر فيما نوردناه انفاً بمشيئة الله تعالى
(ذكر السبب في فساد رأي بدر بن حسنويه على أبي سعد بن الفضل)

(وما عامله به عند هزيمته من الري وقصده اياه)

حدثني القاضي أبو العباس البارودي قال : كان أبو سعد ابن الفضل
ينظر في أعمال همذان والملايين وسهر ورد واهر من قبل مجد الدولة
ويعطي شمس الدولة من ارتفاع ذلك مالا معيناً ومبلغاً مقنناً. فشرع بدر بن
حسنويه في ان يتتاع خاناً بهمذان ويفرده باسمه ويقوم فيه بيعاً يبيع
ما يرد من الامتعة المختارة في أعماله وكانت الحمولات كلها واصلة منها ومحمولة

فيها وبذل له في ارتفاع هذا الختان اذا تقرر أمره الف الف ومائتا الف درهم . وأنفذ أبا غالب بن مأمون الصيمري الى همدان لترتيبه وعقده على الراغب في ضمانه . وشق على أبي سعد ابن الفضل تمام ذلك وتصور انه طريق الى خروج ارتفاع البلد عن يده فوضع قوماً من الديلم على ان يقصدوا أبا غالب ويوقعوا به وكان نازلاً في دار أبي عبد الله محمد بن علي بن خلف النيرمانى لأنه برسم النيابة عن بدرهمذان^(١١٤) فقصدوه وكبسوا الدار وهرب من بين أيديهم وعاد الى بروجرود . وادعى انه قد نهب منه جملة كثيرة من المال الذي كان معه وكتب الى بدر بالصورة واستأذنه في الاعتراض على ضياع أبي سعد ابن الفضل وان يأخذ منها عوض ما أخذ منه فأذن له في ذلك واستخرج ما قدره خمسون الف دينار . فقال أبو سعد لما بلغه الخبر « احسب ان يحيى بن عذير (رجل قاطع طريق) أخذ مالى واعترض على ضياعى » . وبلغ بدر ذلك فاحفظه . وقبض على الخطير أبى على بالري فبادر أبو سعد ابن الفضل طامعاً في الوزارة وكره بدر ان يتم له أمره فأنفذ أبا العباس الضبي مع أبى عيسى شاذى في ثلاثة آلاف رجل لتقرير الوزارة له وجرى في ذلك ما قدمنا ذكره . وتولى النظر أبو سعد ابن الفضل فقام عليه سنتين ثم وقف أمره وشغب الجند عليه فهرب وقيل انه دلي في هربه في زيل من سطح دار وقصد بدر بن حسنويه فاشعر به حتى حصل بالكرج^(١) وتم اليه الى سابور خواست فاحسن تقبله واكرم منزله وحمل اليه ثلثمائة رأس غنماً وأصنافاً كثيرة فيها حمل سكر أبيض ولم يكن حمل مثل ذلك

الى أبي العباس الضبي لأنه علم ان أبا سعد واسع المروءة كثير التجمل ووصل اليه من هذا المحمول ما وصل فلما انقضى يومه حتى فرقه واستعمله وأقام عنده أياماً ثم صار الى بروجرد

قال القاضي أبو العباس : فتأخر أبو العباس الضبي عن استقباله واحتج بنقرس كان عرض له وأنفذ أبا القسم سعيداً ابنه للنيابة عنه في قضاء حمه وخرجت معه فسلم كل واحد من ابن أبي العباس وأبى سعد على صاحبه وسارا^(١١٥) داخلين الى البلد فتقدم عليه ابن أبي العباس . فلما كان في آخر ذلك اليوم ركب اليه أبو العباس الضبي في محفة ودخل داره وهو يخرج من بيت الماء ويشد سراويله وتلقاه وقبل صدره في المحفة وخاطبه أبو العباس بالوزير وقد كان أبو سعد كاتب أبا العباس من الري عند وزارته وخاطبه بالاستاذ الرئيس فلما التقيا هذا الالتقاء اعتمد أبو العباس في خطابه بالوزارة ان يعلمه ان الصرف لا يزيل اسمه من الوزارة ولم يجتمعا بعد هذه الدفعة

وفي هذه السنة أنشأ مهذب الدولة داره بالصليق فوسع صحنها وعظم أبنيتها وكبر مجالسها وسلك مسالك الملوك فيها ونقل اليها من الآلات والساج الشئ الكثير فجاءت أحسن دار وأفخمها وأجلها وأعظمها . وقد رأيتها في أيامه وكانت من أبنية الملوك وذوى المهن الكبيرة منهم وما شاهدت صحناً كصحنها في اتساعه واتساعه وكانت راحة لدجلة ولهاروشن وشبايلك عليها . وتقضت هذه الدار في سنة سبع عشرة وأربع مائة حتى قلمت أساساتها وجعلت دكة في تعفي آثارها . وكان سبب ذلك ان باع المال في أيام الفترة بعضها على أرباب الاقساط وطمع الجند بهذا الاتداء فأتوا على جميعها

وفيهما خرج أبو الحسن ابن اسحق كاتب أبي الحسن محمد بن عمر كان الى فارس على استنار

﴿ شرح الحال في ذلك وفيما جرى عليه أمره الى أن قتل ﴾

لما أصدد أبو الحسن الى بغداد مع صاحب أبي القسم بن مماس على القاعدة التي قدمنا ذكرها بدا (١١٦) من أمره ما كان مستورا خافيا وقبض على جماعة من التجار وصادروهم وتأول عليهم وجازفهم واعتقل الجائليق ووكل به وبالغ في الغض منه واستمال القبيح معه . وحاول في القبض على أبي يعقوب العلوي ما حاوله فلما لم يتم له وعرف خبر أبي الحسن بن يحيى في عوده الى واسط وانحلال أمر أبي نصر سابور وانتقاض قواعده استتر وخرج الى أوانا وأقام بها مديدة . ثم توصل الى الحصول بالبطيحة وتوجه منها الى فارس بمركبة تعويلا على حال كانت بينه وبين أبي الخطاب . ونزل على أبي العلاء عبيد الله بن الفضل فاكرمه وشرع في مراسلة بهاء الدولة من داره في أمور كثر الكلام فيها عليه فتجمع أبو الملاء منه وخاف أن يتطرق عليه سوء به وانتقل أبو الحسن عنه متغضبا عليه . وقيله بهاء الدولة واعتقد فيه تأدية الامانة فيما يقوم له به فأنفذه الى ناحية شق الروذان وكانت يومئذ مفردة للخاص فديرها وقرر ارتفاعها وحمل الي بهاء الدولة منه ما قامت سوقه عنده به وثقل ذلك على أبي غالب محمد بن علي وهو إذ ذاك ناظر في الوزارة وعلى أبي الفضل ابن سودمند بعده . وتوجه بهاء الدولة الى الاهواز لقتال أبي العباس بن واصل فقبض الوزير أبو غالب على أبي الحسن وحبسه في دار المملكة مدة حتى بلغت منه الضغطة والشدة .

ثم بلغ الوزير ان بهاء الدولة سأل عنه وقال ما فعل ذلك البائس ابن اسحق .
فاشفق ان يكاتبه بانقاده الى حضرته فاحتال عليه بان استدعاه من محبسه
(١١٧) وخلا به وقال له قد استولى أبو غالب الحسن بن منصور (١١) على
كرمان واستأكل أمه والها ومنعني مما كنت أرجو حصوله منها وعلمت على
أن أخرجك اليها كما تقرر لارتفاعها فاذا ثبتت قدمك واستقرت الدار بك
قلدتك وسلمت أبا غالب اليك لتستقي أمره وترجع منه ما أخذه واحتجبه
وأعلم أن المحنة قد بلغت منك وأنت محتاج إلى ما تعيد به تجملك وقد وقعت
لك إلى أبي عبد الله بن يوسف الفسوي بمشرين ألف درهم تصرفها في ذلك
ويذني أن تسبقني إلى فسا وتستوفي هذا المال وتبتاع به رجلا وبها ثم فاني
سأبعثك إلى هناك وأقرر ما بيني وبينك وأنفذك . وحمل اليه ثيابا من خزانته
ونفقة فاغتر أبو الحسن وقدر هذا القول حقاً وما وراءه من الاعتقاد سليماً .
ووافق يوماً من الزط على أتباعه والنتك به فمضوا واعترضوا القافلة التي
كان فيها ومعهم من يعرف أبا الحسن فلما بصرو به دلمهم عليه فأرجلوه من
دابته وقالوا له أنت قريب الوزير ولنا عنده رهائن ونحن نأخذك ونعتقلك
إلى أن يفرج عنهم . وعدلوا به عن الطريق إلى بعض الشعاب وذبحوه وخلوا
عن القافلة ولم يمرضوا لها . وكان أحمد حاجب ابن اسحق معه فاطلع على

(١) هو السيرافي ذو السمادتين الوزير . وفي تاريخ الاسلام انه تصرف
بلاهواز وخرج إلى شيراز وصحب فخر الملك فاستخلفه ببغداد ثم توجه إلى فارس
للنظر في الممالك بحضرة سلطان الدولة فناخسرو وخلف الوزير جعفر بن محمد
(بن فسانجس) فلما قبض السلطان على جعفر ولأه الوزارة . وفي آخر أمره وقع
خلف بين الجيش قتلوا أبا غالب في صفر سنة ٤١٣

باطن القصة وتحدث به وبلغ الوزير أبا غالب خاويل^(١) يخاف ان يتصل ببهاء الدولة من جهة فاحضره ووعده الجميل ومعاملته به وأطلق له نفقة سابقة وكان يراعيه مدة كونه بفارس

وهذا الخبر أرويه عن أبي عبد الله الفسوي وحدثني معه انه بلغ من^(١١٨) مراعاة بهاء الدولة لأمر ابن اسحق وعنايته به ان أنفذ اليه بأحد خواصه من الفرشين وقد هنجم غلمان الخيول بشيراز وكانوا ألفاً ومائتي غلام وانضاف اليهم الخارجون عن الدار وقال له احرس نفسك من أبي غالب ابن خاف واحذر ان يتم له عليك حيلة . وكان أمر الله قدراً مقدوراً

﴿ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ﴾

أولها يوم الاثنين والتاسع من تشرين الثاني سنة أربع عشرة وثلاثمائة والف للاسكندر وروز ماراسفند من ماه آبان سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ليزدجرد منع عميد الجيوش أهل الكرخ وباب الطاق في عاشورا من النوح في المشاهد وتعليق المسوح في الاسواق فامتنعوا ومنع أهل باب البصرة وباب الشعير من مثل ذلك فيما نسبوه الى مقتل مصعب بن الزبير

وفي رشن من ماه آذر الواقع يوم الخميس لخمس بقين من المحرم قبض على أبي غالب محمد بن علي بن خاف وتقلد الوزارة أبو الفضل محمد بن القسم بن سودمنذ في روز خرداد من ماه (.....) الواقع في يوم الاربعاء الرابع عشر من شهر ربيع الاول

(ذكر حال أبي الفضل وما جرى عليه الامر في تقليده)

أبو الفضل هذا أحد الكتاب الذين وردوا العراق من فارس مع أبي منصور بن صالحان في أيام شرف الدولة وكان يكتب بين يديه في جملة كتاب الانشاء ثم قلده عمالة عكبرا وانتقل منها إلى النظر في بعض الأعمال بالأهواز^(١١٩) وتدرجت به الأحوال بعد ذلك إلى أن تقلد عرض الديلم وتقدم في أيام الموفق وخرج بعد وفاته إلى كرمان على ما قدمنا ذكره . ولما عاد الوزير أبو غالب بن خاف من سيران وعرف عوده من كرمان بعد أن فعل في تقرير أمورها ما فعله وحمل إلى الخزانة من مالها ما حملة ووقع ذلك من بهاء الدولة موقعه وتأكد حاله عنده به وموضعه شق عليه أمره وأغراه المفسدون به فقبض عليه ونكبه واضطره إلى التبذل والتسلم في تصحيح ماقرره عليه وطالبه به . وخرج من النكبة فكتب إلى بهاء الدولة رقعة جعل سفيره ووسيطه فيها الحسين المزين وامراته وسمى بالوزير أبي غالب وبذل فيه بذلا كثيرا . وقد كان تحصل في نفس بهاء الدولة منه ما تكلم عليه به في أمر تركة الفرخان وما أخذه منها فأجابه إلى ما أرادته ووافقته على القبض عليه فسلمه النظر في الأمور بعده . فلما كان في يوم القبض دخل أبو الفضل دار الوزير أبي غالب بقميصين ورداء على زي المتطلين والمنكوبين وحضر مجلسه وخدمه ثم خرج من بين يديه وقعد في الدهليز . وكان قد رتب أمر القبض من الليل ووافق كل رجل من أصحابه على أخذ كل واحد

من أصحاب الوزير أبي غالب فقبض عليه وعلى حواشيته وأصحابه وألزم الجماعة من المصادرة على قدر حاله وموجب تصرفه وقرر على أبي غالب مائة ألف دينار قاسانية قيمتها أربعة آلاف ألف درهم من نقد الوقت وجد به في الأداة والتصحيح جداً فخرج فيه إلى بعض السف والارهاق من غير أن يمكنه (١)

(هذا كل ما ورد في النسخة التي حصلنا عليها وهي كما ترى مبتورة)

(١) وفي الوزير نحر الملك أبي غالب قال صاحب تاريخ الاسلام : قتل مظلوما في سنة ٤٠٧ وقد ذكره هلال بن الحسن في كتاب الوزراء من جملة قبيحيه في وصفه وأظن وطول ترجمته . ولم يكن في وزراء الدولة البويهية من جمع بين الكتابة والكفاءة وكبر الهمة والمروءة والمعرفة بكل أمر من أمته فان أعيان القوم أبو محمد المهلب وأبو الفضل ابن العميد وأبو القاسم ابن عباد وما فيهم من خبر الأعيان وجمع الأموال مثل نحر الملك
(نم)

